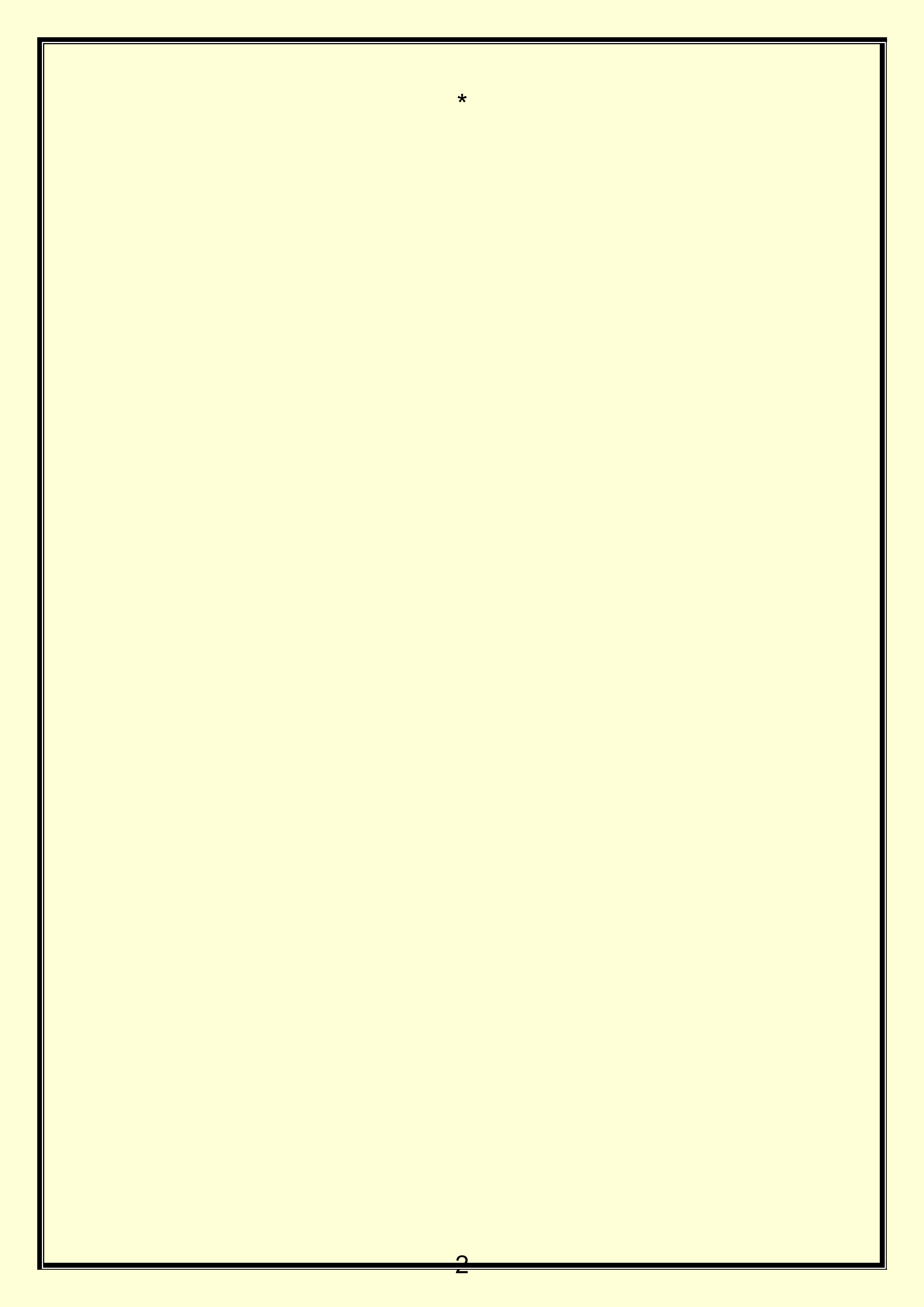
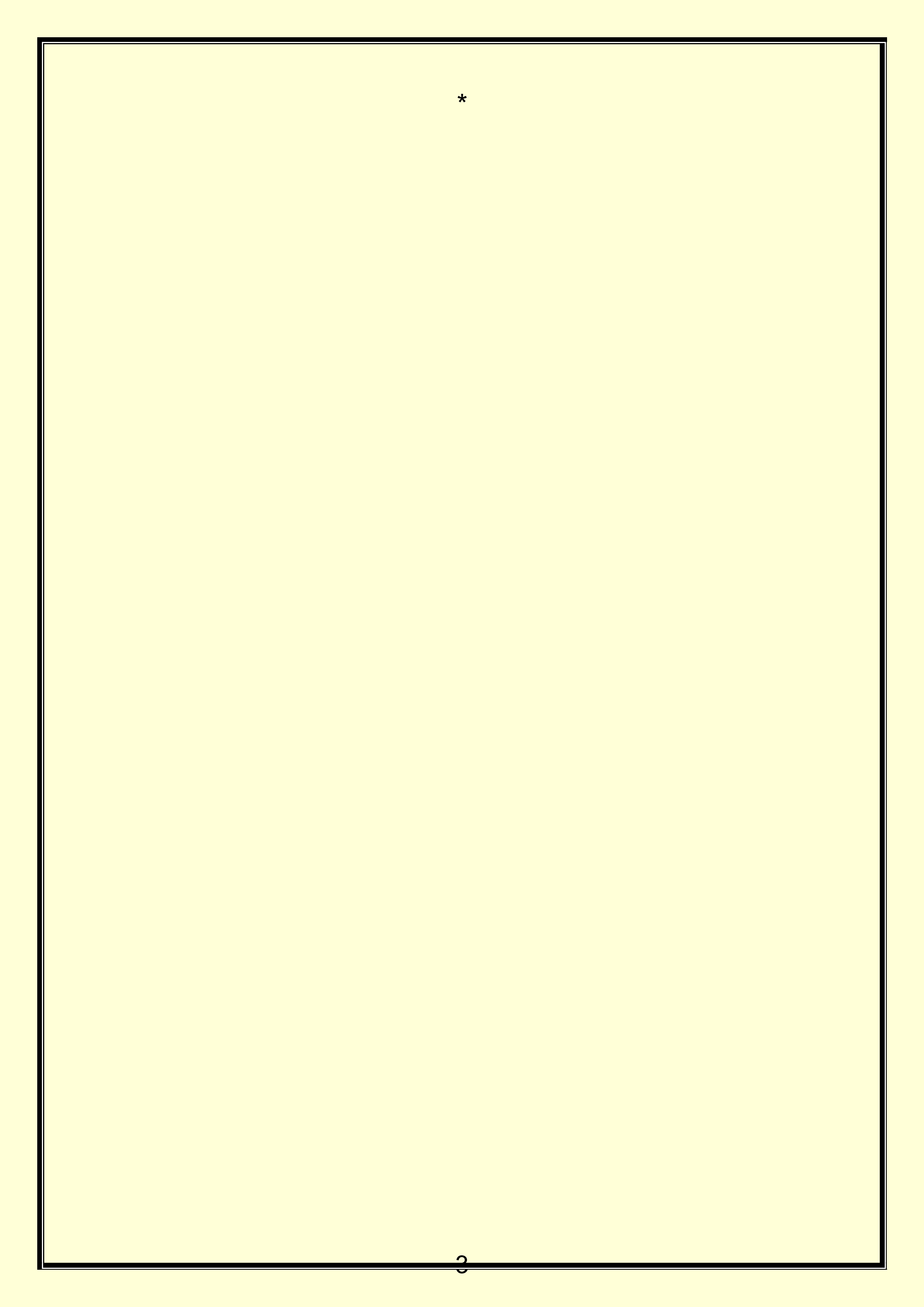
# البحر المورود في المواثيق والعهود

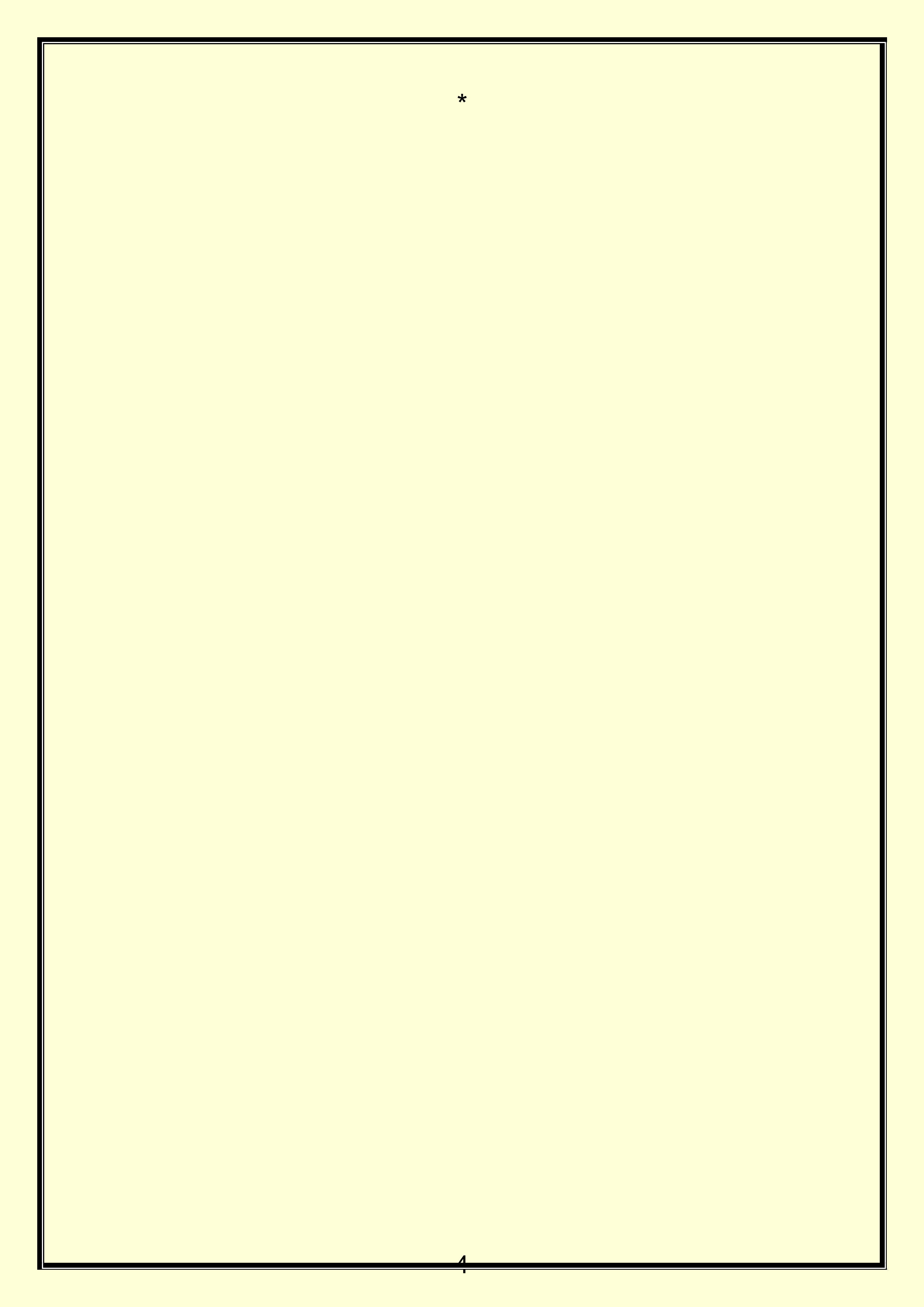
العارف بالله الشيخ
عبد الوهاب الشعراني
قدس الله روحه



*



*



*

## مقدمة الشيخ عبد الوهاب الشعراني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

أقول وأنا العبد الفقير إلى رحمة ربى عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد كمال الدين زرقا بن موسى ابن مولاي أبى عبد الله الزغلى ، بضم الزاي المعجمة وسكون الغين المعجمة ، سلطان تلمسان بأرض المغرب واجل أصحاب سيدنا العارف بالله تعالى الشيخ أبى مدين شيخ مشايخ المغرب رضى الله عنه وانتهى نسبتنا إلى السيد محمد ابن الحنفية بن الإمام علي بن أبي طالب رضى الله عنه وعن جميع ذريته ومحبيه إلى يوم الدين :

الحمد لله رب العالمين واصلى واسلم على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين واستغفر الله لي ولوالدي ولجميع الموحدين ، وأقول حسبي الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

وبعد . . .

فهذه عهود ومواثيق اخذت علينا من سادتنا ومشايخنا الذين عاصرناهم وبعضها اقتبسناها من نور صفاتهم وأخلاقهم المحمدية حسب ما قدرنا عليه من التخلق بها وذلك لان اخلاق الأكابر لا ملقى لا مثالنا إلى ذوقها ولا التخلق بها وغالبها من هؤلاء الأعيان العشرة وهم : سيدي وشيخى وقدوتى الامام المحقق الامى المحمدي الشيخ على الخواص وشيخى وأستاذي ذو الهمم العالية والنفع العام ، من كان معدا لتفريح كرب هذه الأمة الشيخ محمد الشناوي الأحمدي وشيخى وأستاذي المقبل على ربه

ليلا ونهارا صيفا وشتاء ومن اعترف له بالتقدم على سائر الفقراء من أهل عصره الشيخ محمد بن عنان والشيخ العارف بالله المجذوب الصاحي صاحب التصريف بمصر المحروسة الشيخ عبد القادر الدشطوطى
والشيخ الصالح الكامل الراسخ الحاج إلى بيت الله الحرام ستين مرة باخباره لي من لفظة عالم توفى الشيخ محمد المنير
والشيخ الصالح السنى المحمدي كافل اليتامى والمساكين الشيخ محمد بن داود والشيخ الصالح الصامت القائم في نفع عباد الله الشيخ محمد العدل الطناحى والشيخ الصالح خادم الفقراء والمساكين الشيخ عبد الحليم بن مصلح والشيخ الكثير النفع لهذه الأمة في نواحي مصر والحجاز بالشفاعات وتفريج الكرب الشيخ أبو بكر الحديدى والشيخ الصالح عابد المسلك ذو الهمم العوالي الشيخ أبو الحمايل محمد السروي وكلهم من فقراء مصر المحروسة أعاد الله تعالى علينا وعلى المسلمين من بركاتهم وبركات نفحاتهم في الدنيا والآخرة ورضى الله عنهم أجمعين .
وها انا ذاكر للاخوان الصادقين جملة صالحة من عهودهم وأخلاقهم مما يمكن لأحدهم التخلق به إذا انقاد لشيخه وسلم له قياده وافنى له مراده بحيث لو قال له ارم نفسك في البئر أو اخرج عن جميع مالك للفقراء والمساكين لفعل ذلك بسهولة وعدم توقف ، ثم أختم هذه العهود ان شاء الله تعالى بخاتمة خاصة بعهود أهل حضرة الله تعالى الخاصة ممن حق له قدم الولاية المحمدية ، فمن أراد التخلق بها فليخدم نعال مشايخه حتى يفطموه عن محبة الدنيا وادناسها ويتساوى عنده الذهب والرمل على حد

سواء ويصير إذا مر على تلال الذهب من غير مزاحم لا يطاطى لأخذ دينار واحد ، وإذا دخلت الحمارة داره ليلا وهي محملة ذهبا اخرجها وأغلق بابه فإذا وصل إلى هذا الحد فهنالك يرجى دخول تلك الحضرة ، وذلك لان مجموع أهل الحضرة الإلهية ثلاثة أصناف : ملائكة وأنبياء وأولياء ، وليس من صفات أحد منهم محبة الدنيا باجماع جميع الملل ، فمن أراد دخول حضرة الله عز وجل فليتخلق باخلاق أهلها والا فلا يمكنوه خدامها من الدخول ولو عبد الله إلى قيام الساعة ، وأول اخلاق الأولياء الزهد في الدنيا والآخرة ، لان نعيم الآخرة معدود عندهم من الدنيا ، إذ هو أدنى بالنظر إلى ذلك الجمال البديع الذي ليس فوقه لذة ولا نعيم ، ولا يترك أحد قط شيئا الا إذا رأى شيئا أنفس منه ، فلو ان محب الدنيا انجلى لوح ايمانه لرأى فيه مكتوبا :

من ترك كذا أعطيناه كذا مما هو أنفس منه وكان يترك الأخس ضرورة ، لكن لوحه مظلم لم ينجل ولم يشهد فيه مكتوبا إلا عراض الدنيا فقط ، فلذلك تقيد على محبتها .

فافهم وتأمل ما رواه البيهقي من قول عيسى ابن مريم عليه السلام : حب الدنيا رأس كل خطيئة ،

فعم صلى الله عليه وسلم بقوله : كل ، ولم يخرج عن من يحبها كل المحبة خطيئة واحدة ، كما سيأتي بسطه ، ان شاء الله تعالى ، وانما رقمنا هذه العهود في الطروس ولم نكتف باخذنا لها على أصحابنا كما اخذها علينا مشايخنا ، رجاء لدوام النفع بها بعد موتنا ، فان كتاب الانسان كالنائب عنه في نصح اخوانه بعد ما دام الكتاب باقيا ، وانما ذكرت في بعض العهود محك الوصول إلى التخلق بذلك العهد نصحا للاخوان خوفا أن

يدعى أحدهم التخلق بها بالوهم والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه ، وسميته بالبحر المورود في المواثيق والعهود تفاؤلا بان يكون موروردا للاخوان ، ان شاء الله تعالى ، والله اسأل أن يجعله خالصا وطريقا لسالكه إلى الصراط المستقيم ولا يجعله حجة علينا ولا على أحد من اخواننا آمين آمين آمين . . .

## العهود والمواثيق التي اخذت علينا من السادات والمشايخ

إذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق :

**01 - اخذ علينا العهود ان نرى نفوسنا دون كل جليس من المسلمين**
ولو بلغ ذلك الجليس في الفسق إلى الغاية ، فنرى نفوسنا أفسق منه فمن شك من أهل الدعاوى في ذلك فليعرض على نفسه صفات الفسق التي عملها طول عمره ويقابل بينها وبين صفات الفسق التي ظهرت من ذلك الجليس فإنه يجد صفات فسقه هو أكثر من صفات جليسه بيقين فهو أفسق ، وذلك لان الله ستير ، وما يكشف من صفات عبيده الناقصة الا القليل والباقي يستره وما ستره لا حكم له ولا يجوز لنا رمى أحد بالفواحش باطنا قياسا على ما وقعنا نحن فيه وستره الله علينا .
فافهم واعلم يا اخى أن هذه العهود دهليز يتوصل منه إلى التخلق بجميع عهود هذا الكتاب ،
فمن لم يدخل منه لا يشم من التخلق بهذه العهود رائحة لان من شهر مساوىء الخلق استهان بحقوقهم وعدم الانتفاع بهم عكس من شهد محاسنهم ، وما أمرنا الشارع الا بان ننظر إلى محاسن الوجود فقط ،
وان وقع بصرنا إلى مساوىء أحد استغفر الله عز وجل ونهيناه عن ذلك ، مع شهودنا اننا دونه في الرتبة ، فلم يوجب الشارع علينا الا نهى

العصاة فقط ، أما احتقارهم وازدراؤهم فنهانا عن ذلك أشد النهى ، فروى الترمذي وابن حبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من احتقر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، ولا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا " يعنى فرضا ولا نفلا ، والفاسق والظالم مسلم بلا شك ، لأنه يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فافهم ،

وفي الحديث : " لا يدخل الجنة من قلبه مثقال ذرة من كبر " قالوا يا رسول الله ، وما الكبر ؟
قال : " الكبر بطر الحق وغمص الناس " قال العلماء : بطر الحق رده ، وغمص الناس احتقارهم وازدراؤهم فافهم ،

واعلم أنه ليس لنا باب ندخل منه إلى ازدراء الناس الا وقوعهم في المعاصي لا غير ، ومن صار ينظر إلى محاسن الوجود دون مساويهم انسد عنه باب ازدرائهم بخلاف من ينظر إلى مساوى الناس فإنه ينفتح له باب ازدراء الناس ضرورة ويعمى عن مساويه فيهلك هو مع الهالكين ، وما ثم أحد من الناس الا وهو مشتمل على محاسن ومساوى ما عدا الأنبياء والملائكة كما سيأتي بسطه في عهد الطينة الانسانية ان شاء الله تعالى ولكن الكامل ردم ملان من شهود نقائصه ولا يكاد يقع بصره على عورة أحد من خلق الله عز وجل ولذلك قل انكار العارفين لأنهم يشهدون المحاسن ويحملون الناس على أحسن المحامل ويظن من لا يعرف حالهم انهم يسكتون عن المنكر تسليما الله تعالى .

فاعلم ذلك ثم أقل ما تشهد يا أخي من محاسن ذلك العاصي أنه لولا تحمل تلك القاذورات التي نزلت على الخلق لربما كنت أنت المرتكب لها بحكم القبضتين إذ لا بد للمعاصي من فاعل وسمعت اخى أفضل الدين

رحمه الله تعالى يقول : انا في غاية الحياء والخجل من جارى ، فقلت لم ذا ؟

فقال لأنه غارق في الزنا واللواط وشرب الخمر والبوظة وبلع الحشيشة ليلا ونهارا ، فانا اتخيل دائما انه محتمل ذلك عنى لقذارة حالي وخباثة اصلى ، فإنه من ذوى البيوت واي شئ بين حائطى وحائطه .
وسمعت كثيرا سيدي على الخواص رحمه الله تعالى يقول : لا يصح لعبد قدم في طريق القوم حتى يشهد نفسه تحت الأرضين السفليات التي ليس تحتها مرتبة في السفل الا نفوس العارفين رضى الله عنهم ، فعلم أن كل من تحقق بهذا العهد وشهد نفسه دون كل جليس يصير الوجود كله بمدده لأنه في مرتبة الشيخ له وانحدر اليه المدد من كل شئ في الوجود فلا تحصى أشياخه ولا تعد مواهبه لأنه ما تم شئ في الوجود الا وقد ظهر بخصيصة خصه الله بها فصاحب هذا المقام بنظر إلى كل خصيصة ظهرت في جليسه ويتخلق بها وان لم يتخلق بها ذلك الجليس لعناده أو جهله ، فيأخذ من جليسه المكابر والزاني والخمار مثلا صفة التجلد والصبر تحت القضاء والقدر ، ويقول لنفسه : لولا تحمل هذا عنك الظلم واكل الحرام والزنا وبيع الخمر لربما كنت أنت الواقعة في ذلك ،
ثم انظر صبره تحت قضاء الله وقدره وتنكيس رأسه بين الناس واحتقارهم له ونفرتهم من الجلوس معه ، وأنت يا نفس لو ابتليتى ببيع الخمر وصحن الحشيش مثلا يوما واحدا لضاقت عليك الأرض بما رحبت ، خوفا من زوال رياستك لا خوفا من الله ، عز وجل ، بدليل وقوعك في الذنوب التي هي أقبح من بيع الحشيش مثلا ، ثم لا تضيق عليك الأرض ذلك الضيق ، ولو كان خوفك من الله عز وجل لكنت أشد

خوفا منه إذا وقعت في غيبة أو نميمة مثلا ، لان ذلك حرام بالاجماع ، بخلاف الحشيشة ، فافهم .
ويأخذ من جليسه الكلب مثلا كثرة الود واحتمال الأذى والجفا من صاحبه ، فان قال له اخسأ ذهب وان قال له تعال رجع ، ولو تكرر ذلك في المجلس الواحد مرات ، ويقول لنفسه : انظرى صفات هذا الكلب فلو قال لك اذهبي لم تذهبى ، ولو ذهبت فقال لك تعالى مرات لم تفعلي وتكدرت أشد التكدير وقلت لأخيك هذا استهزاء بي وبمقامى ، فصفات الكلب إذا أحسن من صفاتك ، وكذلك يقول لنفسه : انظرى إلى صفات هذا الكلب في اكله من رمم الحمير وشربه من خرارة الاخلية والحمامات مع انشراح صدره ، وأنت لو ابتلاك الله بذلك لسخطت ولم ترضى عن ربك في ذلك ، وهكذا يأخذ من الجمل أو البغل أو الحمار أو الثور الصبر على تحمل الأثقال والضرب بالمقامع ونخسه بالحديد إلى أن يقوروا جلده ولحمه ويقول لنفسه لو ابتليتى بذلك ما صبرتى على ذلك يوما واحدا ، وانظرى إلى الثور ماذا يقاسى في حرث الأرض إذا يبست وماذا تقاسى حمير التراسين ونحو ذلك ثم بعد هذا النفع العظيم إذا عجز الجمل أو غيره ذبحوه ونحتوا لحمه من على عظمه ثم أوقدوا عليه النار ثم القوه على المزابل وفي الحشوس ، وهو مع ذلك لا يتكلم ولا يشكو ولا يتظلم ممن فعل معه ذلك ، وهكذا فافعل مع ما يجالسك من سائر الحيوان ثم لا يخفى ان صاحب الكشف من الفقراء يرى كل ما في الوجود من الجمادات حيا فيصح له الاعتبار به في القبر والامتحان فيأخذ من الحجر والخشب أو

الحديد مثلا الصبر على قطعه بالحديد ونشره بالمناشير ونحت أضلاعه وصبره على دخوله النار وحرقه بها حتى يصير جمرة يتوقد ، وكم يدخل الحديد النار وتارة يعملوه مسمارا وتارة سكينا وتارة وتدا ، وهكذا أبد الآبدين إلى يوم الدين ، وكم يطبقون أضلاعه بالمطارق ، وكم يكسرون الحجر وكم يجعلونه في أسفل جدارات الخرارات والابار لا يقدر يتنفس من الأثقال التي على ظهره ويقول لنفسه لو وضعوك مكانه ساعة ما قدرتى ويأخذ من الشمعة مثلا كثرة تنويرها على جليسها ويقول لنفسه اين نورك أنت واين صبرك على العذاب لأجل جليسك وهكذا في سائر ما يجالسك من سائر الجمادات ومن فتح بابا فتحت له أبواب .

ثم اعلم يا اخى ان حكم المدد حكم الماء والماء لا يجرى إلا في السفليات فقط ، واما الاعلى فلا يصعد اليه الماء ، واما المساوى فماؤه واقف لا يجرى ، فمن رأى نفسه فوق جليسه أو مساويا له حرم مدده وان كانت القدرة صالحة لوصول المدد إليه مجرى الماء إلى الاعلى ، وفي المساوى لكن سبب الاستحقاق مفقود .

فافهم واعلم يا اخى ان منزلة كل عبد في الجنة تكون على حسب تواضعه فمن رأى نفسه دون اقرانه كلهم كانت درجته فوقهم كلهم ومن رأى نفسه فوقهم كلهم كانت درجته في الجنة تحتهم كلهم فليس فوق مقام المتواضع مقام الا مقام من زاد عليه في التواضع وأكثر الخلق أجمعين تواضعا محمد صلى الله عليه وسلم ،

فلذلك كانت درجته أعلى مكان في الجنة ويليه في ذلك من ورثه من الرسل والأولياء والعلماء كل واحد على قدر حظه ونصيبه.

فان قيل : ان بعض الفقراء يشهد نفسه دون الخلق أجمعين فهو يكون درجته في الجنة مثل درجة صحابي رأى نفسه دون الخلق أجمعين ؟ .
قلنا : لا يكون مساويا لذلك الصحابي لزيادة الصحابي على الفقير بصفاء المقام وخلوصه فافهم .
فان قيل : فهل لمن ادعى التخلق بهذا العهد علامة تدل على صدقه ؟ .
قلنا : نعم من علامة التحقق به احتمال الجفاء من جميع الناس الذين ادعى انه يرى نفسه دونهم ، لأنهم في مرتبة السيادة له وهو في مرتبة العبودية لهم ، وتأمل العبد لما كانت سيادة سيده مشهودة له كيف احتمل زجر سيده وشتمه وضربه لم يمد يده إليه ولا لسانه ، بل هو منكس الرأس ، فلو لا شهود الفقراء نفوسهم كذلك ما احتملوا جفاهم فافهم .
ومن علامة المتحقق به أيضا انه لا يرد سائلا قط سأله في شئ هو عنده كائنا ما كان ، ولا يجعل له قط قفلا على داره ولا مفتاحا الا ان كان فيها متاع لغيره من زوجة أو غيرها .
ومن علامة المتحقق به كثرة التسليم لجميع الخلق في سائر ما يدعونه من مراتب الكمال والعرفان ، ولو ادعى الصديقية والقطبية فتصدقهم ما لم يدعوا باطلا كالنبوه والرسالة ، وذلك لان من رأى نفسه دون جنسه حكم على نفسه بعدم الذوق لمقامه الذي ادعاه فتسلم له ضرورة ومن هنا تعرف يا اخى انه لا ينبغي لك مفاضلة بين شيخين لأنه من كان مقامه دونهما لا ذوق له في مقامهما فإذا فاضل فكأنه ادعى مقاما فوق مقام الشيخين وجعلهما تحته ولولا دعواه ذلك ما عرف التمييز بينهما على حسب دعواه ،

وهذا يقع فيه كثير من الناس فيقولون نحن أقل الناس ، ثم يفاضلون بين الأشياخ فيدعون التواضع بالمقال ويتبرون منه بالحال ، والله غفور رحيم .

**02 - اخذ علينا العهود ان نمتحن كل من طلب منا الصحبة الخاصة ولا نأخذ عليه عهدا ولا نطلعه على سر حتى نمتحنه بالأمور التي تفصح عن شدة محبته لنا وسماعه منا ،**

ليأخذ آداب الطريق منا وهو على يقين لا شك فيه ، ويأتي البيوت من أبوابها ، وكان لسان حالنا يقول من كان منا فلا يأخذ عن أحد الا عنا ، فإذا امتحناه وظهر لنا صدقه كشفا أو بالقرائن أجبناه للصحبة وأخذنا عليه العهد ، وصورة عهدنا ان نأمره بان يشكر الله عند وقوع طاعته ويستغفره عند وقوع معصيته ، قال بعضهم : ولا ينبغي ان يؤخذ العهد على عبد بأنه لا يقع في معصية ولا يخل بطاعة ، لأن ذلك الوفاء ليس بمقدور البشر فافهم .
ثم من أقل علامات محبته لنا ان لا يقدم علينا في المحبة اهلا ولا زوجة ولا ولدا ولا مالا ولا غير ذلك من سائر الأمور المحبوبة للنفوس الغوية ، إذ التوحيد مطلوب وكان لسان حالنا يقول اختر لنفسك اما نحن واما زوجتك واما مالك ، فان اختارنا وجد القصد الينا فهو صادق ، وان رجح بباطنه زوجة أو ولدا فهو كاذب ، ولكن قد صار من معارفنا لا من أصحابنا وليعلم ان جميع ما قدمه هذا المريد علينا وعلى محبتنا لا يساوى جناح بعوضة إذ هو معدود من الدنيا ، ومن قدم الدنيا على الآخرة وعلى محبتنا فقد تعوق عن المسير وانعكس إلى وراء ،

وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم : " ازهد في الدنيا يحبك الله " تعرف ان الحق تعالى أوقف صدق محبته على ترك الدنيا ومفهوم ذلك ان

من لم يزهد في الدنيا لا يحبه الله رجح محبتها على محبة ربه عز وجل وكان لسان حاله يقول ليس لي حاجة بمحبة الحق تعالى نسأل الله العافية ، ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لمحبة الناصح مدخلا عظيما في حصول الهداية والانقياد بسرعة دون بطء قال : " لا يؤمن أحدكم - يعنى لا يصدقني التصديق الكامل - حتى أكون أحب اليه من أهله وولده والناس أجمعين . "

ومعلوم ان جميع الدعاة إلى الله تعالى نواب للأنبياء في تبليغ الأحكام وبيان الطريق الموصلة إلى دخول حضرة الله عز وجل في الدنيا بالقلوب وفي الآخرة بالأجسام فللنواب ما للأصول من تلك المحبة بحكم الإرث ليحصل للمريد كمال الانقياد ويعتقد في شيخه انه اشفق عليه من نفسه ويرجح كلما رجحه شيخه وامره بتقديمه من أعمال الآخرة فإن المريد ما دام يرجح اعمال الدنيا على الآخرة بقلبه ويجعلها شغله أول ما يقوم من نومه لا يجئ منه شئ ولا يقدر شيخه يبنى على أساسه طوبة واحدة فتقديم أعمال الآخرة أول البناء والسلام ، ومن كلام سيدي مدين رضى الله عنه : ليس للقلب الا وجهة واحدة متى توجه إليها حجب عن غيرها وإذا كان الحق تعالى مع وسعه وحلمه غيورا ان يرى في قلب عبده المؤمن غير محبته فكيف بالشيخ مع ضيقه فان الشيخ إذا شم من المريد تقديم أحد عليه نفض يده منه وذلك لان الحكم لمن دخل القلب أولا ، فإذا جاء الثاني إلى باب القلب ووجد غيره قد سبقه إلى المكث فيه رد ، ولو أراد إدخال مدد إلى قلب ذلك المريد لم يقدر .
والقاعدة ان المشغول لا يشغل ، لكن ان كان القلب فيه فرجة وخلوّ ما

فللشيخ ان يدخل في ذلك الخلو بقدره من المدد فقط لأنه لا يقبل زيادة عليه .
واعلم يا أخي ان جميع الأشياخ انما طلبوا من المريد الإجلال والتعظيم لهم والرضا بكل ما يقضون به عليهم تمرينا له وطلبا لترقيته إذ الشيخ كالسلم للترقى إلى الأدب مع الحق تبارك وتعالى فمن لم يحكم باب الأدب مع شيخه لا تقبله الطريق ابدا فيستفيد بالرضى عن شيخه إذا حرمه دنيا كان مرتصدا لها الرضى عن الحق تعالى وكذا إذا حرمه رزقا وأنزل عليه بلاء ومتى لم يرض بحرمان شيخه لا يصح له الرضى عن الحق إذا حرمه ويستفيد بصره على غضب شيخه عليه وثباته تحت هجره وقطيعته الادمان على تحمل غضب الحق تعالى وهجره له لو وقع لعبا ويستفيد بمراقبة شيخه في الخدمة وعدم غفلته عنها أو عن ملاحظته عدم الغفلة عن الحق وكثرة ملاحظته بالقلب ،
وهكذا فعلم أن من لم يكمل تصديقه وايمانه بكلام شيخه لا يصح له تصديق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من باب أولى لان من لم يكمل تصديقه وجهه إلى حضرة الشياطين وظهره إلى حضره الأنبياء والمرسلين وايمان مثل هذا باللسان دون القلب وذلك علامة المنافقين الذين هم انقص درجة من اليهود والنصارى ، قال الله تعالى :إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِوما كانوا في الدرك الأسفل وتحت اليهود والنصارى الا لضعف تصديقهم لله ورسوله ولعبهم بالدينين فكانت حضرة تصديقهم أبعد من حضرة تصديق اليهود والنصارى ، لان نزول الخلق في درجات الجنة أو طبقات النار على ترتيب نزولهم في درجات الاعمال أو دركاتها في دار الدنيا.

ومن هنا كانت هداية الكفار إلى دين الاسلام أهون على الدعاة إلى الله تعالى من هداية المنافقين لكثرة زوغاتهم وزيغهم وعدم اخبار الطبيب بما في بواطنهم من الداء .
فانظر آفة عدم قبول كلام الناصحين وعدم الاعتراف لهم بما انطوت عليه سرائرهم ولو أنهم أخبروه لوصف لهم الدواء وخلصهم من شقاء الأبدان وتأمل يا اخى ايمان كل الصحابة لما كان في غاية التصديق الذي لا توقف فيه ولا شك كيف بنوا أساس دينهم في أول مجلس جلسوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا بجميع المغيبات كأنها رأى عين ولذلك لم يقعوا في رذيلة ولا تخلفوا عن فضيلة ، وتأمل إيمان غير الصحابة كيف تأخر بناؤه مع طول مجالستهم الوعاظ والمسلكين حتى شابت لحية أحدهم وما آمن بضمان الله تعالى له برزقه مثلا ولا سكنت نفسه إلى ذلك بل يجتهد ليلا ونهارا خوفا ان يفوته رزقه وكل شئ فاته انقبض لأجله وذلك لأن تصديق الله ورسوله لم يدخل قلبه ولم يتعد لسانه كما يتضح ذلك بالمحكات الآتية قريبا .
واعلم يا أخي أن أعون شئ للوصول إلى كمال مراتب التصديق كثرة ذكر الله عز وجل بإشارة شيخ صادق في الطريق فلا يزال المريد يذكر الله بأسمائه والحجب والأوهام تتمزق وترتفع حتى يدخل حضرة الاحسان ويشهد بقلبه الحق تعالى يتجلى سرّا وجهرا أزلا وأبدا ويرحل عنه بذلك الشهود جميع الشكوك والأوهام كما قال تعالى :أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُوأما طلب المريد وصوله إلى هذا المقام بالكلام وسماع المواعظ فذلك في غاية البعد ، ولو جلس تجاه النحاس المصدى يقول له يا نحاس

انجلى الف عام لا ينجلى بخلاف جلاه بالحصا ونحوه ، وكذلك من طلب الوصول اليه باعمال غير ذكر الله تعالى والسر في ذلك كون الاسم لا يفارق المسمى فلا يزال العبد يكرر الاسم الإلهي حتى يجمعه على مسماه بخلاف غير الذكر من الاعمال لكثرة الحجب والوسايط .

واعلم يا اخى أنه لا يتحقق لك معرفة كمال ايمانك بكلام الله تعالى وتصديقك لشيخك ومحبته وتقديمه على أهلك ومالك إلا بالامتحان ونحن نعرض عليك الآيات والأخبار ونبين لك محك كمال تصديقك بها وبكلام شيخك وأنت اعرف بنفسك بعد ذلك فتحكم على نفسك بما تراه فيها ولا تحرجنا ان نجرح إيمانك ولا ان نقول لك أنت منافق أو ناقص الايمان أو قليل الدين ونحو ذلك فان وجدت في نفسك كمال التصديق فافرح واستبشر وان وجدت غير ذلك فاندم واستغفر ثم يجب عليك بعد ذلك العمل على تحصيل ذلك إما بالسلوك على يد شيخ يكسوك ثوب الايمان شيئا فشيئا وإما بسؤال ربك في أوقات الإجابة كالأسحار وبين الاذان والإقامة والله سميع مجيب ، وانما سامحنا نفوسنا في امتحان اخواننا وبيان نقائصهم لان المريد الصادق هو السائل في ذلك ولغلبة الرحمة والشفقة منا على اخواننا لكوننا أولى بهم من أنفسهم واشفق عليهم منها ولو لم نسامح نفوسنا في ذلك وتركنا امتحانهم فيما يدعونه من المراتب لخوجوا من الدنيا على غير كمال الايمان اى تصديق كما مر فان كل عبد يطلب التقرب من الله تعالى وإذا ظهر له في نفسه نقص بادر إلى الأسباب المزيلة له بالطبع أو الشرع ، هذا شأن كل من دخل معنا في الصحبة والتربية الخاصة كما أشرنا إليه أول

العهود واما من لم يدخل فالأدب منا عدم امتحانه وربما بينا له نقصا فيه بادر بالجواب عن نفسه بالصد باللسان أو بالخواطر وكابر وقال هذا النقص ليس عندي ، إذا علمت ذلك يا اخى فامتحن نفسك في ايمانك بنحو قوله تعالى :وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقىمثلا فان وجدت في نفسك انشراحا وانبساطا عند كل شئ فاتك من الدنيا فأنت مؤمن حقّا ، بقول الله تعالى :وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقىوان وجدت في نفسك عند فوات محبوب من الدنيا بعض ندم وحزن وقبض فأنت غير مؤمن بذلك وكأنك تقول عند قول الحق تعالى :وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقىليس الامر كذلك انما الآخرة شر وأفنى ، وكلامنا لمن يدعى العقل فان من كمل عقله يتلون قول الحق في باطنه ذوقا ومن علامة تلونه في باطنه تقديمه على غيره ويصير في باطنه المليح مليحا والقبيح قبيحا مثل ما قال الله عز وجل سواء وأما إذا قال الحق هذا الامر مليح فقال لا بل هو قبيح فلا هو مع الحق ولا الحق معه في ذلك فلا إيمان وكذلك امتحن نفسك يا اخى في ايمانك بنحو قوله صلى الله عليه وسلم " ما نقص مال من صدقة "

وقوله تعالى :وَما أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ

فان وجدت مالك ينمو في عينك ويزيد في عين بصيرتك ولا تشتغل بكثرة النفقة ولا باعطاء الفقراء والمساكين لو ترادفوا عليك ليلا ونهارا فأنت مؤمن بذلك وان شهدت النقص في مالك عند النفقة وكثرة الصدقة واشتغلت بذلك فإيمانك ضعيف ومن ضعف يقينه عسر عليه ضرورة الإنفاق في وجوه الخير لشهوده النقص في ماله وعدم الخلف من الله تعالى ، ومن هنا كان صلى الله عليه وسلم لا يسأل شيئا إلا أعطاه ، وكذلك كل من كمل إيمانه من أمته كمعن بن زائدة وأبى زيد

الهلالي وأضرابهما وبالجملة فكل من كمل ايمانه ولم يكن عنده ما وعده الله به كالحاضر على حد سواء فايمانه ناقص ، وتأمل لو جلس تجاهك شخص وبين يديه أردب ذهب وقال كل ما أعطيتني فلسا أعطيك دينارا كيف تصير تعطيه لا تمل ، وتأمل قول الحق تعالى :وَاللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ
وقوله صلى الله عليه وسلم : " إن الصدقة تضاعف لصاحبها إلى سبعمائة ضعف وأكثر " تجد نفسك غير مصدقة بذلك إذ لو كنت مصدقا بذلك أعطيت ربك كما أعطيت ذلك الشخص ، فتنبه لنفسك يا أضل من البهائم وكذلك امتحن نفسك أيضا في ايمانك بنحو قوله صلى الله عليه وسلم : " لو اجتمع الثقلان على أن يردوا عن عبد ذرة من رزق ما استطاعوا ، وإن الله قسم بينكم أرزاقكم كما قسم بينكم أخلاقكم " فان وجدت نفسك منشرحة عند صرف الدنيا محبة لمن عارضها في وصول رزقها التي زعمت أنه لها فأنت مؤمن بذلك وان وجدت نفسك منقبضة لفوات شئ من الدنيا باغضة لمن عارضها في وصولها إلى رزقها
فأنت غير مصدق لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عن ربه عز وجل ، وقد ادعى بعض الخطباء تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكرنا وأفتى أن كل من تكدر من شئ فاته من الدنيا فهو ناقص العقل ففرق ابن عثمان مالا وكتبوا اسمه في ديوان الصدقات فجاء شخص إلى الدفتردار وقال امسح اسم هذا واكتب اسم فلان فإنه أحوج منه فمسحه فلما بلغه ذلك عن ذلك الشخص عاداه إلى الممات وعجزت في الصلح بينهما فقلت له فأين إيمانك وأنت تخطب على المنبر وتقول والله ثم والله ما يعطي ويمنع إلا الله فنسأل الله اللطف .
وكذلك امتحن نفسك أيضا إذا ادعت أنها صارت تقدم أعمال الآخرة

على اعمال الدنيا مع كونها تنام عن صلاة الصبح ومجالس الذكر والخيرات وتقول النوم يغلب على بما لو رسم السلطان مثلا لكل من يصلى ذلك اليوم الصبح في جماعة أو لكل من حضر مجلس الذكر بألف دينار كل يوم فان حصل عندك استيقاظ أو أوصيت نساك أو عبيدك من أن ينبهوك من الثلث الأخير فأنت كاذب في دعواك تقديم الآخرة على الدنيا وان لم تستيقظ ولم توص أحدا ينبهك وفوت الألف دينار فأنت صادق في غلبة النوم عليك ونظير ذلك ما إذا كنت تنعس عند سماع القرآن والذكر وادعيت غلبة النوم فإن جاء انسان وعدّ لك في كفك ذهبا أو وضع بين يديك صحن كنافة مبسوس بقطر نبات ولم تستيقظ فأنت صادق في غلبة النوم وان فتحت عينك وزال النعاس فأنت كاذب في دعواك ان الاجر والثواب في قلبك أرجح من الذهب وامتحن نفسك ولا تصدقها فيما تدعيه من الغلبة حتى تمتحنها ويصير نومها غلبة كنوم العارفين الذين لا يوقظهم شئ من الدنيا والله يتولى هداك وكذلك يجب عليك امتحان نفسك في ادعائك انك تسمع لشيخك ما يأمرك به من الخير وترجحه على رأيك وعقلك بما إذا قال لك طلق زوجتك ثلاثا أو اخرج عن مالك كله للفقراء والمساكين أو ائتنا بشطر مالك لنفرقه على اخوانك الحاضرين أو اسقط حقك من سائر وظائفك من إمامة وخطابة ووقادة وفراشة وأذان وخلوة وثياب ونحو ذلك فان طلقت ثلاثا وخرجت عن مالك وأسقطت حقك من جميع ما ذكرنا وظهرت بشائر السرور على وجهك وأشرق جبينك بالفرح حتى شهد لك بذلك الحاضرون فأنت صادق في ادعائك انك تسمع لشيخك لكونه أمينا عليك في كل ما يرقيك إلى حضرة

ربك وان لم تطلق ولم تسقط أو فعلت ذلك ولم تظهر بشائر السرور على وجهك بل ظهرت العبوسة وانقياض الخاطر فأنت كاذب في دعواك الانقياض لشيخك وماذا يفوت من كان الحق تعالى له عوضا عن كل شئ وماذا حصل من باع جلوسه في حضرة الحق تعالى بقطعة جلدة مدبوغة بالبول والدم لا تساوى في السوق فلسا إذا قطعت وبلغنا عن الخضر عليه السلام انه امتحن سيدي احمد الشاذلي الملقب بزروق قبل أن يأخذ عليه العهد بان يخدم كلبا مجذوما ويطبخ له كل يوم ويأكل فضلته في الغداة والعشى ففعل سيدي احمد وزاد بان أكل القئ حين قاءه من غير توقف فكان الفتح بذلك في اليوم الثالث ، وكذلك بلغنا عن بعض العارفين انه كان لا يأخذ العهد على مريد حتى يترك الاستنجاء والوضوء والصلاة ثلاثة أيام فإذا فعل ذلك حصل الفتح ، قال شيخنا رضى الله عنه : هذه من اغرب الطرق فلا يصح امتثالها الا لمن ماتت نفسه وقليل ما هم ، وبالجملة فكل من لم يعتقد في شيخه انه اشفق عليه من نفسه وانه ما يأمره بترك شئ إلا ليعطيه أنفس منه فصحبته وعشرته نفاق ،

**03 - أخذ علينا العهود ان لا نزاحم على شئ من الدنيا ولو وظيفة تدريس العلم أو ارشاد المريدين**

وذلك لما في المزاحمة على ما ذكر من تغير القلوب وتكدير النفوس لا سيما ما فيه رياسة فإن رأس مال الفقير العمل على صفاء قلبه من التكدير ، وأعملك يا اخى ميزانا تطيش على الذر تفرق بها بين اعمال الدنيا والآخرة هو ان كلما حصل لك بواسطته نزاع من الناس وتكدير فهو معدود من الدنيا التي امرك الشارع بالزهد فيها فان اعمال الآخرة الصرف التي لا يخالطها دنيا لا نزاع فيها ولا مزاحمة وما

رأينا أحدا قط أذّن احتسابا أو صام نهارا أو قام ليلة يصلى أو أكثر من الصدقة أو حفر الآبار أو عمارة الا سبلة أو أوفى عن الناس ديونهم وفرج كربهم فاشتكاه الناس للحكام وغيرهم وطلبوا ان يكونوا موضعه في ذلك الفعل أبدا بخلاف ما خالطه دنى من معلوم في وقف أو هدايا من الناس أو نشر صيت أو تعظيم بين الناس ونحو ذلك .
فافهم واعتبر فإنه لولا محبة نشر الصيت ما تشوش عالم ممن برز في زمانه ابدا والله غفور رحيم .

**04 - اخذ علينا العهود أن لا نأخذ معلوما على نظر ولا مشيخة ولا تدريس ولا خطابة ولا إمامة ولا أذان ولا وقادة ولا فراشة ولا قراءة قرآن ولا تعليمه للأطفال ولا غير ذلك من سائر القربات الشرعية**

لأن مشروعية هذه الأمور كلها انما هو طلب لمرضات الله أو للثواب الأخروي وجميع ما ارصده أهل الخير من الأوقاف على فاعل ما ذكر انما هو بنية مساعدة من يقوم بذلك من أرباب الشعائر لضعف نيته فكان الواقف قال أبحت هذا المعلوم لكل من اتصف بالإمامة والخطابة أو التدريس مثلا لا شراء الاجر الحاصل من فعل ذلك فان الاجر غير مملوك وكما أن الواقف خلص نيته لله تعالى فكذلك ينبغي لكل من باشر وظيفة من وظائف الدين ينوى بفعلها التقرب إلى الله تعالى ويأخذ ذلك المرصد عليها عند الحاجة ابتداء عطاء من الله لا ابتغاء للأجر والثواب بذلك المعلوم كما وقع للصحابة في القطيع الغنم حين رقوا الملسوع بالفاتحة وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم أحق ما أخذتم عليه اجرا كتاب الله تعالى.

فافهم ومحك وصولك يا اخى إلى التحقق بهذا العهد ان لا تعكس الوظيفة ولا تثقل عليك مباشرتها إذا صار الوقف رقبة وان لا تطالب جابيا ولا ناظر ولا متولى وقفا بتشديد ولا شكوى فان مثل ذلك لا يلحق بالحقوق الشرعية بل الشكوى في الحقوق الشرعية للحكام تجرح مرتبة الفتوة كما أفتى به الإمام النووي وغيره فإياك أن تشتكي ناظرا أو جابيا للظالمين وترسم عليه لأجل معلوم إمامتك أو خطابتك أو تدريسك ونحو ذلك فإنه نقص في مرتبة مثلك لا سيما معلوم الإمامة فإنها ما بين طهارة وتكبير لله وقراءة قرآن وركوع وتسبيح وسجود وتحية لله وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وسلام على عباد الله وصلاة وسلام على رسول الله وكل ذلك لا يستحق العبد على فعله شيئا من عوض الدنيا في نظير فعله وانما يستحقه من حيث كونه مرصدا لمن يتصف بذلك الفعل لكن ليس له اخذه إذا كان مستغن عنه كما أشرنا اليه آنفا بقولنا عند الحاجة .

فافهم فكيف ينبغي لعبد ان يعكس الإمامة والخطابة أو الوقادة أو الاذان مثلا إذا توقف معلومه ويقول ما أصلى أو أخطب إلا بفلوس ولا أقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله أو حي على الصلاة الا بفلوس ما ذاك الا من أقبح القبيح ، وقد حكى لي بعض الرهبان انهم يعايرون القسيسين وخدام الكنيسة بنا إذا رأوهم كسلوا عن خدمة الكنيسة ويقولون فلان قليل الدين كأنه يريد ان يأخذ على صلاته بنا معلوما مثل فقهاء المسلمين نسأل الله اللطف .

وحكى لي الشيخ شهاب الدين الطننناى أحد أصحاب سيدي الشيخ أبى

الحمائل رضى الله عنه قال : لما عمر القاضي أبو البقاء بن الجيعان الزاوية الحمراء خارج مصر قال للشيخ أبى الحمائل قد قررناك في جميع وظائف هذه الزاوية وجعلنا لك فيها من المعلوم ما يكفى الفقراء فقال الشيخ لا يا قاضى نحن نباشر وظائفها قربة لله تعالى وأنت ترصد ذلك قربة لله تعالى لا بيعا ولا شراء لذلك الاجر بذلك المرصد حتى أن كل من غاب عن وظيفته يقول الناس قد اكل حراما فأجابه القاضي لذلك ،
ويؤيد ما أفتى به النووي من أن شكوى الناظر إلى الحكام يجرح فتوة المؤمن ما نقله أصحاب السير من أنه صلى الله عليه وسلم كان من أخلاقه عدم المطالبة بحقه كل ذلك لكثرة حيائه ، ولما رعى الغنم لخديجة هو ورجل اخر في الجاهلية وانتهت المدة كان الرجل يقول له يا محمد طالب خديجة بحقنا فيقول أنا أستحى من ذلك فلما بلغها منه ذلك الحياء أرسلت اليه فخطبته إلى نفسها فكان ذلك من أسباب تزويجها به صلى الله عليه وسلم .
فاعلم ذلك واتبع اخلاق نبيك والله يتولى هداك .

**05 - أخذ علينا العهود ان لا نأكل من هدايا النصارى واليهود والمجوس ومن ألحق بهم من المنافقين وسائر من أمرنا الشرع بمعاداته وعدم موالاته ومواددته ،**
ولما أهدى حكيم بن حزام قبل إسلامه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية ردها وقال صلى الله عليه وسلم نحن لا نقبل هدايا المشركين ان شاء الله تعالى ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم لا تجعل لمنافق علىّ سنة الا ان بلغ في مقام التوحيد حده فيسبق إلى قلبه ان المعطى هو الله قبل ذلك فهذا الا يضره الاخذ لعدم الميل ان شاء الله تعالى وذلك لان الأكل من هدايا من ذكرنا

يميل القلب إليهم بالمحبة وبالود قهرا علينا كما أشار اليه قوله صلى الله عليه وسلم جبلت القلوب على حب من أحسن إليها فمن اكل هدية ممن ذكر وطلب انه لا يميل قلبه إليهم فكأنه رام المحال ، في الحديث يأتي رجل يوم القيامة بأعمال كأمثال الجبال الرواسي حتى يتعجب أهل الموقف من ذلك فيأمر الله تعالى به إلى النار فتقول الملائكة يا ربنا انه لم يعصك في معروف فيقول الله تعالى بلى ولكن كان لا يوالى من والانى ولا يعادى من عادانى .

**06 - اخذ علينا العهود ان لا نأكل من مسموح السلطان على الوجه الذي يعلمه الناس الآن في المساميح**

لأن ذلك معدود من جملة اكل أموال الناس بالباطل فإن الدكان الذي يؤجر للجزار والسيرجة التي تؤجر للمعاصرى كل يوم بعشرين نصفا فضة مثلا على حسب ما يكون المسموح لولا توفر ما كان يأخذه صاحب حملة الوزر ما اعطى الجزار والمعاصرى في كرا الدكان أو المعصرة كل يوم ثلاثين نصفا أبدا ولو حبس وضرب وان شككت في قولي فجرب ، وكان الشيخ صاحب المسموح يقول للجزار أعطني ما كان أصحاب الوزر يأخذونه منك واجعلني مكانهم فالحيلة في ذلك كالحيلة في أكل اليهود من أثمان الشحوم حين حرمت الشحوم عليهم فإنهم كانوا يبيعونها ويأكلون بأثمانها وان الله إذا حرم اكل شئ حرم ثمنه كذلك ، فاقبل يا اخى نصحى ولا تجادل لأجل مسموحك فتجنى ثمرة ذلك من ظلمة الباطن في حياتك والعذاب في مماتك .

وقد حكى لي شخص من الفقراء انه طلع مرة للباشا حين توقف مسموح زاويته فقال له الباشا يا سيدي الشيخ هذا المسموح الذي تفعلوا فيه

ما تفعلوا حرام أم حلال ؟
فقال الشيخ حرام فقال له الباشا كيف يليق لك وأنت تدعى الصلاح ان تأكل منه
ثم قال انا والله مع ظلم الناس والجور عليهم لا تطيب نفوسنا ان نأكل منه ولا ان نفطر
عليه في رمضان
فما ادرى الشيخ ما يقول فعلم أن كل شيخ اكل من المسموح فسق وردت شهادته
وسيأتي في العهد المتعلق بشيخ الزاوية أو آخر العهود ان من أقبح من يقع فيه صاحب
المسموح انه لا بد ان ينهى أولا في قصته إلى السلطان ان ذلك المسموح يفرق على
الفقراء والمساكين والمنقطعين والعاجزين والأرامل والأيتام وينهى فيها أيضا انه رجل
فقير مسكين وليس له في البلد ما يقوم به ولا بعياله ولا بالفقراء القاطنين عنده لا بد له
من ذلك فينصبّ على اسم المحاويج ويشكو ربه عز وجل ويتهمه بأنه يضيعه هو
وعياله وهو تعالى يطعمه ويربيه من خزائن جوده وتسخيره لم يغفل تعالى عنه يوما
واحدا تعالى الله عن ذلك وكيف يدعى المشيخة من شاب ولم يثق بضمان الله برزقه
ولا هو بقليل يقنع ولا من كثير يشبع .

فعلم أنه لولا النصب والحيل والشكوى المذكورين لم يسمح له أعوان السلطان
بالأربعين نصفا كل يوم ولو كان من أكبر الأولياء لأنها جامكية أمير كبير يسافر
بالتجاريد ويدفع السوء عن المسلمين ثم إن الشيخ بعد خروج ذلك المسموح من الديوان
على اسم الفقر أو النصب والخيل يطعمهم منه مدة ثم يدخل عليه أبو مرة فيوسوس له
ويحسن له ان يحول ذلك باسمه واسم أولاده وان يختص به دون من نصب على
اسمهم ويصرف ذلك على شهوات نفسه وعيا له وأولاده وخيله وعبيده على طريق
أرباب الدولة فهذا

سبب توقف بعض المساميح ومعارضة الظلمة لها ولو أن جهة السلطان علموا منه انه يريد التخصص به لم يسمحوا له بذلك فهو ولو قدر ان يكون المسموح حلالا من أصله فهو حرام من حيث اخذه على اسم الفقراء والمساكين الذين اصطاد بهم المسموح ولا يخرج الشيخ من الحرمة الا ان اكل من ذلك المسموح كآحاد الفقراء من غير تخصيص وإن شككت في قولي ان الشيخ لا يتخصص بالمسموح فادخل زاويته واسأل الفقراء القاطنين عنده ان كان عنده أحد فتجدهم كلهم يشكون ضيق المعيشة ويحطّ على الشيخ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ومن أراد من أصحاب المساميح الحل فليشتر الذبيحة على ذمته أو السمسم بمال حلال لا بما اجتمع عنده من مال المسموح ثم يذبح على ذمته ويعصر السمسم على ذمته ثم غاية امره حينئذ ان جهة السلطان سامحوه بما كان على ذلك من المكس لا غير وذلك حلال والله اعلم .

**07 - أخذ علينا العهود ان لا نرجح محبة الذهب على محبة الزبل**
وإذا مررنا على أتلال الذهب من غير مزاحم عليها في الدنيا ولا حساب عليها في العقبى ان لا نطأطيء لأخذ شئ منها غير قوت يومين أو ثلاثة وإذا دخلت الحمارة إلى دارنا ليلا وهي محملة ذهبا أخرجناها بذهبها وأغلقنا باب دارنا ومتى رجحنا محبة الذهب على محبة الزبل أو طأطأنا لاخذ شئ من اتلال الذهب لأنفسنا غير قوت اليومين أو الثلاثة ولم نخرج الحمارة بذهبها من دارنا فقد خنا عهد الفقراء ونقول أستغفر الله العظيم كل ذلك فرارا مما لعله يشغلنا عن ربنا عز وجل.

وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضى الله عنه يقول :
من أراد ان لا يكون إبليس جليسه فليترك الدنيا ، فقال له شخص : يا سيدي فلان العابد زاهد في الدنيا وهو يشكى من إبليس كثيرا ،
فقال : دعواه الزهد زور
ثم أرسل الشيخ إلى ذلك العابد وحادثه طويلا فاعترف بمحبته للدنيا ، وقال للشيخ : صدقت يا سيدي ،
فقال له الشيخ : الدنيا بنت إبليس فمن تزوج ابنته صار صهرا له والصهر لا بد له من التردد إلى صهره من حين يخطب ابنته فمن لم يمل إلى الدنيا لا حاجة لإبليس عنده . فافهم ،
وكان الفضيل بن عياض رضى الله عنه يقول : لو عرضت علىّ الدنيا بحذافيرها ولا أحاسب عليها في الآخرة لكنت أتركها وأتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها مخافة ان تصيب ثوبه .
وممن تحقق بهذا العهد يقينا الإمام الأعظم محمد بن إدريس الشافعي رضى الله عنه وأبو زيد الهلالي ومعن ابن زائدة وأضرابهم من الكرام ولولا ذلك ما فرق الامام الشافعي في مجلس واحد عشرة آلاف دينار ثم اقترض عشاءه آخر ذلك النهار ولولا تحقق أبو زيد بذلك ما كان يقدر على ما نقل عنه من الكرم ،
فرضى الله عن الكرام الذين هانت عليهم الدنيا هذا الهوان ثم لا يخفى أن التحقق بهذا العهد من أدنى أخلاق الفقراء ، فإياك ان تنكر على فقير دعواه الوفاء به لكونك أنت لا تقدر على المشي عليه فان ذلك من أسهل شئ يترك عند الفقراء وبتقدير ان يكون ذلك من أكمل اخلاق الفقراء فلا بأس بذكره للإخوان ليتشوقوا إلى الترقي اليه ولو أن الفقراء لم يذكروا لإخوانهم شيئا فوق أحوالهم لم يقع لم ترق ولا كان للنصح فائدة.

فافهم فان بعض الناس اعترض علىّ في ذكر هذا العهد واستعظم الوفاء به على الفقرا لكونه هو لم يقدر على الوفاء به ،
وقال نفس مشايخ الاسلام في عصرنا هذا الا يقدرون على التخلق به فقلت له جميع هذه العهود انما وضعناها لمن كمل انقياده لله ولرسوله أو اشرف على ذلك
فقال لي أرني واحدا بتلك الصفة فقلت له جميع المريدين الصادقين بهذه الصفة لان أول المراتب في الطريق الزهد في الدنيا بالقلب كما سيأتي قريبا
فقال أنا أستبعد ذلك في نفسي كل البعد وكيف يقدر الانسان على أن يمر على الذهب ولا يأخذ منه شيئا ما هذه إلا دعوى عريضة فلما بلغني ذلك لم يحصل عندي تشويش منه لعلمي بأنه ما أنكر إلا ما هو فوق رتبته هو فقاس حال الفقراء على حاله ، وقد قال الجنيد رضى الله عنه : مكثت عشرين سنة وعندي وقفة من قول الصوفية يبلغ الذاكر في الذكر إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يحس به إلى أن وجدنا الامر كما قالوا ، فالعارف يعلم أن كل من انكر شيئا فهو جاهل به والسلام .

ثم اعلم يا اخى ان أكمل الهدى هدى الأنبياء ثم الأولياء وما بلغنا عن أحد منهم قط انه كان يحب الدنيا ولا ان تتسع عليهم كل الوسع بل عرضت عليهم فردوها ، واما السيد سليمان عليه السلام فأعطته الرتبة ان يسأل ما سأل ومع ذلك فقد ورد انه آخر الأنبياء دخولا الجنة لمكان الملك وكثرة المال ، وكان أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى
يقول : كل فقير لا ينشرح إذا صرف الله تعالى عنه الدنيا وضيق عليه في المعيشة فهو كاذب في دعواه الفقر وأوصى له شخص من التجار بخمسين دينارا فلما بلغه ذلك قال اللهم

اصرفهم عنى إلى من هو أحوج إليهم في عملك فصرفهم الله عنه لمكان صدقه رضى الله عنه فعلم من تضاعيف هذا الكلام في هذا العهد ان الفقراء الصادقين في غنية عن عمل الكيمياء وعن فتح المطالب لأنهم إذا كانوا يتركون اتلال الذهب وهو مفروغ من ضربه وتعبه ولا يميلوا إليه بقلوبهم فكيف يظن بهم انهم يتعبون نفوسهم في علاج الكيمياء وفي حفر تراب المطالب وحفظ العزائم وشراء البخورات لأجل وسخ النصارى وصدقاتهم التي وضعوها في المطالب وأمروا الأعوان بإخراج على الفقراء والمساكين وإذا كان الفقراء يتنزهون عن اكل صدقات المسلمين فكيف بصدقات النصارى .
فاعرف قدر الفقراء واحفظ لسانك في حقهم والله يتولى هداك .

**08 - اخذ علينا العهود ان لا نلقى بالنا إلى الدنيا ولا إلى مطالبة فلاح بالخراج الذي لنا عليه ولا ساكن بيت لنا بالأجرة ولا إلى ما دخل ولا إلى ما خرج**
ولكن من أتى لنا من ذلك بشئ من غير سؤال قبلناه تخلقا بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم كما مر في العهد الرابع وصرّفناه في وجهه المعين له ، ومن لم يأت بشئ لا نطالبه قط لا في الدنيا ولا في الآخرة ، هذا شأننا في جميع ما ملكناه من الدنيا ما دمنا قاصرين عن درجات الكمال فإذا بلغنا مبلغ الرجال ان شاء الله تعالى أخذنا الدنيا بحذافيرها وصرفناها في المواطن التي شرعت فيها وطالبنا بالخراج وبالحقوق واشتكينا من امتنع عن الوزن للحكام على نية تخليص ذمة من امتنع لا بنية نفعنا نحن بذلك ، وقد كان سيدي على الخواص رحمه الله تعالى يطالب أصحابه بالجديد الذي اقترضوه منه ويلح

عليهم في ذلك ويقول : ان ذلك مما يخلص ذمتهم في الآخرة وأنا أكره أن أرى لي في الآخرة منة على أحد من خلق الله عز وجل أو حقا على أحد من عبيده إكراما له عز وجل ، فطريقنا ما دامت الدنيا تشغلنا وكان تحت نظرنا وقف من الأوقاف ان نستنيب في النظر من يكون اهلا لتخليص مال ذلك الوقف على مصطلح الناس أو نسقط حقنا من النظر ولا عتب علينا ما دمنا قاصرين في زجر من يطلب منا ان نلقى بالنا إلى بالدنيا وحسابها من مباشر وجابى ومستحق فإننا معذورين في غضبنا عليه لأن السالك الصادق طالب إلى قدام والقاء باله إلى الدنيا يعوقه عن السير ومثال من يطلب من السالك ذلك مثال من رأى إنسانا واقفا في حضرة الملك والعود والند والعنبر فايح في تلك الحضرة والملك مقبل على ذلك الانسان بكلام حلو ما كان يجده في المنام فجاء شخص قلبه فارغ من ذلك كله وأراد يجذبه من ورائه ليوقعه في خرارة مدبح ويلطخ ثيابه قيحا ودما وفرثا وبولا .

فافهم واعتبر والله يتولى هداك والله أعلم .

**09 - اخذ علينا العهود ان تنظر إلى الدنيا بعين الحقارة تخلقا باخلاق الله عز وجل واخلاق أنبيائه ورسله وأتباعهم**

فإنه تعالى من منذ خلقها لم ينظر إليها أعنى نظر رضى عنها وعن من يحبها لا نظر إرادة وتدبير وإلا فهو تعالى هو المدبر لها والخالق فافهم ، وفي الحديث : إن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة ولو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء ، وفي الحديث الصحيح : " ازهد في الدنيا يحبك الله " فعلق محبة الله تعالى على الزهد في الدنيا فمن رغب فيها ومال بقلبه إليها فهو ممقوت في الدنيا

والآخرة ،
وفي الحديث : " يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شوهاء عليها من كل زينة فيؤمر بها إلى النار فتقف وتقول يا رب ومن كان يحسن في دار الدنيا ويميل بقلبه إليّ فيقول الله تعالى ومن يحبك فيقحم معها في النار كل محب " نسأل الله العافية فتأمل يا أخي نفسك وأنت أعلم بحالك .

ثم اعلم يا اخى ان من تحقق بهذا العهد لم يستكثر شيئا من الدنيا ان يعطيه لاحد من الإخوان أو غيرهم فان أقل من جناح البعوضة إذا فرق على جميع أهل الأرض من ملوكها إلى تجارها إلى سوقتها فما قدر ما يخص كل انسان من ذلك الأقل من الجناح حتى يستعظمه في عينه أو يبخل به أو يغلق عليه بابا فتأمله فلو قدر ان الدنيا بحذافيرها أعطيت لعبد ثم أعطاها لآخر لم يكن ذلك بكبير وكذلك من رأى الدنيا بهذه الحقارة لا يرى له مقاما بل زهد فيها جميعا لأن ذلك الجزء الذي خصّه من الجناح لا يدرك بالبصر ولا بجسّ حتى يصح له قبضه ثم تركه وكأن الزاهد زهد في لا شئ .
تعجب يا اخى في القدرة الإلهية ولا عجب فيها كيف حجبت من لا يحصى من الخلائق عن الدخول إلى حضرة ربهم ولو في صلاتهم بأقل من جناح بعوضة وكأن خدام الحضرة الإلهية يقولون لا تمكن أحدا يحب الدنيا ويرجح الذهب على الزبل ان يدخل إلى حضرة الحق تعالى الا ان رمى ما حصّه من أقل من جناح تلك البعوضة وتركه للناس فما تجرأ أحد منهم أن يفعل ذلك ورضوا بحجابهم عن حضرة ربهم حتى ماتوا وذلك يؤدى إلى الكفر لأن من رجح شيئا على حضرة ربه فقد استهان بها وذلك كفر نسأل

الله العافية ، وقد رأيت مرة ان القيامة قد قامت وأمر الخلائق بالمرور على الصراط فجئت لأصعد عليه فلم أستطع فجاءنى ملك من الملائكة فقال لي :
لم لا تصعد ؟ فقلت : لا أطيق فقال يكون معك شيئا من الدنيا فقلت ليس معي شئ فقال لا بد افتح كفك اليسار ففتحته فأخرج من بين أصابعي شيئا كرأس إبرة وقال هذا الذي كان يعوقك فارمه فرميته فصعدت بسهولة فالحمد لله رب العالمين .

**10 - اخذ علينا العهود ان لا نقبل لأنفسنا عطاء من أحد ونحن نعلم أن في بلدنا من هو أحوج إلى ذلك العطاء منا وكذلك لا نقبل هدية من أحد ترك جاره الأقرب من غير هدية واهدى الينا مع بعد دارنا**

وذلك لان في قبولنا العطاء والهدية ممن ذكر إعانة له على ترك السنة فإنها أمرت ان يبدأ المعطى بالأحوج والجار الأقرب فكما نفعنا المعطى بما أعطاه لنا كذلك ننفعه باكتساب أعظم الأجرين فإن الواجب علينا ان لا نقبل شيئا من أحد الا على نية نفع ذلك الرجل لا بنية نفع أنفسنا بعرض من الدنيا أو بحصول الثواب في الآخرة بل لو خطر ذلك في قلوبنا نقضنا عهد الفقراء ونقول أستغفر الله العظيم ، ثم لا يخفى ان أحدا لا يتعدى جاره ولا قريبه الا لعلة إذ لو كان عطاؤه سالما من العلة لقدم في العطاء من امره الحق بتقديمه من جار أو قرابة فإن في الحديث : لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به ، فافهم ، ومن اخفى بالعلل ان يتعدى من ذكر إلى شخص مشهور بالصلاح لتظاهره بالفقة ورد عطايا الناس أو اغتناما لدعائه ومثل هذا لا ينبغي لذلك الصالح ان يقبل منه شيئا لأن في قبوله ذلك اكل الدنيا بالدين وقد كان

الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لأن آكل الدنيا بالطبل والمزمار أحب اليّ من أن آكلها بديني ، ومن اخفى العلل أيضا قبولنا العطاء من شخص ليثيبه الله على ذلك وانما نقله لله تعالى .
فافهم ، ولا يقدر على العمل بهذا العهد الا من رأى الدنيا أقل من جناح بعوضة وكان دينه أعزّ من دنياه والله غنى حميد .

**11- اخذ علينا العهود ان نكون دائما تبعا لإخواننا الاحياء والأموات في سائر الأمور ولا نجعل نفسها رأسا الا في تحمل المشاق عنهم لا غير**
وإذا كانت لنا حاجة أو لاحد من اخواننا إلى الله تعالى أو إلى أحد من خلقه سألنا اخواننا يسألون فيها ربنا لان مثلنا لا ينبغي ان يرفع له رأسا بين العباد فضلا عن حضرة الله عز وجل فإن لم تقض على يد الأحياء عرضناها على قبور الأولياء الأموات فإن لم تقض عرضناها على أصحاب الذل والانكسار الذين محق القضاء والقدر نفوسهم حتى صاروا إن دخلوا محفلا ولم يفسح لهم لم يتكدروا وإن أطعموهم غسالة الأيدي يفرحوا بذلك فنجعل مثل هؤلاء واسطة فيما بيننا وبين الله فإذا اطلع الحق على ذل نفوسنا هذا الذل العظيم قضى حوائجنا في أسرع من لمح البصر ، فإن الله تعالى حيّ ستير وقد جربت أنا قضاء الحوائج بسرعة على يد صعاليك المسلمين والعمى من مساكينهم فأنزل بنفسي إلى مرتبته في الذل دون مرتبة ذلك الصعلوك وأقف وراءه ثم أقول اللهم إني أسألك بالسر الذي أذللت به نفس هذا العبد إلا ما قضيت حاجتي فتقضى في الحال وقد أخبرت بذلك سيدي على الخواص رحمه الله تعالى فقال : السر في ذلك شدة انكسار خاطرهم في عدم إجابتهم

في كل شئ سألوه من الناس بخلاف أبناء الدنيا مع بعضهم بعضا كما أشار إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " ربّ أشعث أغبر لا يؤبه لو أقسم على الله لأبرّ قسمه " . انتهى .
وكان سيدي إبراهيم المتبولى رضى الله عنه يقول : أسرع الأولياء بمصر إجابة السيدة نفيسة ثم سيدي أحمد البدوي ثم سيدي إبراهيم الدسوقي ثم سيدي شرف الدين المدفون بالحسينية بمصر ثم سيدي عبد الله المنوفى المدفون بتربة السلطان قايتباى ، فالحذر ثم الحذر ان تشكى انسانا إليهم الا وهو محق في كل ما قاله لهم وإلا رجع ذلك عليه فاجعلوا هؤلاء الأولياء واسطتكم في كل ارض تكونون فيها فان الله تعالى أعطاهم التصريف المطلق فيها .
قلت : وخرج بقولنا أولا من أرباب الأحوال غيرهم من المتمكنين فإن الكامل قد لا يجيب السائل بسرعة وقد لا يجيبه أصلا إدخالا لمطلوبة في الآخرة التي هي دار البقاء ، على أن قول الشيخ سرعة الإجابة تحكيم بمن ذكرهم كلهم ومعلومات الله لا تحصى .
وقد رأيت شخصا كان يسمى الشيخ بدر الدين السروي الأحمدي سأله فقير في حاجة وقال له إذا وصلت إلى سيدي احمد فاحك له حاجتي فقال :
مثل ما أحمد رجل أنت رجل ، فحصل له طعنة في جنبه فلم يزل يصيح حتى طلعت روحه ، وكذلك وقع للشيخ شمس الدين بن كتيلة المحلى رحمه الله أنه قال :لله تعالى رجال مثل احمد البدوي - يشير إلى نفسه - وكان يأكل سمكا فدخلت شوكة جوفه فلم يستطع أحد أن يخرجها بدهن

غطاس ولا غيره فمكثت في حلقه سنة كاملة وهو متألم لا يتلذذ بأكل ولا شرب ، فقال له رجل من الفقراء هذه من سيدي أحمد فسافر اليه فلما سافر ودخل القبة وجلس يقرأ سورة يس إذ عطس فخرجت الشوكة مغمسة دما فقال : تبت إلى الله عز وجل يا سيدي احمد ، واعترف بنقصه عن مراتب الرجال .

واعلم يا اخى انك لو كنت من مشايخ الزمان الذين تصدروا للإرشاد والتربية فأنت قاصر عن رتبة هؤلاء الأولياء أصحاب الدواير الكبرى ، وتأمل إذا مت وشحت أحد على اسمك أو اسم شيخك في التصوف هل يعطيه أحد فلسا ، تعرف مقامك وتأمل هؤلاء الأولياء يشحت الناس على اسمهم وعلى بركتهم مدى الدهر والناس يعطونهم ويقول إذا عتر أحدهم أو عترت دابته : يا سيدي فلان من وسط قلبه وهذا امر ليس هو سدى فالعارف من لم يتعد قدره والسلام .

واعلم أن ربط قلبنا بشيخ ينفع وان لم يكن الشيخ زهلا لذلك فكيف إذا كان اهلا ، وأعظم دليل على ذلك كون الظمآن يجد الحق تعالى عند الشراب الذي ليس بشئ ثابت فكيف يفقد عند أكبر أوليائه وصالح عباده إذا قصدهم قاصد وذلك لان الحق تعالى يستحى من عبده ان لا يكون عنده في كل مكان قصده ولذلك قالوَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْإعلاما لنا بذلك لا سيما من اشتهر بالصلاح والولاية فيقضى الله الحوائج على اسمه وبواسطته وليس عند الله بشئ صيانة لجنابه الكريم ان يخذل من انتسب اليه ولو بالدعوى فاعلم ذلك والله أعلم.

**12 - اخذ علينا العهود ان نخلّص التوحيد لله تعالى في الأفعال والأقوال والملك والوجود كل مرتبة بشروطها المعروفة بين أهل التوحيد**

ولا نضيف لاحد من الخلق نفعا ولا ضرّا ولا حلّا ولا ربطا ولا نقول قط لنا ولا معنا ولا عندنا الا على سبيل المجاز والنسيان لأن ذلك كله معدود من الشرك الخفي وقد قال تعالى :وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاًفنكّر الشئ ولم يعين شيئا دون شئ فافهم . وقد وقع لبعض الفقراء أنه قال يوما يا رب اغفر لي فإنك وعدت بالمغفرة كل من لم يشرك بك وأنت تعلم أنى ما أشركت بك يوما واحدا ، فإذا بالهاتف يقول ولا يوم اللبن ، فخجل وذكر انه قدم له يوم لبن ليشربه فأبى وقال إني أخاف أن يضرني ، فأحصى الحق تعالى عليه هذه الكلمة لكونه أضاف الضر إلى اللبن دون الله فاعلم ذلك .

**13 - اخذ علينا العهود ان لا ندع شيئا من محاب الدنيا يقيم في قلبنا سواء كان ولدا أو زوجة أو متاعا أو صاحبا أو شهوة أو غير ذلك**

لان الحق تعالى غيور لا يحب أن يرى في قلب عبده المؤمن محبة لسواه فربما مقتنا بميلنا إلى غيره وربما مقت من رآه في قلبنا من أصحابنا غيرة علينا فليكن الفقير على حذر ومحبة على حذر ، وقد أذّن الشبلي مرة فلما جاء إلى قوله وأشهد أن محمدا رسول الله وقف واستأذن ربه في ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقلبه وقال : وعزتك وجلالك لولا امرتني بذكره صلى الله عليه وسلم ما ذكرت غيرك . انتهى . ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : لي وقت لا يسعني فيه غير ربى وهذا المقام لكل وارث من بعده صلى الله عليه وسلم وكان شيخنا رضى الله عنه يقول ولعل هذا كان من

الشبلي في أوائل أمره لأن الغيرة المحمودة هي التي تكون لله لا على الله فان الغيرة على الله نقص وتحجير على الحضرة الإلهية ولو كمل العبد لم يعز على الله وأشغل كل موضع بقلبه بما يناسبه فيجعل محبة الحق تعالى وسط القلب ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم مما يليها إلى الخلا ومحبة شيخه مما يلي ذلك وهكذا فلا مزاحمة في قلب العارف في شئ ولذلك سمى أبو العيون فافهم .
قال شيخنا رضى الله عنه وكل من تعلق به خاطر العبد ووقف معه فهو عبده تعس عبد الدينار والدرهم والخميصة . . . الحديث ، وسمعت اخى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول : كلما عسر عليك فراقه فأنت عبده حتى عملك وعلمك ومعرفتك لأن هذه الأمور انما جعلها الحق تعالى وسائل لا مقاصد ، وكان رضى الله عنه يقول أيضا : من حضر بقلبه مع الحق تعالى عند الوجد وفقده عند السلب فهو مع نفسه غيبة وحضور أو إيضاح ذلك ان العلم والعمل والمعرفة غير الحق تعالى بيقين وغير الحق إذا مال اليه العبد نقص من عبوديته للحق بقدر ما مال اليه لكن لا بد من مسامحة المريد بهذه العبودية لترقيه إلى المقصود بالذات فتأمل ذلك .

**14 - اخذ علينا العهود ان لا نقطع قط بشئ علمناه من الكتاب أو السنة من طريق الاستنباط**

وانما نقول الذي فهمناه من هذا الكلام وكذا لا غير وذلك ليكون الباب مفتوحا لمذاهب المجتهدين وإذا كنا نجهل كثيرا من معاني كلام جنسنا من البشر فكيف بكلام رب العالمين ، وقد قررنا مرارا أن من الأدب ان لا نقول في كلام العارفين مراد هذا القائل كذا إلا أن يكون من

أهل التعريف الإلهي الذين بلغوا إلى محل أشرفوا منه على مراتب الرجال والله عليم حكيم .

**15 - اخذ علينا العهود ان ننظر دائما للذي علينا من حقوق الله والعباد هل فينا به أم لا ولا ننظر قط للذي لنا إلا على وجه الشكر فقط**

وذلك لنكون معترفين لله تعالى بالحجة البالغة علينا ونتوب اليه ونستغفره مما جنيناه ثم لا يخفى ان من شرط كلّ عارف ان يرى نفسه قد استحقت الخسف لولا عفو الله تعالى ولو الحق تعالى به كان عدلا من أهله في محله ، وقد طلب جماعة من الفقراء كرامة من سيدي عبد العزيز الدرينى رضى الله عنه ليقوى يقينهم ويأخذوا عنه الطريق فقال يا أولادي وهل بقي لأمثالنا على وجه الأرض اليوم كرامة أعظم من أن الله تعالى يمسك الأرض ولا يخسفها بنا مع استحقاقنا الخسف من سنين عديدة ثم قال والله يا أولادي انى في غاية الخجل من الله تعالى كلما أرفع قدمي من الأرض وما أضعها على الأرض وأراها ثابتة تحت قدمي وفي عيني قطرة من خوف الخسف . انتهى .
وقد دخلت مرة على بعض مشايخ عصرنا فقلت عند دعاء الانصراف اللهم انا نعلم انا قد استحقينا الخسف بنا واخى هذا معنا فقطب وجهه استبعادا لذلك فعلمت نقص مرتبته في المعرفة وقد كان السلف كلهم من الصحابة والتابعين على قدم الخوف حتى كان يشم من جوف السيد أبى بكر الصديق رضى الله عنه رائحة الكبد المستوى وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول :
يا ليت أمي لم تلدني ، وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يبكى ويفحّص كالطير المذبوح طول ليله ، وكان مالك بن دينار يقول لولا انى في البصري ما نزل

عليها بلاء قط ، وكان معروف الكرخي يقول انى أخاف ان لا يقبلني قبرى فأفتضح ، وإبطاء المطر سنة على أهل بغداد فقالوا له في ذلك فقال إنهم ينتظرون المطر وانا أترقب نزول الحجارة علينا من السماء لسوء أفعالنا ، وكان السرى السقطي لم يزل ينظر في المرآة طول النهار ويقول أخاف أن يكون الله قد مسخ صورتي صورة خنزير أو كلب ، فانظر يا اخى إلى هؤلاء السادات كلهم ما كانوا ينظرون الا إلى الذي عليهم ولو أنهم كانوا نظروا للذي لهم لم يخافوا هذا الخوف ، فاسلك طريقهم والله يتولى هداك .

**16 - اخذ علينا العهود ان نقدم في التردد والزيارة من يكرهنا ويحط علينا على من يحبنا ويزورنا**

لأن في ذلك من رياض النفوس وصلاحها ما لا يخفى وفيه أيضا تطييب خاطر من يكرهنا حتى لا يكرهنا وفيه أيضا حفظه من الوقوع في الاثم فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك .

**17 - اخذ علينا العهود ان نظهر التواخى مع جميع أصحاب الكتب كاللواط والزناة والخمارين والحشاشين والمقامرين وأصحاب جملة الوزر والمكس وجباة الظلم وان نرى نفسنا أكثر ذنوبا ومعاصي منهم**

كما مر تقريره في أول عهد من هذه العهود وخرج بقولنا ان نظهر التواخى عدم موآخاتهم في الباطن على فنهم ، فافهم عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ، وقال صلى الله عليه وسلم : إن الله يكره العبد المتميز عن أخيه وأيضا فلما فهم من المشاكلة لنا من حيث وقوعنا في المعاصي مع ادعائنا اننا اعلم منهم وأفضل ودعوانا ذلك مما يجعل صغيرتنا كبيرة ، وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر الذي يمنع صاحبه من دخول الجنة برد الحق وعدم الانقياد

للشرع وباحتقار الناس وازدرائهم ، ولا تخرج يا اخى عن احتقار الناس إلا إن شهدت نفسك دونهم فإن الأدب أن لا يشهد العبد نفسه مساويا لأحد ولو كان من أتقى الناس فيستعظم صغيرة نفسه ويستصغر كبيرة غيره ، وسمعت شيخنا رضى الله عنه يقول : أصل نفرة الناس من أصحاب الكتب عماهم عن مساوىء نفوسهم ولو أنهم نظروا بعين البصيرة لرأوا نفوسهم مشاكلة لكل عاص على وجه لما هي منطوية عليه من الذنوب العظام التي لو اطلع عليها المعتقدون لهم لرجموهم وفروا من صحبتهم ،
وسمعت اخى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول : والله الذي لا إله إلا هو ما اعلم أنه خطر لي قط خاطر يخرجني عن جملة فساق هذه الأمة بل أشهد أكثرهم فسقا أفضل منى وذلك لما اخلقت المعاصي من جهة حتى صار لا يرى له وجها عند الله ولا عند أحد من خلقه وذلك من أعلى أوصاف العبودية .
فعلم أن كل من نفرت نفسه من أصحاب الكتب وهجرهم وقاطعهم فهو أسوأ حالا منهم لأنه ما نفرت نفسه حتى رآها خيرا منهم وهذا كان سبب لعن إبليس وإخراجه من حضرة الله عز وجل فان الله تعالى ما قص علينا من معصيته التي أخرج بها ولعن إلا قوله أنا خير منه ،
إذا علمت ذلك فالواجب على كل داع إلى الله تعالى ان يظهر البشاشة والمحبة لأهل الكتب ما أمكن لان ذلك اسرع لانقيادهم وتقويم عوجهم ،
وقد جهل هذا من هجرهم وبعد عنهم وأنف من مجالستهم ومواكلتهم وخلطتهم في مواضع تنزهاتهم لا سيما إن قطب في وجوههم وازدراهم وبخهم في المجالس فإنهم ينفرون منهم بالكلية فيكون من قطاع الطريق عن الله عز وجل لكون الهجر من الكلام

يوحش قلوبهم وكذلك يصير بازدرائهم معدودا ممن خان الله تعالى ورسوله ، فإن الله تعالى قد أمن علماء الشريعة على عباده وأوجبوا عليهم ان لا يتركوهم يتمادوا في غيهم ، وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام حين انف من مجالسة العصاة : يا داود المستقيم لا يحتاج إليك والأعوج قد أنفت عن تقويم عوجه فلم إذا أرسلت ، ثم إن الحق تعالى أعقب ذلك بما وقع من الخطيئة فتنبه داود عليه السلام واستغفر وصار يجالس العصاة والخطائين ويقول اللهم اغفر للخطائين حتى تغفر لداود معهم ، وكان قبل ذلك يقول اللهم لا تغفر لمن عصاك .

وانظر يا اخى حكمة ارتكاب الخطيئة فإنها ترد العبد إلى الله تعالى بالذل والمسكنة إذا شرد عن حضرته بعجب أو استحسان حال ، فاقتد يا أخي بمن سبقك من الأكابر وكن متخلقا بالرحمة والشفقة على خلق الله واستر فضائحهم فإن الله تعالى ستير ويحب من عباده الستيرين وربما يقيّض الله تعالى لك من يقومك عند الاعوجاج ويرحمك ويشفق عليك ويستر فضائحك جزاء وفاقا إن شاء الله تعالى بخلاف ما لو فعلت الضد مما ذكر فإن الحق تعالى ربما يقيض لك بحكم العدل عند عوجك من يكشف عورتك ويقسموا عليك في بيوت الحكام ونحوهم

فخالط يا اخى أصحاب الكتب والأخلاق السيئة وإن نفروا منك فاتبعهم ثم لا تزال تسارق أحدهم وتقوم عوجه شيئا فشيئا بالتبغيض في تلك الكتبة والأخلاق السيئة وأسماعه ما فيها من المفاسد في الدنيا والعقاب في الآخرة حتى يكون هو المبادر لترك تلك الكتبة وأما إذا هجرتهم يا اخى ونفرت منهم فمن يقوم عوجهم

ويبغضهم في كتبتهم وأخلاقهم واعوج ما يكون أخوك إليك إذا عثرت دابته فأصحاب الكتب ضالة كل داع إلى الله عز وجل ولو أن الداعي تركهم يتمادون في غيهم اخذه الله بهم يوم القيامة
واعلم أنه لا يصح للداعي على تقويم المعوج الا ان رأى نفسه دونه فان رأى نفسه فوقه أو مساويا لم يقدر على تطويل روحه على تقويم معوج أبدا ولا يتحقق الداعي منا بشهوده نفسه دواء المعوجين ذوقا إلا إن وقع في جنس ما وقعوا ولو مرة واحدة كما يشهد لذلك ما تقدم في قصة داود عليه السلام .

وسمعت سيدي علي الخواص رضي الله عنه يقول : كل فقير لا يقع في المعاصي في بدوي أمره لا يصلح للإرشاد لكون العبد إذا وقع فيها يصير يقيم المعاذير للخلق ويرحمهم بخلافه إذا لم يقع ، وسمعته يقول : أعلى ما يصل إليه المريد من ذل النفس بعد طول المجاهدة والرياضة دون ما يصل إليه أصحاب الكتب الذين اندبغت نفوسهم بالذل من كثرة وقوعهم في القضاء والقدر ويسألون الإقالة منها فلا يقالون فإن هؤلاء معدون من أهل التسليم لا من أهل النزاع وتأمل ذل نفوسهم بين يدي أقل الناس تجدهم على اخلاق أعلى واشرف من اخلاق غالب العلماء فإنهم قد صاروا ان دخلوا محفلا ولم يفسح أحد لهم لم يتكدروا وان أطعموهم غسالة أيدي الصغار والعبيد والشحاتين لم يتغيروا بل يرون نفوسهم أحقر الناس ويرون الجميلة للناس في تمكينهم من الجلوس معهم ثم إذا حلبسوا مع الناس جلسوا منكسين الرؤوس خجلين من الحياء قائلين يا ستار يا ستار استر فضائحنا عنهم حتى نقوم ونحن مستورين.

وهذه الصفات كانت هي الحقيقة مجال العالم لان العلم إذا لم يزد صاحبه تواضعا وذلّا فهو وبال .
قلت : وقد سمعت مرة هاتفا يقول لي : صل العصر غدا في جامع الحسينية الذي يبلغ فيها الحشاشون الحشيش ترى العجب ، فخرجت إليه من الغد فوجدت أصحاب الكتب يصلون ويبتهلون بالأدعية المشعرة بكثرة الذل فانفسخ باطني حتى كأني دخلت حضرة الله عز وجل ، بل هي حضرة الله تعالى لما هم عليه من الذل والمسكنة بين يدي الله عز وجل ،
فإن الله تعالى يقول " : أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى " أي من أجل تقديرى فألقيت بالى إلى أحوالهم فأخذت دواة وقلما وكتبت أدعيتهم فأحببت ان ارقمها في هذه التروس لما فيها من الإذلال والاعتبار وحسن الظن بالله عز وجل .

فمنها انني سمعت قائلا يقول في سجوده : اللهم أقم عوجى فإن لم تقم عوجى فاسترنى فإن لم تسترنى فثبتنى في الرضا عنك فإن لم تثبتني فلا تؤاخذني لا ارجع عن سؤالك في واحدة منهن ،
وسمعت آخر يقول : اللهم انك تعلم انى لا اتحرك إلا إن حركتنى ولا تؤاخذني ،
وسمعت آخر يقول :
اللهم إني أستبعد أن تؤاخذ مثلي فإنك واسع المغفرة ،
وسمعت آخر يقول :
يا أرحم بي من والدتي اغفر لي ، وسمعت آخر يقول : اللهم انك لا تؤاخذ بالمعصية من يعرفك وانا لا أعرفك فإنك بخلاف كل ما خطر ببالي ، ومن أخلاق الكرام الصفح عن الجاهلين فاصفح عنى يا ارحم الراحمين ،
وسمعت آخر يقول : اللهم إني أجلك أن تؤاخذ جعيدى مثلي ، وسمعت آخر

يقول :اللهم إني أجلك ان تجعل قوتك أو غضبك على قطيع يخاف من ذله ،
وسمعت آخر يقول : اللهم ان غاية الأولين والآخرين لقمة طين وأنا أجلك تجعل قوتك عليها ، وسمعت اخر يقول : اللهم ان مثلي لا ينبغي له دخول المساجد لقذارتى ولولا انك امرتني بالحضور فيها للجماعة ما دخلت ،
وسمعت آخر يقول : اللهم انك تعلم انى اجلك عن وقوف مثلي بين يديك لحقارتى ولولا التكليف ما وقفت ، وسمعت آخر يقول : اللهم انك تعلم أنه ليس عندك وجه فأسألك حاجتي ولكن هل تكون صدقتك عليّ الا كصدقتك على ذباب مثلي ،
وسمعت آخر يقول : اللهم ان الأولين والآخرين قد حطوا رواحلهم على ساحل بحر عفوك وكرمك منكسين الرؤوس خجلين حياء منك كما ترى فلا تخيب ظنهم ولا رجاءهم فيك يا ارحم الراحمين ،
وسمعت آخر يقول : اللهم إن الأولين والآخرين غرقوا في بحر جودك وكرمك فلا تخرجهم منه أبد الآبدين ودهر الداهرين فما خرجت من الجامع إلا وأنا في سرور لا يعادله شئ وعلمت أن خير الناس من جلس بنفسه على أسفل رتب الخلق أجمعين ولم ير له مقاما سواء كان الوصول إلى هذه الدرجة بواسطة الطاعات أو بواسطة المعاصي كما قال الشيخ تاج الدين بن عطا الله رضى الله عنه من لم يقبل على الله بملاطفات الإحسان قيد إليه بسلاسل الامتحان ،
وفي المثل السائر : من لم يجئ بشراب الليمون جاء بحطبه فإن من طاب عنصره لا يحتاج إلى أن يبتلى بمعصية بأن التكاليف تذل نفسه إلى الغاية كما عليه الأنبياء وكمل اتباعهم ومن لم يطب عنصره كأحاد الناس يحتاج إلى ابتلائه بالمعاصي لوقوعه في العجب والكبر

بالطاعات ، وكان سيدي أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى يقول : معصية أورثت ذلّا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزّا واستكبارا انتهى .
ويؤيده قصد آدم عليه السلام في أكله من الشجرة فان ذلك كان سبب ترقيه ، وكان الشيخ أبو مدين يقول : لو انى كنت مكان آدم عليه السلام لأكلت الشجرة جميعها لما حصل له في أكلها من البركة لكون حسنات بنيه كلهم في صحيفته يوم القيامة وقد انعقد الإجماع على أن الأنبياء عليهم السلام لا ينقل قط من حال إلا لأعلى منها .
فاعلم ذلك فإياك يا اخى وازدراء من جلس في خان بنات الخطأ أو بيع الحشيش حتى تجالسه وتنظر حاله فربما يكون من أولياء الله عز وجل جلس يتوب الناس في صورة بيعه لهم الحشيش أو دخولهم الخان فلا يأخذها أحد من يده أو يدخل خانه الا ويتوب لوقته كما سيأتي بيانه في عهد عدم الإنكار على المجاذيب وأرباب الأحوال ان شاء الله تعالى .
وقد وقفت مرة على شخص يصحن الحشيش وسألته الدعاء فقال :
يا ولدى ماذا رأيت من أحوالي حتى سألتني الدعاء ؟
فقلت رسوخك تحت قضاء الله وقدره من غير تقلق وأنا لا أستطيع أن أجلس مكانك أصحن الحشيش يوما واحدا ،
فقال : يا ولدى نحن قوم قمنا في المراتب المزرية تحملا عن إخواننا أصحاب الرتب العالية من العلماء والقضاة والتجار حين رأينا تلك المراتب قد استحكمت من أزمان متعددة ولم يقدر أحد على إزالتها من الوجود كما هو مشاهد ولا بد من أحد يتولى أمرها فدخلنا فيها رجاء الأجر من الله عز وجل ،
فقلت : وهل في صحنك الحشيش اجر ؟

قال :نعم من حيث الرضا بالتقدير لا من حيث الكسب مع انى قائل أستغفر الله من حيث الكسب نادم على كل بيعة وقعت والندم توبة كما في الحديث ، فقلت له شرط التوبة الإقلاع وأنت مصرّ على البيع ليلا ونهارا ، فقال : من أين لي الإصرار وانا أندم على كل فعل وقع كما نبهتك عليه آنفا والمستقبل ليس في يدي حتى أتوب منه والتوبة لا تكون إلا بعد وقوع العبد في المعصية فأنا صابر تحت قضاء الله عز وجل حتى يحولنى منه ، وقد قال تعالى :إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ فقلت له انما مدح الله الصابرين على المرض والبلاء بموت ولد أو ذهاب مال ونحو ذلك أما الصبر على الوقوع في المعاصي فقال الصبر مطلق في القرآن ما قال الصابرون على كذا دون كذا فمن أين لك تقييده بما ذكر ، ونحن يا ولدى نرى ابتلاءنا بالمعاصي أشد من سائر ما يبتلى الله به عباده وعظم الأجر لا يكون الا مع عظم البلاء فنحن أولى بالمدح وتوفية الأجر بغير حساب إذا صبرنا تحت قضاء الله فمن صبر تحت بلاء جسمه أو موت ولده ، فقلت له أتبيع الحشيش في مثل هذه الأيام الكثيرة النكد ، وكان ذلك أيام خروج التجاريد لبحر الهند سنة أربع وأربعين وتسعمائة ، فقال وليس بيعها أخف حرمة الا مثل هذه الأيام ، فقلت لماذا ؟ فقال لكثرة سخط الناس على ربهم واعتراضهم عليه فيما يقدره عليهم ونسيان ذنوبهم واستحقاقهم الخسف بهم لولا عفو الله فإذا بلع أحدهم الحشيش ثقلت أعضاؤه ولسانه ونام فاستراح من ورطة السخط على الله عز وجل وقلة الأدب ، فإن إثم السخط على الله يرجح على إثم بلع الحشيش وإذا تعارضت مفسدتان ارتكبنا الأخف منهما ،

فقلت نعم ، فقال والله انى لا أقدر والله أسمع أحدا يعترض على ربه بل أكاد أذوب أنا من الحياء فأبادر عند ذلك إلى بيعهم الحشيش وأصبح مسحوبا كأن في عنقي جنزيرا ، فقلت له صحيح هذا حكم الإرادة ولكن قد جعل الله تعالى لك جزاء اختياريّا ،
فقال صحيح ولكن اختيار بحكم التبع للإرادة الإلهية لا مستقلا لأن حقيقة من له اختيار ان يفعل باختياره ما شاء وليس ذلك الا لله وحده ، قال تعالى :وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَيَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحانَ اللَّهِ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ
يعنى من آن لهم معي اختيار وأنا أقلب قلوبهم وجوارحهم ليلا ونهارا فيما أريد لا فيما يريدون فالعبد أحقر وأدبر من أن يرد ما قدره الله عليه ، فقلت له صحيح ما قلت ، فقال فما يفيد إذن قولك لمثلى حرام عليك هذا الفعل ثم تذهب وتتركني فإن كان في يدك قوة للجزاء الاختياري الذي تقوله فرد عنى التقدير انا في حسبك فان ادعيت العجز عن ذلك مع ضخامتك وعلمك فهي مسألتي انا بعينها فأسكتنى ، ثم قلت له ان الحق تعالى أوجب علينا ان ننهاك عن الوقوع في المعاصي ولو كنا نعلم عجزك عن رد التقدير ، فقال صحيح هذا هو الذي تعبد الله به عباده ولكن يكون ذلك برحمة وشفقة وإقامة عذر لنا في الباطن كما درج عليه العارفون فإن صاحب العين الواحدة أعور ، فقلت نعم لكن لا ينبغي لعبد ان يقف بنفسه في مواطن السخط والغضب وانما ينبغي له سؤال تحويل تلك القاذورات عنه فرارا من سخط الله وغضبه ، فقال انا ما وقفت بنفسي في تلك المواطن ولا انا المقدر للمعاصي على نفسي وانا استحى من الله عز وجل ان يقيمنى في امر فأسأله التحويل لعلمي بأنه أعلم بمصالحى من

نفسي وبما علم منى العجب والزهو باعمالى في وهمى فقدر على تلك المعاصي ليذل
نفسي ويردني إلى شهود ذلى وحقارة نفسي والعبد عبد في كل حال سواء كان في
وظيفة تقليب المسك أو تقليب الزبل ويقول لسيده سمعا وطاعة مع أن الواجب على كل
عبد ان لا يرى في الوجود أحقر منه ولا أوطى رتبة فناسبنى تقديرى القبائح
والمعاصي بل لو قدرها الحق تعالى على غيرى من الخلق كان من الأدب ان أقول يا
رب قدر على انا ذلك واعتق اخى النظيف من مخالطة القاذورات لأن الوجود كله
نظيف إلا أنا ، فأعجبني كلامه واستفدت منه آدابا عظيمة كنت عنها غافلا وعلمت أن
لله تعالى في كل شئ حكمة وأسرارا تدق على فحول العلماء فضلا على أمثالنا ولم
أزل ألين الكلام لأصحاب الكتب واخفض جناحي لهم من ذلك اليوم وفي ذلك أيضا
عمل بقوله صلى الله عليه وسلم أكرموا كريم كل قوم ، قال شيخنا رضى الله عنه :
يدخل في ذلك رئيس من الكفار والفجار فضلا عن رئيس قوم من المسلمين كالمغانى
والشودب ونحوهم ومن إكرام هؤلاء ان نتلقاهم بالبشاشة والترحيب وإذا دخلنا وليمة
قدمنا بين يديهم أطيب الطعام وقدمنا لهم نعالهم كل ذلك داخل في قوله أكرموا كريم
كل قوم ، وفي ذلك أيضا تليين قلوبهم إلى سماع قولنا في تبغيضهم في تلك الأحوال
التي هم عليها وأقرب إلى التوبة فقولهم لا ينبغي إكرم الكفار والعصاة محله ما إذا لم
يترتب على ذلك مصلحة أعظم من ذلك التكريم بان كان في ذلك اعزاز لدينهم
وأحوالهم وإخذال لدين الاسلام أما إذا علمنا بالقرائن تليين قلب الكافر مثلا بإكرامه
بنوع ما أكرم به وكان ذلك أولى من أن تدعه مقيما على

كفره ، وقد أومأت بالسلام مرة لصاحب خان بنات الخطأ في قليوب فخجل منى واستحيا ثم تاب بعد أيام ، وكان سيدي عبد القادر الدشطوطى رضى الله عنه يخص نصرانيّا بالدخول عنده في مصر ويأكل من طعامه وينام في داره فكان بعض الفقهاء ينكرون عليه فبعد أيام أسلم .
وكان الشيخ كلما قال له لأي شئ تخص هذا النصراني بالنوم في بيته ؟
فيقول من قال إن هذا نصراني هذا مسلم ، فكان بعض الفقهاء يسخر بالشئ فلما أسلم النصراني جاء ذلك الفقيه إلى الشيخ واستغفر الله عز وجل ، فهذا الذي ذكرناه من تليين الكلام لأصحاب الكتب وخفض الجناح لهم هو مذهبنا الذي نلقى الله به فمن سره ان يدخل معنا في ذلك ويرى نفسه دونهم فليدخل والله غنى حميد . انتهى .

**18 - اخذ علينا العهود ان لا نسوس قط من دأبه الجدال بالجدال وإقامة الحجج عليه لأن ذلك مما يهيج نفسه ويطول عليه طريق الانقياد وإنما نسوسه إذا انعوج بالبر والإكرام ونشر محاسنه بين الأقران وإن لم نظهر عليه لكوننا نعلم أنها كامنة فيه كمون النخلة في النواة**

فما يقع مدحنا إلا على صدق ومن أقرب ما نسوسه به إعطاؤه الذهب والفضة والهدايا والملابس والأطعمة وان نكسوا عياله وأولاده في الأعياد والشتاء والصيف بشرط ان يكون ذلك كله سرّا بحيث لا يدرى به أحد من الأقران فمن فعل مع مجادل ذلك سحر قلبه لطاعته من حيث لا يشعر ثم لا نزال نسارقه ونقوم ما يظهر فيه من العوج شيئا فشيئا بضرب الأمثلة وتقبيح من يفعل مثل صفاته بطريق بعيدة نحو قوله يقبح على الفقيه الذي يعرف ما قال الله وقال رسول الله ان

يكون مكبا على الدنيا يزاحم على الوظائف أو يكون مرائيا بعلمه يحب ان يصرف الناس إليه وجوههم دون أحد من اقرانه ، وكان اخى أفضل الدين رحمه الله تعالى إذا رأى من انسان أشياء قبيحة ظهرت أو هو عازم على الوقوع فيها يقول للناس انا ما يعجبني الا فلان فقط ما رأيناه على شئ قبيح ولا رأيناه عزم على فعل سوء فليلتجم ذلك الشخص بعون الله فيرجع عما كان ارتكبه وعن ما كان عزم على فعله بحول الله وقدرته وهذه سياسة عظيمة ، وليحذر ان يتركه يلحق المجادل به انه المقصود بذلك الكلام فيلتفت إلى إقامة الحجج عن نفسه وتحريف الآيات والاخبار على قدر هوى نفسه ويرد بالحق اليقين ثم يصير إثم ذلك على هذا الناصح لقلة سياسته في النصح ، وسيأتي في هذه العهود قوله صلى الله عليه وسلم إذا رأيت سجاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بخويصة بنفسك ودع عنك امر العامة وقد وجدت هذه الصفات كلها هو مشاهد فلولا علم الشارع صعوبة رجوع أهل هذه الصفات ما قال دعوهم فافهم ، فإذا من شرط الناصح ان يمهد للمنصوح مهادا ويبسط بساطا حتى يكون ذلك الشخص هو المبادر لفعل ذلك الامر لما رأى لنفسه فيه من الحظ والمصلحة وان لم يقدر على ذلك فليدل على ذلك الشخص ان ينصحه ممن له قوة سياسة أو يسكت هو فان مفسدة هذا إذا تكلم أعظم منها إذا سكت وهذه السياسة كانت طريقة الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضى الله عنه مع أصحابه حتى كان يشغلهم أول اجتماعهم به بالعلوم الشرعية إلى أن يصير أحدهم يعد لمناظرة فحول العلماء فضلا عن غيرهم ثم بعد ذلك يشغلهم بتهذب الاخلاق حتى يبلغ

الغاية ثم بعد ذلك يأذن له في التصدر وكان يقول : كل فقير لا يتضلع في علوم الشريعة لا يصلح للتصدر لأنه ربما يشطح بشئ يخالف الشريعة الظاهرة فتنفر عنه قلوب العلماء وإذا انفرت من فقير قلوب العلماء قل نفعه في الوجود فافهم .
وقد كان الجنيد رضى الله عنه لا يجلس اليه فقيه ولا فقير ولا عامي ولا أحد من الخلق إلا قام وهو راض عنه يقول شئ لله المدد من كثرة سياسته لأنه كان لا يكلم قط أحدا بما هو فوق رتبته ذلك الأحد إلا إن رآه قابلا للترقى وكان لا يكلم أحدا بما طريقه الكشف الا ان كان له به اتحاد وطول صحبة ، وكان يقول : إياكم ان تبذروا أول مصاحبتكم بإنسان كلاما طريقه الكشف أو يخالف ظاهر النقل فربما كان ممتحنا فيخرج ينشر صيتكم بسوء الاعتقاد بين من ليس من أهل الطريق فيتولد من ذلك مفاسد كثيرة ، فعل انه لا يعجز فقير عن سياسة مجادل الا ان ذهبت بذلك المجادل يد الشقاء فحينئذ يطرده ذلك الفقير بالقلب عن صحبته فيصير من أبعد الناس عنه وربما يمكت بقية عمره لا يجتمع به ، فإياك أن تغلط وتطّلع ، على أسرار السنة من لم يجد عنده داعية ولا علامة للترقى ولو كان من أحب الناس إليك ، قال تعاليإِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُخطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم الذي هو أعرف الأنبياء والمرسلين بطرق السياسة كما يشهد لذلك عموم رسالته إلى جميع العالمين فلما لم يرجع صلى الله عليه وسلم ودام على طلب الهداية للخلق لما هو عليه من الرحمة والشفقة أنزل الله تعالى عليهلَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظالِمُونَفسكت صلى الله عليه وسلم من ذلك

اليوم عن كل من لم ير عليه لوايح القبول وعلم أن السكوت ارحم بذلك العبد من إقامة الحجج عليه وتبيين طريق الهدى له لان بالسكوت يصير له حجة يعتذر بها يوم القيامة بخلاف البيان فإنه عذاب على سامعه كما يؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : إن من البيان لسحرا ، ولا نعلم السحر إلا حراما ، فاعلم ذلك فإنه من باب المعرفة والله عليم حكيم .

**19 - اخذ علينا العهود ان لا نقطع برنا وحسنتنا عمن عصى أمرنا وكفر بتعليمنا ولم ير لنا جميلة في نصحنا له وإنقاذه من النار سواء دخل معنا في عهد أم لا فإن في أفواه الناس المعاملة مع الله تعالى .**

وتأمل يا اخى إلى أخلاق الحق تعالى الذي هو المحسن على الدوام كيف هو يطعمنا ويسقينا ويؤوينا ليلا ونهارا ونعمه سابغة علينا مدى الدهر ونحن نعصيه ليلا ونهارا لا يقطع بره عنا بسبب من الأسباب ، وكان شيخنا رضى الله عنه يقول للشيخ أن يؤدب مريده بقطع البر وإظهار الجفاء حتى تضر نفسه ويرجع إلى الانقياد لعماه عن طريق الآخرة ولو كان مشهوده الخفي أو الثواب لم يشرد عن طريق الانقاد فيحتاج طريق التربية إلى وسع اخلاق ورياضة تامة ، ولو أن راعى البهائم سخط عليها حين نفرت منه في البرية ولم يطوّل روحه على ضمّها إلى بعضها بل راح إلى البلد وتركها في البرية للسبع والذئب عد ذلك من خسافة عقله ولا يخفى ان حكم جميع المريدين والخدام والغلمان وغالب الأصحاب حكم البهائم ولذلك احتاجوا إلى راع يرعاهم ولو أنهم خرجوا عن رتبة البهائم لما احتاجوا قط إلى راع فما احتاج إلى الراعي إلا البهائم والسلام.

**20 - اخذ علينا العهود ان نشهد مقامنا الحقيقي دائما هو التراب الذي تطأه الاقدام وتبول عليه الكلاب ولا نرفع نفسنا عنه في ساعة من ليل أو نهار**
وذلك لأن الأرض هي أمنا التي منها خلقنا وكأن من طلب مقاما يرفعه عن أمه فقد عقها من حيث أنها لا ترضى بذلك ، وفي الحديث أن العاق لا يرفع له إلى السماء عمل فافهم ، ومن تحقق بهذا المقام لا يفارقه رضى الله عنه ولا رضى الخلق وإذا قدر انه وقع لا يتكسر أبدا فإننا ما رأينا قط شخصا جلس على الأرض فوقع وتكسر أبدا انما يتكسر من فارق الأرض وعلى عليها حسّا أو معنا ثم لا بد بأن يرجع إلى ما رفع نفسه عنه حالة أحقر وأدبر مما كان قبل ان يرفع نفسه اما بترادف البلاء عليه وتحويل النعم وإما بالموت الذي لا ينجو منه أحد .
وتأمل الحجر إذا رميته إلى فوق كيف يرجع إلى رتبته الأرضية قهرا لا يمكنه رد نفسه عن النزول فافهم ، ويقول الناس في حق من يترأس عليهم بغير حق فلان كبير عند نفسه يعنى دون الناس وقد جرب انه ما رفع عالم أو فقير قط نفسه على الإخوان إلا وأذهب الله تعالى بركة عمله وتسبيكه لا سيما ان تصوف بالدعوى من غير استناد وصار يدعى مراتب الرجال فإنه يهلك في الدارين ثم لا يستحق أن أحدا يأخذ بيده إذا عثر في الدنيا والآخرة أبدا .
وتأمل يا أخي النخلة لما قامت بصدرها وتعالت على غيرها كيف جعل الله تعالى ثقل حملها على نفسها لا يساعدها فيه أحد ، وانظر إلى شجرة اليقطين والبطيخ لما مدت خدها على الأرض كيف جعل الله ثقل حملها على غيرها ولو حملت مهما حملت لا تحث بثقله.

فإياك يا اخى ان تتكبر على إخوانك ، وأهل خرقتك وتتعاظم عليهم ولا تزورهم إذا مرضوا ولا تجيبهم إلى وليمة إذا دعوك ثم تطلب أنت منهم ذلك ولست أمير المؤمنين بل شهدنا أمير المؤمنين في عصرنا هذا كثيرا في الولائم والعقود فهل أنت على رتبة من أمير المؤمنين ؟ فإن ادعيت ذلك فأنت مجنون فكن مع إخوانك ولا تشهر نفسك فان ذلك هو الخسران المبين ، وفي الحديث : ومن تكبر وضعه الله ، يعنى أنزله إلى أسفل من الأرض التي منها خلق ولذلك قال تعالى :أَ لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَيعنى الذين رفعوا رؤوسهم عن الأرض وعن ما خلق من الأرض فيا ليت المتكبر نزل إلى الأرض التي رفع نفسه عنها فقط ، واعلم يا أخي أن أقبح ما في المتكبر وقوعه في مزاحمة أوصاف الربوبية من العلو والرفعة والعزة ونحو ذلك فإنه بذلك يكون عدوا لله عز وجل .
إن من طلب من الناس القيام له إذا دخل في محفل مثلا فإنه يقول لهم قوموا إليّ قانتين كما تقوموا لله فافهم ، وفي الحديث : " الكبرياء إزاري والعظمة ردائي فمن نازعني واحدا منهما قصمته " ولذلك هرب أكابر الأولياء من التصريف في دار الدنيا فلم يظهر لهم كرامة ولا خارقة حتى خرجوا من الدنيا سالمين غانمين لم ينقص لهم راس مال فكانوا كما قال بعضهم أكمل في المقام ممن ظهر بالكرامات والخوارق ولو بإذن من الهواتف الإذن لا يقع لهم بذلك إلا بعد ميل من نفوسهم خفى لا يشعرون به أقل ما هناك طلبهم ان يظهر طريقهم على غيرهم ولا يغلبوا عند خصمهم فافهم ، وغب عنهم أيضا ان هذا الموطن الدنياوى موطن الذل والخوف إذ هو موطن

نوزع الحق تعالى فيه في الألوهية واحتجب فيه عن عامة عباده وأحب ظهور انفراده تعالى بالتصريف فيه وحده فأشد ما على العارفين أن يضاف إليهم حل أو ربط في الوجود إيثارا للجناب الإلهى ان ينسب شئ إلى غيره رضى الله عنهم أجمعين فما مال إلى الدنيا وقوع الكرامات على يديه إلا ضعفاء العارفين الذين سرى فيهم حب الدنيا . وتأمل يا أخي إذا كان الحق تعالى هو الفاعل الحقيقي في جميع حركات الوجود وسكناته من إحياء الميت فما دونه فبأي وجه من التعجب من ذلك وأي وجه لمدح من وقعت على يديه وهو عاجز عن تحريك إصبع نفسه حتى يحركه الحق تعالى فإن الولي لو كان يحيى الموتى بذاته ما مات هو قط وكيف يقدر على إحياء غيره ولا يقدر على إحياء نفسه هو فتأمل تعرف ان جميع المعجزات والخوارق انما هي فعل الله تعالى وحده أبرزها على يد عبيده المنتسبين اليه وإلى شرعه تأييدا لهم لا غير فإن الله عز وجل من أخلاقه ان يؤيد من انتسب اليه ولو بالدعوى صيانة لجنابه الكريم ان يخذل من انتسب اليه فوجه الكرمة حقيقة انما هو التأييد لذلك النبي والولي بوقوعها في وقت طلب فيه تلك الكرامة لا نفس الواقع في ذلك الوقت فافهم والله على كل شئ قدير .

**21 - اخذ علينا العهود ان نبادر لنصح اخواننا ولو بحضرة الملأ من الناس ولا نترقب وقتا نكلمهم فيه**

فربما نسينا ذلك قبل مجىء ذلك الوقت والنصح بلا شك خير والخير لا يؤخر ، وقد كان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول في خطبته لأكابر الصحابة انى لأرى الغل حشو بواطنكم وداء الأمم قبلكم قد دبّ فيكم وما

أظن الحق تعالى الا قد تبرأ منكم ، ولما طعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأسقوه اللبن فخرج من حنبه فعرف انه ميت فدخل عليه اعرابى يعوده فلما ولى الأعرابي فقال عمر ردوا على الأعرابي فردوه عليه فقال له عمر يا اخى انى رأيت إزارك نازلا عن كعبيك فشمره ، فانظر كيف نصحه في هذا الوقت الذي هو فيه محتضر فيه ولم يسامحه رضى الله عنه .
ثم اعلم يا اخى ان كل من لامك على نصحه في الملأ فذلك من نفاق في قلبه والمنافق ما يراعى بل الواجب صدعه بالحق حتى يشتق قلبه بالحق فضلا عن جوارحه الظاهرة ولو كان سالما من النفاق لفرح بالنصح لأنه غنيمة في هذا الزمان لقلة من ينصح من الإخوان .
وقد سمعت شيخنا رضى الله عنه يقول : انصح إخوانك بالعنف ما استطعت فان هذا زمان كثر فيه المخالفات والكلام اللين لا يقع به زجر إلا لمن كمل عقله وأين ذلك الرجل فزجرنا للمخالف بالعنف أولى وأقطع انتهى .
قلت : ولعل ذلك انما هو في حق من انقاد لنا ودخل تحت حكمنا أما الأجنبي عن ذلك فالنصح له بالكلام اللين أولى فإن لم يسمع وكلناه إلى الله عز وجل ومتى قطبنا في وجهه وزجرناه بعنف قامت نفسه وقابلناه بالإباية وعدم الانقياد ولم يسمع لنا كلاما ولو كان قرآنا كما هو مشاهد بين أهل الضغائن والله عليم حكيم .
اخذ عينا العهود إذا رأينا أحدا في ضيق لا نبادر إلى قولنا مسكين ما كان هذا يستحق ذلك فإن في ذلك اعتراضا على الله عز وجل وادعاء لمقام في الرحمة فوق مقام رحمة الله لعبيده الذي هو بهم أرحم من أمهم ، وكذلك

لا نقول يستحق هذا ما جرى له لأنه تحصيل الحاصلوَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِما كَسَبُوا ما تَرَكَ عَلى ظَهْرِها مِنْ دَابَّةٍمع أن في قولنا " يستحق " رائحة شماتة بأخينا المسلم .
فإذا علمت ذلك فالأدب انما هو سؤالنا التفريج عنه بالعفو والنصح والصبر ونحو ذلك فان الحق تعالى ما يقدر على عبد عقوبة الا جزاء لعمل سابق أحصاه الله ونسيه العبد ويقول من لا علم له بذلك مسكين هذا ابتلى بالتهمة وكذبوا عليه ويحلف هو بالله وبالطلاق انه مظلوم بظنه أن تلك المؤاخذة بالتهمة والحال أنه إنما اخذ بغيرها من الأمور التي وقع فيها محققا لأن العقوبة لا تنصب قط على تهمة فافهم ، والانسان لم يزل يخطئ وينسى .
وحكى ان عابدا من بني إسرائيل كان جالسا في صومعته ينظر إلى بركة ماء تحته فجاء رجل مسفور فنزل فشرب وأسقى دابته وغسل وجهه وخفف ثيابه واستراح ثم قام وركب ونسي كيسا فيه خمسمائة دينار فبعد ساعة جاء شخص وعلى رأسه حزمة خطب فوضعها وشرب من البركة فوجد الكيس فأخذه ومضى ، فجاء صاحب الكيس فوجد شخصا آخر جاء بعد الحطاب فقال له أين الكيس ؟ فقال ما رأيته فقال بل رأيته ودفنته فحلف له فلم يصدقه فضربه بالسيف فقتله ، فقال العابد يا رب كيف يقتل عبدك هذا ولم يأخذ الكيس وإنما أخذه الحطاب ؟ فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان أن قل لفلان العابد : إن الحطاب كان لأبيه على أب صاحب الكيس خمسمائة دينار جحدها ولم يعطها له فمكنت ولده منها وإن الثالث الذي قتل كان قد قتل أبا صاحب الكيس من حيث لا يشعر فمكنت ولده من قتله وأنا الحكيم

العليم فقد علمت أن كل من اخذته الرحمة على مقتول بسيف الشرع الصريح أو مجلود بسوطه فقد أساء الأدب وفاته كمال الايمان ، فإن الله تعالى يقول في المجلودين في الزنا :وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِفشرط تعالى وجود الايمان بعدم الرأفة فافهم ، وخرج بقولنا الشرع الصريح جميع ما استنبط بدقيق الفكر ولم يجمع عليه كبعض الوقائع التي يفتى بعضهم فيها بالتكفير وبعضهم بعدمه . وقد حكى لي شيخنا رضى الله عنه ان شخصا وقع في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام فيه لبس فأفتى بعض العلماء بكفره وعقد لذلك مجلسا عند السلطان خش قدم فحضر الشيخ جلال الدين المحلى فأمر بإطلاقه من إهراق دمه وقال : تقتلون مسلما موحدا بفتوى شخص غير معصوم ، فاطلقوه ، فتأمل ذلك والله واسع عليم .

**22 - اخذ علينا العهود ان لا نتميز عن اخواننا بخلق غريب محمود ما أمكن لأن ذلك مما يطفئ نورهم ويقوى نورنا فنتميز والله تعالى يكره العبد المتميز عن أخيه اللهم إلا أن يكون أحدنا يقتدى به أو جاهلا أو ناسيا أو ذاهلا فإنه يعذر ،**
فإذا فرق السلطان مثلا مالا على العلماء والفقراء وقبلوا كلهم ذلك ولم يرده أحد منهم فالأدب منا ان نقبل كما قبلوا ثم نفرق ذلك في مصالح المحتاجين إلى مثلي ذلك الماسر أو لا نأكل منه إلا إن كنا مضطرين إلى مثله ، هذا شأننا مع اخواننا ما لم ينهمل على الدنيا ويثوروا على كلما لاح لهم من أموالها ثوران السبع على الفريسة ، فإذا فعلوا ذلك رددنا الأموال وتميزنا عنهم بكل ما نقدر عليه من الأعمال الصالحة ولا حرج لا سيما ان

تصدينا لقضاء حوائج الناس عند الامراء والأكابر فإنه يجب علينا رد كل ما وصب الينا منهم لأجل مصالح الناس ولو كنا محتاجين فإنه ما عند الامراء والأكابر اليوم فقير أعظم ممن يزهد في الدنيا ويرد الذهب والفضة وذلك لعظمة الدنيا في قلوبهم فإذا رأوا فقيرا قد زهد فيما رغبت فيه ملوكهم عظموه ضرورة وقبلوا أقدامه ، ولما طلع الشيخ شمس الدين الديروطى الواعظ بجامع الأزهر إلى السلطان الغورى امر له السلطان بألف دينار فردها وقال انا رجل من أغنياء المسلمين ولكن ان كان مولانا السلطان محتاجا إلى نفقة اقرضناه وصبرنا عليه ، فعظم الشيخ في عين السلطان ولم يزل مقبول الشفاعة عنده حتى مات ، ولو أنه كان قبل الألف دينار لنقص في عينه ضرورة لاسترقاقه لنعمته كالعبد فإن الملوك وغيرهم ما أعطوا فقيرا الدنيا إلا بقدر زهدهم فيها ولو أنهم رغبوا فيها ما أعطوا الفقير شيئا منها فإذا رأوا الفقير يحب الدنيا ويسألهم في ان يعطوه جوالى ومسموحا أو يرتبوا له دراهم على بساط السلطان ويروه يسافر في طلب الدنيا إلى بلاد العجم والروم وهمته مصروفة إلى جميع الدنيا أكثر من أبناء الدنيا ومن الحكام أو مثلهم فكيف يصح لهم ان يعتقدوه فمن طلب اعتقادهم فيه لأجل قبول شفاعاته عندهم مع حبه للدنيا فذلك دليل على سخافة عقله ولذلك صار طلبة العلم أو المريدون يكون لهم حاجة إلى قاضى العسكر أو غيرهم فلا يسألون فيها شيخهم ويقولون يا ربي سيدي الشيخ يسألهم في حوائج نفسه .

فان أردت يا اخى قضاء حوائج الخلق عند الحكام وغيرهم فازهد في الدنيا ولا تجعل لك في ديوان صدقتهم وهداياهم اسما فإني أضمن لك

التعظيم في قلوبهم والهيبة عند كل من يراك ، وقد كان مالك بن دينار رضى الله عنه ينشد ويقول :

**يا معشر العلماء يا ملح البلد * ما يصلح الملح إذا الملح فسد**

فما إثم أسحر لنفوس الخلق ولا فج يصطاد به العلماء أو العباد أقوى من محبة الدنيا ، وتأمل النسر وهو طائر في جو السماء لا يصل إلى مسه بيده أكبر ملك الدنيا كيف ينصب له حبايل من الرمم فينزل عليها من جو السماء فيقبض عليه فالرجل من نظر واعتبر والسلام .

**23 - اخذ علينا العهود ان نؤثر جناب الحق تعالى على جنابنا ولو أدى الأمر إلى قتلنا وصلبنا ولا نتعاطى قط أسباب إحقار ذمة الله عز وجل وانتهاكها .**

وكان السلف الصالح رضى الله عنهم أجمعين إذا توعدهم الوالي لعقوبة بسبب تهمة أو غيرها لا يصلون ذلك اليوم الصبح في جماعة لما ورد ان من صلى الصبح في جماعة فهو في ذمة الله عز وجل فمن صلى ذلك اليوم الصبح في جماعة ووقع له عقوبة أحقر ذمة الله وعرض من احقرها لأن يكبه الله في النار على وجهه كما ورد وكانوا يقولون سد الباب الذي يتطرق منه انتهاك ذمة الله عز وجل عندنا أرجح من حصول ثواب صلاة الجماعة

وكانوا إذا مد أحد منهم للضرب والعقوبة في بيوت الحكام ولا يقولوا نحن في حسب الله ولا حسب رسول الله ولا حسب أحد من الأولياء لأنه ربما كان سبق في علم الله تعالى عقوبة العبد فيحقر بين الصبح وقوله ما ذكر ذمة الله وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكابر الأولياء والصالحين فكأنه بما ذكر سعى في احقار

تلك الذمم وشارك الوالي في إثم الاحقار ولم يكن صلى الصبح في جماعة ولا يحتسب بأحد ذلك اليوم ما كان صدق على الوالي احقار الذمة لله تعالى ولا كان اثم وهذا الذي قررناه هو أرقى في الأدب مع الله تعالى ممن صلى الصبح في جماعة استنادا إلى الله تعالى أولى ذمته حتى لا يتجرأ أحد ان يعاقبه فافهم ، ويؤيد ذلك أنه صلى الله عليه وسلم بعث سرية وقال : إذا نزلتم على قوم فطلبوا منكم ان تنزلوهم على ذمة الله تعالى فلا تفعلوا وانزلوهم على ذمتكم فإنكم ان تحقروا ذمتكم خير لكم من أن تحقروا ذمة الله عز وجل .

وكان الحجاج مع جوره وظلمه لا يضرب أحدا قط صلى ذلك اليوم صلاة الصبح في جماعة ويقول إنه في ذمة الله عز وجل هذا اليوم ، وأتوه مرة برجل فقال اسألوه هل صلى الصبح في جماعة فقال له رجل وهل يقول لك الا نعم خوفا من القتل فقال لا اقتلهم ولو قالها كاذبا خوفا من اخفار ذمة الله عز وجل .

قلت : ويقاس بصلاة الصبح المذكورة فيما ذكرنا قراءة الأوراد والأحزاب التي يرجى بها دفع السوء عن قارئها ذلك اليوم وكذلك قراءة آية الكرسي ونحوها على الحوانيت والأمتعة حتى لا تسرق والأطعمة حتى لا يأكل الجن منها لأن في ذلك أيضا فتح باب الانتهاك واحقار ذمة القرآن وذمة الحديث الوارد وذمة كلام السلف مع وقوع فاعل ذلك أيضا في التحجير على القدرة الإلهية وعلى الخلق في وصولهم إلى ارزاقهم وفي وقوع السارق في الاثم من جهة السرقة فإنه لولا شحة نفس صاحب تلك الأمتعة المسروقة ما حرم ذلك على سارق لأن ما أخذ بطيب نفس حلال بلا نزاع.

وكان أبو زيد الهلالي لا يتخذ على أبوابه قفلا إلى أن مات فما شرع الحق تعالى فعل الأمور الدافعة عن العبد البلايا والمصائب وعن ماله السرقة مثلا إلا تنفيسا للضعفاء الذين لا يسامحون بتلف أجسامهم في جانب الله ولا بإنفاق أموالهم في منفعة عباد الله لشحة نفوسهم ولو ثبتوا في مقام العبودية كما ثبت فيه العارفون لرأوا أجسامهم
وأموالهم لله تعالى لا لأنفسهم ولذلك لم يشرع لهم ان يفعلوا شيئا من تلك الأمور الدافعة عنهم وعن أموالهم البلايا إلا اظهارا للعبودية والفاقة فقط لرضاهم بتلف مهجهم في جانب الله وعدم بخلهم بشئ من الدنيا على عباده وأيضا فإنهم أولى بالمؤمنين من أنفسهم بحكم الإرث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهم محسنون إلى كل بر وفاجر وشاكر وكافر في امر الدنيا والآخرة .
وقد تحققنا بذلك ولله الحمد والفضل ونسأله الدوام على ذلك حتى نلقاه فنحن نرى للعبد من الخير أفضل مما يراه هو لنفسه فمن تبعنا نجا إن شاء الله تعالى من حجاب الضلال .
وقد كان الشبلي رضى الله عنه يقول : أحب ان يكبر الله تعالى جثتي ويملأ بها جهنم لأجل وعدها بملئها ولا يدخل أحد من عصاة هذه الأمة فيها .
وسمعت شيخنا رضى الله عنه يقول : لله تعالى رجال يقفون على طريق جهنم فكل من رأوا الزبانية تسحبه إلى النار وهو يبكى من عصاة هذه الأمة يسألون الله تعالى ان يدخلهم مكانه فيجيبهم ويعتقوه من دخول النار ولله تعالى رجال يتحملون البلايا والمسن فإذا رأوا البلاء نازلا على حارتهم أو بلدهم تلقوه عنهم حتى يمرضوا أياما بأمراض ليس للطبيب من الخلق فيها طريق

ويعتق أهل بلدهم أو حارتهم من غير علمهم ثم بعد ذلك يتحملون منهم تنقيصهم وقولهم لأحدهم يا كلب يا فاسق يا شيخ النحس أيش حبيت لآخرتك وأنت تزني أو تلوط أو تشرب البوظة ونحو ذلك .
وقد شاهدت شخصا منهم كان في حارة باب اللوق ينظر في المحو والإثبات فيرى البلاء نازلا على عالم أو صالح أو تاجر أو غيرهم من الأكابر ولا بد فيتلقى ذلك البلاء عنه ويقول إن هؤلاء أصحاب شهامة وضخامة فإذا رآهم الناس يزنون أو يشربون الخمر يستبعدوا ذلك منه ثم ينثلم الإسلام بذلك بخلاف ما إذا رأوا جعيدى مثلي .
وكان رضى الله عنه يقول كثيرا ليس الرجل من يرجح دخول الجنة انما الرجل من فنى عن اختياره مع الحق تعالى وقال إن دخلت الجنة سديت مسدّا وان دخلت النار سديت مسدّا والله واسع عليم .

**24 - اخذ علينا العهود ان ننظر إلى كل شئ برز في هذا الوجود بعين الاعتبار وذلك بان نعتد من الظاهر إلى الباطن ولو كان ذلك البارز حراما في الشرع فنتطلب الحكمة في إبرازه ثم ننكر على فاعله عملا بالشريعة**

وقد قلت مرة في نفسي وانا تجاه سوق الكتبيين بمصر المحروسة اى فائدة لابراز بنات الخطأ في الوجود والحلال في النساء الفقيرات كثير لرضاهن بدون ما يصرف على بنات الخطأ في النفقة والعطاء فإذا بالهاتف من جو السماء يقول الحكمة في ذلك سقاطه نفوسكم وعدم قناعتها بالحلال وعفتها به فإن الله تعالى عطاؤه فياض لا يتخصص فإذا علم من عبد ميل نفس إلى خسيس هيأه له أو حرام هيأه له ثم هتف هاتف آخر بصوت آخر يقول ومن الحكمة في

إبرار بنات الخطأ أيضا عدم وقوع الفساد في الأرض فقلت له في سرى وأي فساد فوق الزنا ببنات الخطأ فقال الهاتف أعظم فسقا من بنات الخطأ الزنا بنساء أكابر العلماء والأمراء والتجار ومقدم أمير الحاج ومقدم الوالي ونحوهم فلو لا بنات الخطأ لاسور العتاق والمتمردون من العزاب إلى حيطان الناس ونزلوا بيوتهم فزنوا بنسائهم كرها أو طوعا لقوة ثوران شهواتهم فكان يحصل بذلك كثرة القتل والفتن والإخراج من الأوطان ولا هكذا الحكم في بنات الخطا فأن الانسان يجتمع بالواحدة منهن ويعطيها نصفا ونحوه ثم يدخل مخزنها في الستر والحجاب فينفض ما كان عنده من الشهوة ويزول العارض وكل بنات الخطأ تسد أم أولادها فلا تحبل ولا يحصل اختلاط انساب فافهم . انتهى . وهذه البقعة سمعت منها عدة هواتف وهي من اشرف بقع مصر وهي في الشارع من تجاه باب الكتبيين إلى عطفة باب الزهومة ولو كنت صاحب مال لحولت الشارع عنها ومنعت المشي عليها بالنعال وجعلتها مسجدا لشرفها ويلي هذه البقعة في الشرف البقعة التي تقرب من جامع الفاكهانى عند الدخاخنية مما يلي مدرسة السلطان الغورى وقدرها خمسة اقصاب .
وقد وقع بي مرة أنني تأملت في قوله عز وجل :قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ( 1 ) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَإلى آخر النسق فاستحسنت حالهم فإذا بالهاتف يقول الخشوع لا يكون معه توحيد بإثبات الخاشع نفسه مع الحق ففهمت ما تحته من الاسرار وعلمت أن كل من نظر إلى الوجود بعين الاعتبار استفاد منه أسرارا لا تسعها الدفاتر.

وقد وقفت مرة على شيخ يقوم الرماح على النار تحت مدرسة السلطان حسن بقرب القلعة فنظر إليّ وقال انظر يا صغير فان النار ما لها شغل الا مع الأعوج واما المستقيم فلا يعرض على النار أبدا فلم تزل كلمته تلك نصب عيني ، ووقفت مرة أخرى على لاعب سير القمار فقلت له اى فائدة في هذا فقال عبرة لأولى الأبصار فقلت وما تلك العبرة فقال اما تنظر الانسان يأخذ العود بيده ويجول بفكره في ان يضعه داخل عين من عيون السير المتشابه فيضعه بعد نصب الحيل فينفض السير فيجد نفسه خارج عين السير فحكمه حكم من يريد التحيل على ما لم يقسم له من الرزق وبعض الناس من السالمين النية يجئ فيأخذ العود ويضعه من غير حيلة فيجد نفسه داخل العين ، ووقفت مرة أخرى على مشغوت فقلت له ما الحكمة في حرفتك هذه ؟ فقال الحكمة فيها تقوية إيمان لمن كان عنده تزلزل فإذا رأى فعلى وانا أريه أشياء ليس لها حقيقة ويشهدها بحسه قوى يقينه لأنى إذا فعلت ذلك وانا عبد عاجز فكيف بأقدر القادرين تبارك وتعالى ، فقلت له ما قصدك بالأشياء التي ليس لها حقيقة ، فقال : جميع المخلوقات لأن الوجود الحق انما هو لله وحده فكم الخلق السراب الذي يحسبه الظمآن ماء . انتهى .

ووقفت مرة على خيال الظل فقلت ما الحكمة في فعلك ؟ فقال لي انظر حقيقة اسمى تعثر على الكنز فنظرت فعلمت هو الخيال ومن هو الظل المراد بقوله تعالى :أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّالآية ، ثم قال لي انظر يا ولدى إلى الصور وهي تروح وتجىء ولا يرى المحرك لها تعرف ان الفاعل الحقيقي لجميع حركات الوجود لا يرى وتعلم أن لكل حركة ظاهرة

حركة باطنة يحركها لا تشهد الا بنور الايمان لا بالحس قال تعالى :ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْفالعارفون يعتبرون بصنيعى وصغار العقول يضحكون .

ووقفت مرة على خلبوص المغانى وهو يضحك الناس فقلت له الأدب ترك هذا في هذا الزمان لكثرة الغم الذي فيه الناس الآن فقال لي بل هو المطلوب من كل عارف في هذا الزمان فقلت لماذا ؟

فقال لأنهم إذا سمعوا هذه السخريات انتهوا عن ما هم فيه من الغم وعن ما يقعوا فيه من السخط على تقديرات ربهم من الظالم وثقل الخراج واخراج صبيانهم إلى التجاريد إلى بحر الهند وأمور يطول شرحها ما خطرت لهم قط على بال ولو لم يكن في إضحاكهم الا غيبتهم بذلك عن السخط على ربهم لكان في ذلك كفاية في طلب ذلك منا ومن كل عارف

ثم قال وثم حكمة أخرى أدق من هذه ، فقلت له ما هي ؟

فقال قوله تعالى وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكىفإن اضحك الناس لابنه العارفين على شهود تجليات الحق تعالى بالإضحاك والإبكاء فإنه تعالى ما ثم له ظهور تجل بذلك الا في هياكل خلقه إذ هو تعالى منزه عن الحركة والأجسام

فإذا رأى العارف بالله تعالى أحدنا وهو يضحك الناس ويبكيهم استدل بها على تجليات الحق تعالى .

ومن هنا جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم له من يضحكه وكان يكرمه غاية الإكرام لهذه الحكمة فقلت له قد رأيت منك شهود التجلي بالضحك فأين التجلي بالبكاء فقال لي انظر ثم قشر واحدا بالفرقلة فبكى وقال هذا التجلي بالبكاء وان لم يكفك ذلك فاذهب إلى بيت الوالي فهناك التجلي بالبكاء كثير فقلت

له فأنت إذا مع الله تعالى بقلبك في حال سخريتك فقال نعم هذا شأن كل عارف لا يحركه فعل شئ إلا إن رأى وجهه حكحمة الحق تعالى فيه فكل ليلة أخايل فيها هي ليلة عيدى انتهى .
فهكذا يا أخي فانظر إلى سائر ما في الوجود تجده كله عبرة والله عليم حكيم .

**25 - اخذ علينا العهود ان نقوم لحكامنا إذا وردوا علينا ونقبل أيديهم ولو جاروا كما نفعل ذلك مع علمائنا ولو لم يعملوا بعلمهم**

وذلك لان الله تعالى جعل لهؤلاء الحكام والعلماء السيادة علينا في دار الدنيا والذي ينظر إليهم ما ينظر إلى مثلنا حتى لو قلنا للناس اجعلونا في التعظيم كالأمير الفلاني والمحتسب سخروا بنا ونسبونا إلى الجنون ثم نرجو لهم من فضل الله تعالى ان يكونوا أكبر منا في دار الآخرة كذلك لقوله تعالى :وَلَلْآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا .
هذا أدبنا مع حكامنا في هذه الدار وسيعلمنا الله عز وجل ان شاء الله تعالى الآداب المناسبة للدار الآخرة إذا انتقلنا إليها .
واعلم يا اخى ان العارفين من شأنهم ان يظنوا في كل الناس الكمال لا سيما أكابر العلماء فربما أخلوا بواجب حقوقهم كعدم القيام لهم وعدم البشاشة في وجوههم فيظن بهم انهم فعلوا ذلك تكبرا وإنما ذلك لظنهم الكمال في العلماء لا يتشوشون ممن يخل بحقوقهم قياسا للعلماء على أنفسهم في عدم التشوش لو خطر للعارف ان له حق على أحد من خلق الله أو مقاما لخرج عن طريق القوم فإياك ان تظن بالعارفين سوءا فتخسر دينك

فإنهم رضى الله عنهم مبترئون عن أن يظنوا بعالم من علماء المسلمين ان يتغير لفقد حظ نفسه ويبوء مقعده من النار
كما ورد في الصحيح " من أحبّ ان يتمثل له الناس قياما . . . " الحديث ،
ومشهدي أنا الآن إذا لم أقم لعالم ظني فيه انه يكره القيام له فلا أدخل عليه شيئا يكرهه .
وكان انس بن مالك رضى الله عنه يقول : لم يكن أحد أحب الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنا لا نقوم له إذا مر بنا بما نعلم من كراهيته لذلك .
فعلم مما قررناه ان كل فقير لم يعظم الأكابر والأمراء فهل جاء عمل بمراتب هذه الدار لعدم سلوكه طريق العارفين ولو سلك لعلم وجوب إعطاء أهل المراتب حقوقهم .
وقد رأيت سيدي عليّا الخواص رضى الله عنه يقبل رجل ابن موسى محتسب مصر كان على أيام السلطان الغورى رحمه الله فاعترض عليه فقيه وقال كيف يليق بك وأنت تدعى الصلاح ان تقبل رجل الظالمين ،
فقال له الشيخ انما افعل معه ذلك بحق فان الخبز والبضائع إذا قلّت من السوق وجاع الناس يرسل مناديه فينادى للسوقة فيمطر السوق خبزا ولحما ودهنا وجبنا وغير ذلك فبالله يا فقيه هل تقدر أنت على ذلك ؟
فقال الفقيه لا فقال الشيخ أدبنا مع هؤلاء إنما هو أدب مع الله تعالى الذي ولاه التصريف في الوجود بالتولية والعزل والحل والربط وغير ذلك . انتهى .
وقد تقدم أول العهود ان من شرط الفقير أن يرى نفسه دون كل جليس ولو كان ذلك الجليس من أفسق الفاسقين فكيف بأكابر الناس فكل الناس عنده أهل فضل والتعظيم مستحب لأهل الفضل فافهم فتقبيلنا مواطئ أقدام

الأكابر من بعض حقوقهم الواجبة علينا لا تواضع منا لهم إذ لو شهدنا ذلك تواضعا منا لكنا أعظم كبرا منهم .
وقد حكى ان بعض الفقراء رأى سيدي عبد الله بن أبي جمرة المدفون بقرافة مصر رضى الله عنه وهو جالس على كرسي وعليه خلعة خضراء وجميع الأنبياء والمرسلين واقفون بين يديه غاضون أبصارهم فأشكل ذلك عليه فذكر الفقير الواقعة لبعض العارفين فقال لا إشكال لأن تعظيم الأنبياء ووقوفهم ليس لأجل من لبس الخلعة وانما هو لمن ألبسها وهو الله تعالى فزال ما كان عند الفقير فما رفع الله تعالى الأمراء والأكابر علينا إلا بحق والسلام .
فعلم أن من جهل الفقير ان يرى نفسه على أكابر الدولة ويمكنهم من التواضع له ومن الوقوف بين يديه وتقبيل يده لا سيما ان طلب هو منهم ذلك ولو بالتعريض فإن ذلك من قلب الموضوع والله اعلم .

**26 - اخذ علينا العهود ان لا نتصدى قط لتلقين المريدين الذكر وفي البلد من هو أحق منا بذلك لا سيما ان كان المريد أكبر منا سنّا أو شريفا**

كما سيأتي ايضاحه في العهد الآتي عقبه ان شاء الله تعالى فمن تصدى لما ذكر وفي البلد ممن هو اقدم منه هجرة واعرف منه بطريق الله عز وجل فقد خان الله ورسوله وإذا جاءنا مريد يطلب الطريق عرفناه مقام ذلك الشيخ ثم أرسلناه له فإن لم يقبل منا ذلك فهو دليل على عدم انتفاعه بنا فوجب طرده عنا ، ثم إذا وقع اننا علمنا مريدا لغيرنا أدبا من الآداب فمن الآداب ان ننوي بذلك التعليم النيابة عن ذلك الشيخ الذي هو أكبر منا سنا واعرف منا بطريق الله عز وجل.

واعلم يا اخى ان مقصود جميع الصادقين ان يكون شعار طريق القوم ظاهرا لا غير امتثالا لأمر الله عز وجل فواحد يكفى في تسليك جميع أهل مصر وضواحيها لأن الصادق من المريدين الذين يستحقون الترقي قليل والباقون زوالهم تخفيف من الله ورحمة بهم فان من لم يكن صادقا فلا يزداد بصحبة الأشياخ الا مقتا بإقامة الحجة عليه بما يسمعه منهم من المواعظ والآداب ولو كان بعيدا عنهم لكان له عذر يعتذر به وقد كانت الطرق عزيزة وكان أهلها أعز منها حتى كان يرحل إلى الأشياخ عن البلاد البعيدة .

وقد سمع سيدي الشيخ نور الدين الحسنى رحمه الله قائلا يقول تحت بيته : يا قفة شيوخ بخمسة نقرة يعنى بها خشب الشيوخ التي تسرح بها الكتان فتراك التلقين إلى أن مات وقال قد ألقى في سرى ان طريق الفقراء انطوت هان أهلها في عيون الخلق فعدم الخلق منهم النفع . انتهى .

وقد كان الأشياخ في الزمن الماضي يشمون المريد فان وجدوه قابلا للترقى صحبوه والا أعرضوا عنه رحمة به فلو فتش الصادق الآن ما وجد في مثل مصر أكثر من نحو ثلاثين نفسا يقبلون الترقي والباقون لا يقبلون ويكفى في نحو الثلاثين واحد يربيهم وان شككت في قول هذا فمر على فقراء الأشياخ الذين في زوايا عصرك وانظر أيهم يرضى ان يطلق زوجته ثلاثا أو يخرج عن جميع ماله طاعة لشيخه تعرف صدق ما أقول ، فلما رأى الأشياخ ان ترك الصدق قد غلب على الخلق استتروا رحمة بأنفسهم ، فإن حكم من يريد ان يجمع شمل الناس اليوم على طريق الله حكم من وقف يريد تقطير الحجاج حين يرجعون من السفر ويشرفون على رؤية بلادهم ودورهم فإن

الدنيا قد صارت كالمركب المشحونة التي أقبلت على البر وأرخت حبالها ورواجعها فافهم .
واعلم أنه لما تراجع الزمان إلى وراء وصارت مرتبة الشيخ الكامل عزيزة انفرد كل شيخ بجماعة ولو وقع اجتماع أمهات الطريق التي ينتهى إليها كل طريق
فنقول لكل سالك طريقك من هذا الطريق فلو قدر انه ذهب بعده إلى الف مسلك قالوا له كلهم طريقك من هذه الطريق التي اخبر عنها ذلك الكامل فإن ذهب إلى مسلك غيره وأوصله من طريق خلاف الطريق التي قالها الشيخ الكامل
تبين عدم كماله وانه علم جميع الطرق التي يصل منها ولكنه امر المريد بطريق من أحد طرقه فالكامل من يسلك الناس من طرقهم الخاصة بهم والسلام .
وحكى ان سيدي يوسف العجمي لما دخل مصر وصحبه سيدي حسن الششتري قالا لبعضها الطريق مبنية على التوحيد ولا يكون في كل عصر الا واحد والزائد انما هو متغلب على المراتب أو نائب لصاحب الوقت فإما أن تبرز أنت وإما أن أبرز أنا فقال سيدي حسن لسيدي يوسف أبرز أنت فبرز سيدي يوسف وصار سيدي حسن يخدمه إلى أن توفى فهكذا درج السلف الصالح فبهداهم اقتده والله غفور رحيم .

**27 - اخذ علينا العهود ان لا نأخذ العهد على شريف**
سواء كان من أولاد على ابن أبي طالب أو من أولاد عقيل أو من أولاد جعفر أو من أولاد العباس رضى الله عنهم فإن هؤلاء كلهم أشراف وتخصيص الشرف بأولاد فاطمة فقط اصطلاح عند أهل مصر خاصة كما نبه عليه الحافظ السيوطي في كتاب الخصائص

فأما أولاد فاطمة رضى الله عنهم فإنهم بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ينبغي لمسلم ان يدخل بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت أمره وتصريفه وخدمته كما يفعل بالمريدين من آحاد الناس ومن فعل ذلك من الفقراء فهو دليل على جهله بالواجب فضلا عن الآداب فإن الله تعالى جعل مرتبة الشرفا أعلى منا اختصاصا إلهيا لا بعمل عملوه ولا بخير قدموه بل سابق عناية من الله عز وجل لهم فنهاية ما يعل إليه المسلكون من درجات القرب المكتسبة دون درجات الشريف بيقين .

وتأمل أولاد الرجل وهم حوله في داره تجدهم أقرب من إخوان والدهم بيقين وحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاده هي حضرة الله عز وجل ولأقرب من تلك أبدا ولا يعادل بالولد صاحب إلا إن صرح والده بأن صاحبه أفضل من ولده وأحب اليه فافهم .

وقد قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أيما أحب إليك أنا أم فاطمة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فاطمة أحب إلى وأنت أعز عليّ منها فصرح صلى الله عليه وسلم بأن فاطمة أحب إليه من عليّ وأما كونه أعز فنحتاج إلى دليل هل هو أعلى من أحب أو دونه فتأمل ، فكل عارف يستحى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون له سيادة على أحد من ذريته ممن أخبرنا عنهم انهم بضعة منه .

واعلم يا اخى ان تعظيمنا للشريف الذي طعن في صحة شرفه أوجه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعظيم من صح نسبه لأن المحقق شرفه لا جميلة لاحد في تعظيمه بخلاف غير المحقق الشرف إذا عظمناه على الرائحة

فتأمل ، وقد أوضحنا الكلام على ذلك في كتاب فرائد القائد في علم العقائد فراجعه .
وأما أولاد على رضى الله عنه من غير فاطمة وأولاد جعفر وعقيل والعباس فإنهم فروع من شجرة نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فالأدب معهم عدم دخولهم تحت أمرنا أيضا وعدم تمكينهم من الأطراف بين أيدينا واستخدامهم ولو في حمل السجادة وملى الإبريق

وقد جاء مرة شريف لسيدي محيي الدين بن أبي أصبغ أحد أعيان الدولة العثمانية أسبغ الله عليه النعم يطلب منه أن يكون غلاما عنده يحمل غاشية فرسه ويمشى أمامه فقال له سيدي محيي الدين معاذ الله يا سيدي الشريف أن تكون عاملا عندي فقال الشريف خاطري بذلك طيب

فقال سيدي محيي الدين أنا أستحى منك ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرائى وأنت تمشى بين يدي وانا راكب . انتهى .

فأعجبني ذلك من سيدي محيي الدين وعلمت أن عند أكابر الدولة وأتباعهم من الأدب ما ليس عند غيرهم ، وتأمل شدة حيائهم من الله تعالى ومن الخلق في تضييق الأكمام حتى لا يظهر من أيديهم إلا ما لا بد منه .
وتأمل سراويلهم كيف يجعلونها سابلة على أقدامهم حياء أن يظهر من أرجلهم شئ بحضرة الناس وبعضهم يبالغ في الأدب فيلبس الخف فوق السراويل والطوق إلى أن تستر أعناقهم حتى لا يرى الكبير الذي هم في خدمته من أبدانهم أشياء ، فطريق الشيخ في تربية الشريف ان يعد نفسه خادما للشريف ثم بصير ينصحه بكلام جده صلى الله عليه وسلم فقط دون كلام غيره من العلماء مما تولد من أفهامهم والله عليم حكيم.

**28 - اخذ علينا العهود ان لا نأخذ العهد على مريد وعليه حق لآدمي من مال أو عرض ولو درهما واحدا أو كلمة واحدة**

ومن هنا شرطوا في صحة التوبة رد المظالم كلها إلى أهلها حتى يصح دخوله إلى حضرة الله عز وجل فإن حضرة الله محرم دخولها على من عليه تبعة لآدمي من مال أو عرض ولو في صلاته كما يشهد ذلك أرباب البصائر الذين يعرفون زيادتهم ونقصهم فإذا وجد الشخص منهم في قلبه خشوعا وحضورا فليعلم ان الله تعالى غفر له ذلك أو سامحه وإذا وجد في قلبه قساوة وشتاتا فليعلم ان تلك التبعة لم تغفر فطريق الشيخ إذا أراد أخذ العهد على من عليه تبعة ان يتوجه إلى الله تعالى في مسامحة أرباب الحقوق له أو يتوجه إلى الله تعالى ليرضى عنه خصماؤه يوم القيامة ولا يلقنه الذكر مثلا حتى تحصل عنده علامة استجابة الدعاء وله علامات لا تخفى على صادق ثم بعد ذلك يلقنه ولله عليم حكيم .

**29 - اخذ علينا العهود ان لا نغفل عن من لا يغفل عن ملاحظتنا من المريدين ونعرف ذلك منهم برؤية صورهم في مرآة قلبنا إقبالا وإدبارا فنعرف من هو متوجه بوجهه إلينا ومن هو مدبر بظهره وليس علينا ان نتبع مدبرا عنا لأن طريق الفقراء مبنية على العزة .**

واعلم يا اخى ان من أدبر عن ملاحظة شيخه فقد ادبر عن ملاحظة حضرة ربه عز وجل لأن شيخه سلم للترقى إلى حضرة ربه فإذا أدبر عن شيخه أدبر عن الترقي وتوجه إلى حضرة الشياطين ومثل هذا يكره الإقبال عليه إلا أن علم الشيخ من طريق كشفه أن له نصيبا في الطريق ، قال تعالى :فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنافافهم والله واسع عليم . انتهى.

**30 - اخذ علينا العهود ان تزور اخواننا قبل ان يزوروننا ولا نترك قط زيارتهم إلا لعذر ،**
ونذهب إلى زيارتهم ولو مشاة وحفاة ولا نتوقف على شئ نركبه أو تلبسه الا ان بعدت دارهم وكثر الوعر في طريقها وأنشدوا في ذلك :

**زر من هويت وإن شطت بك الدار * وحال من دونه حجب وأستار**
**لا يمنعك بعد عن زيارته * إن المحب لمن يهواه زوّار**

وقال محبوب ليلى :

**ولو قطعوا رجلي مشيت على العطى * وإن قطعوا الأخرى جنيت وقد جئت**
**ولر دفنونى تحت الغين قامة * تحلحلت من تحت التراب وقد جئت**
**ولو حرّقوا عظمى وذروه في الهوى * ورحت إلى دار المحب لقد جئت**

وقال أيضا :

**وكنت إذا ما جئت ليلى أزورها * أرى الأرض تطوى فيدنو بعيدها**

انتهى .
فامتحن نفسك يا اخى في عدم الزيارة إذا تعللت بشئ تركبه أو شئ تلبسه بما لو عين لك في الرواح اليه ألف دينار ذهبا تتوسع فيها فإن وجدت

النهضة إلى المشي إليه فأنت كاذب في العجز عن المشي وان لم نجد نهضة إلى الذهاب اليه وفوت الألف دينار فأنت عاجز صادق ومعلوم أن ثواب الزيارة أرجح من ألف دينار بيقين في ميزان العبد يوم القيامة .

وكان صلى الله عليه وسلم يزور مساكين المدينة وعجائزها تقربا إلى الله تعالى ، وكان كثيرا ما يزورهم حافيا ليس عليه إلا إزار واحد وهذا أمر قد أغفله بعض أصحاب الناموس من مشايخ الأمراء والأكابر فتركوا المشي إلى إخوانهم من الفقراء ضخامة .
وقد قلت مرة لواحد منهم لم لا تزور إخوانك ؟

فقال انما تركت ذلك خوفا أن تتفرق تلامذتنا منا ويظنون اننا لولا انا دون المزور ما زرناه وهذا جهل بالشريعة فإن في الحديث " من تواضع لله رفعه الله " وسبب محبتي لأخي الصالح الشيخ إبراهيم الذاكر وترجيحى له في المحبة على بقية الإخوان انه بدأني بالزيارة
فلما دخل قال لي بصريح لفظه بحضرة مريديه واخوانه ، وكانوا جمعا كبيرا : والله أود لو كنت من أحد الفقراء عندك ،
فقلت له أستغفر الله فإن القاعدة ان الصغير هو الذي يبدأ الكبير بالزيارة وأنت أكبر منى يقينا وسنّا وقدرا ،
فقال على الفور من غير تمهل : فالحمد لله الذي ما أخطأنا القاعدة شيئا وجعل نفسه هو الصغير فعلمت بذلك عدم وجود حجاب النفس عنده فإن صاحب النفس لا يسمح بهذا القول بحضرة تلامذته من غير تورية أبدا فالله تعالى يكثر في الفقراء من أمثاله آمين آمين آمين .
ومن وصية سيدي على الخواص رحمه الله تعالى : إياك أن تمكن أحدا

من الأكابر يزورك فإن جميع ما معك من المدد لا يجئ حق طريقه بل ولا خطوة واحدة فقلت له : من الأكابر ؟
فقال العلماء والأمراء والتجار والمحتسب ومقدم الوالي وصاحب الديوان ونحوهم ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أكرموا كريم كل قوم ، ومن إكرام هؤلاء زيارتهم وبداءتهم بها فاعلم ذلك .

**31 - اخذ علينا العهود ان لا نحتجب عن حاجة أحد من خلق الله عز وجل بعد ان نصرنا في البلد واشتهر لنا اسم فيها عند الناس إلا من عذر أو غلبة حال يشق معه مخالطة الخلق ،**
ومصداق ذلك عدم خروج الشخص للجمعة أو الجماعة ومثل هذا لا يكلف بالالتفات للخلق والقيام بواجب الإقبال عليهم وكل فقير آمين على ذلك ولا يكذبه ويحمله على الكبر إلا أحمق جاهل بأحوال الفقراء فإنه ربما يرد على الفقير في هذا الزمان أمور يتمنى الموت دونها فلا يجاب لا سيما حملات أكابر الدولة والدخول تحتها فإن تحويل الجبل بتوجه الفقير أهون عليه من تحويل قلوب الملوك والوزراء لما هم عليه من كمال العقل والثروة في الأمور ولا كذلك الجبل فإن كان ولا بد لك من محبة الاحتجاب عن الناس فقل اللهم أطف اسمى من الوجود حتى لا يصير أحد يعرفني فإن لم تطف اسمى فلا تكلني إلى نفسي ومهد لي البلاد والعباد ونفذ كلمتي في الخير يا أرحم الراحمين فإن الله تعالى يفعل لك ذلك والله أعظم من أن يغش عبدا فوض أمره اليه واما من احتجب بحصول حظ دنيوي كأصحاب الأسماء والرياضيات فذلك من أقبح الأمور كما سيأتي بسطه في العهود ان شاء الله تعالى فإن ادعى من احتجب من

الفقراء انه انما احتجب لكون الناس يشغلوه عن ربه عز وجل ، قلنا له فأنت إذن ناقص فاطلب لك شيخا يكلمك حتى يبغك إلى حد لا يشغلك الخلق عن ربك .
ومن إملاء سيدي عبد القادر الدشطوطى رضى الله عنه للفقير يقول الله عز وجل يا عبدي لو سقت إليك ذخاير الكونين فنظرت بقلبك إليها طرفة عين فأنت مشغول عنا لا بنا ومعرض عنا مقبل على غيرنا . انتهى .
فإن لم يتيسر لك يا اخى الدخول تحت يدي من يربيك ولا أن تعتزل عن الناس فاجعل النهار للخلق والليل للحق تبارك وتعالى وإياك والنوم في الليل تحرم فائدة العمر وتصير لا أنت في النهار مع الخلق ولا أنت في الليل مع الحق ، فاعلم ذلك ولازم الذل وعدم الناموس فإن الناموس إنما يليق بالملوك بشروط وأما الفقراء فقد كنسوا بأرواحهم المزابل والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

**32 - اخذ علينا العهود لا ننام قط على جنابة**
ونأمر أصحابنا بذلك فلا يجامعوا إلا آخر الليل عند استيقاظهم أو في النهار وذلك لأن من نام على جنابة فقد رضى لنفسه أن يكون مقرونا بجيفة الكافر والكلب كما ورد في الصحيح " لا تدخل الملائكة بيقا فيه كلب ولا جنب ولا جيفة كافر " وإنما قرن الجنب بالكلب وجيفة الكافر في صفة تباعد الملائكة منه وقرب الشياطين فإنه ما ثم إلا حضرتان متى خرج من أحديهما دخل في الأخرى ، فاعلم ذلك ولا تنظر إلى نومه صلى الله عليه وسلم في بعض الأحيان على جنابة لأنه صلى الله عليه وسلم كان مشرعا فكان يتنزل توسعة على أمته ولو وقف صلى الله عليه وسلم في مقامه الذي هو عليه مع ربه عز

وجل لم يقدر أحد أن يتبعه عليه ، وأيضا فإن الملائكة لم تكن تتباعد في حال من الأحوال فجنابته إنما هي في الصورة لا في المعنى ، وأما امتناع جبريل عليه السلام من الدخول في قصة جرو الحسن والحسين فذلك لأجل الجرو لا لعلة أخرى ، فإن لم تقدر يا اخى على الغسل فتوضأ فإن لم تتوضأ فتيتم فإن تيممت فاستغفر ثم نم .
وقد ورد أن الجنب إذا توضأ تقاربت منه الملائكة وذلك لأنها طهارة صغرى على كل حال ، والله اعلم .

**33- اخذ علينا العهود ان لا ننام قط في ساعة من ليل أو نهار الا غلبة وعلى وضوء وان لا يمد أحدنا رجله عند النوم إلا بعد قوله دستور يا الله**
كما كان صلى الله عليه وسلم يفعل في أغلب أوقاته وكان لا يمنعه النوم تقبيل نساخه فكان يقبلهن ولا يحدث طهارة قبل نومه توسعة لأمته ثم إن الطهارة تتأكد عليك يا اخى إذا تعاطيت ناقضا مجمعا عليه عند الأئمة كالبول والغائط ويحق عليك التأكيد إذا فعلت ناقضا مختلفا فيه كالفصد ومس الذكر والقهقهة ونحو ذلك والسر في الطهارة المذكورة أن الروح إذا فارقت البدن وهي طاهرة يؤذن لها بالسجود بين يدي الله عز وجل وإذا فارقته وهي محدثة لا يؤذن لها ، فاعلم ذلك والله أعلم .

**34 -** وكذلك **اخذ علينا العهود ان لا ننام قط الا على طهارة باطنة**
وهي آكد من طهارة الظاهر لإجماع جميع الملل كلها على وجوبها دون طهارة الظاهر فإنها إنما كانت واجبة على أنبياء بني إسرائيل دون أممهم فافهم ، وإياك ان تتساهل فتنام على شك في دين الله أو غل أو حقد أو غش أو مكر أو خديعة

فربما طلعت الروح وأحدنا متطلخ بتلك الصفات الحسية والأحوال الخبيثة فلا تمكن من السجود في حضرة الله عز وجل نظير ما ورد فيمن نام على حدث فافهم ذلك واعمل عليه فإنه نفيس .
واعلم أن أعظم منجسات الباطن حب الدنيا كما أشار إليه خبر : حب الدنيا رأس كل خطيئة ، كما مر بسطه أوائل هذه العهود ، ومن مات على محبة الدنيا حشر مع مبغوض لم ينظر الله تعالى إليه منذ خلقه كما أشار إليه قوله صلى الله عليه وسلم يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل نسال الله اللطف فاعلم ذلك .

**35 - اخذ علينا العهود ان لا ننام قط في الثلث الأخير ولا في ليلة الجمعة ولا في ليلة النصف من شعبان ولا في العشر الأواخر من رمضان ولا نتحدث في هذه الليالي والأوقات لغوا مع أحد**
ولا نجهر في الثلث الأخير بتلاوة ولا ذكر كما هي حضرة الملوك إلا إن كنا محجوبين عن شهود صاحب الحضرة أو معلمين غيرنا أو في ورد عام بحضرة أخلاط من الناس فنوافقهم حتى ينتظم شمهلم فإذا انتظم شملهم سكتنا ،

قال تعالى :وَخَشَعَتِ الْأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً وفي الحديث " ينزل ربنا إلى سماء دنيا كل ليلة إذا بقي من الليل الثلث إلا في ليلة الجمعة فإنه تعالى ينزل فيها من غروب الشمس إلى فراغ الإمام من صلاة الصبح " وإلى ما ذكرناه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لي وقت لا يسعى فيه غير ربى ثم الذي ينبغي وقت مناجاة الحق من الدعاء أن يكون في أمور الآخرة ومصالح المسلمين العامة ولا يسأل لنفسه حاجة إلا بعد فراغه في حوائج الناس هكذا شأن أصحاب الفتوة وان

وجد تقريبا وإذنا فليستغفر لجميع عصاة المذنبين السابقين واللاحقين إلى يوم الدين ثم لا ينصرف حتى يرى أثر الإجابة ولها علامات يعرفها أصحاب هذا المقام بل قال لي بعض المتمردين من العيّاق أنا أعرف إن كان الله غفر لي أو لا ، فقلت بم تعرف ذلك ؟

فقال ما عصيته قط إلا وقلت له أنا في حسبك والحق لك لا لخلقك فلا تدفعني إلى غيرك وفي بعض الأوقات أقول على الطلاق تغفر لي وحاشى جوده وكرمه ان أقول له انا في حسبك ويؤاخذنى وحاشاه ان يحنثنى في زوجتي ولا يغفر لي حتى أعيش في الحرام ولو أنى قلت ذلك لأبى زيد الهلالي لأبر قسمي .

وقال مرة : لو أن الله عز وجل عفا عن جميع الأولين والآخرين لم يكن ذلك بكبير عندي فقلت له لم ذا ؟

فقال لأن غاية الأمر انه صفح عن لقمة طين . انتهى .

فإياك يا اخى والنوم في هذه الأوقات التي ذكرناها فيفوتك خير الدنيا والآخرة وتصبح تعبان القلب في الجسد موكول إلى نفسك لا أحد أتعب قلبا منك ولو كنت قمت في الاسحار فسألت حاجتك لأصبح كل شئ تحتاج إليه من أمور الدنيا والآخرة مهيئا مفروغا منه لأن هذه الأوقات أوقات مواكب للحق ومن نام إلى الفجر فحكمه حكم من طلع إلى ديوان السلطان بعد انقضاء الموكب فلا تقضى له حاجة ذلك اليوم ، ومن هنا كان الفقراء في راحة من أمور الدنيا قد سخر الحق لهم الوجود فافهم والله غفور رحيم .

**36 - اخذ علينا العهود ان لا ننام كل ليلة ولا نصبح حتى نساعد أصحاب النوبة من الأولياء في حفظ إدراكهم في سائر أقاليم الأرض**

**فلا نمسى ولا نصبح حتى نمر بعهدنا القلبي على جميع أقاليم الدنيا العامرة والبحار المحيطة ونحن نذكر الاسم الأعظم الله الله الله حتى نفرغ ولا يستبعد أحد من الناس مرورنا على جميع مداين الدنيا وبلادها وقفارها وزروعها وأنهارها وبحارها لأننا ننظرها كما ينظر الانسان البلاد الكثيرة في المرآة الصغيرة**

فالمراد على صحة البصر القلبي لا غير ، ومن استبعد أن الله تعالى يقدرنا على ذلك فلا يستبعد عليه أن يشك في صحة الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات العلى فيكفر فإنه صلى الله عليه وسلم قطع به مسافات لا يقطعها الطائر المجد في ألوف من السنين .

وصورة طوافى كل ليلة أنني أقرأ الفاتحة سبع مرات ثم أقول اللهم اجعل نظير ثواب ما قرأته مكتوبا بقلم القدرة في صحائف أصحاب النوبة بناحية مصر وسائر أقطار الأرض

ثم أقول بقلبي دستور يا أصحاب النوبة في مساعدتكم في حفظ إدراككم .

ثم قول بسم الله الرحمن الرحيم الله الله وأصبعي مرفوعة أشير بها إلى الأماكن والبيوت والدكاكين والخانات وغيرها فابدأ بمصر العتيقة فامر عليها زقاقا زقاقا حتى أستوعبها ثم ادخل القاهرة زقاقا زقاقا من قبر السيدة نفيسة إلى زاوية الشيخ دمرداش من المشرق ثم أشرع في طواف القرى والبلاد من بركة الحاج إلى دمياط أحوط على دورها وزروعها .

ثم أرجع إلى ساحل بحر النيل إلى ساحل مصر .

ثم أرجع أبدا من فم البحر الغربى إلى تجاه دمياط من بر السنانية.

ثم أعطف على البرلس وأدور على البلاد بلدا بلدا إلى أن أرجع إلى فم البحر الغربى .
ثم أبدأ باسكندرية وأنا مقبل بلدا بلدا حتى أصل إلى أهرام الجيزة .

ثم أبدأ مقبلا من مصر إلى الصعيد فأحوطها بلدا بلدا إلى بلاد النوبة إلى بلاد السودان إلى بلاد الجبروت إلى بلاد الحبشة إلى بلاد الصين إلى بلاد السند إلى بلاد الهند إلى بلاد اليمن إلى أن أدخل مكة المشرفة فأحوطها سبعا وأطوف بالبيت سبعا ثم أخرج من باب المعلا في الدرب السلطاني إلى بلاد الينبع .

ثم أعطف على بدر والجديدة والصفرا إلى أن أدخل المدينة المشرفة فأزور قبر سيد المرسلين ثم أبى بكر ثم عمر رضى الله عنهما ثم أخرج إلى البقيع فأزور ثم أبدأ مشرقا من بلاد غزة إلى بلاد القدس والخليل إلى بلاد الشام إلى بلاد حلب إلى بلاد العجم إلى سد يأجوج ومأجوج ثم أعطف على ساحل بحر التركية إلى دمياط .

ثم أعدى بحر التركية إلى بلاد بحر الروم بلدا بلدا إلى أن أرجع إلى جزيرة رودس .
ثم أعدى إلى الغرب فأدور عليها بلدا بلدا حتى أعطف على مدينة سبتة .

ثم أعطف على ساحل البحر المحيط حتى أرجع إلى مدينة إسكندرية فأختم بها هكذا حكم واردى على من سنة أحد وأربعين وتسعمائة فلا بد أنى أمر على هذه الأقاليم وعلى قبور أهلها كل ليلة فأدخل على جميع المسلمين الرحمة الأحياء والأموات ، وظهر لي صدق ما تمثل لقلبى مرات ورأيت

شخصا من بلاد الحبش بمصر خبرته بصفة دراهم ودور جيرانهم ببلاد الحبش وأخبرته بشجرة نبق في دار جاره وأخبرته بالكنيسة الكبيرة التي في آخر زقاق في حاراتهم فصدقني عليها ، وقال للحاضرين هذا كاهن ، والكاهن بلسان الحبش هو الصالح .

وكذلك أخبرت خادم السيد شعيب نبي الله بصفة القبر وشجرة الليمون التي تجاه قبره فصدقني .
وكان أول واردى أنني رأيت نفسي في محفة طائرة في الهوى كالبرق الخاطف وكانت المحفة تطوف بي على قبر كل ولى بأرض مصر من فوق قبورهم إلا قبر سيدي احمد البدوي وسيدي إبراهيم الدسوقي فإن المحفة تواطت بي حتى مررت من تحت عتبة ضريحهما .

ثم صعدت هكذا وقع ولم أطلع إلى الآن على حكمة ذلك .

واعلم يا اخى انك لا تقدر على العمل بهذا العهد إلا بعد جلاء مرآة قلبك من الصد المتولد من محبة الدنيا وشهواتها وبعد تجريد روحك عن جسدك إلى عالم الإطلاق فإن أردت العمل بها فاعمل على الجلاء بإشارة شيخ صادق يحيط بهذه الأقاليم كلها ويشهدها جميعها منطبعة في مرآة قلبك وتمر على جميعها في أقل من درجة رمل كما يقع لي ذلك عند ضيق الوقت والله على كل شئ قدير .

**37 - اخذ علينا العهود ان نشارك جميع أهل الأرض في جميع همومهم ونرى جميع ما نزل عليهم من البلاء بسببنا لا بسببهم**
حتى لا تغرب الشمس علينا كل يوم الا وجسم أحدنا ذائب كالذي شرب قنطارا من السم ونغض بالموت

مرات في الليل والنهار ونطلب الموت فلا نجاب ودليلنا فيما ذكر قوله صلى الله عليه وسلم " المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له جميع البدن بالحمى والسهر . "

فانظر يا اخى هذا الميزان الذي جعله الشارع صلى الله عليه وسلم محكّا لكمال الإيمان تعرف مرتبة إيمانك كثرة وقلة فإنه حكم عليك ان كنت مؤمنا بمشاركة كل مريض في ألمه وبمشاركة كل معاقب في بيت الوالي بمقارع وكسارات وقطع الأيدي والخورقة والعصر ودق البوص بين الظفر واللحم وغير ذلك ومن هو كذلك فهو معذور فيما يقع منه في بعض الأوقات من أطراقه والتعبيس في وجوه الداخلين عليه لأنه يغص بالموت ويحس بجميع الآلام التي يتألم منها الضعفاء والمعاقبون ولولا ان الله تعالى يمن على أحدنا بالغفلة والنوم في بعض الأوقات لم يبق لنا أثر .

ومن أمارة ذلك ان أحدنا يكون جالسا صحيحا فيرد عليه وارد فيصير كأن له شهرا مريضا فيفارقه الشخص على هذا الحال ويرجع يجده صحيحا ليس به ألم وذلك لأن المعاقب الذي يشاركه مثلا فرغت عقوبته فافهم .

ولما حضرت الشيخ عبد الرحمن المجذوب الوفاة ثقل عليه المرض العشاء إلى قريب الظهر فاحسست بدق عظامي ولم أزل كذلك حتى طلعت روحه فزال ذلك عنى كلمح البصر وذلك للمرابطة التي كانت بيني وبينه رضى الله عنه

فأثر حاله في بدني من حيث لم أشعر أنا بمرضه وهذا الحال لم يزل بي منذ صار لي اسما بين الإخوان في مصر وقراها فلا أخلو من دق عظامي إلا في النار بحسب من يتوجه إليّ من الإخوان في حال المرض والشدائد فلا حول

ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ولا أعلم إلا أن أحدا من إخواني المشهورين بالصلاح أكثر تحملا لهموم المسلمين من سيدي واخى الشيخ أبى العباس الحريتى أحد أعيان أصحاب سيدي علي بن خليل المرصفي رضى الله عنه فإن كثرة هموم الناس أنحلته حتى صار بدنه كالشن اليابس فالله يكثر في الفقراء من أمثاله آمين .

**38 - خذ علينا العهود ان نداوى كل طائفة رأينا بينهم العداوة والبغضاء وعجزنا عن الصلح بينهم**

ونقول لكل طائفة إنا معكم ومن عصبتكم لكن لا نقول انما نحن مستهزئون وهذا معدود من المداراة التي أمرنا الشارع بها وهو من النفاق المحمود لأن المنافقين ما وقع عليهم الذم الا من جهة قولهم إنما نحن مستهزئون فقط لا من جهة قولهم إنا معكم ولو أنهم كانوا اقتصروا على قولهم لكل فريق إنا معكم لم يقع عليهم ذم وتأمل لما رد الله عليهم لم يقابلهم إلا بنظير الاستهزاء فقط في قوله الله يستهزئ بهم ، فافهم ذلك فإنه من لباب المعرفة .

واحذر يا أخي أن تظهر أنك مع فريق منهم دون الآخر ولو أن معه الحق فإنك تصير عدوّا كمن جعلت نفسك من خربه ثم لا تقدر بعد ذلك على أن تكون واسطة بينهم في الصلح فيحتاج الأمر لثالث .

يصلح بينكما كما سيأتي ايضاحه في هذه العهود .

واحذر أيضا أن تبغض أحدا من خلق الله بهوى نفسك وتزعم أن ذلك لله عز وجل بل فتش نفسك فإن علامة البغض لله ان لا تبغض الا صفاته لا ذاته ومتى رأيت ذاته فتكدرت من رؤيتها فأنت في هوى نفسك ومتى أحببت

ذاته وكرهت صفاته فبغضك لله عز وجل فإن طينة بني آدم واحدة وما افترق الناس إلا بالصفات ولولا صفات إبليس ما كرهناه ولولا صفات الأولياء ما أحببناهم .
فاعرض يا اخى ما ظهر من أعمال ذلك الرجل الذي كرهته على الكتاب والسنة فإذا كانت أعماله محمودة فيهما فأحببه وإن كانت مذمومة فيهما فابغضه كيلا تحبه بهواك وتبغضه بهواك .

وسمعت شيخنا رضى الله عنه يقول المنصوص على دسائس النفوس ان يهجر المتشاحنين تخلقا بأخلاق الله عز وجل في قوله دعوا هذين حتى يصطلحا فإن أعمالهما ما ردت إلا لتخلقها بأخلاق قبضة أهل الشقاء وأهل الشقاء حبطت أعمالهم ، إذا علمت ذلك فمن الأدب إذا وقع صفاء وزالت الشحناء ان تعيد جميع الفرائض والنوافل التي فعلتها أيام العداوة والبغضاء وهذا أمر سنيته لك بحكم الإرث للشارع صلى الله عليه وسلم ولم أجده لغيرى فاعمل عليه تحمد عاقبته .

ثم اعلم يا اخى ان من أقبح ما يكون بغض العلماء وحقدهم على بعضهم بعضا مع علمهم بأن المتشاحن لا يرفع له عمل إلى السماء ومع علمهم بأن ذلك الشخص الذي بغضوه يحب الله ورسوله ويقول لا إله الله محمد رسول الله وكذلك من أقبح ما يكون بغض الفقراء لأقرانهم أو غيرهم حتى أن مرض أخوهم لا يعودونه وان رجع من سفر لا يسلمون عليه وان مات لا يشهدون له جنازة وربما يقول بعض الناس الشيخ الفلاني ما حضر للجنازة فيقول الناس ما تعرفوا انه كان يكرهه وأصل هذا البغض من

التصدر قبل الكمال فكل فقير بغض أحدا من المسلمين فهو دليل على نقصه هو .
وقد شاهدنا جملة جنائز لجماعة من أولياء مصر لم يحضرها غالب أقرانهم سيدي محمد بن عنان وسيدي تاج الدين الذاكر وسيدي أبو السعود الجارحى وسيدي محمد السروي .
وسيدي على المرصفي وسيدي عبد القادر الدشطوطى .
وكذلك بلغنا عن جنازة جماعة من الشاذلية منهم الشيخ أبو المواهب وسيدي إبراهيم تلميذه وسيدي احمد زرّوق وسيدي عبد الرحيم الإبناسى فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وأعجب من هؤلاء كلهم الطائفة المغرمون بكثرة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المجالس التي أنشأها الشيخ نور الدين الشونى المدفون بمصر رضى الله عنه فيشتد تحريم كراهة بعضهم لبعض إذ كل واحد منهم مكثر للصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعى انه يحبه أشد من محبة سائر الناس فكيف يدعى أحدهم ذلك ويعادى من يكثر الصلاة على حبيبهم ويبغضه .

ولو أنهم صدقوا فيما يدعونه من المحبة لأحبوا كل مسلم على وجه الأرض وعظموه ووقروه إكراما لمن هم من أمته صلى الله عليه وسلم ولكن أصل هذا الداء من محبة الطبع لا من محبة الشرع لأن من أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم امتثالا لأمر الله أحب كل من أحب رسول الله ومن أحب رسول الله بمحبة طبع كره كل من زاحمه على محبته والحق تعالى إنما جعل الثواب في نظير امتثال الشرع لا الطبع.

فعلم أنه لا ثواب في محبة الطبع أبدا لأن صاحبها في حضرة الشياطين مع أن المصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام الواسطة بين الله وبين رسوله وتلك حضرة قرب لا تليق إلا بأكمل المقربين لأنها في وسط قاب قوسين ، فافهم والله غفور رحيم .

**39 - اخذ علينا العهود ان لا نرى نفوسنا قط قامت بذرة واحدة من واجب حقوق الله عز وجل**

ومن أين لنا أن ندعى ذلك ونحن نشهد ان الله تعالى خالق لجميع اعمالنا بنور الإيمان وسر الإيقان وقولنا نحن مقصرون انما هو تملق لله عز وجل واظهار لفاقتنا وضعفنا لكونه طلب ذلك منا في هذه الدار فلا حقيقة للتقصير لأنا لسنا بخالقين وانما هو مجاز لكوننا مكتسبين
وقد أضاف تعالى الأعمال إلينا فنقبلها مع علمنا بما تحت ذلك ولولا ان الحق تعالى أحب منا الاعتراف بالتقصير لكان شهودنا عدم التقصير أفضل لأن ذلك مائل إلى التوحيد الذي هو الأساس فالجبرية أقرب إلى الحق من المعتزلة ، والأشاعرة أقرب إلى الحق من الجبرية .

والمحققون حازوا الشرف كله لأنهم يشهدون الأعمال لله أصالة ثم يضيفونها إلى الخلق مجازا لا شركة فيه ، ولو قدر أنهم اعتمدوا على اعمالهم فليس ذلك بحجاب عندهم لأنهم ما اعتمدوا عليها إلا لشهودهم أن الله هو فاعلها فما اعتمدوا حقيقة إلا على الله تعالى وذلك حينئذ معدود من جملة النعم وأما بنعمة ربك فحدث .

ومن كلام الشيخ تاج الدين بن عطا الله الشاذلي : من نعمته عليك ان خلق وأضاف فيه إليك . انتهى . والخلق هو الإيجاد وليس لعبد مدخل قط

في الإيجاد لأن ذاته نفسها مخلوقة فكيف تخلق ولا تتحرك إلا إن حركت فكيف تفعل فافهم .

فعلم أن كل من شهد له شركة في الفعل يزيد بها وينقص فقد أشرك بالله عز وجل إذ هي كلها لله عز وجل لا يمكن العبد أن يزيد فيها ولا ينقص وما طلب الحق تعالى منا قط خلق الاعمال وإنما قال اعملوا ما أنا خالقه وحدى لا غير فأين التقصير الذي يدعيه المقصر .

واعلم أن كل عارف يشهد اعضاه كالأبواب التي يخرج منها الناس فليس الناس الخارجون متولدين من ذلك الباب ولكن لما كانت الاعمال لا تظهر صورتها إلا في الجسم لكونها اعراضا أضيفت إلى جسمنا إضافة محققة مشهودة لكل مؤمن ولولا ذلك الشهود ما قال اللهم تقبلها منى ولا طلب عليها ثوابا قط فافهم .

فالعارف في مقام الإحسان وغير العارف في مقام الايمان أو الإسلام فإذا قال العارف إياك نعبد وإياك نستعين مثلا لا يقول ذلك إلا على وجه التلاوة فقط لا على وجه ان له شركة في الفعل مع الله عز وجل .

وتأمل قوله تعالى :إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ َواعبر من ظاهرها إلى باطنها تعرف ان التقوى خاصة بمرتبة المؤمن لا العارف

ولذلك قال تعالى :يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ َفالمحسن لا يقول قط اللهم تقبل منى لأنه لا يشهد له في تلك الحضرة شيئا حتى يتقبل إذ الامر كله في تلك الحضرة لله فتقوى المحسن أنه لا يشهد له أمرا ولا عملا ومتى شهد ذلك أشرك ، وتقوى المؤمن الحقيقية ان يخرج من شهود أن له مدخلا في الأفعال حتى

يلحق بدرجة المحسن ويرتفع عنه الحجاب لأنه ما سمى مؤمنا إلا لحجابه ولو ارتفع سمى مشاهدا لا مؤمنا فالمؤمن لما وقف مع ظاهر نسبة الأعمال إليه شهد نفسه مشاركا لله في الأعمال فسأله قبولها وسأله الإعانة عليها كما يتعاون الاثنان على فعل شئ وإجابة الحق تعالى وتقبل منه تفضلا منه تعالى ورحمة وعذره في ذلك لحجابه وإلا فإذا كان العبد لا يتحرك إلا إن حرك فكيف يصح انفراده بفعل وإذا كانت الحركات والسكنات والأجسام الظاهرة منها ذلك لم تخرج قط عن ملك الحق فكيف يصح إهداؤها إليه والهداية لا تكون إلا من شخص يأتيك بشئ من غير خزائنك وأما إذا أخذ من خزائنك شيئا وأنت تنظر ثم غطاه في طبق وأهداه إليك فهو متلاعب وهو إلى العقوبة أقرب من الثواب والاكرام فافهم ،

ومن أقوى علامات غلظ حجاب المؤمن كثرة ندمه إذا وقع في معصية فلو رق حجابه لقل ندمه كما أشار إليه خبر " المؤمن يرى ذنوبه كأنه تحت جبل يخاف وقوعه عليه والفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على وجهه فقال بيده هكذا فنشه عن وجهه " إذ المراد هنا بالفاجر على لسان أهل الباطن من انفجر حجابه حتى شهد الحق اليقين لا الذي يتهاون بمعاصى الله عز وجل لأن ذلك الجناب محترم لا يصح انتهاكه من أحد قط .
فعلم أنه كلما شهد العبد نسبته وشركته في العمل أكثر كان الندم عنده أكثر ولكن ما دام في رتبة الحجاب فالندم مشكور لأنه يرقيه إلى رتبة الإحسان .
ولا يصح أن يرقيه الحق تعالى إليها الا ان عظم أوامره ونواهيه وندم

وحزن على مخالفاته فإذا ترقى لمرتبة الاحسان قل نومه وحزنه ويعلم أن الافعال لله بالحكمة وان ذلك الواقع كان أكمل في حقه ليشهده حضرات أسمائه ويتخلق بها ذوقا لا علما ويعلم أن الله تعالى أشفق على عبيده من نفسه
فاحتقر جميع الذنوب في جانب عفو الله عز وجل وحينئذ تسميتها ذنوبا لأن ذنب كل شئ متأخر عن رأسه والحكم للرزس لا للذنب والرأس كون الفعل لله لا للعبد فإياك أن تأمر المؤمن بما تأمر به المحسن من عدم الندم فإن ذلك يرده إلى أسفل ومن تحقق برتية الاحسان لم يفرح بكثرة إبراز الأعمال الصالحة على يديه ولم يحزن لفواتها لشهوده ان الفاعل فيها كلها هو الله وحده وبتقدير شهود العبد انها له فقد ورد " أنه لا يدخل الجنة أحد بعمله ، قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟

قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته " ومعلوم ان أحدا لا يفرح قط بعمل إلا أن شهده له ومن تحقق برتبة الاحسان أيضا صار يشكر الله عز وجل على نومه عن كل طاعة كما يشكره إذا عمل كل طاعة على حد سواء ويقول الحمد لله الذي نومنى الليل كله وأراحنى من مشقة التكاليف ثم لا بد له من الاستغفار .

ولكونه من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا والكامل من نظر بالعينين ، والسلام والله أعلم .

**40 - اخذ علينا العهود ان نزجر كل من مدحنا بشعر أو نثر في ملأ كان المدح أو خلا لكنه في الملأ أقبح**
وذلك هروبا من مشاركة ربنا في صورة الحمد والمدح فإنه تعالى هو الحقيق بالرتبة دون عبيده فلا يجوز لعبد ان يزاحم صفات الحق تعالى ويرضى لنفسه بالمدح وكل من قال أنا لا أتغير بمدح

الناس بي فهو جاهل بما قلناه وليمتحن نفسه عند الذم فيه فإن لم يتغير إذا هجوه وذموه فهو صادق ولو لم يكن في إصغائنا لمدحنا الا أنه يعمينا عن شهود مساوينا حال سماعه فقط لكان فيه كفاية في الزجر عنه فإياك ان تغير بقول الناس العارف لا يغيره شئ كما يقع ذلك كثيرا ممن يظن فيك انك من العارفين لأنه عدو في صورة صديق وأن لنا الوصول إلى مراتب العارفين واحدنا غارق في شهوات بطنه وفرجه وجاهه وصيته ليلا ونهارا .

وقد قال العارفون : أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لما ظنه الناس فيه .
ومن كلام سيدي أحمد بن الرفاعي رحمه الله تعالى : من لم يتهم خواطره وأحواله في كل نفس لا يثبت له اسم في ديوان الرجال وكم طيرت طقطقة النعام حول الرجال من رأس وكم أذهبت من دين فإياك ثم إياك .

ومن وصية اخى أفضل الدين رحمه الله تعالى : إياك ومعاشرة من لعيوبك يستر ولنفسك يمدح ولقولك يسمع ولعملك يظهر وينشر فإنه من أكبر الأعداء لكونه يصيبك في باطنك من حيث لا تشعر فتهلك .

وسمعت سيدي عليّا الخواص رحمه الله تعالى يقول : خصلة واحدة إذا شهدها العبد في نفسه صار وراء الناس كلهم فقلت له ما هي ؟
فقال شهوده في نفسه انه قدام الناس في العلم والفضل .
وسمعته رضى الله عنه يقول : كل فقير أصغى إلى من يمدحه ومال اليه بقلبه فهو مرائ والله اعلم .

**41 - اخذ علينا العهود ان لا نصادم بأنفسنا قط أحدا في حال قيام نفسه لا**

**سيما المجادل في العلم بغير علم فإن مصادمتنا تضرنا وتضره فيجب علينا الصبر عليه حتى ترق نفسه ويزول غضبه**
ويجب علينا أن نكلمه برفق ورحمة ونعذره في الغضب بما نعذر به نفوسنا إذا غضبنا ولا ينبغي لنا ان نطلب منه الرجوع قهرا إلى قولنا فإنه لا يمكنه ، ومن حالك اعذر أخاك فكما انك لا تقدر على الرجوع إلى قوله بما زين لك في نفسك فكذلك الآخرة .

واعلم يا اخى انك ومن جادلته تحت سلطان الاسم القاهر لكما فلا يمكن أحد كمال الرجوع حتى ينقضى سلطان الاسم القاهر له .

وتأمل أكبر ملوك الدنيا كيف يؤثر فيه الغضب من زقل غلمانه وخدمه ويصير يقوم ويقعد وكثيرا ما يقتل ذلك الغلام أو يحبسه تنفيسا وتشفيا لنفسه ولولا ذلك لهلك من القهر ، فإذا كان السلطان في حال حكمه محكوما عليه كذلك فكيف بغيره فتأمل ذلك فإنه نفيس .

**42 - اخذ علينا العهود ان لا نعترض على الأولياء من المجاذيب وغيرهم في أخذهم الدراهم والأطعمة والثياب من الظلمة وأعوانهم**
لأن مثل الأولياء لا يجهل طريق الخلاص في ذلك لما عندهم من النور الفارق بين الحلال .
والحرام ومن يصلح له الاكل من ذلك المال ممن لا يصلح وما من درهم ولا لقمة ولا خرقة يأخذونها من الحرام والشبهات إلا ويعلمون في الكون من يباح له استعمالها من أصحاب الضرورات كالذي عمى بصره وأقعد من المحترفين مع كثرة دينه وعياله وكمن دار عليه الزمان بكلكله من الملتزمين لجهات الظلم ونحوهم .

وقد أفتى العلماء بأن للحاكم ان يكره صاحب الأموال إعطاء المحتاجين ما يدفع عنهم ألم الوجع والبرد وغير ذلك من الضرورات
فكان الذي يأخذه الفقراء من المكاسين عوضا عن أموال التجار الذين بخلوا عليهم بها فسلط الله المكاسين عليهم فأخذوها ثم أوصلوها إلى الفقراء أو المحاويج من طريق تغريب عليهم ويقولون في المثل طعام البخيل من لم يأكله في هناه ، يأكله في عزاه .

وكان سيدي على الخواص رضى الله عنه لا يرد شيئا أواخر عمره ويقول الفقير كالبناء يعرف موضع كل حجر يمسكه فكان رضى الله عنه يأخذ من الظلمة ما يأخذ ويضع عنده في الدكان ويفرقه على من يمر من العجائز والعميان والمساكين ويقول نفعنا الناس بعضهم من بعض والله غنى حميد .

**43 - اخذ علينا العهود أن لا نمكن أحدا من إخواننا يسعى على وظيفة كما يفعل المتشبهون بالفقهاء**

لا سيما ان كانت عن ميت له أولاد أو إخوان أو في يد فقير لا لسان له ولا نصير فإن ذلك في غاية القبح .

وقد حدث هذا الأمر في المتشبهين بالفقهاء حتى صاروا يأخذونها من مستحقها ثم ينزلون عنها بفلوس لقبر مستحقها وربما جمعوا بين كذا وكذا وظيفة خطابة أو إمامة في مساجد متباعدة لا يمكن الجمع بينها ثم يستنيبون فيها أو لا يستنيبون ويعطون النائب بعض المرصد على صاحب تلك الوظيفة

ثم يأكلون الباقي ظلما وعدوانا فإن المرصد انما هو على من يباشر الوظيفة بنفسه فإذا باشرها نائب استحق المال كله ثم إن من حرق قلب إنسان على وظيفة وسعى في إخراجها منه يخشى عليه أن يحرق الله تعالى قلبه على

ذهاب دينه فضلا عن دنياه وان لم يقع له ذلك وقع لذريته هذا مع ما يحصل من تكدير القلب بأخذها فإن القلب لا يزال مكدرا ما دام صاحب تلك الوظيفة مكدرا لا سيما ان كانا في حارة واحدة كل ساعة يقع الوجه في الوجه ولو عرض على العاقل جميع أموال الدنيا ويتكدر بذلك أحد منه لاختار عدم تكدره وفوت تلك الأموال كما أن المجنون الفاجر لو عرض عليه جديد واحد ويتكدر بأخذه جميع أصحابه ومعارفه لاختار الجديد .

وكان سيدي محمد بن عنان رحمه الله تعالى يقول : ما عند الفقير الصادق أعز من صفاء قلبه فكل شئ كدره تركه .

وقد وقع لسيدي الشيخ عبد الرحيم الانباسي رحمه الله ان السلطان قايتباي أرسل له مرسوما بعشرة انصاف كل يوم من الجوالى فانقبض خاطره من ذلك فبينما هو جالس إذ جاءته امرأة وعلى كتفها صبي يرضع فقالت له يحل لك من الله يا سيدي الشيخ تأخذ جوالى هذا الولد ؟

فقال لا والله ما يحل لي ثم قام وركب إلى تغرى بردى الاستادار فقال ان أردتم تطييب خاطري اكتبوا المرسوم لولد الميت فلم يزل عليهم حتى كتبوه باسم الولد ثم جاء به إلى المرأة
وقال اجعلى عبد الرحيم في حل فإنه أخطأ ولم يعتذر له بعد رضى الله عنه . انتهى .
واعلم يا اخى ان كل شئ جاء بسؤال مع الغنى منه فهو غير مبارك على صاحبه لا سيما ان كان أجره للوظائف الدينينة فإن ذلك يحق البركة بالكلية لأن ذلك المال قد اكتسب بأعمال الآخرة وما جعل الله البركة إلا في الأمور الحاصلة من الصنائع والمكاسب الدنيوية وقد نهى الشرع عن أكل كل ما

جاء باستشراف نفس ومعلوم ان صاحب الوظيفة تستشرف نفسه إلى معلومها من أول الشهر إلى آخره وإذا انكسر له معلوم يطول زمن استشرافه فيعظم الأمر في النهى عن قبوله ويصير أقل بركة مما استشرفت النفس اليه مرة أو مرات كما جرب ذلك .

وكان سيدي أبو الحسن الشاذلي رضى الله عنه لا يقبل قط شيئا علم به قبل ان يأتيه وكان إذا قال له شخص ارسل معي أحدا يأخذ الشئ الفلاني للفقراء لا يجيبه ويقول إن النفس تصير مستشرفة له حتى يحضر رضى الله عنه .

وسمعت سيدي على الخواص رحمه الله تعالى يقول : المراتب والوظائف الدنيوية والأخروية وجميع الأرزاق الحسية والمعنوية دائرة على أصحابها لتقيم عندهم أشد ما هم دائرون عليه ولكن سبب الإبطاء في حصولها عدم اجتماع الشرائط في طالبها فلو اجتمعت فيه شرائط تلك الولاية سعت إليه الولاية بنفسها .

وكان رضى الله عنه يقول : كل من احتاج رلى برطيل فهو متغلب على تلك الوظيفة لحديث " لا تسال الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها " والله غنى حميد .

**44 - اخذ علينا العهود ان لا نسبّ الروافض الذين يقدمون عليّا في المحبة على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما**

لا الذين يسبونهما لا سيما ان كانوا شرفاء من أولاد فاطمة رضى الله عنها أو من أهل القرآن .

فإياك يا اخى من قولك فلان رافضي كلب فإن ذلك لا ينبغي والذي نعتقده ان التغالى في محبة على والحسن والحسين وذريتهما مطلوب بنص

القرآن في قوله تعالىقُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىوالود ثبات المحبة ودوامها فنسكت عن سب من قدم جده في المحبة على غيره ما لم يعارض النصوص وذلك لأن تعصب الانسان لأجداده الذين حصل له بهم الشرف أمر واقع في كثير من العلماء فضلا عن آحاد الناس من الشرفاء وكذلك قالوا من النوادر شريف سنى يقدم أبا بكر وعمر على جده على رضى الله عنهم .
وكان الامام الشافعي رضى الله عنه ينشد :
**ان كان رفضا حب آل محمد * فليشهد الثقلان أنى رافضي**

فاعذر يا اخى كل من قامت له شبهة ما لم تهدم شيئا من أصول الدين الصريحة كإنكار صحبة أبى بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو براءة عائشة رضى الله عنها واترك امر الروافض إلى الله يفصل بينهم يوم القيامة .

وأما من يسبّ الشيخين أو غيرهما من الصحابة فالواجب علينا تأديبه وتعليمه أسباب محبتهما
ونقول له لو صحت محبتك لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأحببت من أحبهم من أصحابه وقدمت من قدمهم .

وقد سئل سفيان الثوري رضى الله عنه ما منزلة أبي بكر وعمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنزلة غيرهما ؟
فقال منزلتهما ما هما عليه في القبر من القرب .
وقد بسطنا الكلام على ذلك في العهود الكبرى والله واسع عليم .

**45 - اخذ علينا العهود ان لا نبيت على دينار ولا درهم ولا نحبس شيئا على اسم غد إلا لجل دين أو على اسم غيرنا ممن نعوله وغيرهم من المحتاجين**

عملا بقوله صلى الله عليه وسلم " والله ما يسرني أن لي مثل أحد ذهبا تمضى عليه ثلاثة أيام وعندي منه درهم واحد إلا درهم أرصده لدين . "
ومن شروط الفقر فضلا عن المقتفين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا نبيت على دينار ولا درهم .

واعلم يا اخى أنه كثيرا ما يجدون بعد موت الفقير شيئا من أمتعة الدنيا الزائدة على الحاجة فيسىء الناس ظنهم به ويقولون كيف كان يدعى الفقر وعنده هذا المال والثياب وغاب عنهم ان من شرط الفقراء ان لا يشهدوا لهم ملكا مع الله تعالى

مع أن ذلك المال إنما أتاهم من الناس صدقة أو هدية لأنه لا كسب لغالبهم الا من هذا الباب فكأنه غير ما لهم ، وان كان معدودا من مالهم ولا ولاية ولا تصرف لأحد إلا فيما نملك والملك في ذلك المال لله تعالى لعباده الذين أعطوهم فهم متوحدون لله صفر اليدين على الدوام والله اعلم .

**46 - اخذ علينا العهود ان نسلم المراتب لأهلها ولا ننازعهم فيها ولا نجادل في عدم تفضيل من ظهر فضله علينا بالعلم والصلاح وكثرة المعتقدين فيه**
**فإن إبليس لم يخرج من الجنة ولم يلعن ولم يطرد إلا بجداله وعدم تسليمه لما فضل الله به آدم عليه .**

ومن وصية سيدي على الخواص رضى الله عنه : إذا جاء لكم مجادل فلا تقيموا عليه الحجج بالأجوبة المسكتة وتصدقوا عليه بالسكوت فإن السكوت يخمد هيجان النفس والجواب بالجدال يهيجها .

وقد قررنا مرارا ان جميع العلوم المستعارة محلها النفس والنفس محل

الظلمة والتلبيس عكس العلوم النازلة على القلب أو الروح أو السر فاعذر من جاد لك فان علمه في نفسه لا في قلبه إذ لو كان علمه في قلبه لم يجادل إذ الجدال ينافي صفات القلب والله غفور رحيم .

**47 - اخذ علينا العهود ان لا نأكل من أطعمة المتهورين في مكاسبهم أو المتفاخرين بالدنيا فإنها كلها أذى في البدن كطعام البخيل على حد سواء كما جرب ذلك .**

ومن علامة المتهور في الحرام والشبهات كثرة تنوع الأطعمة في أكثر الأوقات فإن صاحب ذلك الطعام لو تبع الحل في كسبه ما وجد عنده شيئا يعمل منه تلك الألوان لا سيما في مثل هذه الأيام التي كسدت فيها البضائع .

وقد دخل الحسن البصري رضى الله عنه على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فقدم له نصف رغيف ونصف خيارة وقال كل يا حسن فإن هذا زمان لا يحتمل فيه الحلال الصرف . انتهى .

فينبغي للفقير إذا أكل عند المتهورين في الكسب ان يختار لونا واحدا من أدون ما في السماط ويأكل منه بعض لقم من غير زيادة والله غفور رحيم .

**48 - اخذ علينا العهود ان لا نفشى سرّا ولو لأعز اصدقائنا وان لا نرد قط سائلا محتاجا الا ان سألنا غدانا أو عشانا الذي لا نملك غيره في ذلك اليوم**

وإذا جاءنا في يوم ألف دينار فرقناها في مجلس واحد على إخواننا المحتاجين .
وقد وقع للإمام الشافعي رضى الله عنه أنه فرق عشرة آلاف دينار في مجلس واحد لما دخل بلاد اليمن ثم اقترض عشاه آخر ذلك اليوم.

ومن أخلاقه صلى الله عليه وسلم انه كان لا يسأله أحد شيئا إلا أعطاه حتى أنه نزع يوما القميص الذي لم يكن عنده غيره فلما جاء وقت الصلاة لم يستطع الخروج فأنزل الله عليه السلام  وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً .
وقد من الله عز وجل عليّ بهذا المقام من سنة إحدى وعشرين وتسعمائة فكنت لا أرد سائلا قط ولو سألني جميع ما عندي من الثياب حتى أنى أعطيت يوما سائلا عمامتي وصوفي وجوفتى .

وكانت قيمتهم نحو الأربعين دينارا فظن انني سكران لاستغرابه ذلك في هذا الزمان فصرت أحلف له أنني عاقل فلا يصدقني لكن لما علمت أن أصحابي لا يتركونى عريانا ويتكلفون لي القماش والملابس سددت هذا الباب عنى لكون الحق تعالى لم يجعل لي رأس مال إلا محض سؤاله تبارك وتعالى

وصار كل من سألني شيئا أسأل الله له أن يعطيه ما طلب أو يرزقه القناعة ، فلله الحمد على كل حال وممن تمكن في هذا المقام معن ابن زائدة وجعفر البرمكي وأبو زيد الهلالي .

وأما أهل البيت عليهم السلام فحالهم في الكرم مشهور رضى الله عنهم أجمعين .

**49 - اخذ علينا العهود ان نقيم العذر للظالمين باطنا إذا ظلمونا كما نقيم العذر لزبانية جهنم على حد سواء**
فإن البحر واحد واختلف الحكم من حيث أن الزبانية لا يؤاخذون بخلاف الظلمة في هذه الدار ولا نتوجه قط في ظالم من غير تثبت فربما كان معذورا ومن عذره اعوجاج رعيته عن الطريق المستقيم فإن الرعية إذا انعوجت قابلها الوجود بالعوج فينعوج الأمير عليهم

بانعواج أعمالهم ولو كان حاكمهم القطب عليه السلام إذ لا يمكن الحاكم ان يخرج عن مشاركة ما تستحقه رعيته عن الجور والظلم تنفيذا لقضاء الله الذي لا مرد له .
فالحاكم كظل الشاخص في الشمس فإن كان الشاخص أعوج فظله اعوج وان كان مستقيما فظله مستقيم فافهم ،

فلا يزال الأمير الأعوج تقيمه رعيته الصالحون بأعمالهم الصالحة شيئا فشيئا حتى يكون كالرمح ولا يزال الأمير المستقيم تعوجه أعمال رعيته المارقين الفاسقين حتى يكون كالخطاف أو الستارة ، ومثل الأمير كما ذكرنا جميع أعوان الظلمة كالبردددار والمقدم والرسول والقير ونحوهم فإن عوجهم نشأ من عوج الرعية فإذا اشتكى لنا أحد من رعيتهم شدة عوجهم عرفنا شدة عوجه هو .

وقد قررنا في كتاب الدرر والجواهر ان قماق القدر يدق في ظهر السلطان والسلطان يدق في ظهر وزرائه ووزراؤه في ظهر نوابهم ونوابهم في ظهر نوابهم وهكذا إلى غفير الحارة ورسول المحتسب ،

وفي المثل تقول الأرض للوتد ، لم تشقني يقول لها سلى من يدقنى ، إذا علمت ذلك فإنه الظالم عن ظلمه برفق ورحمة فإنه كالمجبور على ما يصدر منه إذ هو في محل ظهور العلامات .

ولو تأملت بعين البصيرة لرأيت الخلق قد استحقوا الخسف بهم وان حكم ذلك الظالم الذي يشكون منه حكم من استحق النار فصولح بالرماد

ومن أراد من العلماء والمشايخ ان يمنع الحاكم من الجور والظلم فليناد في الرعية :
معاشر الناس ألا إن الولاة لم يظلموكم ابتداء وإنما أنتم ظلمتموهم

بأعمالكم حتى ظلموا فعوجهم فرع من اعوجاجكم فان صح لكم أيتها الرعية الاستقامة في اعمالكم ضمنا لكم استقامة ولاتكم وإلا فاعذروهم بما تعذرون به نفوسكم من باب أولى لأن ظلمهم لا يقع إلا جزاء لأفعال تقدمت منكم
قال تعالى :وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ .

فهذه هي طريق استقامة الحكام علينا وهو أمر قد فرغ منه بحكم الوعد السابق من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا بد للرعية من تعاطى أسباب الجور لتجود الحكام حتى يصدق وعده صلى الله عليه وسلم ولو توجه أكبر الأولياء الآن في إزلة مظلمة أو هلاك ظالم لا يجاب إذ الشارع طهره باطنا ولو وقع ان ذلك الولي أجيب توجهه في الظالم أخذ به في الدنيا والآخرة ، ومن شك فيما أقول فليجرب فما بقي إلا التسليم ، وجميع الأولياء الآن ينظرون ما يقع في الوجود وهم ساكنون لا يتكلمون لأن الشفاعة لا تكون إلا في الأمور التي تقبل المحو فإذا حق الأمر من الحق فلا شفاعة ولا يشفع في امر حق إلا أعمى البصيرة .

ومن وصية سيدي على الخواص لي : إياك ان تكاتب الولاة في هذا الزمان في اسقاط شئ ينقص مال السلطان فإنهم لا يجيبونك إلى ذلك
وربما قالوا لك يا سيدي الشيخ التزم بما عليه من المال أو بما على الجهة ونحن نبطلها لك . انتهى .

وقد وقع لبعض إخواننا انه شفع عند أمراء مصر في إبطال بنات الخطأ وبيت البوظة والحشيش الذي في حارته فقال له جانم هذا مال قرر السلطان

فالتزم به ونحن ننادى لك بإبطاله ، فالأدب من كل عارف في هذا الزمان إذا سئل في شفاعة فيها إسقاط مال ان يقول للسائل إن كنت تكتفى بسؤالنا الله لك سألناه والا فاذهب .

وكذلك من الأدب إذا جاءت المغارم والمظالم على شئ يتعلق به هو أن يبادر إلى الوزن كآحاد الناس فإن ردوها عليه كان حماية من الله وإن قبلوها كانت سترة له بين عباد الله ، والفقير أولى الناس بالفتوة وعدم رد كل سائل
وكثيرا ما كنت أسمع أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول : كل فقير نفذ غضبه في هذا الزمان في ظالم سلب لسوء أدبه . انتهى .

واعلم يا اخى انه ليس للعارف بالله عز وجل همة تنفذ في أحد من خلق الله لشهوده انه دون سائر الخلق أجمعين في الرتبة ، والهمة لا تنفذ إلا ممن يرى نفسه فوق من يتوجه فيه من الظالمين وإن وقع لمن ظلمه مصيبة فليس ذلك بواسطة توجهه إنما هو غيرة من الله له ، فافهم والله غفور رحيم

**50 -.اخذ علينا العهود ان لا نخوض في الكلام على الذات المقدس لا من طريق الفكر ولا من طريق الكشف**
لأنه باب مستور عن جميع الخلائق ومن فتحه حاز أعلى طبقات سوء الأدب مع الله عز وجل ، وغالب من يخوض في ذلك من يدعى دخول طريق القوم بغير شيخ إذ لو كان له شيخ لعلمه الأدب مع الله عز وجل

ولو كان علم الذات مأمورا به لكانت الرسل عليهم السلام أول من تكلم فيها إذ هم أعلم الخلق بالله عز وجل .
وقد دخلت على شيخ تصدى لإرشاد الناس فرأيته جالسا يطالع هو

ومريد له شيئا من كتب الشيخ محيي الدين والمريد أقوى منه في طريق الفهم وهو يرجع إلى كلام المريد على طريق ضعفاء طلبة العلم في المطالعة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ومن جملة ما سمعتهم يخوضون فيه : ليس في الكون إلا الله تعالى وحده ، فقلت له فما شهد نفسك أنت ؟

فما درى ذلك الشيخ ما يقول ، فكلمته في صفات العبودية فلم يرجع ، فانصرفت عنه ، ومثل هذا الكلام لا يصدر إلا ممن هو شيطان مطرود . انتهى .

وأعلمك يا اخى ميزانا تزن به كل من ادعى القرب من حضرة الله عز وجل فتعرف بذلك صدقه من كذبه وهو أنك إن وجدته ذا خشية وخوف من الله عز وجل وذا حياء منه ومن خلقه يرى نفسه دون كل جليس إذا كلم أحدا من الناس أرعد من هيبته كأنه يكلم أكبر الملوك لا يكاد يسمع له صوتا إلا همسا

فهو من أهل الصدق لأنه هكذا صفات أهل حضرة الله عز وجل ، وإن وجدته قليل الأدب كثير الكلام يبادر لذكر مناقبه وليس عنده خشية من الله ولا خوف منه ولا حياء ويزدرى جليسه ويرى نفسه عليه ويجهر بصوته في الكلام ويود أن المجلس يكون له وحده فهو كاذب في دعواه القرب من الله
انما هو من أهل حضرة إبليس ولو كان من أهل حضرة الله لكان كالملائكة فإن كثرة الشعوتة والاضطراب والدعاوى المعضلة انما هي صفات الشياطين ومن تحقق بصفاتهم حجب عن حضرة الله عز وجل .

وقد سمعت مرة هاتفا تجاه سوق الكتبيين بمصر يقول إن أردت أن تخرج من حضرتي فتخلق بأخلاق أعدائي فإن من تخلق بخلق واحد من

أخلاقهم أخرجته من حضرتي ومن أخرجته من حضرتي سلطت عليه أعدائي ومن سلطت عليه أعدائي طردته . انتهى .

فكان لسان الحق تعالى يقول لإبليس وجنوده ليس لكم على أهل حضرتي سبيل ولكن كل من خرج منها فعليكم به ،

وهو قوله تعالى :وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ الآية .
فلا يلومن الخارج من الحضرة الإلهية إلا نفسه إذ ما من سكة من سكك الحضرة الإلهية الا وعلى بابها شيطان ينتظر من يخرج بغيرا أمر ربه فيركبه كما يركب الإنسان الحمار .

واعلم يا اخى ان مرادنا بالحضرة الإلهية هو شهود القلب انه بين يدي الرب وقد حبب إلى أن اذكر لك يا اخى جملة من الصفات المانعة لصاحبها من دخول حضرة الله عز وجل حتى في صلاته ،

فمن كان فيه خصلة واحدة منها لا يمكن من دخول الحضرة أباد وهي : التعاظم والتكبر والعز والغنا والقهر ورؤية العبد نفسه أنه خير من أحد من المسلمين والحسد والبغى وكثرة الحيل والخداع والمكر والفشر والنفاق والميل إلى زينة الدنيا والشره والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج كالبهائم والزنا والسرقة والبخل والغضب بغير حق والأذى لأحد من خلق الله . انتهى .

فإن سلمت يا اخى من هذه الجملة صلحت للقرب من دخول الحضرة فإن للخضرة ألف أدب إن لم يتخلق العبد بجميعها لا يمكنه الدخول .

فعليك يا اخى بتعليم صفات أدب العبيد إن أردت الوقوف بين يدي حضرة ربك تبارك وتعالى فكل صفة استحقتها الربوبية فإياك والتخلق بها الا

بإذن ، وخذ على الضد دائما من صفات الربوبية ولا تخدش مرتبة ربك بشئ والله عليم حكيم .

**51 - اخذ علينا العهود ان لا نتبرأ قط من صفة أضافها الناس إلينا من محاسن أو قبائح في ذلك**

لأن العبد فلك لجريان جميع الصفات المحمودة والمذمومة فيه ففيه من صفات الخير إلى الطرف الأقصى وفيه من صفات الشر إلى الطرف الأقصى فإن مدح العارف إلى الطرف الأقصى لا يزداد بذلك علما عما يعلمه في نفسه وإن ذم إلى الطرف الأقصى لا يزداد علما عما يعلمه في نفسه وإن وقع من عارف فرح بمدح أو تكدر من ذم كان تكدره باللسان دون القلب لئلا تنتهك حرمات المسلمين مثلا أو تحمله على أنه محجوب

إذ ذاك عن شهود كمال صفاته ونحو ذلك لأن الفرح لا يكون إلا بشئ يأتيك من خارج والتكدر لا يكون إلا بشئ لم يكن فيك ، والعارف كالبئر يملى ويفرغ فتارة تنزح البئر وتارة لا تجد حبلا وتارة لا تجد دلوا وتارة تفيض وتجد الآلات .

فعلم أن من علامة جهل الفقير بصفاته يبرئه من وصف نسب إليه من حسن وقبح وإنما الأدب إذا وصف بمدح ان يقول الحمد لله ، وإذا وصف بذم ان يقول أستغفر الله ، ثم لا يخفى ان الحق تعالى استخلص من هذه الطينة سائر الأنبياء وطهر طينتهم من سائر الصفات المذمومة بسابق العناية وجعل صفاتهم كلها محاسن وبقي غيرهم من الأولياء وغيرهم على الأصل في الطينة ولكن ما دامت العناية تحف العبد فالصفات المحمودة كلها مستعملة وجميع المذمومة معطلة عن الاستعمال ويقول الناس لذلك العبد

شئ لله المدود وخاطركم علينا وانظروا النور الذي على وجهه وإذا تخلفت عن العبد العناية تعطلت الصفات المحمودة كلها عن الاستعمال وتحركت المذمومة فيقول الناس لذلك العبد عند رؤية وجهه أعوذ بالله من شر ما رأيت

اللهم اكفنا السوء وانظروا إلى ظلمة وجهه وتتبرأ من صحبته الجن والإنس ويسمونه فاسقا ومارقا وقليل الدين ونحو ذلك ،

فاعلم ذلك وإياك ان تجيب عن نفسك إذا وصفت بذم ما دمت لم تبلغ مبلغ الرجال واقبل تلك النسبة القبيحة على التقليد لمن وصفك لها كما تقبله إذا وصفك بصفات المدح فإنه ان كان صادقا في المدح فهو صادق في الذم فافهم .

وكان سيدي احمد الرفاعي رضى الله عنه يقول : من لم يتهم نفسه في كل وقت ويسد باب الجواب عنها لا يثبت في ديوان الرجال إذ الاتهام يرفها والتصديق يرفقها

ثم أقل ما تشهد في عذر من وصفك بالذم ان الحق تعالى هو الذي سلطه عليك اختبارا لك ليشهدك خيانتك ودعواك انك تكتفى بعلمه فيك ولا يؤثر فيك ذم الناس فان كنت غافلا فتنبه لسبب التسليط عليك وسد بابه لأن الله تعالى يقول :إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْوالله غفور رحيم .

**52 - اخذ علينا العهود ان لا نفتح على أنفسنا في هذا الزمان باب المشي إلى الولائم والموالد الا أن تكون عملت باسم من حق له قدم الولاية المحمدية**

كسيدى احمد البدوي ، وسيدي إبراهيم الدسوقي ، وسيدي داود العزب ، وسيدي عبد السلام القليبى ، وسيدي عبد الله البلتاجى ،
وسيدي أبى السعود ابن أبي العشائر ، والسيدة نفسية ، والإمام الشافعي ، والإمام الليث ، وذو

النون المصري وأضرابهم ، فإن هؤلاء أعظم من الملوك وطاعة خدامهم علينا حق بخلاف آحاد الناس فاعلم ذلك .

**53 - اخذ علينا العهود ان لا نأكل من النذور ولا من طعام العزاء وتمام الشهر في الترب وغيرها حتى شرب الماء ممن يسقى حال الدفن .**

وكذلك لا ينبغي لنا الأكل من طعام الطّهور والعرس والعزومات الكبيرة في المحافل وغير ذلك مما فيه تكليف في العادة

فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النذور وقال إنما يستخرج به من البخيل ولولا عظمة المنذور عنده ما ألزم نفسه به .
وأما طعام العزومات فإن نية أصحابها في فعلها غير صالحة في الغالب إنما هو تجوينات وأهوية النفوس وربما عمل طعام العزاء والجمع وتمام الشهر وطعام الطهور من مال اليتيم وذلك غير جائز للوصي .

وإن شككت يا اخى في قولي ان نيتهم غير صالحة فأمرهم عند عمل الطعام للطهور أو العرس مثلا أن يفرقوه على الأرامل والأيتام والعميان والمساكين والعجائز ويتركوا أبناء الدنيا فان أجابوك فالنية صالحة لأن أكل المحاويج أرجح في الميزان يوم القيامة وان توقفوا فذلك رياء وسمعة لأنه لا ينبغي إطعام أبناء الدنيا الا إن فاض عن المحاويج .

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل طعام المتفاخرين في الطعام رواه الطبراني وغيره ، هذا إذا كان الكسب حلالا فكيف بمال اكتسب من غش ونصب ومكر وخداع ولو أن المكتسب تبع الحل ما وفي كسبه بالخبز الحاف كما سيأتي إيضاحه في هذه العهود ان شاء الله تعالى ، ثم إذا قدر

أننا ذهبنا إلى وليمة من ختان أو عرس أو غيرهما فلا ينبغي لنا ان نأخذ أحدا من الفقراء الذين هم تحت الترتيب فضلا عن غيرهم لما في الأكل من ذلك من تغير قلوبهم وضعف استعدادهم .

وإذا وصلنا إلى منزل الداعي نظرنا أدون فرش وأدون مكان وجلسنا فيه وذلك لأن الفرش النفيسة لا تفرش لأمثالنا في العادة انما هي لوجوه الناس كالعلماء والأمراء والتجار والمباشرين والمعلمين ولا نجيب من دعانا للجلوس عليها

الا إذا أيسنا من دخول أحد من الأكابر وإذا طلب صاحب الدعوة منا قراءة أو ذكرا برفع صوت لا نجيبه فإن أكد علينا في ذلك خرجنا من بيته لأنه ما دعانا لنأكل لا ليستعملنا في نظير الأكل في قراءة أو ذكر في محل كله لغط وصبيان ونسوان وفي ذلك إخلال بحرمة الفقراء وبحرمة القرآن والذكر

فإن ذلك لا ينبغي أن يكون إلا بحضرة قوم إذا سمعوه وجلت قلوبهم ومصداق قولهم لا يطمعونا تلك اللقمة إلا لأجل القراءة
والذكر قول النساء ما كان لنا حاجة في مجيء هؤلاء فإنهم ما سمعونا القرآن ولا الذكر ولا قرءوا لنا البردة ولو كنا دعونا غيرهم كان أولى ولكن قدر فكان ،

ثم إذا مدوا السماط غمزنا أصحابنا أن يقللوا الأكل ما أمكن ونعدهم بالأكل إذا رجعوا صيانة للخرقة ان يسئ أحد الظن بمن انتسب إلى أهلها وتوسعة أيضا على صاحب الوليمة فان العاتبين عليه من جهة الأكل كثير ولو عمل أوسع ما يكون من الطعام بل بعضهم لا يكتفى بأكله عنده ويطلب منه ان يرسل له إلى بيته .

وسمعت سيدي عليّا الخواص رضى الله عنه يقول : كل فقير لا يقدر على أن يمد

صاحب الطعام بالبركة الخفية ويغنيه ذلك العام كله لا ينبغي ان يمد يده إلى لقمة من طعام ثم ليحذر الفقير من الجلوس على رأس السماط المسمى بالحجر فإنه مسموم لنظر جميع العيون اليه

فإنهم يضعون فيه أطايب الطعام في العادة ولا ينبغي لفقير ان يمد يده إلى أطايب الطعام ولأنه لم يعمل في العادة والعرف لهم وانما يعمل لوجوه الناس ، وأعرض ما أقول لك على ما لو دعاك صاحب الطعام وحدك في غير وقت ذلك المحفل هل كان يصنع لك الأطعمة كما يلونها في العرس مثلا تعرف صدق ما أقول .

فعلم أن أصحاب الطعام لو قدموا بين يدي الفقراء فلا ينبغي لهم الأكل منه لأن حكم العدل ان يكون وجوه الطعام لوجوه الناس ومن شرط الفقير خفة الدم وحفظ مراتب الوجود .

وقد جلست انا واخى أفضل الدين رحمه الله تعالى على حجر سماط فشاهدت أنا وإياه الخاروف المشموى يغلى دواد كأذناب المغازل فصار صاحب الطعام يقطع منه ويقول كلوا ونحن لا نقدر ان نضعه في فمنا ولا ان نذكر للحاضرين ما رأينا فأكلنا الخبز بفجل وخرجنا .

وأخبرتني والدة سيدي أفضل الدين أنه قال لها :
يا أمي إذا دخلت بيت ناس لزيارة أو لعيادة أو غيرها فاجلسى تحت الإيوان وإياك والجلوس على فرشهم فربما دخل أحد من الناس الكبار فأقاموك فيحصل عندك الخجل .
انتهى . فاعلم ذلك .

**54 - اخذ علينا العهود ان لا نطلب على اعمالنا ثوابا من حيث عملنا وانما نطلب ذلك من باب المنة**

فإن من طلب على اعماله الصالحة اجرا من حيث

عمله هو فلا يبعد ان يقام عليه الميزان في مجازاته بأعماله السيئة فإن البحر واحد .
فاطلب يا اخى كل ما تطلبه من ربك من باب المنة والجود ولا حرج .

وتأمل قول أكابر الأنبياء :إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِيعنون الأجر الموعود من الله تعالى من باب المنة لا غير لأن كل عارف بالله يشهد ان افعاله كلها خلقا لله عز وجل وحده لا شركة فيها لنفسه

لأن الله تعالى يقول : أنا لا اقبل عملا أشرك فيه غيرى ونفس العبد غير بلا شك فإذا أشركها مع الحق في العمل حبط العمل ولم يقبل فافهم .
وقد جهل ما قلناه بعض المتصوفة حتن ترك السؤال .

بحصول الثواب وهو قصور فإن باب الكرم الإلهى واسع لا يحد ولا يحصر .
فاطلب منه ما شئت وقل لا غنى لي من بركتك يا رب وقد قال تعالىإِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًاوقال :وَوَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراًفما من عمل يصدر من الجوارح إلا وفي مقابلته جزاء خيرا أو شرّا ويعفو عن كثير .

واعلم يا اخى ان من شهد اعماله خلقا لله كان جزاؤه غير محدود ولا محصور ومن شهد الأعمال له كان جزاؤه محدودا محصورا على صورته .

وقد قررنا مرارا أن سؤالنا الحق تعالى ان يصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل عددا إلا من حيث سؤالنا لا من حيث صلاته تبارك وتعالى لأنه لا افتتاح لها ولا انتهاء ولم يكن غير مصل قبل سؤالنا ثم صلى فهي مستغرقة

للعدد والمعدود وأما قوله صلى الله عليه وسلم .
" من صلّى عليّ مرة واحدة صلى الله عليه بها عشرا " فمعناه رحمه عشر مرات بكل مرة لو قدر أن العبد وقع في عشر معاصي ذلك اليوم لأن الصلاة من الرحمة فافهم ،

فمعنى قولنا عدد معلوماتك ومداد كلماتك مثلا أي لو قدرنا ان نسألك ان تصلى على محمد عدد ذرات الوجود لسألناك فافهم ذلك فإنه دقيق .

**55 - اخذ علينا العهود ان لا نغفل عن شهود كون الحق تعالى أعلم بمصالحنا منا وذلك ليقل اعتراضنا بالباطل على تقديرات ربنا علينا وعلى عباده فمن غفل عن شهود ما ذكر فمن لازمه الاعتراض .**

وقد رأى الجنيد رضى الله عنه بعد وفاته فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لي ولم يعاتبنى على شئ وقع منى الا على قولي مرة : إن الأرض محتاجة للمطر ، فقال يا جنيد تنبؤنى وانا العليم الخبير فاعلم ذلك.

**56 - اخذ علينا العهود ان لا نتخلف قط عن شفاعة الا ان عملنا عدم فائدتها فإذا علمنا ذلك كانت شفاعتنا سيئة من ذلك الوجه وكان الإثم من جهة فصار من جهتين فلا ينبغي شفاعتنا عند ظالم علمنا عناده أبدا لأنا نزيده إثما فنسىء في حقه فافهم .**

واعلم يا اخى ان الناس ما سألوك ان تشفع لهم الا لظنهم فيك الصلاح والخير فلا تخيب لهم ظنّا ومن أين لأمثالنا ان يكون شافعا لولا ستر الله لنا بين العباد وإذا خرجت إلى الشفاعة فلا تخرج الا على طهارة ظاهرة وباطنة ليصح لك دخول حضرة الشفاعة عند ذلك الحاكم مثلا فإنها حضرة الله عز وجل وسؤال التخفيف والصفح انما هو منه حقيقة وذلك الحاكم انما هو

باب من أبوابه فافهم ، فمن خرج للشفاعة وهو متحدث أو متلطخ بحب المعاصي وشهوات الدنيا فلا يمكن من دخول حضرة الشفاعة الباطنة أبدا فليخرج الشافع بذل نفس وانكسار

وإذا كان المشفوع عنده أغلق القلب فليلبس الشافع الثياب الخلقة وإذا كان منور القلب كالعلماء العاملين والأمراء المعتقدين فليبلبس أفخر ما عنده من الثياب وذلك لان أغلق القلب من الظلمة وأعوانهم إذا ازدرى الشافع فقد فتح باب انتصار الحق تعالى للمشفوع له والشافع فافهم ذلك

واعمل به فإنه مجرب لقضاء الحاجة وتنفيذ السهم في ذلك الظالم وإذا وصل إلى حضرة المشفوع عنده ورآه في أشد الغضب على المشفوع له فليوافق المشفوع عنده ولا يجيب قط عن المشفوع له حتى يسكن الغضب فإذا سكن أجاب عنه بما شاء كما أنه صلى الله عليه وسلم يقول يوم القيامة سحقا سحقا لقوم غضب الحق تعالى عليهم تسكينا للغضب الإلهى ثم بعد ذلك يشفع فيهم .

وكان صلى الله عليه وسلم يقول هلا مع صاحب الحق كنتم وذلك لأن صاحب الحق قلبه محروق على ماله مثلا فلا أقل من أن يخرج غضبه ببعض كلمات وإظهار نفس وجميلة على المديون فسد باب نقائص صاحب الحق جملة واحدة واجب لئلا تتحرك نفسه بذكر نقائصه في الملأ فيعسر القضية وان كان مكان الشفاعة بعيدا وركبنا لا ندع أحدا من أصحابنا يمشى أمامنا ولا خلفنا ولا عن يميننا ولا عن شمالنا لأن في ذلك نوع استعباد لإخواننا بل إن احتاج الأمر إلى حضورهم معنا أرسلناهم يسبقونا إلى مكان الشفاعة .

وكان سيدي احمد الزاهد رضى الله عنه يقول لصاحب الحاجة اذهب إلى الأمير

أو المحتسب بأحد من وجوه الناس وانتظرونى هناك وكبرونى عند ذلك الأمير والبردار والنقباء وغيرهم وامدحونى جهدكم فإذا جئت فتلقونى .
وأكرمونى وعضدونى من تحت إبطى فان ذلك اسرع في قضاء حوائجكم فانى رجل مجهول عند الحكام . انتهى .

ولما حكيت تلك الحكاية لسيدي على الخواص رحمه الله تعالى قال :
هذا شأن من يستر حاله من الرجال وإلا فالفقير لا يقضى الحاجة إلا بقلبه وانما يمشى ويشفع اظهارا لشعار الشفاعة ولحصول الأجر في الخطا .

وقال صلى الله عليه وسلم : " من مشى في قضاء حاجة أخيه ثبت الله قدميه على الصراط " فمن قضى الحاجة بالقلب ربما لا يعطى تثبيت القدمين على الصراط لأنه لم يمش بهما .

وقد كان سيدي محمد الغمرى رضي الله عنه يمشي في قضاء حوائج الناس ويقضيها ولا يعلم بها أصحابها ، ومن دعائي إذا خرجت لشفاعة عند أحد من الأكابر : اللهم إن أردت أن تشهرني بين عبادك فمش لي ما أقول وما أشفع فيه وإلا فاطف اسمى من الوجود ، وهذا من باب التفويض إلى الله عز وجل فافهم .

وقد كان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالي يرسل أصحاب الحوائج إلىّ لأكتب لهم رسائل للحكام على لسانه فلما دخلت سنة تسع وثلاثين وتسعمائة
قال لي لا تعد تكتب لأحد على لساني شيئا ، فقلت لم ، قال كان عند الحكام بقية خوف من ربهم ومحبة ادخار الأجر لآخرتهم فرفع الله ذلك من مدة ثلاثة أيام فكل من جاءك يطلب قضاء حاجة عند حاكم فقل له أعط

الحاشية شيئا من حطام الدنيا ولو أن تقترض ذلك فإنهم يعملون مصلحتك ولحيذر ان يطلب منهم قضاء حاجة بلا شئ فإنهم لا يلتفتون اليه ولو كان ابن السيدة نفيسة ، ومن شك فليجرب والله اعلم .

**57 - اخذ علينا العهود ان نرضى عن ربنا إذا قلل علينا الدنيا أكثر من رضانا عنه إذا كثرها علينا أو مساويا**

وان كان كل من الشقين نعمة منه لكن نعمة التقلل من الدنيا أكبر لأنها طريق الأنبياء والأصفياء ولولا أن التقلل أفضل وأكثر أجرا
ما قال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا ، والقوت هو الذي لا يفضل منه شئ عند الغداء والعشاء فشيء اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه وأهل بيته لا أكمل منه .

وكان الفضيل بن عياض رضى الله عنه يقول : من طلب من الحق كثرة الدنيا طالبه الله بكثرة العمل ومن رضى منه بالقليل من الدنيا رضى منه بالقليل من العمل والله غنى حميد .

**58 - اخذ علينا العهود ان نحسن مجاورة نعم الله عز وجل بمعرفة مقدارها وإنفاقها في مرضات الله عز وجل**

دون شهوات نفسنا من مأكل وملبس ومنكح وبناء دار وغير ذلك وننسى جارنا اليتيم أو المسكين إلى جانبنا لا نتفقده بكسرة ولا مرقة ولا حسنة من حسنات الدنيا فإن ذلك من أعظم أسباب تحول النعم عنا في اسرع من لمح البصر

ثم إذا تحولت النعم عنا وسألنا الحق تعالى بعد ذلك في عودها لا يجيبنا ويقول لنا قد اختبرناكم فما وجدنا عندكم خيرا لأحد من عبيدنا فحولنا نعمتنا عنكم إلى عبدنا فلان لأنا رأيناه لا يرد سائلا ولا ينسى جارا ولا يخصص نفسه عن إخوانه بشئ.

وسمعت سيدي عليّا الخواص رضى الله عنه يقول :
ان لله تعالى ملائكة ينزلون إلى الأرض بقصد امتحان العباد فربما دقوا الباب على شخص اشتهر بالكرم بعد ان ناموا الناس وكان ذلك اليوم قد تعب في الضيوف إلى الغاية
ويقولون له قم فاذبح لنا واطبخ واعجن واخبز فإنا لا نأكل طعاما بايتا ويكثروا من التعنت عليه حتى تضيق نفسه فإن منّ الله تعالى عليه يوسع الخلق والا نفر فيهم فحولوا عنه النعم ويؤيد ذلك حديث الأعمى والأقرع والأبرص وهو في البخاري حين أراد الله امتحانهم وقد حق الوعد من الله ان لا يخلد النعم الا على من ينشرح بإعطائها للعباد ويتحمل حسدهم وإذا هم وكفرانهم ولا يطلب منهم شكرا

وذلك لأن الكريم انما هو خازن مال الله لعباد الله لا غير فاعلم ذلك ، وإياك ونسيان مقدار النعم وعدم البر لإخوانك وتتعلل بضيق اليد وقلة المكاسب فان الله ما ضيق عليك الا لبخلك وشح نفسك هذا على زعمك ان حالك ضيق ولعلك كاذب فان الذي يملك مائة دينار
فأكثر يحرم عليه ان يقول حالي ضيق وكلما قال ذلك حقق الله دعواه فلا تزال يقول ذلك حتى يصير لا يملك عشاء ليلة كما أن الذي لا يملك عشاء ليلة لا يزال يقول أنا بخير ونعمة حتى يصير بخير ونعمة .

وقد كان الشيخ عبد الدايم أحد أصحاب سيدي الشيخ محمد السروي رحمه الله تعالى يأخذ بدرهم رجلة ودرهم سيرج ودرهم حطب ويطبخ ويطعم جيرانه فأين أنت منه يا من يضيع كل يوم على طعام بيته العشرة انصاف وأكثر لا يطعم منه سائلا ولا فقيرا ولا مسكينا ولا جارا بل بطنه كبيت الخلاء يملى وينزح ليلا ونهارا.

ولو أنك يا اخى زدت في الدست دلوا من الماء لفرقت على الجيران ولو كانوا مائة
وسيأتي في هذه العهود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحث أهل بيته .
وأصحابه على إحسان مجاورة نعم الله عز وجل ورأى مرة في بيت عائشة رضى الله
عنها كسرة يابسة على الأرض قد علاها الغبار
فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفضها من الغبار ثم أكلها وقال يا عائشة
أحسني مجاورة نعم الله عز وجل فإن النعم قلما نفرت عن أهل بيت فكادت ترجع
إليهم .

وحكى أن ذا بالنون المصري رحمه الله تعالى رأى رجلا قد بصق على بحر النيل
فقال له : تعست يا بغيض تبصق على أكبر نعم الله عز وجل على عباده .

وسمعت اخى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول والله ما أبول أو أبصق على الأرض
الا وأنا في غاية الحياء والخجل من الأرض وكيف يبول الانسان على أمه التي منها
خلق . انتهى .

ومن هنا قللت الأكابر من العلماء والصالحين وأهل الأدب الأكل ولم يأكلوا إلا عند
الاضطرار تخفيفا لقضاء الحاجة وليكون لهم عذر في التغوط على أمهم التي منها
خلقوا ومنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون .

ومن هنا أيضا اتخذ الأكابر من ذوى البيوت منديل الكم لأجل البصاق حتى لا يبصقوا
على ذات أمهم ومن ثم يعرف المتشبهون بأهل الأدب الآن بذلك رضى الله عنهم
أجمعين ، فتدبر هذا العهد واعمل به فإنه مبارك والله يتولى هداك.

**59 - اخذ علينا العهود ان لا نمكن أحدا من الخدام يدخل على عيالنا في غيبتنا ولو كانوا مخاصى**

فإنهم من أولى الإربة من الرجال ويحرم عليهم النظر إلى الأجانب ومسهن والخلوة بهن .
فاحجب نساءك يا اخى عن المخاصى والخدام كما تحجبهم عن مخول الذكران من الأحرار .
وما أدخل الأكابر المخاصى على حريمهم إلا ليأمنوا من وقوع الزنا بهن خوف الحبل لا غير لا مطلقا من باب ظلم دون ظلم فافهم ، واعلم يا اخى انك كما تشتهى في بعض الأوقات جوار المطبخ السود لتتملح بهن مع دعائك العقل والحرية فكذلك امرأتك تشتهى العبد الأسود في بعض الأوقات لتتملح به بل هي إلى ذلك أحوج فإنها تزيد عليك في الشهوة بسبعين ضعفا .

وقد كثر سقاطة النفوس في هذا الزمان ووطئهم جوار الخدمة والتنفى من أولادهم حتى أن بعضهم نفى ولده من جاريته لأجل امرأته ثم حلف لزوجته ان هذا الولد ما هو منه خشية وجوه العظم ومن فعل ذلك حرم عليه الجنة كما ورد في الصحيح .

وقد كان شخص من اخوانى يأتي جارية عنده وينكر ذلك من سيدتها فمسكها يوما في المطبخ واغتسل في الخلا في الغلس

ثم أخذ لباس الجارية فتنشف به ووضعه على رقبته يعتقد انه منشفة ودخل به على سيدتها فمسكت لحيته وصارت تقول كم تنكر يا كلب يا قليل الدين يا كافر وتضربه على وجهه بنعلها وهو ساكت كأنه أحدث على نفسه فاعلم ذلك ، وإياك أن تمسك

الجارية تعمل معك سيدتها مثل ما عملت هذه المرأة والله يحفظ من يشاء كيف يشاء.

**60 - اخذ علينا العهود ان ننبه كل من صحب الأولياء ان يخلص صحبتهم لله أو للدار الآخرة كان يأخذوا بيده .**

وليحذر ان يصحبهم لعلة دنيوية كما يفعل أكابر الدولة وأصحاب الحملات من الظلمة وأعوانهم فان ذلك قصور منهم بل الواجب ان ينووا بصحبتهم خير الدنيا والآخرة وان يطلعوا من ولايتهم على سلامة وليس للسلطان عليهم مال وليس للخلق عليهم تبعة في الآخرة وبركة الأولياء أعظم من ذلك فلا يستبعد على من صحبهم بصدق سعادة الدارين .

وعليك يا اخى بالإحسان إلى كل من صحبته من الأولياء ولا تخص نفسك عليه بماكل ولا ملبس ولا منكح ولا تبخل على عياله ولا أولاده ولا أصحابه بشئ من حطام الدنيا فإنك بذلك تملك قلبه أشد الملك لكون الأولياء أهل النخوة والمكافأة إذا أحسن أحد إليهم بيذرة لا يروا أنهم كافئوه الدهر كله .

واعلم يا اخى ان ذلك الشئ الذي أعطيته لذلك الولي لا فيش ولا عليش بالنسبة لما يحصل لك على يديه من خير الدنيا والآخرة وعدم .

تخلفه عنك في كل شدة فاعلم ذلك وإياك ان تنكر على ولى قال لك ان تبرنا وتحسن إلى جماعتنا فلا تجالسنا لأن ذلك إنما هو امتحان لك لا محبة في الدنيا إذ لو كان محبة فيها ما كان وليا ولا رفعه الله عليك بالتقريب والولاية فقصد بذلك تحقيق دعواك بأنه أحب إليك من مالك كما يقع في

ذلك كثير من التجار وأرباب الأموال فيقولون لشيخهم والله يا سيدي أنت أعز عندي من روحي ومالي وولدى ثم يطلب منهم دينارا واحدا لفقير فيفتضجون وإذا افتضح أحدهم نفض شيخه يده منه لأنه إذا اثقل عليه اعطاء دينار لشيخه الذي ادعى انه أعز عنده من زوجته فكيف يمنح لغيره من الأجانب وكيف يصدق على دعواه أنه يحسن إلى الفقيراء والمساكين ذلك أبعد ما يكون ، وبالجملة فمن ادخر عن شيخه شيئا من عروض الدنيا لا يشم من اسرار الله رائحة ويصير محجوبا حتى يموت شيخه .
وقد كان سيدي يوسف العجمي رضى الله عنه يقول لبواب الزاوية إذا دق داق الباب فانظر من الشق فان رأيت معه شيئا للفقراء فافتح له وإلا فهي زيارات فشارات فقال له شخص كيف تقولون هذا وأنتم لا تحبون الدنيا ولا تصحبوا أحدا لأجلها فقال أعز ما عندنا وقتنا وأعز ما عند أبناء الدنيا دنياهم فإن بذلوا لنا أعز ما عندهم بذلنا لهم أعز ما عندنا والا فنحن فريق وهم فريق ، والله غنى حميد .

**61 - اخذ علينا العهود ان نعطى كل سائل ما سأل ولو كان قادرا على الكسب اعطى لسؤاله حقه ،**
قال صلى الله عليه وسلم : للسائل حق وإن جاء على فرس ، فمحمل المنع من إعطاء القادر وتقديم الأحوج عليه إذا لم يسأل القادر فافهم .
وكان سيدي يوسف العجمي طريقه التجرد عن الدنيا وعدم الاستناد إلى معلوم من رزقه أو جوالى أو وقف أو غير ذلك وكان إذا لم يفتح الحق تعالى على الفقراء بحمل شئ إليهم يخرج ويطوف شوارع مصر ، ويسأل لهم الناس بالحال لا بالقال وكان يقف على الدكان فيقول الله ، ويمدها حتى

يكاد يسقط فكان من لا يعرفه يقول والله ما هذا الا حشيش ثم يفتح عينه ويقول الله ويغيب فيها ، هكذا نقل إلينا كيفية سؤاله الناس للناس وكان كل يوم على فقير وكان يومه أقل رزقا من غيره من الفقراء فسأله عن ذلك فقال انا فنيت بشريتى وما بقي بيني وبين الناس كبير مجانسة وأنتم بشريتكم قوية فلذلك كثر عطاء الناس لكم رضى الله عنه .

فعلم مما قررناه ان من كمال الفقير التخلق بأخلاق الله عز وجل في إعطائه للسائل ما سأل ولو كان يملك مائة ألف دينار وفي منعه للفقير ما زاد عن كفاية غداءه أو عشاءه لأن العطاء الإلهى لا يجرى الا بالحكمة والمقدار وكذلك عطاء كل العبيد ، فإياك أن تنكروا على فقير اعطى الأغنياء وحرم الفقراء ويقول كان الفقراء أحق بذلك فإنه طعن في الأخلاق الإلهية فإياك من الإنكار على الفقراء الطوافين على الأبواب والدكاكين إذا ألحوا عليكم واحملوهم على أحسن المحامل وتبسموا في وجوههم فإنهم يريدون ان ينفعوكم ويدفعوا عنكم بالصدق أنواعا من البلايا ولو على رغم أنفكم .

وكان محمد بن الحسين رضى الله عنه إذا رأى سائلا على بابه قال له مرحبا بمن يحمل زادي إلى الآخرة حتى يضعه لي بين يدي الله عز وجل بغير أجرة ، وقد رأيت جماعة كثيرة من الفقراء الزاهدين في الدنيا منهم سيدي أبو بكر الحديدى رضى الله عنه يدورون يسألون الناس ويلحون عليهم في السؤال ويقولون نحسن إليهم وننفعهم على رغم أنفهم لأنهم كالبهائم فيجمعون من ذلك خبزا كثيرا وفلوسا كثيرة ولا يذوقون من ذلك لقمة وإنما يفرقونه أواخر النهار على الأرامل والأيتام والعاجزين عن الكسب وربما يقول لهم الأرامل في

بعض الأوقات نحن اليوم غير محتاجين إلى الخبز فبعه لنا وخذ لنا بفلوسه صابونا أو زيتا أو إبرة وخيطا ونحو ذلك فيبيعه لهم فربما يراه أحد ممن يتصدق عليه وهو يبيع الخبز فيسيء به الظن ويقسو قلبه عليه بعد ذلك ويظن أنه ينادى وربما يقول مثل هذا حرم عليه الشحاتة فلا أعينه على أكل الحرام وهو حجة في البخل .

وقد رأيت من يدور طول النهار بطبل ويهزل للصغار ويضحك الناس وكل شئ حصّله يفرقه على عجائز الحارة ورأيته يعول خمسة أيتام مات والدهم وأمهم فكفلهم حتى كبروا وهو ينفق عليهم .

ثم لا يخفى عليك يا اخى ان أكبر الناس مروّة الرسل عليهم الصلاة والسلام وقد كان منهم من لا حرفة له انما كان يأكل من بيوت إخوانه حتى مات ولله في ذلك حكم وأسرار يعرفها العارفون لا تذكر إلا مشافهة لأن الكتاب يقع في يد أهله وغير أهله ، والله عزيز حكيم .

**62 - اخذ علينا العهود ان نرشى بالدنيا وبالملق كل من تحرك علينا بالأذى من جار وشيخ بلد وغفير وغيرهم لا سيما إذا أتصدى للمرافعة فينا عند الحكام والقضاء .**

ولو لم يكن بيدنا الا لقمة واحدة أعطيناها له وذلك لأن جوعنا مع هدوء السر أحسن من شبعنا مع النكد والذي يريد أحدنا يضيعه على الحاكم وحاشيته يعطيه لمن حرك النكد فيسكن الحاكم ضرورة لأن الحاكم لا يقدر على الدخول بين اثنين إلا إن رأى بينهما تنافرا .

فمن حرم خصمه وأعطى الحاكم فهو أعمى القلب لأن خصمه الذي

حرك ذلك الأذى لو اهدى إليه ما اعطى للحاكم سد باب الشر كما فتحه فالعارف من سد كل باب يخرج له منه أذى .

وقد اهتدى لذلك بعض النسانيس فحكى أن نسناسا كان في مركب فيها شخص كثير الفساء فصار النسناس يعطس من ذلك الفساء فلما نام الناس دار عليهم النسناس ليعرف من أين تخرج ذلك الفساء فعرف من خرج منه فأخذ مشاقا وصار يدسه في دبر الفاسي فاستيقظ وأخبر بذلك الناس فتعجبوا من حذقه .

فافهم ، واعتبر واعرف زمانك فان الحكام الآن صاروا مع الدنيا حيث ما شرقت أو غربت والله يلطف بنا فيما بقي آمين .

**63 - اخذ علينا العهود ان نقبل سياق الأكابر من المعلمين والتجار والفقراء الصادقين ونقدم رضا خاطرهم على جميع أموالنا وأغراضنا**

فنصفح عن من جنا ونبرى من عليه دين قد عجز عن وفائه ونسقط على من طلب التسقيط على حسب حاله ولا نرد سياقا قط .

واعلم يا اخى ان جميع الدنيا لو كانت لك عند شخص وجاء فقير يطلب منك ان تسامح ذلك الشخص فيها وسامحته لا يجئ ثمن خطوة واحدة يمشيها إليك الفقير .

واحذر يا اخى كل الحذر ان ترد شفاعة الفقراء الشعث الغبر الذين لا يعبؤ بهم ولا يعتقد أحد فيهم فإنه يخاف عليك تحول النعم في أسرع من لمح البصر فإياك ثم إياك .

**64 - اخذ علينا العهود أن نلين الكلام لمن له علينا دين ولمن لنا عليه دين:**

أما الأول فلأنا تحت أسره في الدنيا والآخرة نوفى له حقه وإذا اغلظنا عليه القول ربما قسى علينا وشاححنا في الدنيا والآخرة .

وأما الثاني فلأن الغالب اليوم على الناس رقة الدين فربما جحد الحق الذي لنا عنده لا سيما إن كان بلا بينة ثم يرشى الحاكم ببعضه فيقيم له بينة زورا بأنه غلق له في اليوم الفلاني كما شاهدت ذلك من بعض الناس مرارا وقسم ذلك المال بينه وبين الحاكم

وحرم صاحب الدين فشكرنا لمن لنا عليه دين طريق لعدم الجحد ثم إذا قضاه لنا زدنا في الشكر لأنه كان كالضالة التي يخاف ان لا ترجع إما بزوال نعمة أو هرب أو جحد أو غير ذلك ولولا مجازفته ما أعطانا شيئا لكثرة الحقوق التي على المعاملين الآن أقل ما هناك ان يقيم بينة بالإعسار ويقول خذ بقدر المحاصصة فلا يفضل لك شئ .
وان أعطيت يا اخى من وفاك دينك شيئا منه ولو نصفا بطيبة نفس كان أقرب إلى الود والرجوع إلى معاملتك بانشراح صدر وكتبت أيضا من المحسنين .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول : **" خيركم أحسنكم قضاء "**
فاشتر يا اخى شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بالخير بنصف أو عثمانى ،
وإياك يا اخى ان تطلب ممن له عليك دين ان يسقط عنك شيئا منه مع قدرتك فيكون له المنة عليك لا سيما ان كان ذميا ،
وكان صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم لا تجعل لمنافق على منة ولما أهدى له حكيم بن حزام قبل إسلامه حلة ردها صلى الله عليه وسلم وقال نحن لا نقبل هدية من مشرك فلا ينبغي لك ان تطلب الإسقاط الا إن صرت على

الأرض لا مال ولا عقار ولا كراكيب في البيت من صدوق ودست وحمار وجوخة وشاش كبير وقبقاب فإعطاؤك مثل هذه الأمور وجلوسك بلا شئ منها أخلص لذمتك وأرضى لربك ، والله غفور رحيم .

**65 - اخذ علينا العهود ان لا تخلى يوما من صدقة ولو رغيفا أو فلسا أو بصلة أو تمرة أو زبيبة أو صلاة ركعتين أو تسبيحة أو تهليلة**

وذلك لأن لا ينزل علينا في ذلك اليوم بلاء ان شاء الله تعالى ، قال صلى الله عليه وسلم " باكروا بالصدقة فان البلاء لا يتخطاها "
فمن لم يتصدق في يوم وأصابه ذلك اليوم بلاء فلا يلومن الا نفسه لكن لا يخفى ان شرط الصدقة الدافعة للبلاء أن تكون مشاكلة لذلك البلاء في العادة كبير أو صغير فالتهمة بفساد جارية إفسادها حقيقة أو بقتل قتيل أو بسرقة مال له جرم لا يكفى فيه من تاجر مثل رغيف ولا عثمانى ولا بصلة وانما يكفى هذا من فقير لا يملك شيئا من الدنيا .

واعلم يا اخى أن أصل كل بلاء نزل عليك من شحة نفسك وسقاطتها فإن في الحديث " إن الله تعالى أخذ بيد السخى كلما عثر " ومن كان الحق تعالى آخذا بيده فلا ينزل عليه بلاء والله أعلم .

**66 - اخذ علينا العهود ان لا نتصدق بالأشياء الكثيرة التي تضعف يقيننا بإخراجها ويحصل لنا ضيق صدر وندم عقبها ونقول يا ليتنا أعطينا البعض وخلينا البعض .**

وكان صلى الله عليه وسلم يقول " لا يخرج أحدكم صدقة الا طيبة بها نفسه قارة بها عينه " يعنى لما هو عليه من قوة اليقين بالله عز وجل وأنه يخلف عليه اضعافها فمن لم يجد في نفسه قوة يقين فلا يتصدق الا بما تطيب به نفسه

وهو في غنية عنه ، وفي الحديث " خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى " يعنى لا يتصدق أحدكم إلا وهو مستغن بالله عز وجل عن ذلك الشئ الذي يتصدق به مع الحاجة إليه فافهم ،

ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم " ليس الغنى عن كثرة العوض وإنما الغنى غنى النفس " وقوله صلى الله عليه وسلم " القناعة كنز لا يفنى " فصاحب القناعة لا يعقب عطاءه اتباع نفس لأنه لا يعطى أحدا شيئا إلا ويعقب ذلك العطاء الغنى بالله على الأثر .

وكذلك يؤيد ما ذكرناه وقررناه قوله تعالى :وَيُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ
وذلك لأنهم ما آثروا على أنفسهم مع الخصاصة حتى استغنوا بالله عز وجل وهذا وان كان محمودا فثم ما هو أحمد منه وهو ان يقدم العبد نفسه على غيره عملا بقوله صلى الله عليه وسلم " : ابدأ بنفسك ثم بمن تعول "

وبقوله صلى الله عليه وسلم " الأقربون أولى بالمعروف " ولا أقرب إليك من نفسك ، قال شيخنا رضى الله عنه ومن لم يصل إلى درجة الاستغناء بالله عز وجل عن ذلك الشئ الذي يعطيه للناس .

فلا ينبغي له أن يتصدق إلا بما لا تتبعه نفسه أو يطعم نفسه من ذلك شيئا ثم يتصدق بالفاضل فيجمع بين المصلحتين وذلك معدود من الصدقة التي هي عن ظهر غنى أيضا فاعلم ذلك فإنه نفيس .

**67 - اخذ علينا العهود ان نبدأ في اصطناع كل معروف بفعل الأشياء التي تدوم وتتوالد في الأجر كحفر الآبار وإعانة من يتزوج**

ليكون لنا ان شاء الله تعالى أجر جميع ما يتولد من ذلك المعروف من الماء المنفجر من عين الأبيار ومن الأعمال الصالحة التي تنشأ من الأولاد الحاصلين بذلك النكاح ، وأما

الأعمال السيئة الحاصلة منهم فلس علينا ان شاء الله تعالى منها إثم كما لا إثم على أبينا آدم عليه السلام من جهة معاصي ذريته فافهم .

ثم اعلم يا أخي أن الإعانة على النكاح أفضل من الإعانة في فك الرقاب ومن الجهاد لأن النكاح أصل لوجود المجاهد وغير المجاهد فلو لا النكاح ما وجد أحد من الخلق فهو أفضل نوافل الخيرات والأجر يعظم بعظم السبب .

واحذر يا اخى ان تخرج من الدنيا وعندك الألف دينار وأكثر لا تزوج فقيرا ولا تحفر بئرا ولا تكسى يتيما ولا توفى عن معسر دينا ولا تدخل على جار سرورا فإن ذلك هو الخسران المبين وكأنك لم تدخل الدنيا الا لحمل الأوزار لا غير فإنك لم تفعل شيئا يكفر عنك اوزارك فافهم والله أعلم .

**68 - اخذ علينا العهود إذا أعطينا أحدا شيئا ان نسقط المكافأة عنه**

إذا كان ذلك الشئ مما يهتم اخذه بالمكافأة عليه في العادة كالصوف والشاش والتفاصيل الحرير والجوخ والإزار ونحو ذلك من هدايا الحجاز والشام والروم فإننا بالإسقاط نريح سر أخينا ونعينه عن الوقوع في الكلام الناقص كقوله والله ما كان لي حاجة بهذا الذي أرسله فلان وأنا حائر أقابله بإيش كما سمعت ذلك كثيرا من التجار وغيرهم ،

ويجب علينا التصريح بإسقاط المكافأة مع القاصد الذي راح بالهدية

كقولنا للقاصد : قل له : يقول لك فلان : هذا بلا عوض وإذا أرسلت لنا العوض فكأنا لم نهد لك شيئا ، كل ذلك حتى لا يهتم ساعة وصول الهدية اليه فإن إدخالنا الهم على مسلم ولو ساعة واحدة لا يعادله جميع مالنا لو دفعناه له.

وكان لي صديق يرسل إلى الشئ ويقول هذا أخذته على اسمك من البلد التي كنت فيها فلا ترده فكان يحصل لي في سرى بهذا القول راحة عظيمة لأنه دليل على اعتنائه بي لا رياء وسمعة ثم إنه ان كافأنا بعد ذلك ولم يعمل بالإسقاط فالواجب علينا إظهار الكراهة لنريح خاطره ثم نقبل ذلك منه إن علمنا أن الرد يحصل عنده به تأثير وإن عرفنا أنه يجب ردنا ذلك له وانما تجمل معنا بالكلام فقط رددنا عليه بسياسة بحيث لا يشعر أننا لحقنا بذلك منه والله أعلم .

**69 - اخذ علينا العهود إذا أعطينا شيئا للفقراء الأكابر وذوى البيوت الذين دار عليهم الزمان ان لا نعطيه له بحضرة أحد من الناس**

فإن ذلك يخجله ثم لا تفي عطيتنا له بما حصل له من الخجل فإذا كان العطاء له سرّا فقد جبرنا كسر خاطره الذي حصل له بذل سؤاله لنا ووقوفه على بابنا بعد أن كان أحدنا لا يصلح أن يكون غلاما عنده ثم لا نمكن أحدا من الإخوان يذكر ما أعطاه لذوي البيوت أو الفقراء لأخ أو صديق أو غيرهما ولو على سبيل إظهار التوجع والترقق لهم

فان ذلك دليل على أن ذلك العطاء رياء وسمعة فهو حابط من أصله لا أجر فيه مع ما حصل فيه من الأذى لمن أخذه ولو أن المتصدق عامل الله وحده لاكتفى بعمله ولم تنازعه نفسه قط بإظهار ذلك لأحد من الخلق ولا كانت تستحلى إظهاره وليتأمل المتصدق إذا كان أجره قد حبط بالرياء والسمعة فكيف يرى أنه قد أعطى ما أعطى وكيف يمن به فتأمل .

وقد شاهدت من بعض الإخوان الصادقين إذا جاءه شئ من أكابر الدولة

ليفرقه على الفقراء يخلط عليه من ماله أضعافه ثم يفرق ذلك في غمار مال أرباب الدولة بحيث لا يشعر به أحد .

وكذلك بلغنا عن سيدي علي بن الجمال النبتيتى أنه كان يحمل القمح من مصر إلى مكة ويجلس يبيعه ويفتح باب السعر أغلى من جميع الناس فمن أجابه إلى الشراء بغلو الثمن يعرف أنه محتاج فيبيعه ويسقط عنه الثمن ومن لم يجبه بالشراء بالغالى لا يبيعه ويقول هذا غير محتاج ، وكان إذا تكلم أحد بذلك للناس يرسل يأخذ منه الثمن كغيره ويقول له غلطت فيك كنت أحسبك فلانا ، رضى الله عنه .

وقد شاهدت من شيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رضى الله عنه ما لا أحصيه من إخفاء الصدقة حتى كان أهل عصره ينسبونه إلى البخل لجهلهم بحاله .

وقد جاءه مرة شريف خطفت عمامته يطلب منه حق عمامته فأعطاه جديد نقره فسخط عليه ورده فأخذه الشيخ وقال لي سرّا : هو أعمى القلب أليس جاء بحضرة الناس ، رضى الله عنه .

ثم احذر يا اخى ان تشهد لك فضلا على من يقبل صدقتك لأنه لولا قبول صدقتك ما حصل لك ثواب فله الفضل عليك وليس لك ان تنظر لك فضلا عليه إلا بقطع النظر عنه لكي تشرك ربك الا لتزدرى الفقراء وإن خطر لك فضل عليهم فاستغفر الله تعالى على الأثر
واحذر من قولك حالنا اليوم ضيق وأنت تملك ما يفي ربحه بنفقتك الشرعية التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته من أكل الشعير غير منخول بالملح أو الخل أو الزيت أو

اللبن أو الجبن أو حافا من غير ادم ولا يرخص لك تقول حالنا اليوم ضيق إلا إذا لم تجد الرغيف الحاف ، والله غفور رحيم .

**70 - اخذ علينا العهود إذا زرنا فقيرا ان نقدم بين يدي نجوانا صدقة**
ولو أن نهدى له ثواب قراءة الفاتحة قبل الدخول عليه والأدب ان نعطى ذلك على اسم الهدية لا اسم الصدقة وإذا قدمناها فلنسلمها إلى النقيب أو لاحد من إخوان الشيخ الخاصين به وتسليمها للشيخ سوء أدب لأن مرتبة الشيخ كمرتبة السلطان والإنسان لو طلع بهدية إلى السلطان من فراخ أو غنم مثلا

وقال لا أسلمها إلا إلى السلطان في يده عدّ ذلك من أقصى غايات قلة الأدب وربما ضرب ومقت ، وإذا بعثنا الهدية في وعاء إلى فقير نخرج عن الوعاء مع الهدية ولو كان نفيسا وإذا كان لنا حاجة إلى الشيخ ذكرناها للخادم ولا نذكرها للشيخ لأن الخادم أجرأ على سؤاله منا وأعرف بمصطلحه .
واعلم يا اخى أن الأولياء أكثر الناس بالمكافأة فمن أهدى إليهم شيئا قابلوه بأضعافه في الدنيا والآخرة وسيأتي حكم الإحسان إلى المجاذيب في عهودهم ان شاء الله تعالى ، ويقولون في المثل من أكل الغفارة رد الغارة .
فاعلم ذلك وإياك ان ترد إلى ولى بعد تعرفك به إلا بإذن منه في الزيارة كما يفعل مع الملوك ، والله عزيز حكيم .

**71 - اخذ علينا العهود إذا زرنا المسجد الحرام أو الأقصى أو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نعظمهما أشد من تعظيم غيرها من المساجد**
ولا نتبختر ولا نرفع صوتا ولو بذكر الله عز وجل ونلبس هناك خلق الثياب كالهدم والجبب الخشنة ونكشف رؤوسنا ونمشى حفاة ما دمنا في تلك الأرض المشرفة كما كان الأنبياء والسلف الصالح يفعلون.

وسمعت سيدي عليّا الخواص رحمه الله تعالى يقول من أدب الحاج إلى مكة أن يخرج بكل ما يملكه من المال حتى لا يبقى في وطنه شئ ولا ثمن رغيف ثم يوسّع بجميع ذلك على الناس في الطريق وذلك ليدخل مكة التي هي حضرة قسم صدقات الحق تعالى فقيرا مسكينا لا مال له ولا عمل كما أشار إلى ذلك صورة إحرامه فإن الغنى لا يعطى من الصدقات .

وسمعته أيضا يقول : من أدب الداخل للمساجد الثلاثة ان لا يمشى قط فيها بتاسومة ولا يلقى فيها درسا في علم المنطق أو علم الكيمياء أو غيرهما مما ليس مأمورا به في الشرع وكذلك لا ينبغي ان يتخذ فيها مجلس قضاء لا سيما في الأمور المتعلقة بالأمور المبنية على الخصام والجدال

فإن ذلك يكدر تلك الحضرة ولا يفسر فيها أيضا القرآن إلا بما ورد في السنة صريحا ولا يشرح فيها أيضا الحديث النبوي على مصطلح المذاهب في التعصب لمذهبهم دون غيره فإن تلك الأماكن حضرات الوحي كقاب قوسين أو أدنى فافهم .

وكان سيدي إبراهيم المتبولى رضى الله عنه يقول : من الأدب عدم المجاورة في مكة أو المدينة أو بيت المقدس الا ان يكون العبد على قدم أكابر الأولياء وذلك لأنه لا طاقة لغالب الخلق على مجالسة الحق تعالى أو مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأدب والمجالسة بلا أدب إلى المقت أقرب ومن لم يكن باطنه مطهرا من كل رجس ومكر وخداع وغش وسوء ظن ونفاق ومحبة للدنيا وغير ذلك فمجاورته خسران والسلام ، ولا يكاد قلبه يحضر مع صاحب تلك الحضرة إذا إذ لا يحضر مع أهل حضرة الملوك إلا من طهر

كما تطهروا ، ولا يحضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من كان قلبه مطهرا من كل إثم .
وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : يا داود قل لبنى إسرائيل لا يدخلون بيتا من بيوتي إلا بأيد طاهرة وأعضاء غير عاصية وقلوب لا تخطر لها على بال فمن دخل منهم على غير ذلك لعنته من فوق سبع سمواتى .

وسمعت اخى أفضل الدين رحمه الله تعالى يوصى فقيها ويقول له : إياك ان تنكر على أحد رأيته يخالف ما سطره العلماء في المناسك مما لم يرد صريحا في السنة فإن تلك حضرة تغفر فيها كبائر الذنوب فضلا عن صغائرها ولا ينكر إلا ما صرحت الشريعة بالنهى عنه فقط وإياك ان تكثر هناك من الأكل فتحتاج إلى تقدير تلك الأماكن المقدسة ببولك وغائطك وإياك أن تأكل وواحد من الفقراء الجياع ينظر إليك الا أن تشركه معك وإياك ان تتبسط في مأكل أو تنوع لك هناك طعاما أو تبيت عندك طعاما أو تتخصص عن أهل تلك المواطن بشئ من الشهوات فتكون في المثل كقولهم حججت وفوق ظهرك خرج زاد رجعت وفوق ظهرك ألف خرج . انتهى . فاعلم ذلك واعمل عليه ولا تغتر بمن يخالفه فليس من يعلم كمن يجهل ، والله يتولى هداك .

**72 - اخذ علينا العهود أن نأمر إخواننا ان يشهدوا على معاملاتهم بثمان شهود وأكثر**

وهيهات أن يتحصل منهم نفع شاهدين في هذا الزمان لكثرة ترجيح الخصوم لهم عند البادية بأمور تفسقهم ظاهرة لا يحتاج إلى تأمل وإمعان نظر بحيث يصدقهم أهل المجلس كلهم على ذلك التجريح لا سيما إن وقعت الخصومة عند قاض يحب الدنيا ويميل معها حيث ما أشرقت أو

أغربت فإن المسألة تكون عنده أهون من شرب الماء فيتورك على الشهود ويرجح جانب المجرحين لهم ويطلب من يزكى الشهود ومن يزكى من يزكيهم وهكذا ويوهم الناس أنه متحذر محتاط في الدين .

وقد صار غالب الناس يعرف من بعض القضاة رقة الدين وصاروا يدعون الدعاوى الباطلة ويقيمون البينات الزور ويقولون للقاضي معنا وما فيها إلا غرامة فلوس وهم يعملون لنا كل ما نطلب .

وقد سمعت سيدي الشيخ عبد القادر الدشطوطى رضى الله عنه يقول إذا ذهب أحدكم إلى قاض ليثبت له حقّا فليرشه قبل ذلك بما استطاع وألا يخاف عليه أن يقبل الرشوة من الخصم ويضيع مالكم فإن غالب قضاة الزمان قد صار دينه موضوعا على طرف ظفر رجله أدنى شئ يسقطه ،
وهذا الذي قاله الشيخ رضى الله عنه من باب دفع الأشد بالأخف كل ذلك لتغير أعلام الدين .

وسمعت اخى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول : إياكم ان تبخلوا على القاضي والشهود فلا تعطوهم عادتهم وتكتفوا بشهادة غيرهم من آحاد الناس فإنه ضياع لحقوقكم لأن شهود غير المحكمة في هذا الزمان قد كثر رد شهادتهم واما شهود المحكمة فإن لم تعطوهم عادتهم إما أن ينكروا الشهادة وإما أن يكتبوا لكم شيئا لا ينفعكم واعلموا ان المشهود به من الدراهم والأمتعة مثلا أكثر ما يأخذه القاضي والشهود بيقين ، فأعطوا فلوس القانون والقسام بطيبة نفس وتأدبوا مع الله عز وجل الذي أبرز ذلك في الوجود ومكن الظلمة من الحكم فيكم بمشيئته وإرادته والله عليم حكيم .

**73 - اخذ علينا العهود ان نعطى الغفير غفارته وجابى المظالم جباته أدبا مع**

**الله عز وجل الذي سلطهم علينا بحق وبغير حق ونأمر جميع أصحابنا بذلك** ولا أن نمكنهم من أن يستشفعوا في عدم الوزن بأحد من العلماء والصالحين وغيرهم فإن جباة الظلم تحت حكم من لا يقبل فيهم شفاعة ولا بحبة خردل كما هو مشاهد .

وإذا ظهر للولاة من أحد من الفقراء وجباة الظلم تساهل في تحصيل تلك المظالم عزلوه وولوا خلافه .

وقد صار مال السلطان الآن لا يقدر أحد من الولاة ان يسعى في نقصه حبة ولا في ذلك شفاعة شافع وقد شفع بعض الإخوان عند نائب مصر في ابطال بنات الخطأ والبوظة والحشيش الذي في حارة زاويته فقال له النائب يا سيدي الشيخ هؤلاء عليهم مال مقرر للسلطان فالتزم بالمال الذي عليهم ونحن نبطلهم لك فسكت الشيخ ونزل وأذناه مرخية .

إذا علمت ذلك فمن الأدب مع الله إجابة الفقير أو جباة الظلم إلى ما طلبوه من المال بحكم العادة التي هي مقررة على البيوت والدكاكين والسوقة وأن تحفظ رتبتهم التي أقامهم الله تعالى فيها وكوّن لهم معينا ومساعدا حتى صار أكابر التجار والعلماء وغيرهم تحت حكمهم فيأخذوا ماله من بين يديه كرها وإن أبى عن الوزن سمروا بيته وحانوته وغرموه الفلوس وضربوه وبهدلوه .

ولا أحد يأخذ بيده ، والعاقل يتأمل في سبب تحكمهم في أمواله وبدنه فيعرف ان سبب ذلك انما هو لفقد أعماله الصالحة التي كانت تكفر عنه سيئاته من قيام الليل وكثرة الصدقة والاحسان إلى الأقارب والجيران

والاخوان ويعرف أن مدارت حب الظلم مطلوبة وإن لم يرشهم ويحسن إليهم ويبدأهم بالعطاء قبل السؤال تعب .

وكان سيدي على الخواص يراشى الظلمة والغفراء ونقيب الخط مع قدرته على الامتناع من العطاء بالتصريف والتولية فيهم والعزل فكان يعطيهم عادتهم قبل السؤال ثم يدعو لهم بظهر الغيب بالمعونة وأن يرضى عنهم جميع خصمائهم يوم القيامة ،

فسألته عن ذلك فقال من قوة الفقير ان لا يكون له على أحد حق في الآخرة بل يسامح الناس كلهم في دار الدنيا ، وكان يقول إعطاء هؤلاء الظلمة عادتهم معدود من الصدقة الخفية وإلا فأي حق لهم علينا ، وقالوا له مرة : ان مثلكم لا ينبغي أن يؤخذ منه شئ من المظالم فقال أنا رجل محترف معدود من السوقة والله يكره العبد المتميز عن أخيه .

وكان كثيرا ما يأمر إخوانه بإعطاء نقيب الخط عادته ويقول إن للخلق أعمالا لا يكفرها إلا مثل ذلك .

وسمعته رضى الله عنه يقول : إذا رجع أحدكم من سفر التجارة من البلاد البعيدة كالشام والحجاز فليعط أعوان السلطان عادتهم من الغفارة في قطية أو غزة أو مصر على حسب عادتهم وليس ذلك من المكس الحرام في شئ إنما هو أجرة غفارة السلطان فإنه لا ظل سبغه وحرمته ما أمن أحد من التجار ان يخرج بماله ونفسه في البراري والقفار .

وتأمل يا اخى الطرقات إذا مات السلطان أو حصل في مملكته خلل لا يستطيع أحد ان يخرج من بلده بل رأيت الناس خطفوا عمائم بعضهم بعضا

في أسواق مصر عند بلوغ كلمة واحدة عن السلطان وطلب الزعر والعياق ان يقتلوا غالب التجار ويأخذوا أموالهم ويفسقوا في حريمهم جهارا ،

فأعط يا اخى أعوان السلطان عادتهم فإن ذلك مجرب لنزول البركة في الرزق ومعدود من الصدقة الخفية فإن لم تسمع نصحى وأخفيت عن الأعوان شيئا من عروض التجارة فلا تلومن إلا نفسك إذا غمزوا عليك ثم تصير تسألهم بأضعاف ما كانوا يأخذونه منك فلا يرضوا وربما ضربوك وحبسوك وعملوا معك القانون فتدبر يا اخى حكمة الله في إبراز ذلك وفي تمكينهم من أخذ مالك ومن عقوبتك وعدم قبول شفاعة العلماء والصالحين فيك تجد الحق تعالى هو المسلط لهم عليك بذنوبك السالفة ولولا أراد تعالى ذلك ما استطاع أحد منهم أن يفعل معك ذلك .

وقد جاء شخص من تجار الشام إلى سيدي على الخواص رحمه الله فقال يا سيدي معي فردة حرير وأنا أريد أن أفوجها من المكاسين كما فعل رفيقي فلان ،

فقال له الشيخ لا تفعل رفيقك جاهل بأحوال الزمان ،

فقال له يا سيدي إن الفقهاء يقولون يجب على التاجر أن يفوج ما معه من عروض التجارة عن المكاسين ،

فقال صحيح ولكن إيش يفعل العبد فإنه ربما فوج ما معه فرجع عليه ضرر أشد مما فر منه ، فقال له فما تأمرني قال أعطهم عادتهم على نية أن ذلك أجرة غفارة السلطان لا على نية المكس ، فلم يسمع من الشيخ وفوجها من أعوان السلطان في المجلس وادخلها في خان إلى بكرة النهار .
فأخذها إنسان غريب كان بايتا في الخان وحملها من الفجر وخرج فلم

يعرف له طريق فجاء صاحب الفردة الحرير وغوش على الخان ، فعلم بذلك أعوان السلطان فربطوا صاحب الفردة الحرير حتى أخذوا منه مكسها وقالوا له تكذب ما راح لك شئ ،
فجاء إلى الشيخ وقال أستغفر الله وأتوب إليه وراحت الفردة الحرير إلى يوم تاريخه ، فقال له الشيخ يا ولدى ربنا مع السلطان في كل ما يطلب ، وفي هذا الذي قاله الشيخ أدب مع السلطان وجواب عنه فإن من يجعل ذلك من قبيل المكس يحكم بفسق السلطان فإنه الآمر بأخذه ، فاحفظ لسانك واعرف زمانك .

فعلم من ملخص كلام شيخا ان المكس حرام انما هو ما يأخذه الولاة وأعوانهم عند امن الطريق لو تصور الأمان بلا سلطان أو ممن جاءوا من البلاد البعيدة في غفارة سيوفهم من الشطار دون غفارة سيف السلطان أو ما يأخذه المحتسب وأعوانه من السوقة والتجار وهم آمنون في بلدهم اللهم إلا أن يكون نية المحتسب صالحة وقصد منع الناس من غلاء الأسعار على بعضهم بعضا وتعطل بذلك عن الكسب فله ولأعوانه ان يأخذوا نفقتهم من الناس بالمعروف ، والله على كل شئ شهيد .

**74 - اخذ علينا العهود ان لا نطلب إقامة من أفقره الله من التجار وأرباب الأموال فإن لله تعالى في ذلك حكما وأسرارا تدق على أمثالنا ، وما ضيق الحق تعالى على غنى بعد وسع دائرته إلا لحكمة بالغة ،**
فمن طلب إقامة من أفقره الله تعالى وطلب له من الناس والتجار مالا ليربى له رأس مال فلا يأمن أن يعاقبه الله تعالى كذلك بضيق الحال .
فإذا علمت ذلك فمن الأدب أن لا يزيد من انكسر من التجار وأرباب

الأموال على إعطائه نفقة يومه فقط واحذر ان تغتر بأحوال المتقدمين الذين كانوا إذا غرق تاجر منهم أو انكسر جمعوا له راس مال وأقاموه فإن ذلك الزمان الذي كانوا فيه كان يحمل ذلك وكان أهله يستحقون ما يفعل معهم من الخير .

وقد كان الفلاح تجرى الريف يموت فيجدون وراءه الجرة والقدرة أو الإبريق ملآنا ذهبا بما يفضل من زراعاته بعد وزن الخراج ونفقة عياله وضيوفه فصار اليوم يكمل خراجه بقمحه وفوله وشعيره وتوره الذي يحرث عليه وبقرته التي يشرب لبنها وان فضل عليه شئ بعد ذلك أدخلوه الحبس وربما حبسوا امرأته وأولاده وربما زوج الكاشف أو الأمير ابنة الفلاح لمن شاء بغير إدن أبويها ليأخذ مهرها ويغلق به الخراج وربما كان ذلك الخراج ليس عليه انما هو على ناس رحلوا من البلد من كثرة الظلم الذي قاسوه وربما كان ذلك الخراج على العاطل الذي في البلد لم يزرعه أحد وربما كان خراج الأرض الشراق التي لم يصعد عليها الماء .

وقد قلت مرة لسيدي على الخواص رحمه الله تعالى : يا سيدي أيش هذا الكلام الذي لفلان في الطريق ؟

فقال : يا اخى ما خلاه يتكلم إلا كونه يأكل من قتة محلولة ولو أنه زرع سنة واحدة طين الفلاحة واخذوا منه الخراج والمغارم ولم يتركوا له شيئا تأكله أولاده لخرس ولم يقدر على النطق بكلمة ولا قدر على نظم بيت واحد ،
ثم قال من لم يعذر الفلاحين الآن فحكمه حكم البهائم .

قال : وقد أدركت الناس في زمن السلطان قايتباى يغضب أحدهم من

أهل بلد فيرحل فتصير أهل البلاد يتقاتلون عليه كل واحد يطلب ان يقيم عنده يقاسمه في زرعه وبهائمه وماله حتى لا يكاد يجد للغربة طعما فصار اليوم كل فلاح خرج من بلده يذوب كما يذوب الملح في الماء ويصير لا يدافى البلاد لا يجد أحدا يأويه ثم إذا إرجع بعد طول الغربة يرجع كلحانا كالقط الأجرب لا يجد أحدا يسعى في رده إلى وطنه فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فاعرف يا اخى زمانك فإنه زمان ختام ذوى البيوت والمراتب وقد أشرفت الدنيا محملة وأعمالهم على الآخرة كالمركب التي أشرقت على دخول الساحل فإن لم ترخ حبالها ورواجعها تكسّرت في البر وقد مضى زمان السدد وانعكست الأمور

.

وصار كل من شرع في فعل خير يقوم له عدة موانع تمنعه عن فعله كما هو مشاهد ، والله غفور رحيم .

**75 - اخذ علينا العهود ان لا نزور أحدا من إخواننا بعيالنا إلا أن كنا نرجع في الحال من غير بيات**

وذلك لأن في زيارتنا بالعيال والأولاد مشقات على أخينا لا تخفى على عاقل لا سيما ان كانت الزيارة في أيام الشتاء مع ضيق البيت وقلة الفرش والغطاء ثم ترجع تلك المشقة التي حصلت لأخينا في استحقاقه المكأفاة وإن لم نتكلف تلك المشقة وندعوه إلى بيتنا صارت له المنة علينا وتحمل المنن ثقيل على كل من في قلبه نور ،

واعلم يا اخى انه لا تليق الزيارة بالعيال والجمعية في بيوت الإخوان وطبخ الملوخية والحلو إلا في أوقات السرور وإقبال المكاسب وعدم الهم والكرب وهذه الأمور قد تودع منها ما بقيت الدنيا ، فإن خالفت كلامي وزرت بعيالك وطبخت ملوخية

وأظهرت السرور فلا تلومن إلا نفسك إذا أعقبك التكدير وضيق الصدر وتراد في الغم على قلبك كما هو مشاهد في الجماعة إذا خرجوا مواضع التنزهات وأكثروا من الضحك والمزاح

وغفلوا عن الله تعالى يرجع أحدهم آخر النهار وهو في غاية قبض الخاطر وذلك لأنه فعل شيئا لا يناسب حال الزمان فالعاقل من اعتبر ، والسلام .

**76 - اخذ علينا العهود إذا شاورنا فقيرا في شئ أن لا نزين له الكلام المخفى لما في نفوسنا من الميل عن الفعل أو الترك**

فان ذلك من أكبر الخيانة لأنفسنا ولذلك الفقير وإنما الواجب علينا لزوم الصدق وإخبار الفقير بما في نفوسنا من الميل وان كان من الشهوات المستقبحة في العرف وذلك ليتضح لنا طريق الصواب على لسان تلك الفقير إذا دهمشنا عليه حصل لنا الدهمشة في جوابه فافهم .

وسمعت سيدي عليّا الخواص يقول : لا تشاور في أمور الدنيا من ليس له وجهة إلى الدنيا كالزهاد والعباد الذين تجردوا عن أسباب الدنيا وبتقدير أنهم يحبوا الدنيا فلا يثبت حبها في قلوبهم زمانين فتدبيرهم ناقص ، فقيل له فمن نشاوره ؟ فقال شاوروا العارفين الكاملين الذين لهم ذوق في أعمال الدنيا وأعمال الآخرة أو شاوروا أبناء الدنيا الذين عرفوها بالتجارب والله تعالى أعلم .

**77 - اخذ علينا العهود أن ننهى إخواننا من التجار أن يثبوا على السلع المفرطة كالأسد على الفريسة**

ويتركوا إخوانهم من المحاويج ينظرون إليها نظرة بحسرة كما يفعله جبابرة التجار ثم بعد هذا الفعل القبيح يهربون بتلك

الفوائد عند حصول رمية أو مظلمة على سوقهم ويتركوا الفقراء للمصايب بل كما كانوا أول مستفيد كذلك ينبغي أن يكونوا أول وازن في تلك المظالم ومن هرب ولم يفهم شيئا فلا بد ان يقيض الله تعالى بماله الآفات والعاهات ومن يأخذها منه مصادرة أو جحدا فلا يلومن الا نفسه فاعلم ذلك .

**78 - اخذ علينا العهود ان لا نمكن أحدا من اخواننا يتوكل في تخليص مال لمعسر عند معسر أو لموسر عند معسر**

بخلاف المال الذي لمعسر عند موسر فإنه معروف وخير وكذلك لا نمكن أحدا منهم يصير ديونه لمن هو أقدر على التخليص منه من ظلمة الحكام فإن كل شئ تخلص

على يدهم ممحوق البركة لا سيما ان كان ذلك المديون معسرا لم يأذن الله تعالى لنا في الأخذ منه ، قال تعالى :وَإِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَةٍ .
وفي الحديث " الصبر على المعسر صدقة . "

قال شيخنا رضى الله عنه : وإنما أمر الله تعالى صاحب الدين بالصبر لأنه هو الذي عرض ماله للسلف لكثرة طمعه في الدنيا واستجلابها بذلك ولو أن الشخص كان يعطى ماله لأخيه بنية التفريج عن المعسر والمكروب ويجعل نفع نفسه بعد ذلك بحكم الشبع لأذاقه الله تعالى حلاوة القبض عاجلا من غير تعب ولا مخاصمة كما عجل بالتفريج عن ذلك المكروب .

وكذلك لا نمكن أحدا من اخواننا ان يدخل في ضمان إحضار إلا إن كان وطّن نفسه على وزن ذلك القدر الذي على المضمون بطيبة نفس فإن لم يوطن نفسه على الوزن فلا ينبغي له ان يضمن ولو كان أخوه الشقيق وربما هرب المضمون ولم يحضر إذا طلب فيغرمون الضامن غضبا عليه كما وقع

ذلك مرارا لكثير من الإخوان وتابوا إلى الله تعالى عن ضمان أحد ، والله أعلم .

**79 - اخذ علينا العهود ان لا ندخل مال التركات على مالنا**
إلا إن كان لا الحظ والمصلحة للأيتام في شراء ذلك فنشتريها بقصد النفع لهم لا لأنفسنا بحيث لا يكون هناك رائحة خوف ولا محاباة وهذا أقل ان يوجد فان الغالب من جميع من يحضر التركات مراعاة من يحضر للشراء من الأكابر وأرباب الدولة ومشايخ الأسواق دون اليتيم ومقصود القاضي والقسام وأعوانهم البيع لتلك الأمتعة والكراكيب ولو بأقل الثمن ليأخذوا ما على ذلك من الرسم ويذهبوا إلى تركة أخرى لا سيما أيام الفصول .

وقد حضرت مرة عند قاض يقسم تركة أيتام يقول لأحد الشهود ميز حقنا وحق الأيتام ، فقال الشاهد الحكاية مقسومة هذا القاضي وهذا للقسام وهذا للشهود وهذا لجماعة رسل الأفندى هذا أمر ما فيه كلام وهذا للأيتام فحررت الذي أخذوه نحو الثلث من مال اليتيم .

فإياك ثم إياك يا اخى .

وكذلك لا نمكنهم أن يبادروا بالشكوى للحكام لمن شرع من المديونين في أسباب الجحد أو المطل بل نأمرهم أن يطولوا روحهم عليه بالحامى والبارد فإن الشكوى للحكام ربما حركت الجحد أو أقامت بينة باطلة يشهدون له بأنه غلق ما عليه فإذا داويناه واذعن للحق جمعنا عليه أهل الخير ودخلنا نحن وإياه فيما حكموا به علينا من تقسيط أو مسامحة فإن أبى ولم يسمع لما قاله الحاضرون فاشتكوه عند الحكام فإنه مغلوب لكم في كل

مجلس بشرط أن لا يكون في المسألة حيلة باطنة هو مظلوم فيها ونأمر إخواننا إذا تعلق عليهم أحد في اسقاط شئ من فضلة معاملة ان يسقطوا ذلك له ولا يتكل على مستند براءة بينهم وبينه

فإن للحكام في تلك المسألة ألف فم فيقلب المسألة ويفتقها ويغرم الجهتين وبعض الحكام يكون شريكا للمدعى والمدعى عليه ويخاصم عن هذا تارة وعن هذا تارة وله رسل يكشفون له عن خبر من يزيد له من الرشوة أو البلص أكثر فيعلمونه به ليكون معه ولهم لغز في ذلك يعرفونه دون الاخصام لا يطلع عليه إلا الحذاق فإياك يا أخي والركون إلى حكم الحاكم في حكمه لك بالباطل وتقول انا ما أخذت شيئا إلا بحكم الحاكم فإنك تدخل النار ، والسلام .

**80 - اخذ علينا العهود ان لا نزيد على أحد في كراء بيت أو حانوت أو زرقة أو طاحون أو معصرة أو غيرها**

فإن ذلك معدود من قبائح الذنوب لما فيه من شدة الإيذاء إما بتكلف الساكن ثقل تلك الأجرة وإما بالخروج من ذلك البيت أو الحانوت لا سيما إن تربى لذلك الساكن زبونات كثيرة فإن روحه تكاد تزهق من النكد وحمل الهم ومن أدخل على إنسان همّا أو غمّا قيض الله تعالى له من يدخل عليه نظير ذلك بحكم العدل مع ما الفاعل ذلك من المقت والغضب وخراب القلب .

ثم أكثر من يقع في هذه المصيبة المستخفون من قراء ولا يقع ذلك منهم الا في حال خصام ويستندون إلى قولهم الزيادة في الوقف حلال إيهاما بأنهم قائمون لله عز وجل في عمارة بيوته .

ولو كان ذلك صحيحا منهم لم يتخصص الحكم بمسجد دون مسجد

فكم من مسجد مهجور والناس يأكلون وقفه لا يتكلم أحد منهم في مصالح وقفه .
واعلم يا اخى ان ذلك المال الذي يزاد في الجرة الوقف كله ممحوق البركة لأنه زيادة ضرر لا تدوم وهو مما أهلّ لغير الله به لا سيما والغالب في الزائد أنه لا يصل إلى عين الوقف منه شئ إنما يأخذه النظار والجباة والمباشرون لا معهم ، فإياك يا اخى والزيادة في كراء ما ذكرنا

فإن الله تعالى قد قرن إخراج العبد من وطنه بإخراج روحه من جسده في شدة الألم ، قال تعالى :وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيارِكُمْالآية ، فكل من تسبب في إخراج أحد من سكنه فجزاؤه جزاء من قتل نفسا بغير حق ، والله غفور رحيم .

**81 - اخذ علينا العهود ان لا نقبل الفائدة الكثيرة فوق رأس المال**
ولو كانت بطيبة نفس من المشترى فكيف بها إذا كانت بغير طيبة نفس أو من جاهل بالقيمة فمن فعل ذلك ذهبت البركة من رزقه فان الجن موكلون بأخذ كل ما باعه البشر وإخبار المشترى باطل فيصير الانسان يبيع بالخوف والشطارة ويعد في الكيس والجن الحاضرون يأخذونه أولا فأولا .

وقد وقع للشيخ فخر الدين إمام جامع الأزهر وكانت الجن تقرأ عليه أن شخصا من طلبة العلم من الإنس طلب من الشيخ المساعدة في الزواج فطلب له من بعض الجن فأعطاه كساء فيه مائة دينار
فذهب به إلى سوق القماش ليشترى به شيئا فعرف الكيس تاجر فأخذ الرجل وذهب به إلى الشيخ وراء الجنى فحضر فصار يكلم الشيخ على البيعات الحوف واحدة

واحدة والتاجر يصدقه ويقول والله هذا أمر ما علم به إلا الله
فقال الجنى نحن طوائف في مصر موكلون بمن يغش الناس كل جنى له خط يجلس فيه ثم تاب التاجر من ذلك اليوم فمن شك فالتجرب .

فعلم أن من أراد البركة فالبيع بالفائدة اليسيرة فإنها تربو في الصدقة حتى تكون كالجبل وإذا اشترى قطعة مثلا يرخص فالواجب عليه إخبار المشترى برخصها وإلا كان غاشّا للمشترى كما أنه قد غش البائع له تلك القطعة بأخذها منه بدون ثمنها في ذلك الزمان فليستبرئ لدينه في بيعه وشرائه وليحذر الشخص ان يبيع في هذا الزمان شيئا برأس المال ولو لصاحب فإن نصاب للخسارة والبيع ما وضع إلا للفائدة وإلا كانت عبثا ، والله عليم حكيم .

**82 - اخذ علينا العهود ان نقبل شيئا من مال المريدين**
لأن مال المريدين حرام على الأشياخ عند جمهور المحققين من القوم الا ان كان ذلك المريد يرى نفسه وماله ملكا لشيخه يتصرف فيه كيف شاء وهذا عزيز وجوده ، والعلة في تحريم ذلك كون المريد بإحسانه له إدلال على شيخه وتجرؤ على مجالسته ويصير يشهد له فضلا على الشيخ

فإذا وقع في ذلك تلف وحرم النفع من شيخه لا سيما ان كان ذلك الشيخ لا قدم له في الطريق فإن قلبه يفسد كقلب الطاحون فيحرم النفع بالكلية ، وخرج بقولنا المريدين جماعة الأشياخ والمحبين الذين لم يدخلوا في حكم التربية بل يحبونا من بعيد فإن مالهم حلال بشرط إصلاح النية ، والله عليم حكيم .

**83 - اخذ علينا العهود ان لا نتزوج ولا نحج إلا مع القدرة**
فإن الله تعالى

يقول وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
وقال تعالى : وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا
فمن دخل في زواج أو حج وليس معه مال ولا بيده حرفة وقال الرزق على الله فلا تسأل ما يجرى عليه وذلك لكونه دخل بهوى نفسه دون أمر الشارع والشارع إنما ضمن السلامة من العطب لمن كان ممتثلا لأمره وتحت حكمه وأما من خرج عن أمره بهواه فهو موكول إلى هواه فافهم ،

وأنشدوا :

**قال تكتك لتكتكا * لا تزوج فتهلكا**
**إنما العرس ساعة * ثم تنغص عمركا**
**وان تكأكأت ساعة * جعلوا الحبس بيتكا**

فإياك يا اخى ان تخالف ما شرطناه لك تقع في العطب ثم لا يتحيك إلا الهرب وكفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول ثم لا يخفى ان العبد لا يشرع له التوكل على الله عز وجل الا مع مراعاته الأمر الإلهى فمن خرج حاجّا بلا زاد ولا راحلة هلك في الطريق فهو عاص لا طائع .

وسمعت شيخنا رضى الله عنه يقول انما شرط الشرع الاستطاعة في الحج هروبا منن تحمل من الخلق فإن كل لقمة أو شربة لمن حج بلا زاد تستغرق اجر حجه لعزة ذلك في الطريق ومن تزوج وليس له شئ يقوم بعياله جره ذلك إلى الكل بدينه ان كان متعبدا أو طالبا للعلم فيرائى ضرورة ويحس

أخواله لمن يحسن اليه من الاخوان وأشق ما عليه اطلاع من يحسن اليه على نقيصة أو عيب وذلك لأنه يخاف أن يقطع عنه بره وإحسانه وان لم يكن من تزوج متعبدا ولا طالب علم جره ذلك إلى الأكل بلسانه وسلق الناس الذين لا يبروه بألسنة حداد تارة بالتعريض وتارة بالتصريح حتى يستخرج منهم الشئ رياء وسمعة واتقاء لفحشه ثم يأخذه هو منهم سحتا وحراما
فلا يبارك له فيما يأخذ ولا يكادون يؤجرون على ما يعطونه له لعدم تحرير نيتهم في الغالب فيما يدفعونه إلى مثل هذا فأسس الأرض ثم تزوج وتأسس الأرض إما بحرفة أو بقوة يقين بشرط أن تكون المرأة التي تتزوجها قوية اليقين كذلك لتخف عليك يا أخي الحمل .

فان المرأة إذا كانت قوية اليقين تصير متوجهة إلى الله تعالى في طلب رزقها لا إليك عكس ضعيفة اليقين وثقل المؤنة إنما تحصل على الرجل من توجه قلوب من يعولهم إليه دون ربهم فكأنهم بذلك يكلفونه ما لا يطيق ولو كان العيال كلهم متوجهين إلى الله وحده لم يحصل للقائم عليهم مشقة أبدا ولو بلغوا ألف نفس .
فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك .

**84 - أخذ علينا العهود ان لا نجمع بين امرأتين ولا بين امرأة وجارية إلا لضرورة ترجح على جمع الضرر**
ككثرة العيال وكثرة الضيوف والواردين فإن الواحدة لا تكفى في مثل ذلك ، كل ذلك خوفا من عدم العدل قال تعالى :فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً الآية ، وكلامنا انما هو في حق من يجمع بهوى نفسه لغير حاجة شرعية.

وقد أنشد سيدي عبد العزيز الديريني رضي الله عنه :

**تزوجت اثنتين لفرط جهلي * وقد حاز البلاء زوج اثنتين**
**فقلت أعيش بينهما خروفا * أنعم بين أكرم نعجتين**
**فجاء الحال عكس الحال دوما * عذاب دائم ببليتين**
**لهذه ليلة ولتلك أخرى * نقار دائم في الليلتين**
**رضا هذى يحرك سخط هذى * فشأني دائما ذو سخطتين**
**إذا ما شئت ان تحيا سعيدا * من الخيرات مملوء اليدين**
**فعش عزبا فإن لم تستطعه * فواحدة تكفى العسكرين**

وفي الحديث " من تزوج لله كفى ووقى " ومفهومه أن كل من تزوج لهوى نفسه فقط لا يكفى ولا يوقى بل يشتت شمله في أودية المهالك كما هو مشاهد

فإن الرجل يكون عنده المرأة الواحدة وهو مستور ورزق بيته فائض حتى يتزوج أو يتسرى فتقل بركة البيت ويقل رزقه وتنكشف المكبة التي كانت على الزبدية فيجدها فارغة فإن صفاء نية المرأة في البيت أساس عظيم في السترة.

وقد كنت كثيرا ما أنظر نفسي أنسج وزوجتي أم عبد الرحمن تدور دولاب المواسير فكنت أعرف أن السترة موجودة وربما كانت تفتح الزلفة وتخرج للفقراء والواردين منها الأشهر وإذا فتحتها لا تكفى شهرا واحدا رضى الله عنها فاعلم ذلك ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

**85 - أخذ علينا العهود ان لا نشترى الرزق والغيطان والدواليب في هذا الزمان لكثرة ما أنزل الله على ذلك من البلاء والمغارم ومالكها هو المطالب بها**
فلا يقى خراجها بغراماتها وذلك لأن كل شئ جر لصاحبه نفعا كثيرا تحدق إليه الظلمة بأعينهم ويطلبون مزاحمة صاحبه في نفعه كما هو مشاهد في تحجيرهم الملح والأطرون .

وقد مضت الدنيا وأهلها ومكاسبها وأخذت في الطي بعد النشر فمن خالف واشترى فلا يلومن إلا نفسه حين يحتاج إلى التردد إلى الظلمة والحكام والخضوع لمن يحميه من الظلمة وإذا طلبوا من البيوت أو الرزق للتجاريد أجرة سنة أو خراج سنة يقول يا فرح من لآله ملك مع أن كل من اشترى له بستانا أو عمر له ملكا يركن إلى الإقامة في الدنيا ضرورة ويكره الموت .

واعلم يا اخى ان من الحكمة الإلهية في وضع الظلامات والمغارم على أصحاب المكاسب الكثيرة كون الإنسان إذا استغنى طغى وبغى بخلاف المكاسب القليلة .

وتأمل ما يقع لبعض الملوك حين يزاحمه بعض الأمراء على المملكة كيف يمده أهل عصبته من التجار والسوقة وغيرهم ليضادد ذلك المتولى

وينشئ من ذلك الفساد في العالم فلذلك سنة الملوك تقصيص كل من كان كسبه كثيرا خوفا من هذه المفسدة ، فاعلم ذلك .

**86 - أخذ علينا العهود ان لا نصغى لسماع الآلات المطربة وترجيع النغمات المستحسنة من الأحداث والنساء**

لأن ذلك يسرق النفوس الضعيفة والقلوب اللطيفة ويهيج الشهوة فيرمينا ذلك في شبر من البلاء ولا ينبغي لضعيف مثلنا ان يتشبه بمن كان يسمع ذلك من الأولياء السابقين كسيدى علي بن وفا وسيدي أبى المواهب الشاذلي وغيرهما

فإنهم كانوا أقوى حالا منا وأقمع لشهواتهم بحكم الإرث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه كان يقبل نساءه ويمص لسان عائشة وهو صائم ويقول : أنا أملككم لأربى فلا تشبهوا بي ، ومن ادعى أنه متمكن مثلهم فليمتحن نفسه عند الغضب فهو يملك نفسه عند سماع الآلات ، والله غفور رحيم .

**87 - أخذ علينا العهود أن لا نمكن إخواننا من الانهماك على الدنيا الزائدة على نفقاتهم ووفاء ديونهم .**

ومن علامة الانهماك ان يكثر تراقب أحدهم للرزق ويقعد له كل مرصد وإذا وقع له مصيبة يكاد يذوب تحتها ويصير كئيبا حزينا متخشعا وذلك لخراب سره بينه وبين الله .

وكذلك من صفات المنهمك على الدنيا ان يصير على وجهه كآبة ويعلو بشرة وجهه سواد وإذا ضحك تكأكأ بتكلف وإذا سمع القرآن لا يصغى له وإذا أصغى كأنه جماد لا يلين له قلب نسأل الله العافية .

وكذلك لا نمكنهم أن يتكلفوا من مآكل الدنيا وملابسها ومراكبها ما لا

يقدرون على المداومة عليه ومن لم يقنع منهم باليسير طوعا عن قريب يقنع بها كرها كم قد رأينا من تاجر ويزداد من ألون الملابس والأطعمة والمراكب ثم في لمح البصر صار يسأل الناس أو دلالا في الأسواق .

وكذلك لا نمكنهم من التوسع في مال الغير فإن كل من توسع في مال الغير أعقبه الضيق والحبس والخزي في الدنيا والآخرة لا سيما من صرف ذلك في مآكله التي صارت عذرة في الأخلية لا يمكن استرجاعها لأربابها .

وكذلك لا نمكنهم من أن يسمحوا لأولادهم وأزواجهم وإمائهم بما فوق الكفاية ولو كان الله تعالى قد وسع عليهم فإن طاعة العيال والعبيد بقدر حاجتهم إلى سيدهم ، والله غنى حميد .

**88 - أخذ علينا العهود ان لا نأكل من أطعمه الطوافين أو الموضوعة على الشوارع فإنه ثم من العيون ما هو مسموم وكم من عين تنظر إلى تلك الأطعمة وتتحسر على لقمة أو لعقة منها لا تصل إليها والطعام المعيون يورث الأمراض الخطرة في الباطن** لعدم استحالته كما وقع لبعض الصحابة أنه دخل دار قوم فرأى برمتهم تفور فأخذ منها قطعة لحم فأكلها فاشتكى سنة كاملة فشكى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره أن يقيئها فألقاها طرية كما أكلها فبرئ ،

فإن وجدت يا اخى في باطنك وجعا من كل شئ فبادر إلى قيئه تسترح منه وأكثر ما تصيب العين السمك واللبن والمحمرات كالشوى والجبن المقلى فإياك والأكل من ذلك واسأل الله تعالى ان يقيض لهؤلاء السوقة من يأكل طعامهم ولا يؤثر فيه العيون من المتوكلين على الله عز وجل وان كنت منهم فكل وتوكل على الله ، والله عليم حكيم.

**89 - أخذ علينا العهود ان لا نمكن إخواننا من وقف أملاكهم على الأجانب ويتركوا ذريتهم وقراباتهم وأن لا يتعدوا إلى الأجانب إلا بعد انقراض القرائب وذوى الرحم .**
قال صلى الله عليه وسلم : " الأقربون أولى بالمعروف . "

وكان سيدي على الخواص رحمه الله تعالى يقول : لا ينبغي ان يصدر الوقف إلا من مثل الملوك والأمراء وأكابر التجار أصحاب اللكوك من الأموال اما المحترف بنحو الحياكة وصنعة اليد ونحو ذلك فلا ينبغي لأحدهم ان يقف شيئا على غيره الا بعد عينه لسرعة فقر أحدهم وقلة رأس ماله وكثرة تحول النعم عنه وربما تحولت النعمة عن الواقف منهم فيندم على ما وقف وصار يطلب من مستحقي وقفه ثمن رغيف أو خرقة يستر بها عورته أو عورة عياله وأولاده فلا يعطيه المستحقون فلسا واحدا ويقولون له أنت صرت أجنبيّا من هذا الوقف لا يحل لك الأكل منه ، وكان من المعروف أن يجعلوا الواقف إذا افتقر كأحدهم في الأكل من وقفه صدقة منهم عليه على زعمهم كما تصدق هو عليهم .

وقولهم للواقف حرام عليك ان تأكل من وقفك باب في المنع ولولا شحة نفوس المستحقين لما حرم بالإجماع .

وقد رأيت بعيني جماعة من المستحقين انكسر عند الواقف بعض معلوم لهم فطالبوه فقال اصبروا على حتى أحصل لكم شيئا فلم يصبرو واشتكوه لقاضي العسكر فجمع القاضي والشهود .

ورجع عن ذلك الوقف وقال تبت إلى الله أنى أوقف شيئا على فقيه.

واعلم يا اخى ان الوقف في هذا الزمان صار كأنه ملك الظلمة النظار والمباشرين والجباة كما هو مشاهد فهو كحسنة محتفة بسيئات تم إذا قدر عليك ووقفت شيئا فإياك ان تقيده بشروط تشق على المستحقين

فربما أخلوا بها فأكلوا حراما على مقتضى شرطك فلا يجئ أجرك في نظير ما ارتكبوه من إثم المخالفة وذلك كأن تشترط أن لا ينام المستحقون خارج مكان الحضور مثلا أو تشترط ان لا يكون له وظيفتان في مكانك أو ان لا يستنيب في وظيفة ونحو ذلك وربما عينت يا اخى الوقف على ذرية أو غيرهم

وكان هناك من هو أحوج منهم وربما يكون من تولى النظر على وقفك أتم نظرا منك فيريد يغير أو يبدل بما هو انفع لك في دنياك وآخرتك فيمنعوه المستحقون وتقوم عليه القيامة ويقولون شرط الواقف كنص الشارع .

ففوض يا أخي أمر وقفك إلى ربك وقل اللهم اجعل وقفى هذا يصرف لأحوج الناس في هذا الزمان فإن الله تعالى يجيب دعاك ان شاء ، والله سميع عليم .

**90 - أخذ علينا العهود ان لا نكثر من التحجير على الأرقاء في عدم تناول شهواتهم المباحة أو المكروهة .**

فإنهم أقل صبرا وأقل إثما من غيرهم لدناءة رتبتهم ولذلك نقص حدهم في شرب الخمر وغيره عن حد الحر وإذا كنا مع دعوانا الحرية والكمال لا يقدر أحدنا على منع نفسه مما تشتهى فكيف بالرقيق مع ذل نفسه وغربته وبعده عن أمه وأبيه وإخوته

وكثرة بيعه في السوق من سيد إلى سيد وكل من اشتراه يحكم فيه ويستخدمه من شروق الشمس إلى أن ينام الناس بعد العشاء

لا يرحمه ولا يمكنه أن ينام ساعة من النهار ولو لم يكن لهم إلا تحجير الرق الدائم لكان فيه كفاية لهم فضلا عن دوام الخدمة فاعذروهم بما تعذرون به نفوسكم في كثرة نومكم وراحة أبدانكم وعدم صبركم على تناول شهواتكم وليتأمل أحدكم نفسه وهو يطأ النساء وينط على جوار المطبخ ليلا ونهارا لا تشبع له نفس ثم بعد ذلك إذا وقع عبده مع جارية يكاد أن يضربه مقارع وكسارات وأن يقتله قتلا وينسى هو نفسه .

وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأرقاء في مرض وفاته فكان آخر وصية أوصى أمته بها الصلاة وما ملكت أيمانكم وما زال يكررها حتى غاب عن الحاضرين فمن أراد أن رقيقه يستقيم فليداره بالحسنة والمساعدة في الخدمة على الحد المشروع ولا يفرط ولا يفرط
فإن في الحديث : الأسود إذا جاع سرق وإذا شبع فسق .
وفي الحديث إخوانكم حولكم فأطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فإن كلفتموهم فأعينوهم ومن لم يلائمكم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله .
وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا راكبا بغلة وهو يسوقها وعبده يجرى وراءه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قطع فؤاد العبد قطع الله فؤاده .

واعلم يا اخى ان حبس العبد شهوته والجارية شهوتها على الدوام من غير وقوعه في فاحشة لا يكاد يتمالك منه عقل فزوج العبد للجارية فإنه أحفظ لفروجهم ان شاء الله تعالى وأمرهم بالتوبة والاستغفار كلما أذنبوا ولا تهتكهم في دارك بين عيالك فإنه غاية القبح واحذر من العتق لمن ليس بيده

سبب يقوم به من الأرقاء فإن العتق المذكور تضييع له وان كان ولا بد من العتق فليكن عن دبر منك أو علمه صنعة ثم أعتقه ، والله عليم حكيم .

**91 - أخذ علينا العهود أن لا نمكن أحدا من اخواننا التجار ان يتعاطى الأسباب القاطعة لحول الزكاة فرارا من إخراجها**

فإن ذلك من أكبر صفات المنافقين المارقين عن امتثال امر الله عز وجل ، ومن فعل ذلك استحق تحويل النعم ومحق البركة في رزقه .
وقد قلت مرة لشخص من التجار : ما لك لا تخرج زكاة مالك كلها ؟

فقال : نفسي لا تسمح بذلك ، فقلت له أين إيمانك بالكتاب والسنة ؟ فقال قل لذلك العالم الفلاني في شئ لم تسمح به العلماء أسمح أنا به فما رأينا قط عالما يخرج زكاته في مصر أبدا وإذا مات وجدوا عنده الألف دينار وأكثر ، فقلت إحسان الظن بمثل العلماء أنهم لا يبخلوا بحق الله عز وجل ،

فقال يخرجونه على من اسأل من الفقراء والمحاويج يخبروك بأنهم لم ينظروا منه قط نصفا واحدا ، فقلت له فإذا عصى واحد من الأمة هل يجوز لك أن تتبعه على معصيته وتحتج بفعله وأنت تعلم الحكم من خارج ؟
فقال لا ، ولكن إذا رأى الواحد منا العالم يفعل شيئا من المخالفات هان عليه ارتكابا ويقول أحدنا لولا ان العالم علم له رخصة في ذلك ما فعله ، فلا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم .

وقد رأيت بعضهم كان يقبل الزكاة وصدقات الخبز من الأوقاف فلما مات خص واحدا من أولاده الذكور خمسة عشر ألف دينار ذهبا وقد سألته مرة في ثمن طاقية ليتيم فلم يعطه ومثل هذا حياته فتنة ومماته رحمة لكون

التجار والمارقين صاروا يحتجون بمثل أفعاله في إسقاط حقوق الله عز وجل ، فاعلم ذلك .

وكان شيخنا رضى الله عنه يقول : من أراد حفظ ماله من السرقة والحرق والغرق . والجحد وعدم تسليط الظلمة عليه فليخرج حق الله عز وجل كاملا لمستحقه .

ثم بعد ذلك لا يمنع سائلا رغيفا ولا فلسا فإني أضمن له على رسول الله صلى الله عليه وسلم حماية ماله من كل نقص فإنه صلى الله عليه وسلم يقول : ما نقص مال من صدقة .

وفي رواية حصنوا أموالكم بالزكاة وغير ذلك من الأحاديث فإن ادعى تاجر ان ماله غرق أو تلف أو جحد مع اخراجه الزكاة التي في ذلك المال كذبناه تصديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك إذا نصب عليه نصاب أو جارت عليه الحكام فإن الآفات لا تدخل على مال الا عقوبة لصاحبه حيث منع حق الله عز وجل
فتنكر عليه الا في أخذ أمواله وجاه من طريق غريبة لا يكاد يقدر على تحرير نيته في إخراج شئ منه بطيبة نفس وإنما يخرج منه بعقوبة السلطان وضربه وحبسه واحراق ظهره بالنار كما شاهدنا ذلك أيام جور الولاة .

وفي الحديث قالوا : يا رسول الله إنه يكون علينا أمراء فيأخذوا منا الزائد ما علينا ظلما أفنحسب ذلك من الزكاة ؟
قال لا .
فإياك ان تنسى حق الله تعالى عليك في مالك زيادة على الفرض مما

جعله الله ذخيرة عندك للسائل والمحروم وفك الأسير وتفريج كرب المكروبين .
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل في المال حق سوى الزكاة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم :
إعارة الناضح وطرق الفحل ومنح لبن العنز ونحو ذلك .

وسمعت شيخنا رضى الله عنه يقول : زكاة على عين المال وزكاة على نفس المزكى فالأولى مطهرة للروح مما يسوؤها وينقصها في الدار الآخرة والثانية مطهرة للجسد مما يسوؤه ويوصف بالأمرض والعاهات . انتهى .

واعلم يا اخى ان كل درهم تعطيه للسائل في هذا الزمان اليابس أرجح في ميزانك من ألف دينار أخرجته من أيام إقبال المكاسب وأوقات الوسع في الزمان الماضي كما أشار اليه خبر سبق درهم ألف درهم ، ولا ترد السائل ولو بلقمة أو فلس فإنه أحسن من العدم بيقين .

وقد كانت عائشة رضى الله عنها تعطى السائل اللقمة والحبة من العنب فاعطت سائلا يوما حبة عنب فردها ومضى فأرسلت خلفه وقالت ويحك أما تقرأ قوله تعالى :فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُفكم في هذه الحبة من مثقال ذرة فقال السائل جزاك الله خيرا وأخذ الحبة .

وإياك ان تظن بالسائل عدم الحاجة قياسا عليك أنت فإنه باب في البخل واعذر كل سائل في هذا الزمان فإنه معذور في السؤال فإنه إذا سكت لا يفتقده أحد ولو مات جوعا وإذا الحال ضاق على أكابر الناس من ذوى البيوت والأموال من قلة المكاسب والأكل من رأس المال فكيف لا يضيق الأمر على من رأس ماله سؤال الناس ثم قليل من يعطيه لقمة أو فلسا وذلك

لا يساوى ذل نفسه لهم ، وقد أنشدني في حال هذا الزمان والدي سيدي حضر :

**سجدنا للقرود رجاء دنيا * حوتها دوننا أيدي القرود**
**فما بلت أناملنا بشئ * منحناه سوى ذل السجود**

وقد أخبرني الشيخ الصالح محمد العجمي أنه أنشد تائية سيدي عمر بن الفارض رضى الله عنه من باب زويلة إلى باب الشعرية فحصل له ثلاث جدد

فاعلم ذلك وإياك يا اخى ان تحتسب على عيالك ما تنفقه عليهم وتكتبه في ديوان فإن ذلك يعسر عليك أسباب الرزق إلا أن يكون المال الذي بيدك لغيرك فإن من حسب على عياله ما يأكلونه خاف الفقر وشح على الفقير والمسكين ومن سمح يسمح له ، والله أعلم .

**92 - أخذ علينا العهود ان نكثر من الإحسان إلى ذي الرحم الكاشح والجار والمتعفف عن السؤال حياء لا تكبرا**

منادى بحر النيل والقيم على أسبلة الدواب وقعاوى الكلاب ومعداوى البحر والسقا والفران والشيخ الكبير الذي يحترف مع العجز ولا يسأل الناس والطواف بالسلعة وعلى رأسه طول النهار مع عجزه وكبر سنه لا سيما إن بارت ولم يشترها أحد فكل هؤلاء أصحاب منافع عامة للخلق لا يقوم على منافعهم جزاء ثم قبيح على من وسع الله عليه بالمائة دينار وأكثر أن يشاحح مثل هؤلاء ويحوجهم إلى مطالبة بعادتهم بل الأدب ان يعطوا عادتهم قبل السؤال.

وقد كان سيدي على الخواص رحمه الله تعالى يعطى منادى البحر نصف فضة يوم البشارة ونصف فضة يوم الوفاء ويعطيه ما تيسر بين ذلك رضى الله عنه .

**93 - أخذ علينا العهود ان نعلم أولادنا الحرف والصنائع إذا بلغوا عشر سنين بعد قراءة ما يمكن من القرآن والعلم مما لا بد لهم منه ومن لم يعلم أولاده ذلك صاروا يأكلون بدنهم إن كان له وجود .**

وقد كان الناس في الزمن الماضي يكرمون حملة القرآن والعلم ويرتبوا لهم المرتبات ويهدوا إليهم الهديات ويفتقدوهم في المواسم ويقولون لهم اشتغلوا بالقرآن والعلم ونحن نكفيكم ما تحتاجون إليه فصار الفقيه اليوم لا تحصل له اللقمة حتى يذوب قلبه من النصب والحيل فتعلم الحرفة الآن للفقيه من أبرك المصالح

ولو كانت دنيئة فهو أولى من التعرض لسؤال الناس بالحال أو المقال ومن أنفث نفسه عن تعلم الصنعة الدنيئة خوفا من إذلال نفسه قيل له ما تقاسه من الجوع والعرى والحاجة من الناس أقوى ذلّا لنفسك من الحرفة التي تكبرت عليها ،

فتعلم يا اخى الصنعة فان أحوجك الله إليها كانت وقاية لك من ذل السؤال وان لم تحتج إليها فاشكر الله تعالى الذي فرغك لعبادته وسخر لك عباده .

وكان سيدي على الخواص يقول : لا يكمل الرجل عندنا حتى تكون له صنعة تكف وجهه عن الحاجة إلى الناس ويتكرم بما كسبت يمينه من غير تبذير ولا علة وأما من يأخذ من مال هذا ويطعم هذا فله أجر القاسم لا المتصدق . انتهى.

وإياك يا اخى ان تعتمد على مال بيدك أو صنعة دون الله تعالى فإن المال غاد ورايح وأعضاؤك قد يحصل لك والعياذ بالله فيها خلل فيمنعك الحرفة ، كما حكى عن أبي بكر الوراق رضى الله عنه انه قيل له كيف حالك ،

فقال بخير بما بقيت لي يداى ، فشلتا في الحال فاستغفر ورجع إلى الله فزال الشلل ، وإياك أن تتكل على مال أبيك أو عمك أو وراثة من أحد من أقاربك فإن أموال الإرث كلها ممحوقة البركة لكونك لم تتعب في تحصيلها بخلاف ما حصل من كد اليمين وعرق الجبين .

وعلم يا اخى ان من الفقراء من قبض الله تعالى قلبه عن عمل الصنائع والحرف حتى يكون الموت أهون عنده من حبس نفسه في عملها ومنهم من إذا عمل صنعة لا يقسم له الأكل منها لموضع اختياره وتدبيره فإن لله تعالى في ذلك حكما وأسرارا أقل ما هناك ذلك نفس ذلك الفقير بسؤال الناس ولو أغناه عنهم لفسق وتكبر فمثل هؤلاء لا يؤمرون بحرفة .

وكان الشبلي يقول لمن هو بهذه الصفة : كد اليمين أن تتوضأ وتصلى ركعتين ثم تمد يديك تسأل ربك حوائجك فذلك هو كسب يمينك أنت فلكل حال رجال ، والله اعلم .

**94 - أخذ علينا العهود ان ننتصر لولدنا ورقيقنا ممن أذاه وشوش عليه وفاء بحقه علينا من حيث كونه رعيتنا وكوننا مسئولين عنه**

لا من حيث كونه ولدنا فمن انتصر لولده من حيث محبة الطبع فهو من قسم الأنعام ومن لم ينتصر له ويأخذ له حقة ممن ظلمه كان مسؤولا عنه يوم القيامة والله اعلم .

**95 - أخذ علينا العهود ان نلحّ في الطلب على من لنا عليه دين تخليصا لذمته**

**وعملا بقول بعض العارفين إنه لا يقام لنا في الآخرة حق قصرنا في طلبه في دار الدنيا أو تركنا المطالبة به حيّا فإذا طالبنا غريما في الآخرة فربما يقول لنا أنتم المقصرون فلو طالبتمونى بحقكم في دار الدنيا كنت أوفيته لكم .**

قال سيدي على الخواص رضى الله عنه :
وأكمل الطلب سبعون مرة فمن غلب بعد ذلك فليقل اللهم إني أشهد أنى طالبت وبالغت في الطلب وألححت فيه جهدي فلا تؤاخذني بالتقصير فمثل هذا يقام له الحق جزما في الآخرة لأنه بالغ في إقامة الحجة على غريمه وكان الغريم هو المماطل .

وكان سيدي على الخواص رضى الله عنه يبالغ في المطالبة ويقبح على غريمه ولو كان الدين درهما واحدا ، فقيل له ذلك ، فقال إنما أفعل ذلك معه لا علمه بثقل ذلك الدين في الدنيا والآخرة لئلا يتهاون بحقوق الناس لا محبة للدنيا كما يعلم الله تعالى

وأيضا فإن ذلك خلاصا لذمته فإغلاظنا عليه من جملة الشفقة عليه وفي ذلك أيضا حفظ لمقام عبوديتنا وهو ان لا نتصف بأن لنا حقا على أحد من عباد الله ولا منة على أحد جرح مقام عبوديته وزاحم الحق تعالى في مقام المنة على العباد فتأمل ذلك فإنه نفيس ، والله غفور رحيم .

**96 - أخذ علينا العهود ان لا نشكك السلع لمن يوعدنا بالفائدة الكثيرة ولو برهن فإنه نصاب لا سيما أيام كساد البضايع**
وغالب الناس الآن يأخذ عمامة هذا يلبسها هذا ويعزم على دخول ويتوسل بالأولياء والعلماء وسياقات الناس على صاحب المال ، ومن شك فليجرب ، والله عليم حكيم.

**97 - أخذ علينا العهود ان لا نمكن إخواننا من السفر للتجارة في هذا الزمان ما دام أحدهم يجد في بلده الرغيف ،**

فمن سافر وهو يجد الرغيف والخلقة فلا يلومن إلا نفسه فاعلم ذلك وإياك ان تغتر بمن سافر وربح في سنة من السنين فإنها مصادفة القدر وهو فيها على خطر وإياك ان تسافر بمال الغير الا أن تكون تعلم يقينا من دينه أنه يصدقك في جميع ما تدعيه من الخسارة والكلف في تلك السفرة من غير بينة ولا يمين .

واعلم يا اخى انه لا ينبغي لاحد من التجار في هذا الزمان ان يسفر أحدا من المتسفرين بماله لغلبة النصب والجحد والحيل ودعوى الخسارة على المتسفرين وعلبة تغيير النية من كل من الشخصين

فإن كل واحد منهما ناو أن يكون الحظ الأوفر له وهذه النية تمحق البركة من جميع ما سافر به ذلك الشخص ويصير المتسفر يحلف بالله وبالطلاق انه ما خان ولا نقص من الربح وهو صادق لأن النقص إنما جاءه من تغيير نيته

ثم إن الغالب على المتسفرين عند غاية امرهم الخسارة ودخول الحبوس بعد سياقات العلماء والصالحين على صاحب المال ويصير كل واحد يسليه ماله ويقول ياما راح للناس ثم إن قدر الله على أحد تسفير أحد فلا يسفره بأكثر من عشر ما يملك لئلا يقع في ذلك المال آفة فيعود الرجل فقيرا بعد أن كان غنيّا ،

وكان في الزمن القديم لا يسفر الرجل بماله إلا أصحاب اللكوك من الأموال الذين ان تلفت السفرة كلها لا يتأثرون لها أما مثل صاحب الألف دينار مثلا إذا أسفر أحدا بالشطر منه فإنه عن قريب ينكسر ، ومن شك فليجرب.

**98 - أخذ علينا العهود ان لا نشترى من أحد شيئا ولا نبيعه له ولا ننسج له ولا نخيط ولا نطبخ ولا نسافر لتجارة ولا نفعل شيئا من الحرف النافعة في هذه الدار إلا بقصد نقع الخلق بالأصالة ونجعل نفع نفوسنا بحكم التبع لا بالقصد الأول .**

قال بعضهم : ولا فرق في الحرف النافعة بين المحمودة والمذمومة في ظاهر الشرع كالمشاعلى وحيل الوالي فإن هذه مطهرة للخلق مما اكتسبوه من السيئات في هذه الدار فليحرر المشاعلى ونحوه نيته لله تعالى بقصد تطهير الخلق ، والله على كل شئ شهيد .

وكان لي صاحب مشاعلى فكان يقول لمن يريد يعاقبه : يا اخى أثبت فان هذا تطهير لك وهو أهون من دخولك النار وما بينك يا اخى وبين دخول الجنة إلا طلوع روحك فكان يشوق المعاقب إلى الجنة حتى تصير كل شعرة منه تحب الموت رضى الله عنه ،

وإذا قدر أنا فعلنا شيئا من ذلك بغير نية نفع الخلق لا ننتفع به ولا بثمنه وان كان ذلك الفعل من العقود أعدنا العقد ثانيا بنية نفع الناس كل ذلك لتكون أفعالنا كلها عبادة لا عادة ولتدخل في ضمان الله عز وجل لنا بالمعونة المشار إليها بقوله صلى الله عليه وسلم " والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه "
وأيش يضر الطباخ مثلا لو نوى لقيامه للطبخ من نصف الليل نفع عباد الله بذلك الطعام لا نفع نفسه فان نفع نفسه بالثمن حاصل على كل حال ولو لم يقصده ،

ومن كانت هذه نيته في حرفه وصنائعه فهو في عبادة في جميع ما يتقلب فيه من ذلك وإنما حثينا على النية في مثل ذلك

وان كان نفع الناس منطويا في ضمنه بلا شك وإن لم ينو عملا بقوله صلى الله عليه وسلم " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى " فجعل الشارع كل ما ينويه

العبد سائبا لا ثواب فيه يقينا وإن كان فيه رائحة ثواب من حيث كون الناس انتفعوا به ولا تقدر يا اخى على العمل بهذا العهد الا ان كنت زاهدا في الدنيا فان الراغب فيها ما همته الا الفلوس ولا يكاتد يفتكر نفع الناس أبدا فتأمل ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك .

**99 - أخذ علينا العهود إذا وفينا لأحد حقه الذي علينا وبالغنا في الاحتياط جهدنا ألا نرى نفسنا خلصت من تبعته سواء كان مالا أو عرضا**

وذلك لأن القاعدة أن الميزان لا تقام الا على أرباب الدعاوى للخلاص أو غيره من المقامات فإن الدعوى لكمال من الكمالات فيها رائحة الفرار من إقامة حجة الله تعالى عليه بخلاف صاحب الاعتراف بالتقصير فان الله تعالى لا يقيم عليه ميزانا ان شاء الله تعالى فكل من رأى نفسه مخلصا اشتبك وكل من رأى نفسه مشبوكا تخلص .

فاعلم ذلك واحذر ان تسأل من كل من لك عليه دين أو له عليك دين ووفيته براءة الذمة فتكون له المنة عليك بذلك بل أعطه حقه كاملا موفرا حتى يذهب الشك أو اعترف له به إلى وقت الغدرة وزده عند الوفاء عن حقه ثم أسقط عنه المنة بعد ذلك لئلا تدخله في منتك فتسيء في حقه ولا يقال إسقاط المنة منة أخرى

فإن ذلك ليس من مقدور البشر لفتح باب التسلسل إلى غير نهاية ، كذلك من الواجب على كل من تخلق بالرحمة على خلق الله إذا اشترى من انسان شيئا بزيادة على ثمنه في ذلك الوقت ان لا يعلم البائع بذلك
ثم يهبه الثمن ويستوهب منه تلك العين فيخلص ذمته وربما كان البائع فقيرا وركبته ديون الناس فتكون قد ساعدته وتصدقت عليه من حيث لا

يشعر وهذه من معاملات سيدنا ومولانا الخضر عليه السلام وعلى كل من تبعه على أخلاقه .

ثم اعلم يا اخى أنه ما في الوجود حق لآدمي إلا وهو مختلط بحق الله عز وجل وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق سائر من في الوجود فمن طلب براءة الذمة من صاحب الحق
فإنما هو لجهله بما قلنا لأن ذلك الحق الذي طلب الخلاص بالبراءة منه كقطرة من البحر المحيط لما عليه من حقوق الوجود .

واعلم يا اخى ان مشهد كل عارف بالله ان يرى جميع الوجود مملوءا حقوقا ويرى نفسه مطالبا بوفائها كلها ولذلك قالوا يسأل العارف يوم القيامة عن حقوق جميع العباد هل وفاها أم لا ،
وإيضاح هذا الذي قلناه كما قاله بعضهم إن كل فعل صدر من العبد يفرق جزاؤه على جميع من في الوجود من إنسان وحيوان فمن عمل صالحا فقد أحسن إلى جميع الوجود ومن عمل سيئا فقد أساء على جميع الوجود فما يريد من قصر أن يفعل وعمره كله ينفد ولا يقدر على الطواف على أهل بلده ليبروا ذمته من إساءته عليهم في كل ذنب عمله طول عمره بل لو أراد براءة ذمته من ذنوب يوم واحد ما قدر على الدوران عليهم كلهم لا سيما من مات فإنه تتقذر منه البراءة بيقين .

وقد سمع سيدي على الخواص رجلا يطلب من آخر براءة الذمة من المجهول على مذهب الإمام مالك رضى الله عنه فقال أبرأت ذمتك ،
فقال قل على مذهب الإمام مالك ،
فقال الشيخ وماذا يفعل معك مالك في الآخرة حين يحصى على العبد مثاقيل الذر ، فعلم أن الواجب على كل عبد ان يملأ قلبه خوفا ولا يرى أنه تخلص في عمل من الأعمال فإنه حينئذ لا يقام ميزان

التدقيق إن شاء الله تعالى إذ الميزان إنما توضع للخلائق ليظهر لهم تقصيرهم في حقوق الله وحقوق العباد وصاحب هذا المشهد قد اعترف بذلك من هذه الدار

فأكثر الناس شبائك في الآخرة وتبعات المتورعون في زعمهم والمتوسوسون الذين يرون صحة عبادتهم وأحوالهم ويقولون نحن أكثر الناس احتياطا ، والله غفور رحيم .

**100 - أخذ علينا العهود أن نقرض كل من استقرضنا قوت يومه من الفقراء والمحترفين**

ثم لا نجعل ذلك ديدنا فندخل الفقير والمحترف في ثقل المنة وإنما يكون القرض له في وقت الاضطرار وذلك انما هو في بعض الأوقات
فإن خير الله فائض على عباده في أغلب أوقاتهم وإنما يضيق عليهم في بعض الأوقات تأديبا لهم فإن العبد إذا اضطر عظم نعمة الله وتلقاها بكلتا يديه وإذا وسع الله تعالى عليه استهان بالنعمة وجهل مقدارها فافهم ، فلا يقع في الوجود غلاء إلا عند استهانتهم بالقوت ولا يقع لهم سلب نعمة من مال أو علم أو صلاح إلا بعد إخلالهم بأدبها .

فعلم أنه إذا جاءنا فقير يطلب شيئا وهو غير مضطر منعناه وأمرناه بالصبر فإنه أقوى في استعداده ولا نرق له كل الرقة فقد أخل في ادعائه مقام الرحمة على العباد فوق رحمة من ابتلاهم فتخطى الطريق المستقيم .

وقد طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون رزقه كفافا وذلك ليكون العبد دائما متوجها إلى الله بقلبه محتاجا إليه لا يوصف بالغنى عنه تعالى في ساعة من ليل أو نهار بخلاف من وسع الله عليه فإن قلبه يكون معرضا عن ربه في أكثر أوقاته لحجابه بغناه بالأسباب عن مسببها ،

قال تعالى :كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ

لَيَطْغى ( 6 )أَنْ رَآهُ اسْتَغْنىفافهم ، فالحق تعالى أرحم بعباده من والدتهم ومن رحمته بهم عدم تحنين قلوب عباده عليهم بالعطاء والصدقة لأنه لشدة اعتنائه بهم أراد أن لا يكون لأحد من الخلق عليهم منة .

وقد رأيت مرة في واقعة أن القيامة قامت وجماعات كثيرة من الفقراء واقفون حفاة عراة متجردين من أعمالهم الصالحة وهي عنهم بعيدة كالجبال الرواسي
فقلت ما بال هؤلاء ؟
فقال لي شخص منهم نحن قوم من الفقراء كنا نقبل من الناس الصدقات نأكلها ونتقوى بها على العبادات ، فنادى المنادى ألا إن كل عمل نشأ من لقمة فهو لصاحب تلك اللقمة ، فجاء أصحاب اللقم إلى الموقف وهم مفاليس من الأعمال فطلبوا أجر إحسانهم علينا فتحكموا في أعمالنا ولم يبقوا لنا منها شيئا ،
فلا ينبغي لفقير أن يركن إلى إحسان الناس ، قال بعضهم إلا إن صار من الموحدين الذين لا يشهدون منعما في الوجود إلا الله وحده ، والخلق كالحمير الذين يحملون أهدية إليك فأول ما يشهد النعمة تضيفها إلى خالقها لا إلى حاملها فإذا صار كذلك خلص ان شاء الله تعالى من منة المحسنين اليه في الدنيا والآخرة وفيه نظر ، فاعلم ذلك وتدبره والله غنى حميد .

**101 - أخذ علينا العهود إذا وسع الله علينا الدنيا ان لا نوسع بها على أنفسنا وعيالنا وإنما نجعل التوسع في الصرف على الفقراء والمحاويج ولا نزيد نفوسنا على ما كنا عليه قبل الغنى**
من المأكل والملبس والمركب والمنكح فنأكل الخبز ولو حافا ونركب الحمار ولو عريا ونلبس الجبة ولو غليظة وننكح النساء ولو جارية سوداء ونرضى بذلك عن ربنا هذا شأننا ما دام لنا

مع الله اختيار وتدبير وعلامة ذلك ان نتأسف على فوات شئ في الوجود ويحصل لنا بفواته بعض ندم فإن من علينا بغناء الاختيار كنا معه على حسب ما يريد بنا من وسع أو ضيق ولكن ميلنا إلى الضيق لا حرج علينا فيه لأنه هو القدم المحمدي .

ثم إذا قدر علينا التبسط في الدنيا فينبغي لنا ان لا نخرج في ذلك عن الوسط .

واعلم أنه لا ينبغي لأحد في هذا الزمان ان يلبس الأصواف الرفيعة ولا الجوخ البندقى ولا الشاشات الرفاع ولا الظهور المحررات ولا أن يأكل في أواني الصيني والزجاج الافرنجى هذا في حق الخواجا نفسه فكيف إذا لبس عبيده من ذلك ،
وأما الذي يكسو دابته البرادع المثمنة والدبابى الحمر واللجام والركب المطلية ويركب على بساط قيمته عشرون دينارا فحكمه حكم البهائم بل ثمن كسوة الدابة ما ذكر كثير على لبس أكبر المباشرين في هذا الزمان فضلا عن أحاد الناس ،

هذا النهى فيما إذا وجد ثمن ذلك من كسب حلال لا تبعة فيه فكيف بمن يحصل ذلك من كسب كله غش وحوف وخداع ونصب وحيل مع قلوب مائلة ونفوس كالبة وعقول سالبة في زمان لا يوجد فيه القوت إلا بمعاينة أسباب الموت كما يعرف ذلك جميع أصحاب الصنائع والحرف .

وإياك يا اخى وفعل الأطعمة النفيسة في العزومات فإن تحرير النية فيها عسر على مثلك وهي مما أهل لغير الله به وذلك لا يخلفه الله في الدنيا ولا يثيب عليه في الآخرة وغالب من يفعل مثل ذلك الذين يميلون إلى كثرة مدح

الناس لهم ورفعهم على أقرانهم فتدخل رؤوسهم الجراب حين يسمعون الصيت بالكرم ثم في أقل من القليل ينفد جميع ما معهم من المال ويصيرون يشتهون شهوة من شهوات الدنيا ويقر عنهم جميع من كانوا يعطونه

وكثير منهم من لا يرجع عن الفشولة بنفاد ما معه من المال بل يصير يقترض بالربا ويطعم على عادته خوفا ان يقول الناس فلان غلب فإذا طالبه الناس بأموالهم ذهب ففلس نفسه عند القاضي بشهادة هؤلاء الذين كانوا يأكلون طعامه وصارت ديون الناس في عنقه إلى يوم القيامة ثم بعد ذلك يوضع في تابوت من نار ثم يلقى في جهنم كما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء وقال يا جبريل من هذا ؟
فقال هذا رجل مات وفي عنقه ديون الناس .

وهذا امر قد كثر في هذا الزمان حتى تجد غالب أهل السوق عليهم الديون لا يسلم منهم الا القليل ثم يموتون على تلك الحلال كما شاهدنا ذلك في كثير من المعارف فإياك ثم إياك .

واعلم يا اخى ان من أكبر علامات كونك تطعم الناس وتعزم عليهم رياء وسمعة حرمانك الفقراء والجيران والأقارب وذوى الرحم من ذلك الطعام وثقل إطعامهم على قلبك وتعديهم إلى الأغنياء والأجانب الأباعد من أبناء الدنيا

فإن كل لقمة يأكلها الفقير أو القريب لا سيما ان كان محتاجا تعدل في ميزانك قناطير مما يأكله أبناء الدنيا بل رأيت من يطبخ وينوع الأطعمة إلى نحو أربعة عشر نوعا لا يمكن أحدا من أهل البيت والجواري اللاتي طبخن من أكل لقمة واحدة مع كونهن ولين حره وعلاجه طول النهار ،
وإياك أن تصغى إلى من يقول تنوع المطاعم والملابس مباح ، وكان سيدي علي بن

وفا وسيدي عبد القادر الجيلى وسيدي مدين وغيرهم يلبس أحدهم كل بدلة بخمسمائة دينار وأكثر وكانوا يأكلون الأطعمة الفاخرة في أواني الصيني
فإنهم كانوا في زمن يحتمل ذلك مع أنه كان بإذن من ربهم على لسان الهواتف المحفوظة فأين أنت منهم يا غارقا في ظلمة نفسه وهواها يا من هو في حضرة إبليس يا من هو في زمان صار الحكام يأخدون فيه خراج الأرض البايرة
ويأخذون الخراج من الفلاح مضاعفا حتى يبيع بهائمه وقمحه ووزه ودجاجه ويصير كلّا على الناس أو يدخلوه الحبس عن بقية خراج العاطل في البلد ولا يرحمونه ولو مات هو وأهله وأولاده ، فاعرف زمانك يا أضل من البهائم والله غفور رحيم .

**102 - أخذ علينا العهود ان نصبر تحت جور الحكام ونرضى عن ربنا بما في يدنا من الدين والدنيا وإن قلّ**
ولا نطلب الزيادة فربما وقعنا في كفة الخسران باتساع الدنيا وكثرة تولى الأعمال الصالحة لموضع اختيارنا مع الله تعالى إذ العبد كلما كثرت طاعاته يطرقه العجب والإدلال واستبعد ان مثله لا يؤاخذ فيهلك من حيث لا يشعر بخلاف قليل الأعمال الصالحة فإنه لم يزل خائفا من الله تعالى واقفا على قدم الاعتراف بالتقصير والرحمة أسرع إلى مثل هذا من السيل إلى منتها .

واعلم يا اخى ان الله تعالى لم يأمرنا بطلب الزيادة من الأعمال الصالحة لعلمه بأنه لا يدخل أحد الجنة بعمله وإنما يدخلها برحمة الله بخلاف العلوم الشرعية

فإنه تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة منها في قوله :وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماًوذلك لأن الزيادة من العلم تكشف عن حقائق الآداب وغايات

الاعمال وثمراتها فلو ازداد علم من طلب زيادة الأعمال لعلمه أن الله تعالى اعلم بمصالحه عبده من نفسه وأن كل من اعتمد على عمله خسر اعتماده على غير الله وما دعى المحجوبون إلى طلب كثرة الأعمال لاعتمادهم عليها دون الله ولو اعتمدوا عليه لتساوى عندهم كثرة الأعمال وقلتها فتأمل ،

ولا ينافي ما ذكرناه طلب الأنبياء عليهم السلام من الله ان يكونوا من الصالحين فإن الصلاح رتبة توجد بدون الأعمال بتعلقها بالسرائر إذا اعتنى الحق تعالى بعبد بارك له في قليل المال وفي يسير الدين

كما أشار إليه قوله تعالى :وَاللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُفافهم وإياك والخوف في نقص المال الذي بيدك لك أو لغيرك فان الخوف لا يرد المقدور لا سيما مع التبذير .

فخذ يا اخى في الأسباب المخففة عنك بتقليل نفقات زوجاتك التي لا تستحق الواحدة منهن الآن ان تطعمها نخالة الشعير من غير ادم لقلة صبرهن معك على مرارة الدهر وضيق أحواله وعدم حفظهن لعهد الأزواج

وسمعت سيدي على الخواص رحمه الله تعالى يقول : لا يذهب الله عز وجل البركة من يد عبد إلا إن خرق السياج في الإسراف في المآكل والملابس لمن لا يستحق ذلك ولم يهتم لما عليه من الديوان فحينئذ يكله الحق تعالى إلى نفسه ويترك امداده بالمعونة فيجد نفسه في أقل من لمحة على الأرض السوداء فمن أراد دوام النعم فليصرفها في مواضعها المشروعة والله عليم حكيم .

**103 - أخذ علينا العهود ان لا نمكن أحدا من إخواننا من الاشتغال بفتح الكنوز والمطالب**

كما عليه طائفة العرجان الذين أعمى الله تعالى قلوبهم عن

مصالح دنياهم وآخرتهم وأشغلهم إبليس في الفارغ الذي يتحدث به ولا يرى .
وقد انهمك على هذا الامر جماعة كثيرة من أهل زماننا حتى بلغوا الغاية في ضيق الحال وضيعوا ما كان معهم من عروض الدنيا على البخورات والعزائم وأجرة الفحارين وحلاوة النصابين .

وقد حدث أيضا جماعة أقبح منهم حالا عجزوا عن فتح المطالب فشرعوا يحفروا قبور الملوك والأمراء ونساءهم وجواريهم ويهتكوا سترهم بعد موتهم حين أخبرهم بعض النصابين أنه وجد تحت أمير ذهبا مفروشا نسأل الله العافية ،

ثم إن كان ولا بد للطماع من طلب فتح المطالب فليقرأ كتاب خواص الحروف المرقومة في اللوح المحفوظ على الملائكة الموكلين بظهور الأحرف وحفظها ،

ويقرأ كتاب سر خواص الأزمنة على كاتم سر الشمس والقمر ،
ويقرأ كتاب خواص العقاقير المناسبة روائحها لأرواح الجان الموكلين بحفظ المطالب على شيخ هذه الطريق إبليس الأمين على ذلك ويجمع ذلك كله اللوح المحفوظ فإن كل خط وضع على باب مطلب فإنه مفسر في اللوح المحفوظ فيعرف من ينظر في اللوح جميع الموانع التي وضعها صاحب ذلك المطلب ويعرف بخورها وعزائمها وما هي متوقفة عليه وليس ذلك إلا لمن حق له قدم الولاية المحمدية

ولكن صاحب هذا القدم لا يفتح شيئا من ذلك لتنزهه عن أوساخ الناس من المسلمين فضلا عن الكفار والمشركين ، فاعلم ذلك يا اخى واقبل نصحى.

**104 - وكذلك أخذ علينا العهود ان لا نمكن أحدا من إخواننا من الاستغناء بعلم جابر المتعلق بالكيمياء ولا يصغى قط لمن يقول بصحته في هذا الزمان من النصابين .**

وقد أخبرني شيخنا رضى الله عنه بأن الله تعالى رفع صحة العمل بهذا العلم من سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة فمن عمل الآن بما عمله من ذلك لا يصح وانما هو زغل يستحق فاعله الشنق .

وقد أجمع جميع القائلين بصحة عمل الكيمياء على أنها لا تصح قط على يد عبد محب للدنيا لأنه من علم الحكمة والحكمة لا تدخل قلبا يرجح الذهب على الزبل وليس هذا الا للرسل ثم لكل أتباعهم من الأولياء والصالحين والعلماء العاملين .

واعلم يا اخى أن من أكبر الموانع بعد زوال محبة الدنيا من القلب عدم معرفة شروط العمل مأخوذا عليهم العهود والمواثيق أن لا يذكروا قط في كتبهم شروطا كاملة ولا يتكلموا بتدبير كامل أبدا إنما يحذفون منه مراتب كثيرة ويحيلون من أراد العمل بها على الذوق والكشف .

وأخبرني أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى انه سمع هاتفا يقول : نحن ولو اقدرناهم الآن على العلم لا نقدرهم على العمل .
وكان رحمه الله تعالى له اليد الطولى في هذا العلم .

وقد قال لي : وعزة ربى لقد أطلعنى الله عز وجل على أمور في هذا العلم لو أدركني جابر تتلمذ لي فيها فإني وصلت فيه إلى معرفة تدبير أمور وصحتها في أقل من درجة رمل ولم يصل جابر ولا غيره إلى كمال التدبير الا في نجو الأربعين يوما ومع طول باعه في هذا العلم وصحة كشفه مكث

إلى أن مات يضفر الخوص ويأكل منه ولا يعمل شيئا من هذا العلم فقال له بعض الفقراء الأكابر لا بأس بعمل شئ نوسع به على الفقراء والمحاويج فسمع منه وفعل نحو الألف مثقال أنفقها جميعها في طريق الحجاز أول سفرة

فلما أراد أن يعمل ثاني سفرة قيل له إن فعلت شيئا أتلفنا بذلك لأن هذه ليست لك إنما هذا أمر خاص بمرتبة السلطان فخالف وفعل فتفتح بدنه كله جراحات حتى يدخل الإنسان أصابعه الخمس فيها ولم يزل يخرج منها القيح والصديد إلى أن مات بها ولم ينتفع ببدنه ، فاعلم ذلك وخذ حذرك ، والله يتولى هداك .

**105 - أخذ علينا العهود أن نلبس أحسن ما نجد من الثياب إظهارا لفخامة سيدنا سبحانه وتعالى**

من حيث أن ضخامة العبد تدل على عظم السيد وعلو شأنه كما أن الغلاسة والوسخ يدلان على حقارة السيد ومن هنا اتخذت الفقراء الصادقون السجادات النفيسة للصلاة فافهم ،

وكل صادق يغار على سيده ان ينسب إلى عبيده نقص وأشق ما على المحبين سماع من يقول على عبد من عبيد سيدهم ما أغلس هذا العبد فإنه كالتوبيخ للسيد اللهم إلا أن يكون مشهود أحدا من العبيد تحمل أوساخ النسب عن عبيد سيده حين استقرت قسمة الوجود على ذلك وجعل من عبيده النظيف والوسخ
فلصاحب هذا المشهد الوسخ والمخرق من الثياب تحملا عن عبيد سيده وإظهارا للذل والفاقة فإن الله جعل للذل أقواما والله غنى حميد .

**106 - أخذ علينا العهود ان لا نقبل صدقة ولا هدية ممن علمنا أن عليه دينا للناس قد استحق أداؤه ولو درهما**

لأن الدين مقدم على الصدقة والهدية لا

سيما إن كان صاحب الدين يطالبه وهو يماطل فإن ذلك حرام كما أشار اليه قوله صلى الله عليه وسلم " مطل الغنى ظلم " فأكلنا ممن ذكر معدود من الشبهات فإن الحق تقديم صاحب الدين فإذا أكلنا من مال هذا المديون
فكأنا أكلنا مال صاحب الدين بغير إذنه هذا مع مشاركتنا للمديون في الإثم فانا لولا قيلنا صدقته أو هديته ما أثم بمخالفة الشريعة فنحن المساعدون له على المخالفة ، والله غفور رحيم .

**107 - أخذ علينا العهود ان ننقص من تعظيم من عزل من ولايته عن تعظيمه قبل العزل منها سواء كانت تلك دنيوية أو أخروية**

ومتى عظمناه بعد العزل لتعظيمه قبل عزله أخطأنا الحكمة ونقص من مقدارنا بقدر ما رفعناه إليه من غير استحقاق إذ التعظيم حقيقة انما هو للرتب لا للذات ،
قال تعالى في حق محمد صلى الله عليه وسلمقُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْفساوى ذاته بذات أمته ثم ذكر الرتبة بقولهيُوحى إِلَيَّفافترق عنهم .

فعلم أن التعظيم يزيد وينقص بلبس خلعة الله ونزعها قياما بواجب الرتب هكذا أدرج الأنبياء وأتباعهم .
وسمعت شيخنا رضى الله عنه يقول : لا يورث في القلوب حقيقة إلا ما قام بها من العلم .
وتأمل : إذا دخل السلطان السوق في هيئة العامة ومشى بين رعيته ولم يعرفه أحد منهم لا يقام له وزن في نفوسهم وإذا لقيه في هذه الحالة من يعرفه من الوزراء أو العلماء قامت بنفوسهم عظمته وقدره ولم ينظروا إلى هيئته التي هو عليها الآن لأنهم يعرفونه في سائر مراتب التنكرات فأثر فيهم

علمهم لا غير فما احترموه وتأدبوا معه وخضعوا له إلا لقيام العلم بهم ثم إذا اشتهر بين الرعية تعظيم الوزراء والعلماء لذلك الشخص قام عندهم بالتقليد أنه الملك لعلمهم بأن الوزراء لا يفعلون مثل التعظيم في العادة إلا معه
وحينئذ تغض العامة أبصارهم وتخشع أصواتهم ويوسعوا له ويبادروا لرؤيته واحترامه فلو لا قيام العلم بهم ما احترموه لأن صورته كانت مشهودة لهم ولم يحترموها حين كانوا جاهلين به وإيضاح ذلك أن كونه سلطانا وملكا ليس عين صورته وإنما هي رتبة نسبية أعطته التحكم في العالم الذي هو تحت حكمه وبيعته والله أعلم .

**108 - أخذ علينا العهود أن لا نمكن إخواننا القاصرين من القراءة بالأنغام أو الأذان أو التبليغ كذلك ونأمرهم أن يقرءوا ويؤذنوا ويبلغوا سادجا**
لأن مراعاة الأنغام تخرجهم من حضرة القرآن والصلاة فيغرقهم أمر أعظم مما راعوه من تحسين الصوت ومعلوم أن حضرة الحق تبارك وتعالى الغالب عليها الهيئة والوقار والدلال فيها عارض .
وتأمل : لو قال السلطان لإنسان ما حاجتك ؟
فوضع ذلك الإنسان أصبعه في أذنه وصاح بجوابه مراعيا للنغمات عند ذلك من خسافة عقل ذلك الإنسان ومن باب الاستهزاء بالسلطان وربما ضرب وخرج من حضرته فافهم ،
وإنما قيدنا منع النغم بالقاصرين ليخرج الكاملون من الأولياء الذين لا يكون الباعث لهم على النغم إلا الأمر الإلهى في نحو قوله صلى الله عليه وسلم " حسنوا القرآن بأصواتكم "
فهو في حال امتثال الأمر في غايته الموصلة والغنى به لا حجاب عنده كحال داوود عليه السلام حين كان يقرأ أما غير

الكمل من الأولياء فيحجبون عن شهود حضرة ربهم بمراعاة الأنغام ضرورة لا سيما أئمة المساجد وخوفهم من الغلط واللحن والوقوف على غير وقف ومراعاتهم التفخيم والترقيق والإخفا والإقلاب والإظهار والإدغام فلا يكاد أحد منهم يحضر مع الحق في حال القراءة ولا الصلاة بل نقول لو صح حضورهم مع شهود الحق لخرسوا عن الكلام ولم يستطع أحد منهم النطق فضلا عن غيره ، والله غفور رحيم .

**109 - أخذ علينا العهود ان نأمر اخواننا بخرق الناموس ونكون أمامهم في فعل ذلك وهذه طريقة السلف الصالح رضى الله عنهم أجمعين**

فكانوا يقفون على الحلقية ويمشون حفاة ويأكلون في الأسواق ويخرجون إلى السوق في قضاء حوائجهم بلا عمامة ولا ثياب حسنة ويحملون متاعهم من السوق ويحملون طبق الخبز إلى الفرن على رؤوسهم ونحو ذلك .

وقد نقل هذا الخلق عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام وابن دقيق العيد وعن الشيخ جلال الدين المحلى شارح المنهاج وعن العارف بالله تعالى سيدي محمد ابن أخت سيدي مدين رضى الله عنه

وهو أمر في غاية الرياضة للنفوس فإن قفص الطبع ما دام صحيحا لم يكسر فالمانع عن الخير قائم ولو كان على عبادة الثقلين إذ قفص الطبع كالخوذة الفولاذ المكفية على القلب فما دامت مكفية لا يصل إلى القلب من أثر العبادات شئ فافهم .

فعلم أن كل من لم يأمر أصحابه بخرق الناموس ولم يختبرهم فقد غشهم وربما تربت عندهم الرياسة والكبر والتشبه بأولاد التجار وغيرهم في الملابس والمراسم فيفسدوا ، ومصداق ذلك أنك تقول لأحدهم احمل هذا

الفرد التراب إلى الكوم أو احمل هذا الطبق إلى الفرن فيجد في نفسه استيحاشا حين يراه الناس على تلك الحالة ولو كان راض نفسه وارتاضته لم يقع له استيحاش وكان ماله كحال الفقراء الصادقين
فإنهم لا يتكبرون قط على فعل شئ مما يزرى وانما الله تعالى يسخر لهم من يخدمهم ولا يمكنهم من فعل ذلك جزاء على كثرة خدمتهم لربهم فإن من خدم الله خدمه جميع الوجود .

وقد قيض الله تعالى وأنا صغير من تعب في رياضة نفسي أكثر مما تعبته في رياضة الدابة الجموح وكان اسمه سيدي خضر رحمه الله تعالى ومات وهو يقول لي : نفسك حية إلى الآن .
واعلم يا اخى ان الرياضة واجبة عليك ولو لم يكن لك شيخ يربيك فتكون دائما على نفسك لتستريح وتريح الناس من شرك والله واسع عليم .

**110 - أخذ علينا العهود ان نأمر إخواننا ان يأخذوا كل كلام سمعوه من واعظ أو خطيب في حق نفوسهم دون غيرهم**
عكس ما عليه غالب الجماعة الذين يحضرون الواعظ في جامع الأزهر وغيره فإنهم إذا سمعوه يحط على العصاة والظالمين وأعوانهم مثلا يخرجون قائلين أفلح الشيخ اليوم في الحط على هؤلاء الكلاب وينسون نفوسهم

مع أنهم كذلك عصوا وظلموا نفوسهم وغيرها فدخلوا بيقين في جملة العصاة والظلمة وأقل ما هناك ظلمهم لإخوانهم وغيرهم بسوء الظن فيهم فيحملون إخوانهم على محامل سيئة ربما لم تخطر لهم على بال وهذا لا يكاد أحد من أمثالنا يسلم منه ، فاعلم ذلك فإنه نفيس.

**111 - أخذ علينا العهود ان نكرم كل من بلغنا أنه يكرهنا وينقصنا بين الأقران وغيرهم**

ونداويه بالكلام الحلو والتردد إليه بالبشاشة والتغافل عما بلغنا عنه ما أمكن كل ذلك رحمة لأخينا أن ينقص رأس ماله بكراهة أحد من المسلمين لا نفرة من وقوعه في حقنا بالخصوص

فان ذلك من حطول النفس ومن شرط كل عارف بالله ان يشفق على كل من عصى أمر الله مطلقا وإذا قدر انه كره فلا تكون كراهته إلا لله وميزان الصدق في ذلك ان يتساوى عنده كراهته ذلك الشخص إذا نقصه وكراهته

إذا نقص غيره من المسلمين على حد سوى ومتى تأثر ممن نقصه أكثر من تأثيره إذا نقص غيره فكراهته لغير الله .

فعلم أن من رحمتنا بأخينا إذا نقصنا وعاب علينا أحوالنا ان نسد عليه تلك الأبواب بالمهادات بالمآكل والملابس وبيان فضله وعلمه وردنا الكلام الناقص إذا بلغنا عنه ونقول حاش لله أن مثل فلان يقول في حق مسلم ذلك

وان كان القلب يشهد عندنا بخلافه فإنه إذا بلغه عنا ذلك خجل منا وندم وترك الحط فينا بعد ذلك وأما إذا خطينا نحن الآخرين فيه يزداد الأمر وتعظم الدخيرة فينبغي لنا ان نبلغ كل من نقصنا بالاحتمال والجواب عنه ولا نتكدر منه ولا نصدق فيه ما قال فيبلغنا هو فمن هادي من يحط عليه السلام

فقد سد باب الشر عنه ورحمه بتقليل الحط ضرورة ومن ترك مهادته وتركه يقع في عرضه فعليه إثم من قدر على زوال منكر ولم يزله على حد سواء

فما ثم أستر للعيب من الكرم والسخاء أبدا ويجب على المريدين إذا نقصهم أحد من اخوانهم ان يرجعوا على نفوسهم باللوم ويقولون لها يا نفس ان كنت عند الله ناقصة فلا ينبغي لك الغيظ من هذا الشخص لأنه ذكرك بما فيك وان

كنت صالحة عند الله فلا تخرجى عن الصلاح بكلام هذا المنكر فتخمد النفس ضرورة عند سماع هذا الكلام وتستريح اليه ومتى أجاب الفقير عن نفسه تعب لا سيما وجميع الأقران إلا من شاء الله لا يستطيعون ان ينظروا إلى من رفعه الله عليهم من أقرانهم بل يبتكرون له العيوب من ذات أنفسهم ليطفئوا نوره

وان شككت في قولي فجرب ولا يكلموه الا ملقا ، ومصداق ذلك انك تقول لأحدهم لم لا تأخذ عن فلان الطريق مثلا فيتمعر وجهه
ويقول فلان رفيقي في الطريق وكنت أنا وإياه على شيخ واحد وهذا أحسن جواب يقع منهسُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًافالله تعالى يستر فضائحنا آمين .

**112 - أخذ علينا العهود ان لا نمكن إبليس من البول في آذااننا بانتقاخنا بما ليس لنا**

**كأن نقول للتلميذ :** إذا عرض لك الشيطان فاصرخ باسمنا فإنه يرجع عنك كما يقع فيه كثير من المتصوفة
وإذا كان الشيطان يصرع الأكابر من الأولياء ويلعب بهم كالكرة فكيف بأمثالنا الذين أضاء لهم مصباح ضعيف ينطفئ من نفخة ناموسة
ولكن القول الحق في ذلك أنك يا اخي إن كنت تعلم عمرى المقام وان الشيطان تحت حكمك وتصريفك فتصرف فيه كيف شئت

فلك أن تقول لتلميذك اصرخ باسمي إذا جاءك الشيطان وإلا فالزم الأدب ، فإن إبليس عالم بجميع شرائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبجميع ما استنبطه أممهم من الأحكام في كل عصر وأوان ويعرف ما تتفق فيه كل شريعة وما تختلف من كل ذلك يا أهل حضرته بالضد من ذلك ولولا علمه بذلك لالتبست عليه طريقه فكان يأمر بما أمرت به الشرائع فأين

علمك أنت يا من إذا قلنا له اشرح لنا مختصرا واحدا في علم من العلوم ولم يقدر فما من طريق إلى الحق إلا وللشيطان فيها قدم يدعو منها إلى حضرته ولذلك قال تعالى محذرا الناوَأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ .
وقد أوضحنا القول على وقائع إبليس مع الأنبياء والأولياء في العهود الكبرى ويكفى في التنويه بقوة تسليطه كون الحق تعالى أمرنا أن نستعيذ بالله منه ولم يكتف تعالى بأن نستعيذ بغير الله منه لعلمه تعالى بأن الاستعاذة من إبليس بغير الله تعالى لا تكفى ولو كان الغير من أكابر الملائكة أو الرسل فافهم ، واحذر ممن جعل الحق تعالى نفسه في مقابلته في القوة ولا تكن من الغافلين عن شهود ذلك فإن جند جميع الرسل يحىء عشر جند إبليس وذلك لوسع حضرات الرحمة الإلهية وغلبتها على حضرات الانتقام فافهم ، والله عليم حكيم .

**113 - أخذ علينا العهود ان نفرح بكل شيخ أو واعظ برز في بلدنا وانقلب اليه جميع أصحابنا**

ومتى تكدرنا من ذلك وضاق صدرنا فهو دليل على حبنا للرياسة على عباد الله دون محبة الخير للناس لم نفرق بين حصول الهداية لهم على يدنا أو يد غيرنا فع ان شرط الشيخ ان يشهد معية الحق تعالى للوجود
وأنه الفاعل فيهم بهم قاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللَّهَ رَمى ولم يبلغنا قط عن رسول أنه كره رسولا أرسل في زمانه بل ولا بلغنا ذلك قط عن كامل من الأولياء فضلا عن الرسل .
وقد أجمع الأشياخ على وجوب انقياد الشيخ لمن رآه أرقى منه في طريق

الله عز وجل بل أقول يجب انقياد الشيخ لكل من رآه يدعى الدعاوى العريضة فنتلمذ له ونصير نسارقه شيئا فشيئا حتى نقوم بموجبه من حيث لا يشعر ذلك المدعى يتقويمنا له فقد علمت أن انقيادنا للشيخ الذي برز في زماننا أولى لأنه إن كان فوقنا تعلمنا منه وإن كان دوننا علمناه .

وسمعت شيخنا رضى الله عنه يقول :
كان الحلاج يقول : ما دعى داع إلى خير إلا وهو غارق في حظ نفسه لترجيحه جانبا على جانب وأقل ما يقع فيه الداعي محبة كثيرة الإشكال في طريقه دون غيره .

قلت : وهذا الذي قاله الحلاج في حق من لم يكمل من الدعاة كقوله تعالى :قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحانَ اللَّهِ وَما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَفافهم فإن ذلك من دقائق العلوم ، والله أعلم .

**114 - أخذ علينا العهود ان نشهد افتقارنا إلى الله هو افتقارنا إلي الأسباب الكونية ، فإن افتقار الخلق إلى الله لا يعقل إلا كذلك والمراد بقوله تعالى يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللَّهِ فقرنا للأسباب ،**
فإذا سألنا الحق تعالى مثلا قمحا أو خبزا ردنا إلى شونة القمح أو دكان الخباز فما استغنينا حقيقة إلا بالأسباب والحق منزه على أن يستغنى بحقيقته فافهم ،
فالغنى بالله الذي يشير اليه الطائفة هو أن يعطى الله تعالى عبدا من عبيده أمرا ما يغنيه عن الوقوف على الوسايط دون الله
فتكون الوسايط كالقناة التي يجرى فيها الماء فالحقيق بالحمد من أجرى القناة لا نفس القناة ثم لا يخفى ان في دعوى الاستغناء بالله تعالى دسيسة في غاية الدقة وهي أن النفس بطبعها تحب صفة الغنى وتزاحم الحق تعالى في التسمي بتلك الصفة التي لا تليق إلا به تعالى وإذا

شهدات النفس غناها بالله تعالى زهت عباد الله وتكبرت وجهلت العالم بل جهلت صفة نفسها إذ الافتقار لها ذاتي والغنى لها عرضى والعارف لا يغيب عن الأمر الذاتي له بالأمر العرضي دنيا وأخرى ولا يزال عبدا فقيرا إلى ربه ثم إلى الأسباب في كل نفس ، والله عزيز حكيم .

**115 - أخذ علينا العهود ان لا نذكر الله تعالى إلا امتثالا لأمره لا لقصد تنزيه ولا أنس بذلك**
وذلك لأن الحق تعالى له الكمال المطلق

فما ثم فيه نقص لنزهه عنه فمن قال سبحان الله مثلا على وجه التنزيه فكأنه شهد في الحق تعالى نقصا ثم نزهه عنه ولا يخفى ما فيه ولعل عدم تنزيه هذا كان أكمل من تنزيهه .

وكان بعض العارفين يقول : الأنس بالحق تعالى لا يصح إذ الأنس لا يصح إلا بمن بيننا وبينه مجانسة ولا مجانسة بيننا وبين الحق تعالى بوجه من الوجوه وجميع من يدعى الأنس بالحق تعالى من العباد والمجتهدين انما ذلك أنس بأنفسهم وبنفحات أعمالهم لا بعين الحق ولذلك يذهب أنسهم إذا تركوا عبادتهم وتهجدهم ، ولو كان ذلك الأنس بالله إذا وقع لا ينقطع أبد الآبدين ودهر الداهرين .

وسمعت شيخنا رضى الله عنه يقول : الخلوة بالحق تعالى خاصة بالقطب في كل زمان لا تكون لغيره أبدا فإياك ودعواها .

ثم لا يخفى عليك يا اخي : أن الحق تعالى يقول أنا جليس من ذكرني ، ولا يصح المجالسة القلبية لعبد إلا ويتخلق في كل جلسة بما لا يحصى من الأخلاق الرفيعة فيقال لكل من ادعى مجالسة الحق تعالى في ذكره أي خلق

اكتسبته من مجالسة الحق وأي علم وهبه الحق لك فإن حضرة الكرم والجود لا يرد عليها وارد قط الا ونتحفه ، فإن قال لم يتحفنى بشئ ، قلنا له إنك لم تجالسه في شئ .

وقد قيل للجنيد رضى الله عنه بمن استفدت هذه العلوم التي لم نجدها عند أحد غيرك ، فقال استفدتها من جلوسى بين يدي الله عز وجل تحت تلك الدرجة ثلاثين سنة وأومأ إلى درجة في داره فاعلم ذلك فإنه نفيس .

وكان شيخنا رضى الله عنه يقول : لا ينبغي لعبد أن يترك ذكر الله عز وجل إذا لم يجد في باطنه طهارة كما عليه بعض المتصوفة لأن الله تعالى يقولاذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراًفلم يقيد الذكر بحال دون حال .

وكان صلى الله عليه وسلم يقول : الحمد لله على كل حال ، وغاب عن هؤلاء أنه ما ذكر الله أحد قط عن غفلة .

وسئل الشبلي رضى الله عنه ما الحكمة في كون الجنب والحائض ينهيان عن قراءة القرآن دون ذكر الله عز وجل .

فقال رضى الله عنه لأن اسم الجنب لا يمنع أحدا من ذكره ولو صح أن العباد منعوا من ذكر اسم الله لانفطرت أكبادهم ، هذا ما عليه المحققون من أهل الله عز وجل ، والله واسع عليم .

**116 - أخذ علينا العهود ان لا يكون لنا في هذه الدار راحة لا في ظاهرنا ولا باطننا اقتداء بالسلف الصالح من كل العارفين .**

وقد جهل هذا من قال هنيئا للعارفين وأين الراحة لهم وهم مسؤولون عن حقوق جميع العالم وأين الراحة لهم والحق تعالى يحصى عليهم مثاقيل

الذر لا يسامحهم في واحدة مما يسامح فيه غيرهم وأين الراحة لهم وهم مكلفون بأن يشهدوا الحق عيانا والخلق إيمانا ليلا ونهارا حتى في حال جماعهم وبرازهم وأكلهم وشربهم ومرضهم وعجزهم وفقرهم وغير ذلك .

فعلم أن المحجوب في عذاب والعارف في عذاب وما تنعم من تنعم في هذه الدار إلا لغفلته عما جعله الله عليه من الحقوق .

وحكى عن الشيخ محيي الدين بن العربي رضى الله عنه أنه قال : تذاكرت مع الشيخ أبى العباس بن حوذى رضى الله عنه بأمر من الحق تبارك وتعالى فقلت له ما لامر فقال أبو العباس كنت أجهد في الطلب وأنصب وأبذل الجهد فلما كشف لي علمت بأنى مطلوب فاسترحت من ذلك الكد
فقلت له يا اخى رحمك الله ان من كان خيرا منك وأوصل بالحق تعالى
قيل له :وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماًوقيل لهفَإِذا فَرَغْتَ فَانْصَبْفأين الراحة يا اخى في دار التكليف ما فهمت ما قيل لك في كشفك ولم تدر بماذا أنت مطلوب بما كنت عليه من الاجتهاد والجد فإذا فرغت من مراتب فيه فانصب في كل أمر يأتيك في كل نفس فأين الراحة والفراغ ، فشكرنى أبو العباس على ذلك ورجع لقولي .

وقد حكى الجنيد رضى الله عنه أنه ختم القرآن وهو محتضر قد مات نصفه الأسفل فقيل له في هذه الحالة وأنت تتعب وتنصب ، فقال ومن أولى منى بذلك وهو ذا تطوى صحيفتي .
فاعلم ذلك .

**117 - أخذ علينا العهود ان نسكن حت جريان الأقدار كائنا ما كان**
فإنها من

تقدير ربنا علينا ثم إذا سئلنا تحويلها فليكن ذلك على وجه امتثال الأمر لا على وجه الترجيح قال تعالى معلما لنارَبَّنا وَلا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ .

وحكى عن إبراهيم بن أدهم أنه قال : نمت عن وردى ليلة من الليالي فتكدرت لذلك فعوقبت بالنوم عن الفرائض ثلاثة أيام فضاق صدري أكثر وأكثر ، فنوديت في سرى يا إبراهيم كن عبدا لنا تستريح فإن أنمناك نم وإن أقمناك قم وليس لك في الوسط شئ ،

فقال فرضيت بما قدره الحق عليّ فاسترحت وتساوى عندي نومى ويقظتى وطاعتي ومعصيتي لعلمي بأنه تعالى أعلم بمصالحى منى وقد طلبت حال الشباب ان يحفظني الله تعالى من الوقوع في المخالفات فنوديت في سرى ما اخترناه لك أولى مما تختاره لنفسك فاصبر تحت أقدارنا إن كنت عبدنا .

فعلم أن الرضا عن الله تعالى في تقديره لا يلزم منه ترك الشكوى إلى الله تعالى كما أن الشكوى إلى الله لا تنافى الرضى عنه في التقدير .
وقد أوضحنا الكلام في ذلك في رسالة الأنوار القدسية والله غنى حميد .

**118 - أخذ علينا العهود ان نتوكل على الله تعالى في جميع أمورنا**
وصورة توكلنا ان نشهد ان الأمور كلها لم تزل موكولة إلى الله عز وجل والا فكيف يوكل المالك ؛ على ملكه الذي لم يخرج عن ملكه طرفة عين ففي ذلك من سوء الأدب ما لا يخفى لان الموكل هو المالك دون الوكيل فتأمل ثم إنه يقال للمتوكلين فيما اذا وكلتم فيه ربكم ان وكلتم الأمر فيما هو له فالأمر هو له قبل ان نكله اليه وان وكلتم إليه ما رأيتم أنه لكم فليس لكم من الأمر

شئ فإضافة الأمور لكم كإضافة سرج الدابة للدابة وباب الدار للدار ونظير ذلك أيضا التفويض إلى الله تعالى
فالواجب علينا ان نشهد الأمر لم يزل مفوضا إليه تعالى قبلنا ومعنا وبعدنا لعلمنا بأن أفعال الحق تعالى كلها عين الحكمة
فلا ينبغي ان تعلل بالحكمة إذ لو عللت افعال الحق بالحكمة لكانت الحكمة موجبة له فيكون الحق تعالى محكوما عليه وهو محال ، فاعلم ذلك . انتهى .

**119 - أخذ علينا العهود إذا كشف لنا عن تقدير معصية علينا ولا بد ان لا نبادر لفعلها ولو شهدنا ان وقوعنا فيها كمال في الوجود**

فإن من كان كشفه تامّا يشهد الحق تعالى غير راض عنه في الوقوع في المعصية لا يشهده راض عنه فيها أبدا وان كان الله تعالى ما قدر علينا المعاصي إلا ليشهدنا كرمه وحلمه وفضله ولو كان الخلق كلهم مطيعين لم يظهر كمال فضله وحلمه إذ الطائع لا لوم عليه ولا يقام عليه حجة على أنه لا يتصور من مؤمن معصية قط خالصة إذ لا بد ان يشوبها طاعة وهي موافقة الإرادة

فمن لم يطع الأمر أطاع الإرادة فالعاصى داخل في سياج العبودية لم يخرج وإن كانت السعادة منوطة بموافقة الأمر وكثيرا ما كنت أسمع سيدي على الخواص رحمه الله تعالى يقول : من المحال أن يأتي مؤمن معصية توعد الله تعالى عليها بالعقوبة إلا ويعقبه الندم بعدها ، وفي الخبر : الندم توبة ،

ولا يندم أحد على فعل إلا بعد إيمانه بأنه مذموم فهو من الذينخَلَطُوا عَمَلًا صالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْوعسى من الله واجبة الوقوع عند بعضهم فالعمل الصالح إيمان العاصي بأنها معصية والعمل السيئ كونه مكتسبا لها . انتهى.

وسمعته رضى الله عنه يقول أيضا من المحال ان يعصى المؤمن على الكشف والشهود فلا بد من حجاب ولو رقيقا أدناه تزين الوقوع للعبد في ذلك المقدر بتأويل بخروجه عن كونه مؤاخذا بمثل ذلك لاتساع الرحمة الإلهية وذلك لئلا يقع في انتهاك الحرمة فيشتد عذابه ثم إنه بعد الوقوع يظهر الله تعالى له فساد ذلك التأويل الذي أداه إلى الوقوع فيندم ويخاف ويستغفر ،

ويؤيد ذلك حديث " إذا أراد الله تعالى إمضاء قضائه وقدره سلب ذوى العقول عقولهم حتى إذا أمضى فهم قضاءه وقدره ردها عليهم ليعتبروا "

وفي هذا الحديث بشارة عظيمة من عالم بالأمور لأنه فتح باب الرحمة والعفو وعدم المؤاخذة لكل عاص على وجه الأرض لأنه ما عصى قط أمر الله تعالى إلا وهو غير مكلف لزوال عقله فافهم ،

لكن في هذه البشارة رائحة الاستدراج فاياك ثم إياك .
وقد بسطنا الكلام على ذلك في رسالة الأنوار القدسية والله غفور رحيم .

**119 - أخذ علينا العهود ان لا نمكن أحدا من إخواننا يهتم بأمر الرزق كل الاهتمام ويجب علينا ان نقدر لهم ان الله تعالى قد قسم لكل عبد رزقا معينا لا يزيد بالإقبال ولا ينقص بالإدبار وأنه ليس للمقبل على الدنيا ليلا ونهارا إلا ما للمدبر عنها كذلك .**

والتحقيق في ذلك أن الرزق على قسمين :
رزق يأتي إلينا ورزق نأتى إليه ، فلا يقال السعي أفضل مطلقا ولا تركه أفضل مطلقا بل كل قسم مطلوب في مرتبته فافهم ذلك فإنه نفيس ومن آمن بأن رزقه لا يقدر أحد أن

يأخذ منه ذرة لم ير للزهد ولا للورع مقاما كبيرا لأن جميع ما تركه الزاهد أو المتورع ليس هو له ولو كان له ما صح تركه ، والله أعلم .

**120 - أخذ علينا العهود ان لا نرى لنا مع الله اختيار لعلمنا بأنه تعالى أعلم بمصالحنا منا**

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَيَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحانَ اللَّهِ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ وانما جعل العلماء للعبد نوع اختيار خوفا من أن يمرق من تحت إقامة الحجة عليه ويقول بأي وجه يؤاخذنى الله تعالى وانا لا قدرة لي على فعل شئ إلا إن كان هو المحرك لي كما يقع فيه بعض المارقين ، فنقول أيش كنت أنا وهذا كان مكتوبا على جبيني .
واعلم يا اخى أنه ليس من الاختيار المذموم الاختيار للمأمورات الشرعية فإن ذلك محض الإيمان وكذلك ليس من الاختيار المذموم الاختيار المقارب لنا حال الفعل لأننا لو منعنا من ذلك لتفسخت عزائمنا ولم يكن لنا إقدام على شئ فالاختيار المذموم ما كان بهوى النفس دون الشرع ، والله أعلم .

**121 - أخذ علينا العهود ان نسلم للنفس ما تدعيه من مقام الرضى والتسليم**

فإنه لا بد في مقام الرضى والتسليم من نزاع خفى كما يشهد ذلك كل عارف فيجب على كل من ادعت نفسه الكمال في مقام الرضى والتسليم ان يبحث عن سبب هذا النزاع ويسأل الله تعالى تعطيل صفة النزاع عن الاستعمال فإن كل ما كان جبليّا من أصل الطينة لا يزول كما مر تقريره وإنما تتعطل عن الاستعمال بالعناية الإلهية وإيضاح ما ذكرنا من حصول النزاع الخفي أن الرضا مشتق من راض يروض ومنه رضت الدابة حتى ذلت ومعلوم أنه لا يوصف بالرياضة إلا الجموع والجماع نزاع بلا شك فلو لا جماح المهر

الصغير ما راضوه ولولا جهله بما خلق له من الركوب ما أبى وامتنع على صاحبه ، وكذلك القول في مقام التسليم لا يصح إلا مع نزاع خفى وكل من نازع في شئ لا يمكن زواله
فلا بد له من القهر لكنه لا يخفى بقلة النزاع ويظهر بكثرته فينبغي لكل عارف ان لا يغفل عن نفسه طرفة عين فإنه إذا غفل عن نفسه فقد غفل عن ربه وإذا غفل عن ربه نازع بباطنه في كل ما يخالف عرضه فيجيز القهر الإلهى فيقهرهم ثم إن كثر النزاع سمى صاحبه عبد القهار وان قل سمى عبد القاهر .

فعلم أن الحق تعالى لا يتجلى لقلب كامل قط في اسمه القاهر أو القهار إلا في حال غفلته عن ربه واختياره خلاف ما اختاره تعالى له أما مع شهوده لربه فلا يقع له تجلى في هذين الاسمين قط .
وبلغنا عن الشيخ محى الدين بن العربي رضى الله عنه انه كان يقول :
ما تجلى الحق تعالى لي قط في اسمه القهار أبدا وإنما رأيت هذا التجلي في مرآة غيرى من الخلق وكل مخالفة أو منازعة تبدو منى لمن ينازعني في أمر إنما هي تعليم له لا نزاع فما ذقت طعم التهد في نفسي قط وما شهدت تخلى الحق تعالى لي إلا في رؤوف رحيم وكذلك كان يقول سيدي علي بن وفا رضى الله عنه ما عرفنا ولا ألفنا سوى الموافات والوصال ، والله تعالى أعلم

**122 - أخذ علينا العهود ان نحلم على كل جاهل**
لقوله تعالىوَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماًونعنى بالجاهل كل من لا يرجع في علمه بحكم من الأحكام إلا لما تصوره في نفسه دون غيره من الناس ولذلك كان المجادل أقل الناس علما وأكثرهم شكّا في أمور دينه لأنه كلما أنكره وجادل فيه لا

يسمى عالما فافهم ، ومثل هذا لا ينبغي لأحد منازعته بل يقال له سلام لأنه لا يرجع عما زين له في نفسه لكن إن رأى العارف عند الجاهل قبولا للترقى ينهه على طريق الترقي وان لم ير عنده قبولا سلم له وأقره على ما فهمه حتى يريد الله تعالى له الانتقال بتجلى علم آخر والله أعلم .

**123 - أخذ علينا العهود ان نخدع لكل من خادعنا**
من غير أن نعلم المخادع اننا انخدعنا له فننخدع له ولا نعلمه اننا انخدعنا له ونتباهل له كما يتباهل من يظن فيه انه أبله وليس بأبله .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول :
من خدعنا في الله انخدعنا له ، يعنى على علم منا بخداعه وهذا لا يقع إلا ممن تمكن من الحكم على نفسه غاية التمكن وهو نظير الحلم مع القدرة فإنه اعتبار من الجاني من غير أن يظهر له انه اغتبى ومن فعل ما ذكر فقد وفّى الصفة التي ظهر بها المنافق حقها إذ من شأن الكمل ان لا يعاملوا الناس الا من حيث صفاتهم لا من حيث أعيانهم ومن هو كذلك فلا يتصور منه ان يفضح مخادعا له في خداعه أبدا لانصباغه له باللون الذي أراد المنافق منه ان ينصبغ له به لكن لا يخفى انه يجب الدعاء لهذا المنافق بظهر الغيب بالحمية له والتوبة عسى الله ان يتوب عليه من نفاقه فلا يشقى ، ومن انصبغ له فقط ولم يدع له كان مؤذيا له أشد الأذى وفاته مرتبة الكمال .

وفي الحديث إن الله تعالى يمشى لبعض العبيد خداعة لله تعالى يوم القيامة وذلك أنه يدعى أنه عبمل خيرا وهو لم يعمله ويصدقه الله على ذلك ثم يدخله الجنة ، فتقول الملائكة الحفظة يا رب إنه كاذب ، فيقول الله عز

وجل قد علمت ذلك ولكن استحييت ان أكذبه بين عبادي وهذا غاية الكرم فما كل خداع مذموم والسلام .

**124 - أخذ علينا العهود أن نرجو الإجابة في كل دعاء وننشرح بعدم الإجابة** لشهودنا إذ ربنا تبارك وتعالى اعلم بمصالحنا منا فما منعنا شيئا إلا لما هو أفضل منه

قال تعالى :وَإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِومعنى قولهعَنِّيأي عن أسمائي وصفاتى لا عن ذاتي لأن علم الذات ليس مطلوبا لأحد من العباد ولذلك كان المراد هنا بالقرب قرب الإجابة وسرعتها

بقوله تعالى لعبده لبيك عبدي لأقرب المسافة في كونه أقرب من حبل الوريد وانما قال تعالى أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِولم يكتف بقوله تعالى :فَإِنِّي قَرِيبٌلأنه لا يلزم من القرب سماع الدعاء الذي هو كناية عن الإجابة فحصل من إعلامه تعالى لنا بهذا القرب إعلامنا بأنه تعالى يسمع دعاءنا وبالإجابة أنه يجيبنا فلم يترك لنا حجة ،

وحصل لنا أيضا العلم بأن الدعاء هو قول العبد يا الله أو يا رب مثلا وأن الإجابة هي قوله تعالى لبيك عبدي ، هذا لا بد منه من الله تعالى في حق كل سائل ، ثم يأتي بعد هذا الدعاء فهو خارج عن الدعاء وقد وقعت الإجابة كما أخبر تعالى عن نفسه فيوصل بعد هذا النداء من حوائجه ما قام في خاطره بما شاء وإنما لم يعجل الحق تعالى للعبيد في هذه الدار كلما سأله لغلبة رحمته به
فإن العبد جاهل بالعواقب وربما سأل العبد وقوع شئ لا خير له فيه فلو ان الحق تعالى ضمن تعجيل الإجابة في كل ما سأله العبد لربما هلك العبد وأضر ذلك به دنياه وآخرته من حيث لا يشعر كما وقع لثعلبة

حين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو له بكثرة المال ، فقال لا يا ثعلبه قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيق القيام بحقه ، فعادوه ثانيا وثالثا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرده ، فلما أبى سأل الله له فكان في ذلك هلاكه وأنزل الله تعالى في حقه :" وَمِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ( 75 ) فَلَمَّا آتاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ( 76 ) فَأَعْقَبَهُمْ نِفاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِما أَخْلَفُوا اللَّهَ ما وَعَدُوهُ وَبِما كانُوا يَكْذِبُونَ ."

فعلم مما قررناه أن من الأدب أن يسأل الإنسان حاجته من ربه على وجه التفويض إلى الله تعالى من غير ترجيح لجانب على جانب قائلا في نفسه أعطني ذلك ان كان لي فيه خيرة في الدنيا والآخرة .

**قال شيخنا رضى الله عنه :**

وينبغي أن يكون سؤال الخير مبهما لا معينا وإن عين العبد ولا بد فليسأل ما فيه ملامة الدين ويكون ذلك بالدعاء الوارد في الشريعة لا بدعاء مخترع فإن الوارد في السنة لا يدخله مكر ولا استدراج وهو مأمون العاقبة ان شاء الله تعالى ،

ولا يخفى أن الحق تعالى ما أخبرنا بالإجابة إلا ليتحفظ السائل ويراقب ما يسأل فيه إذ لا بد من الإجابة إما في الدنيا وإما في الآخرة هذا هو شأن أكرم الأكرمين فلم يرد تعالى سائلا قط وإنما يؤخر الإجابة فيظن الداعي أنه رده فاعلم ذلك ، وتحفظ فيما تسأل

وانظر إلي بلعام بن باعورا لما لم يتحفظ في دعائه علي موسى عليه الصلاة والسلام وقومه كيف شقي هو في نفسه وسلبه الله تعالي علم خاصية تلك الأسما العظام والدعوات التي كان يدعو بها فمن دعا الله تعالى بدعاء لم يرد في السنة وأراد السلامة من العطب فلا يدع إلا إن أطلعه الله تعالى على

علامات ما ينبغي الدعاء به مما لا ينبغي للتخلص من أسباب المقت فإن النفس من شأنها أنها تحب الشغوف على أبناء الجنس وتطلب الرياسة عليهم في الدنيا والآخرة .

ومن هنا كان أكابر الرجال في كل عصر أخفياء أبدا لا يظهر عليهم قط كرامة ولا علامة تدل على مكانتهم وقربهم من الله أبدا بل لا فرق بينهم وبين العامة بخلاف أرباب الأحوال الذين ملكتهم أحوالهم في خرق العوايد ومحبة الظهور

وكثرة التصريف في قضاء حوائج الخلق فإنهم لم يراعوا ما ذكرناه فلا ينبغي أن يتبعوا عليه ثم إنه لا يفي ما يترتب على ظهورهم من نفع الناس بما في طي ذلك من المكر والاستدراج إذ هو في غير موطنه ظهر ولم يجب على صاحبه الظهور به .

قال شيخنا رضى الله عنه : وأصعب ما في التصريف أن صاحبه يذوق طعم نفسه . وقد أجمع المحققون على أن من ذاق طعم نفسه لا يفلح أبدا ، فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك .

**125 - اخذ علينا العهود أن نشكر الله تعالى إذا أظهر مساوينا وهتكنا في هذا الوجود**

لعلمنا أنه ما فعل ذلك إلا لمصلحة وحكمة بالغة تدق على أمثالنا فنقلد له في ذلك

ونقول الحمد لله الذي أطلع الخلق على مساوينا ليبلغونا ذلك فنأخذ حذرنا من تلك النقائص ومن شأن البشر أن كل شئ نقص به بين الناس يتحول بقلبه عن فعله .

واعلم يا اخى أن الحق تعالى لا يهتك عبدا قط ما دام ينزجر باطلاعه على غيب نفسه فإذا اطلع ولم ينزجر أطلع الحق تعالى الناس على عيوبه

لينزجروا والأصل في كل عبد المساوئ والمحاسن عارضة وكماله بشهود الجهتين فيه لأنه إن شهد محاسنه فقط خيف عليه العجب وإن شهد المساوئ قط قل شكره فافهم .

وقد قال شخص لسيدي على الخواص إني أجد في نفسي قساوة ، فقال الحمد لله الذي أظهر لك مساويك وستر عنك محاسنك ، فالحمد لله رب العالمين

**126 - اخذ علينا العهود ان لا نخرج قط ريحا في المسجد أدبا مع الله عز وجل ومع الملائكة**

فإن المساجد لا يناسبها شئ من ذلك إنما محل ذلك الخشوش أو الخرايب كالبول والغائط سواء

وان قدر أننا أخرجنا ريحا في مسجد استغفرنا الله تعالى ألف مرة وتصدقنا بما نقدر عليه كفارة لذلك فينبغي للمجاور في مسجد إذا أراد إخراج ريح أن يكلف خاطره في دهليز الميضأة ليخرجه فيه والله تعالى ينزل العبد في حضرته على قدر ما عنده من الأدب ، فاعلم ذلك والله أعلم .

**127 - اخذ علينا العهود ان لا نشتغل بالرد على كل من آذانا**

لعلمنا ان النفس بيت كل نقيصة ولولا أنه تجلت تلك النقيصة في قلب أخينا ما نقصنا بها وما في أخينا فينا إذ الطينة واحدة فحال أخينا قد غمز على ما خفى علينا في نفوسنا فافهم ،

فالواجب على كل عاقل أن يرجع إلى الله تعالى في بيان الأمور ويتعرف أسبابها منه فيعرف السبب الذي حرك ذلك الشخص بالأذى له فيتوب منه فيرجع المؤذى له ضرورة .

وقد قلت مرة لسيدي على الخواص : إن فلانا يؤذيني ، فقال ارجع عن

أذاه يرجع عنك ، فقلت إني لم يقع منى له أذى ،
فقال هذا محال لا بد للذخيرة ممن يحرك نارها ولو سوء ظنك به في أمر من الأمور ،
فقلت لا أعلم أنى آذيته قط ، فقال فتش نفسك ،
ففتشت فوجدت هناك بواقي اعتراضات عليه فأزلتها فجاء ذلك الشخص من نفسه واعترف بأنه ظالم عليّ وطيب خاطري وزالت الوقفة ، فكل من ادعى الرجوع عن خصمه ولم يرجع خصمه عنه فهو كاذب .

واعلم يا اخى ان السياسة مطلوبة من كل عبد فإذا آذاك انسان فاسع في مصالحته ولا تقل أنا ما جنيت عليه وما عليّ منه فيتولد من ذلك الحقد فتتعب بعد ذلك في إزالته ولو مسحته أولا فأولا لم يتولد ذلك .

وكان شيخنا رضى الله عنه يقول ليس لمظلوم مطالبة خصمه في الآخرة الا بعد الدخلة عليه في دار الدنيا فإذا تدخل عليه وسأل فضله أن يرجع عن أذاه فلم يرجع فهناك تقام عليه الحجة في الآخرة وأما من لم يتدخل بل سكت ولم يداو من كان يؤذيه فربما يقال له في الآخرة لو كنت سألتني أن أرجع عن أذاك في دار الدنيا لكنت رجعت ، هذا ما علمنا ربنا من طريق السياسة ، والله عليم حكيم .

**128 - اخذ علينا العهود إذا دعينا إلى بيت الوالي والعياذ بالله تعالى لأجل تهمة مثلا أن نتصدق قبل الذهاب إلى الوالي أو في الطريق قبل الدخول إلى بيته**

لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة " فإذا كان هذا في شأن النار الكبرى فنار الدنيا أولى .

وفي الحديث أيضا " باكروا بالصدقة إن البلاء لا يتخطاها " ثم يقول

أحدنا بقلوبنا قبل الدخول لبيت الوالي بتوجه تام يا أصحاب التوبة أنا في حسبكم وتحت نظركم فلا تهملوا قضيتى فربما كان منهم واحد أو جماعة في بيت الوالي فيعطفوا علينا الوالي وجميع حاشيته بالرحمة

فإذا دخلنا بيت الوالي قلنا بقلبنا سرّا اللهم أنت ولينا وناصرنا وربنا ومولانا ونحن عبيدك السوء لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ونتخيل أننا والوالي والأعوان والأخصام بين يدي الله عز وجل وهو ناظر إلينا كلنا ولا نجيب عن أنفسنا بشئ فإنه تعالى يقول انا أولى من سكت ،

وأيضا فإنه تعالى لولا أراد امتحاننا ما أوقعنا في التهم فجوابنا عن أنفسنا لا يرد البلاء عنا لا سيما والمتهم لا يصدق حتى أن الوالي وأعوانه يصدقون قول جارية مخبلة العقل أن القاضي فلانا عمل بي في الموضع الفلاني بمجرد قولها من غير بينة ويقيم القاضي بينته ببراءه فلا تقبل .

وقد سئل الجنيد رضى الله عنه عن دم الحسين ودم الحلاج فقيل له ما الحكمة في أن دم الحلاج لما وقع على الأرض كتب الله دون دم الحسين بن علي رضى الله عنها .
فقال الجنيد رضى الله عنه المتهم يحتاج إلى تزكية وذلك أن الحلاج قتل بتهمة في دينه فكان ما كتب من دمه براءة له مما نسب إليه من الزندقة بخلاف الحسين بن علي رضى الله عنه ، فاعلم ذلك .

**129 - اخذ علينا العهود ان نسبغ الوضوء في المكاره عملا بترغيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا في ذلك**
وهو رحمة بنا في صورة مشقة فإنه صلى الله عليه وسلم رغبنا في إسباغ الوضوء في شدة البرد إلا لتلازم ذلك ويصير عادة لنا إلى زمن الصيف

فنستحضر تلك الحالة ونخرج عنها إذا وجدنا من استعمال الماء لذة في أعضائنا لنتميز حق الله من حظ نفوسنا إذ النفس ربما يخفى عليها مثل ذلك فنبالغ في إسباغ الوضوء في الصيف بقصد التلذذ ببرودة الماء بقصد اتباع السنة وما تخلف من تخلف إلا باتباعه حظ نفسه فإن ادعت النفس في الصيف أن تلذذها بالماء انما هو بامتثال امر الشارع لها بالإسباغ قلنا لهما فلم لم تتلذذى بذلك في الشتاء فيتبين لها كذبها .

قال شيخنا رضى الله عنه : ويمكن العارف أن يعطى النفس حظها من التلذذ مع مراعاة حظ الحق تعالى وكذلك كما غلبته نفسه في هذه المسألة على محبة استعمال الماء للتلذذ في الصيف فينوى بذلك زوال ألم النفس مما أصابها من شدة الحر فيكون مأجورا بذلك لأنه تصدق على نفسه بدفع المضار عنها ، والله غفور رحيم والله اعلم .

**130 - اخذ علينا العهود أن لا ننام قط على غير وتر كما درج عليه الأكابر**
فما ناموا قط إلا على وتر طلبا لمحبة الله عز وجل لهم فإنه تعالى وتر ويحب الوتر فكل من نام على وتر نام على عمل محبوب عند الله عز وجل

فإذا أخذ الله بروحه في تلك النومة حشر في زمرة من أحبهم الله عز وجل ولا فرق في الوتر قبل النوم بين الشتاء والصيف لأن العلة إنما هي خوف أن يأخذ الله روحه في تلك النومة لا خوف فوات الوتر بطلوع الفجر فافهم ،

ومن هذا قررناه أمرنا الشارع بالاكتحال وترا في كل عين ثلاثة من حيث إن كل عين عضو مستقل وأمرنا أيضا بأن لا ننزع يدنا عن الأكل إلا عن وتر من اللقم وكذلك الماء إذا حسوناه بيدنا كما رواه البزار وأمرنا أيضا إذا أخذنا

الفواق ان نشرب من الماء سبع مرات ينقطع الفواق وأمرنا أن نعيد الكلمة ثلاثا إذا تكلمنا وغير ذلك كل ذلك عملا بقوله " إن الله وتر يحب الوتر " والله غنى حميد .

**131 - اخذ علينا العهود ان لا نستبعد رحمة الله عز وجل على أحد من خلق الله لأنـهم عبيده .**

فأما الكافر فيرحمه بأن يسلم .

وأما العاصي فيسامحه فإن رحمة الله وسعت كل شئ .

وقد سمعت سيدي على الخواص رحمه الله تعالى يقول :

ثم من الظلمة والمارقين من لا يمسى كل ليلة ولا يصبح إلا مغفورا له بأمور تقع منه ولا يلقى لها بالا ولولا ذلك لمحق الله العصاة بأسرهم فما من معصية تقع من مؤمن إلا وبجنبها طاعة تقع منه كما يشهد ذلك أرباب البصائر .

وحكى أن جبارا من ملوك بني إسرائيل مر في عسكره بكلب أجرب يرعد في يوم بارد فأمر بالكلب أن يدفى بالنار وأن يطعم ويسقى ويدهن ففعلوا به ذلك ،

ثم مات الجبار بعد ثلاثة أيام فجاء إلى جماعات من الناس في المنام وأخبرهم ان الله تعالى غفر له جميع ذنوبه بإحسانه إلى ذلك فتعجب الناس من ذلك .

وكان في بلد سيدي أحمد بن الرفاعي كلب أجرب أبرص فأخرجه أهل البلد فبلغ ذلك سيدي احمد فخرج إلى البرية وضرب عليه مظلة وصار يطعمه ويسقيه ويدهنه إلى أن برئ وغسله بالماء الحار ودخل به البلد فقيل له وتعتنى بهذا الكلب هذا الاعتناء فقال ومن أولى منى بذلك في البلد والجار

محسوب على الجار ولعل الحق تعالى يقول لأهل أم عبيدة حين أخرجوه أما كان منكم أحد يكرمه لأجلى رضى الله عنه .

**132 - اخذ علينا العهود ان ندور مع أهل زماننا كما يدورون ولا نجمد على حال الزمان الماضي**

فإن الأمور كلها قد انعكست إلى وراء كما هو مشاهد عند أرباب البصائر حتى صار الناس يقولون اتق شر من تحسن إليه ، وصاروا يقولون خير ما تعمل شر ما تلقى ، وصاروا يقولون لا تعمل خيرا فينقلب عليك شرّا ،

والحكمة في ذلك عدم ارتباط النيات بالحق تعالى فصار الناس لا يقصدون بالإحسان إلا وجوه الخلق وكل الخلق مفاليس فيطلب المحسن جزاء إحسانه ممن أحسن إليه فيجده عاجزا فإذا ألحّ عليه في طلب المجازاة مرق فيه وجحد إحسانه وبره كما يفعل المفاليس في الحقوق الظاهرة ولو أنهم كانوا قصدوا بإحسانهم إلى الخلق وجه الله لوقع أجرهم على الله عز وجل على إحسانهم

وهذا أمر قد تودع منه ما بقيت الدنيا ليقضى الله أمرا كان مفعولا ، فالعارف من عرف أحوال زمانه لا يقال اعمل خيرا وما عليك من كونهم يستحقون أو لا يستحقون فإن هذا كلام من هو غافل عن علامات الساعة .

وقد رأيت الشيخ عصفير المجذوب وكان من أرباب البصائر كلما يرى خادمه ملأ حوض البهائم يفتح سدته فيسيل في الطريق ويقول للخادم يا أعمى القلب هذا زمان ما بقي فيه أحد يستحق أن يعمل معه خير فكان غالب الناس يسخر به وكان الفقراء يعتبرون بكلامه لأنه على لسان حال الزمان .

ثم تأمل يا أخي لما كان أهل هذا الزمان لا يستحقون فعل الخيرات

معهم كيف قامت دونهم الموانع في وصولهم إلى أرزاقهم وكيف استولت الظلمة على الأوقاف وعطلت خراج الرزق المرصودة على شعائر الدين وأسبلة البهائم وغيرها وأخذت الأمور كلها في الطي بعد النشر وقد وقف الأوائل أوقافا لمن ينكسر منه صحن أو زبديه من الجواري أو الصغار وأوقافا لمن يسرق منه نعل أو قبقاب في الجامع وأوقافا على زيت الفقراء وصابونهم ونعلهم وطحينهم وخبيزهم وحكيمهم ومزينهم وغير ذلك ،

فبالله عليك تقدر الآن على أحد أن يعمل أمثال ذلك من أهل مصر كلها وأقل الموانع عن فعل الخيرات أن من أحسنت اليه طول عمرك لا يحمل منك الآن كلمة جفاء بل يصير يمزق عرضك في الآفاق ولا يتذكر قط حسنة ولا لقمة فإذا عرضوا عليك بعد ذلك شخصا لتحسن إليه كالأول لا تجد عندك داعية لما قاسيت من الأول
.
وفي الحديث " إن الله يحول نعمه حين تكفر " فكيف بالعبيد مع ضيقهم وضعفهم .

إذا علمت ذلك فيحتاج الانسان في هذا الزمان إلى قلة الحياء في مواطن كثيرة ويكون ذلك أرجح وأصلح من الحياء والحشمة .

وقد كان الامام الشافعي رضى الله عنه يقول :
يحتاج من كثر حياؤه أن يجعل له سفيها يسافه عنه فإذا كان هذا في زمانه رضى الله عنه فكيف بهذا الزمان الذي صار أطفاله لا يوقرون كبيرا ولا كهوله يرحمون فقيرا ولا ولاته يعتقدون صالحا ولا ظلمته يقول لهم مظلوم انا من جهة الله عز وجل أو من جهة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوقرونه أو يكرمونه وإذا ارتفعت الرحمة من الخلق تقطع البلاء ونزل

عليهم لا يمنعه عنهم مانع ثم ينزل على شاكلة ما يصعد منهم من الأعمال ظلمة ونورا فكلما كانت الأعمال كالدخان كلما نزل البلاء أشد نسأل الله اللطف فإن هذا زمان قد فسدت فيه الأحوال وتغير فيه المراسم وتبدلت فيه الأعمال بالأقوال وعم في كل شئ حتى الدين المحمدي نزل عليه القانون فلم يستطع الدين أن يدفع ذلك عن نفسه .

فكن يا اخى مشاكلا للناس في أحوالهم وتلون لهم كما تلونوا لك فان ظهروا لك بمظهر الذئاب فكن ذئبا وان ظهروا بمظهر السباع فكن سبعا وان ظهروا بمظهر الثعالب فكن ثعلبا وان نصبوا عليك فانصب عليهم حتى تصل إلى حقك .

وهكذا وانو يا اخى بذلك كله تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر بوقوعه بين يدي الساعة فإن أثمت من جهة عصيانك أجرت من جهة إيمانك فتكون من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا إن شاء الله تعالى .

وعليك يا أخي بالاستغفار جهدك ليلا ونهارا فان العمر ما بقي يحتمل غير ذلك بل لو جلست بقية عمرك كله تستغفر عما مضى من الذنوب ما جبرت خلل الماضي السابق فضلا عن اللاحق
وإياك ان تزن على الناس أحوالهم بميزان يوم مضى فإنك تظلمهم فكيف إذا وزنتهم بميزان الصحابة والتابعين بل سمعت بعض الفقراء يقول لو قد أن يكون السلف الصالح تأخروا إلى هذا الزمان لوقعوا فيما وقعنا فيه
تصديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك قررنا غير ما مر انه لا ينبغي لنا ان نطلب من إخواننا في هذا الزمان صفا في وقت من الأوقات لعلمنا بأننا خلقنا من ماء وطين والماء والطين إذا

حرك وراق نحو ثلاثين مرة وأكثر كيف يكون حاله إذا كشط رايقه فنحن عكارة جميع من سلف في سائر الأدوار الإسلامية وكلما حركنا لا تزداد إلا كدرا وما بقي هناك شئ من الماء الصافي حتى يقطف منا فافهم .

ومن هنا كان أولاد أكابر الأولياء الغالب عليهم عدم التوفيق لأنهم عكارة ظهور آبائهم الطاهرين وكلما تصفى الظهور من الكدر كان الولد أفسق فهو سيئة من سيئات والده التي نزلت من ظهره فأصلح الناس كما ترى من كان من أولاد الأجلاف من العوام والفلاحين الذين لم يتصفوا من الأكدار ولا عملوا على رياضة نفوسهم وإن أتى لنا صالح من أولاد الصالحين فهو على خلاف القواعد ، والله غفور رحيم .

**133 - اخذ علينا العهود ان لا نمكن إخواننا من غلبة الاستناد علينا دون الله**
فإننا لا نغنى عنهم من الله شيئا بل ولا نغنى عن أنفسنا فضلا عن غيرنا وكيف ينبغي لنا ان ندعى اننا نغنى عن اخواننا من الله شيئا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لفاطمة رضى الله عنها : يا فاطمة انقذى نفسك من النار فإني لا أغنى عنك من الله شيئا .

وقد رأى اخى سيدي أفضل الدين رحمه الله تعالى انه حامل نصف جسمه وسيدي على الخواص حامل نصفه الثاني فلما قصها عليه قال الشيخ لا يكمل الرجل الا ان حمل جسمه كله عن شيخه وغيره فإياك يا ولدى وتحمل المنن . انتهى .

وحكى لي أخي المذكور رضى الله عنه أنه حصل له مرة حادث عظيم كادت روحه تزهق منه وكان ذلك تأديبا من النقباء الموكلين بقيام الميزان على

أرباب الأحوال وعلى كل من دخل في دائرة الفقراء فلما جاء لسيدي على الخواص يستنصر به قال له قدر موتى وافعل ما كنت فاعلا وولى عنه بباطنه ولم يساعده .
وكان رضى الله عنه إذا رأى بعض الفقراء يتحمل عن أحدهما يزجره ويقول دع الناس يتعودون حمل الشدائد ومصائب الزمان ولا تساعد أحدا منهم يتلف ويضعف استعداده عن تحمل البلاء الآتي فان الجاى أكثر من الرايح .

قال اخى أفضل الدين : فقال يا ولدى لا تقبض في هذا الزمان سوى الإيمان فإنه أساس دينك الذي تبنى عليه ما شئت ولا تلتفت إلى شئ سواه تقع في كفة النقصان ولأن يأتي العبد ربه فقيرا من جميع العلوم والأعمال ومعه الإيمان فقط أحب من أن يأتي إلى ربه بعلوم الأولين والآخرين وأعمالهم وفي إيمانه ثلمة ونقص .

قلت : وقد حدث لي حادث عظيم في شهر الله المحرم افتتاح سنة ستة وأربعين وتسعمائة حتى كدت ان أهلك وكان ذلك من هؤلاء النقباء الذين قدمنا ذكرهم فتوسلت بكل ولى فلم يجبني أحد منهم سوى سيدي الشيخ شعبان المجذوب بمصر المحروسة فجزاه الله تعالى عنى خيرا ونفعنا والمسلمين ببركته آمين اللهم آمين .

**134 - اخذ علينا العهود ان نسأل الله عز وجل ان لا يستجيب لذا دعاء قط في أحد من هذه الأمة في حال غضب ولا غيره**
سواء أكان الدعاء على ذلك العبد بحق أو ظلم أو يكون هذا السؤال في حال صفاء وقت مع الله عز وجل ليكون أبلغ في الإجابة والله تعالى أولى من وفي بالعهود فيفعل لنا

ذلك عند شيطان غضبنا على ولد أو زوجة أو صاحب أو خادم أو غيرهم فلا يستجيب لنا دعاءنا عليهم .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يدعو كثيرا على كفار قريش فلما أنزل الله تعالى عليه :وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَترك الدعاء عليهم وصار يدعو لهم بالهداية وكان بعد ذلك إذا سئل ان يدعو على أحد عدل عن الدعاء عليه ودعا له .

وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم إني بشر أغضب كما يغضب البشر اللهم من سببته أو شتمته فاجعل ذلك كفارة وظهورا له ،

فاعلم ذلك وإياك أن تدعو على أحد من أولادك أو غيرهم فيستجيب الله تعالى ذلك الدعاء عليهم فيعسر عليك فتدعو لهم ان يرد الله تعالى ذلك البلاء عنهم فلا يستجيب لك وأنت كنت الجاني ولو سبق منك السؤال إلى الله في انه لا يستجيب لك دعاء على أحد لاسترحت من هذه الورطة ، والله غفور رحيم .

**135 - اخذ علينا العهود ان نصغر الخبز عملا بما كان عليه أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم**

وكانت عائشة رضى الله عنها تقول أصغروا قرصكم يبارك الله لكم فيه ويقوم الرغيف الصغير مقام الكبير في الشبع يعنى والله اعلم أن اسمه رغيف سواء كبر أو صغر وأما تصغيره جدّا كما يفعل بخبز سيدي احمد البدوي وسيدي إبراهيم المتبولى وغيرهما

فلم يبلغنا في ذلك شئ ولكن قد أخبرني سيدي على الخواص ان سيدي إبراهيم المتبولى كان يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة ويشاوره عن جميع أموره

وكان يقول ليس لي شيخ غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالظاهر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشار عليه بذلك ، وكذلك نقل عن سيدي عبد العال انه كبر الخبز يوما فنهاه سيدي احمد عن ذلك وأمره

بتصغيره على هذا الحد الذي هو عليه اليوم ولعل السر في التصغير بيان عزته وتعظيمه فإنه نظام الوجود ولذلك اختاروا له الشكل الكروي الذي هو أفضل الأشكال ، وقد نظم الشيخ محيي الدين بن العربي في شرف الرغيف أبياتا :

**إذا عاينت ذا سير حثيث * فذاك السير في طلب الرغيف**
**لأن الله صيره حجابا * على اسميه المهيمن واللطيف**
**به وله تجارأت الذراري * وأرواح اللطائف والكثيف**
**وتسخير العناصر والبرايا * وتكوين المعادن في الكهوف**
**وتسير المثقفة الجواري * لموج البحر والريح العسيف**
**وقطع مهامه فيح تبادى * بها الأنعام بالسير العنيفف**
**من شرف الرغيف بمن ربى * عليه للوضيع وللشريف**
**يضج الخلق ان عدموه وقتا * عن إذن الواحد البر الرؤوف**

**له صلوا وصاموا واستباحوا * دم الكفار والبر العفيف**
**له تسعى الطيور مع المواشي *له يسعى القوى مع الضعيف**
**فمن ساع له من غير شك * وللسبب الثقيل أو الخفيف**
**هو المعنى ونحن إذا نظرنا * به عند التفكر كالحروف**
**هو الجود الذي ما فيه شك * فيا شوقى لذي الجود الظريف**
**فديتك من رغيف فيه سر * جلى بالتليد وبالظريف**
**فقل للمنكرين صحيح قولي * لقد غبتم عن المعنى الظريف**
**أليس الله صيره عديلا * لرؤيته على رغم الأنوف**

يعنى في حديث " للصائم فرحتان فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربه " فتأمل ذلك وتدبره والله يتولى هداك .

**136 - اخذ علينا العهود إذا أكلنا أو شربنا ان نتذكر بقلوبنا تنزيه الحق تعالى عن مثل ذلك**
فمن واظب على تذكر ذلك أثمر له التواضع مع الخلق

أجمعين وإذا اكلنا ان نصمت مراقبة لله تعالى فإننا على سماطه وهو يرى ولا نتحدث بشئ إلا إن كان شكرا لله تعالى
أو تأنسيا لضيف ولا نلهوا ولا نلعب ولا نمزح فمن واظب على ذلك أثمر له شبع النفس وعدم شرهها ونهمتها في الطعام المثير للشهوات وارتكاب المحرمات وإذا فرغنا من الأكل ان نصلى ركعتين شكرا لكن لا نواظب عليها كما نواظب على السنة المحمدية أدبا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان سيدي الشيخ أبو مدين وجماعته يصلون هاتين الركعتين من غير فاتحة ويقرءون من الأولى لِإِيلافِ قُرَيْشٍ وفي الثانية الإخلاص والله أعلم .

**137 - اخذ علينا العهود في هذا الزمان إذا أكلنا طعاما أو لبسنا ثوبا ان نقول اللهم ان كان في ذلك شبهة فلا تدعه يقيم في بطوننا أو علينا من فضلك وكرمك فإننا جاهلين بما في ذلك من الخبث ،**
فإذا قلنا ذلك فقد سلمنا قيادنا إلى الحق فإما يمن علينا بتقى ذلك الطعام وإما يفارقنا ذلك الثوب بعد ان مكث عندنا بقدر ما فيه من الحل كما جربنا ذلك ، والله عليم حكيم .

**138 - أخذ علينا العهود ان ندعو لإخواننا بظهر الغيب كلما وجدنا في قلبنا رقة وذلّا وانكسارا .**
قال شيخنا رضى الله عنه وينبغي ان يكون الدعاء للإخوان من غير تعيين أسمائهم فان الله تعالى يعلمهم ويعلم أسماءهم وما يستحق كل واحد منهم مع أننا عاجزون عن استيفائهم بلا شك وليكن أكثر دعائنا لأنفسنا ولإخواننا باللطف وباسمه اللطيف وأخواته كالمعين والمساعد والمقيت ونحو ذلك فإن

الأسماء الإلهية قد استدارت حضراتها إلى الغروب لنفاد سلطان المحل الذي كان حكمها فيه ولم يبق سلطان الاسم الإلهى الآن أقوى من اسمه تعالى اللطيف

وقد تزحزح باب الدعاء للغلق الذي هو باب الرحمة وما بقي في الأرض من الرحمة العامة فيما نعلم أعظم من الموت على الإسلام فهذا هو الذي بقي يطلب في هذا الزمان وأما طلب المراتب العالية في الدين فصار في غاية العسر لخبث باطننا وكثرة أحوالنا المائلة عن الاستقامة وغير ذلك من شروط المراتب ، والله غفور رحيم

**139 - أخذ علينا العهود ان لا نتأدب مع مريد بقيام أو غيره**

فإن ذلك يوقفه عن الترقي كما سيأتي في عهده وانما الواجب في التربية زجره ونهره حتى عن المباح ولا نقوم له قط في ناصر إلا إن عرفنا منه الثبات في الأحوال والإخلاص في النيات فلنا حينئذ أن نمدحه ونظهر فضيلته كما لنا ذلك إذا علمنا ضعفه فنقوم في ناصره مداواة له ثم لا نزال نمدحه ما دامت همته فاترة كل ذلك ليقوى عزمه فإذا قوى عزمه تركنا مداواته والله غفور رحيم .

**140 - أخذ علينا العهود أن لا نتداوى بإشارة يهودي أو نصراني**

ولا نمكن أصحابنا من ذلك والحكيم اليهودي أشد كراهة لكثرة نفاقه وظلمة باطنه ومكره وتدينه بقتل كل مسلم قدر على قتله بسائر أسباب القتل

وهذا الأمر قد حدث في أرض مصر حتى عطلوا استعمال حكماء المسلمين وكيف بمرضى القلوب أن يداووا مرضى الأبدان ومعلوم أن مريض القلب لا تصور له صحيح لأن صحة التصور فرع عن صحة القلب ولذلك لما يمرض الحكيم لا يقدر على مداواة نفسه بل يرسل إلى حكيم يداويه كل ذلك لنقص تدبيره

وتصوره ولو قدر كمال تدبيره لم يحتج إلى غيره من الحكماء فافهم ، وربما كان ضعف الفقير من وارد ورد عليه ليس للحكماء كلهم فيه يد كما يقع لكثير من الفقراء فيحير الحكيم في أمرهم وعلامة كون ذلك المرض من وارد سرعة ضعفه وسرعة برئه فيدخل الحكيم عليه فيجده لا حراك فيه أو يصلى قاعدا يتحدث وجسمه طيب كأن لم يكن به مرض ،

وأعلمك ميزانا سمعتها من شيخنا رضى الله عنه تعرف بها من يستحق الحكيم ممن لا يستحق وهو أنك إذا رأيت في قلب فقير نارا وفي نفسه هيجانصا وفي بدنه طيشانا بسبب حال قاهر فاعلم يا اخى أنك عاجز عن مداواته لان المحل غير قابل للاستعداد

فمثل هذا ادع له وانصرف وإذا وجدت حاله كحال الأموات لشدة ألم في باطنه وضعف في بدنه وانحطاط في روحه وهو مع ذلك كثير الاستغراق والغيبة فلا تتعرض له كذلك بحكيم فإن ذلك فتوح من الله تعالى قبله ذلك المحل لقوة الاستعداد وإن وجدته خال عن كل ما ذكرناه فأرسل للحكيم يداويه فإنه مرض لا وارد من واردات القوم . وكان سيدي على الخواص وسيدي أفضل الدين رحمهما الله تعالى إذا نظرا لضعيف يعرفان مرضه هل هو من قلبه أو من بدنه وهل هو مرض فتوح أو مرض سلب رضى الله عنهما .

ومن وصية سيدي على الخواص رحمه الله : إياك ان تستعمل طبيبا من غير الملة المحمدية فإن الكفار مرضى القلوب ونحن مرضى الأجسام ومريض الجسم أحسن حالا من مريض القلب بيقين وربما كان أحدنا مرضه من قلبه فيزداد قلبنا مرضا بميلنا إلى الطبيب الكافر وتصديقه فيما يصف لنا

من الأدوية وربما استحسنا شكله حتى انطبعت روحانيته بباطننا فيواد من حارب الله ورسوله لأنه لولا ودنا له ومحبتنا ما أطبعت صورته في مرآتنا .

وسمعته مرة يقول : من قدر على ترك التطيب فهو خير كبير وللمرض انتهاء إما بآجالنا وإما أن نبرأ منه ونعيش إلى أجل مسمى .

وطلع في ظهر سيدي عبد العزيز الدرينى خراج كبير فكان ينضح قيحا ليلا ونهارا فكان يقول للناس انظروا هل خف ؟ فيقولون لا ، فيقول نحن نخف عنه ولا بد لأحدنا أن يفارق الآخر . انتهى .

وسمعت شيخنا أيضا يقول :
ينبغي لكل إنسان إذا رأى طبيعته يابسة أن يستعمل ما يلينها وإذا رآها مايعة أن يستعمل لها ما يحبسها إلا إن كان الحبس يورث ضررا أشد فإن الإسهال على أنوا ، ع وإذا رآها ضعيفة عن إحالة الطعام على العادة فيستعمل لها ما يعين على الهضم كالخل ونحوه ولا ينبغي لأحد أن يغفل عن طبيعته لأن فيها قوام مصالحه ولا يأتيه قط مرض إلا بواسطة الأكل .

وتأمل الملائكة لما لم يكن أحد منهم يأكل الطعام كيف لا يمرضون ، ويؤيد ذلك حديث " جوعوا تصحوا " وينبغي لكل إنسان أن يستعمل من كل ما أخرجه الله تعالى من البقولات في جميع فصول السنة استعمالا شافيا ويتفطن لكل ما يخرج في كل فصل من ذلك

فإن كان كثيرة فوق العادة فليعلم زن كثرة ذلك البقل انما هو لكثرة الداء المقابل له النازل في ذلك الفصل فليكثر من أكل ذلك البقل بنية الشفاء من ذلك الداء النازل لا بنية شهوة النفس فإن الحق تعالى لم يضع ذلك بالأصالة لشهوة وإنما وضعه

لحكمة بالغة ، وسمعت سيدي أفضل الدين يقول : أصول الطب كلها ترجع إلى تقليل الغذاء لا سيما ان كان موافقا لزيادة الداء بالطبع أو الخاصية .

واعلم أنه ما دامت الطبيعة تقطع الغذاء لقوتها فلا تضر زيادة الأكل لأن حكم هذا الشخص في أكله كحكم من أكل قليلا ،
وإذا وجدت يا اخى ثقلا وضعف طبيعة عن الهضم مثلا فاستعمل في كل أسبوع شرب منقوع العود السوس مع يسير من الملح والشمار من غير قيئ فإن الحكماء الأول إنما حكموا بالاستدعاء كل أسبوع لقوة أبدان أهل زمانهم ،

وهذا أمر قد رفع الله تعالى حكمه من أبدان أهل هذا الزمان لشدة الهموم والبلايا وخبث المطاعم والمشارب والملابس وهذه أمور تهدم الأبدان كما أن اكل الحلال يقوى الأبدان حتى تصير كالفولاذ في القوة بل أقول إن الحكماء ولو حكموا بالاستداعاء المناسب لابدانهم في زمانهم
فان حكمهم غير صحيح في نفسه لأن في ذلك قلب الحكمة عن موضوعها وهو أيضا يورث الضعف في البنية قطعا لخروجه قبل ان تطبخه المعدة وتجرى قوته في العروق ويأخذ البدن منه حظه ولا بأس ان يستعمل الضعيف البقل والملح على الفطور غالب أيامه مع تقليل الأكل ويكفى الضعيف الأكلة الواحدة من الوقت إلى مثله

لكن مع تقليله الشرب أيضا فإن كثرة الشرب توجب في قوى الطبيعة امتلاء بزيادة بمحكم تأثير الأغذية وتخرج أيضا فواشات في البدن كالأورام ولا بأس بالحجامة أو الفصد في فصل الربيع لمن غلب على مزاجه الدم سواء
كان ثم حادث أو لم يكن وشرب الدواء المسهل أبلغ أقطع من الدواء بالفصد في حق الأمزجة الضعيفة والحجامة والفصد أبلغ في حق الأمزجة القوية وثم

من الأمزجة القوية ما لا يحتاج إلى دواء ولا غيره لصحة تركيبه أو لكثرة تعاطيه الأعمال الشاقة النافعة للمسلمين وغيرهم كالحصادة والتراسة ونحوهما ولا بأس بترك اللحم والحلواء زمن الصيف والربيع والإكثار من استعمال الامراق والحوامض وما شاكل ذلك مما هو معلوم وجوده في ذلك الفصل ولا نعلم قط للصحة مثل الجوع الوسط أبدا ، والله أعلم .

**141 - أخذ علينا العهود ان لا نأكل وعين تنظر إلينا من خادم أو كلب أو هرة أو غيرهم**

فإن من العيون ما فيه سم ينفصل في كل شئ قابله لا سيما في الشمس وأكثر ما تؤثر في اللبن والسمك .

ثم تأمل يا اخى ملاحظة عين الكلب أو الهرة لك في رفع اللقمة إلى فمك كيف ترفع رأسها عند رفعك اللقمة وتفض رأسها حين تضع اللقمة في فيك وتيأس منك أنك لا ترميها لها وطريق السلامة ان تطعم صاحب العين معك أو تأمره بالخروج حتى تفرغ .

وكان الشيخ أحمد بن عاشر الشيخ تربة قايتباى رضى الله عنه يفعل ذلك مع جليسه ولو كان أميرا تقدم النهى عن الأكل من طعام الطوافين ، والله غفور رحيم .

**142 - أخذ علينا العهود أن لا نكثر من الأكل لا سيما في ليالي رمضان**

فإن السنة النقص فيها عن مقدار ما كنا نأكله في غيرها لأنه شهر الجوع .

وقد كان الشبلي ثم سيدي أبو السعودي رحمهما الله يطوفان رمضان كله رضى الله عنهما ،

فعلم أن من يأكل في رمضان قدر ما كان يتغذى ويتعشى في غيره فحاله كحال المفطر على حد سواء وكأنه لم يصم شيئا وغاية أمره أنه قلب الليل نهارا وقدم غداءه إلى وقت سحوره لا غير.

وفي البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " الصيام جنة " يعنى على بدن الصائم يمنع دخول وسواس الشيطان من العام إلى العام ، وأما إذا أكل كثيرا في رمضان فإن بدنه كله مخرق بلا جنة فيدخل منه الشيطان إلى قلبه من أي موضع شاء طول عامه .

وكان الشيخ عصيفر يقول أنا ما عندي صوم إلا صوم النصارى لأن أحدهم يفطر على قليل خل أو زيت أو دقة أو غير ذلك مما لا يحرك الشهوات المقصود منعها بالصوم وأما المسلمون فصومهم عندي باطل لأن أحدهم يطبخ يوم صومه الخمسة أرطال ضانى ويأكل حتى تمل نفسه ، فكان الناس يسخرون من كلامه لكونه مجذوبا وكان الفقراء يعتبرون بقوله .

وسمعت مرة بعض النصارى يقول لآخر يا إسحاق صومك يشبه صوم المسلمين في العالم ، يعيره بأكله كثيرا أيام صومهم .

وكان شيخنا رضى الله عنه يقول : من السنة ان لا تقدم للضيف في رمضان الا قليلا من الطعام فمن قدم له كثيرا من الطعام فقد أساء في حقه لأنه ربما شرهت نفس الضيف فأكل كثيرا فيحرم بركة رمضان ولو كان قدم له قرصا واحدا لم يشبع وحصل له الخير لا سيما أكثر الضيوف يستحى ان يطلب طعاما إذا لم يشبع ،

وما رفعت مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يدي الضيف وغيره قط وفيها فضلة من طعام .

فاعلم ذلك واعمل عليه .

**143 - أخذ علينا العهود ان لا نزيد في الاكل والشرب على السنة المحمدية وذلك ان نقوم عن الطعام والشراب ونفسنا تشتهى ذلك الطعام أو الشراب**

وعند أئمة اللغة إن أكثر الأكل تسع لقم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه " واللقيمات من الثلاث إلى التسع .

قلت : ولعل الحديث محمول على اكل العباد والزهاد وأصحاب الرياضات أما أصحاب الأعمال الشاقة والحرف النافعة كالذاكرين الله كثيرا والذاكرات فلهم الأكل على قدر حاجتهم ، وذلك ليقوموا بتلك الأعمال الشاقة يخرج الأكل عرقا من البدن وكذلك الذكر يحرق كل شئ في الجوف .

وكان سيدي محمد الشناوي رحمه الله يقول :
نحن لا يحتاج إلى هضم الأكل إلى خل أو فجل لأن الذكر لا يدع عندنا شيئا من الكثايف ومحك بيان اقتصار الأكل والشرب على السنة المحمدية الصرف التي لا يخالطها حظ ولا شهوة نفس ان لا يوجد لبوله ولا غائطه ولا ضراطه ولا فساه كبير رائحة منتنة

فكل من وجد في طبيعته ذلك فهو دليل على تعديه السنة فإن الشهوة البهيمية كلما قويت زاد النتان حتى يصير كغائط اليهود فإن غائط اليهود أنتن من غائط النصارى بل شهدت مرة غائط راهب من النصارى فوجدته لا رائحة له فقلت له يا راهب ليس لطبيعتك رائحة
فقال ومن أين يأتي غائطى الرائحة المنتنة وأنا لا آكل حتى أجوع وإذا أكلت فلا آكل إلا سد الرمق ،
وكذلك شهدت بول اخى أفضل الدين وروائحه لا رائحة لها حتى كان يخبرني بعض الأوقات بالروائح التي خرجت وأنا بجنبه لا أشم منها شيئا
فقلت له في ذلك فقال ومن أين يأتي النتان لغائطى وأنا لا آكل إلا عند الاضطرار ثم إذا أكلت لا آكل قط بشهوة إنما آكل امتثالا لأمر الله لكونه

تعالى قد أمننى على جسمي وأمرني بالقيام بحقه وكان يقول لا أتذكر انني أكلت لنفسي وإنما آكل إكراما لكون نفسي ملكا لربى . انتهى .

وبلغنا عن الإمام البخاري رحمه الله انه كان يقلل بالتدريج حتى انتهى أكله في اليوم والليلة إلى لوزة أو تمرة واحدة فسألوه عن ذلك فقال إنما فعلت ذلك حياء من الله عز وجل أن يكثر ترددى إلى الخلاء ويكثر كشف سوأتى .

وكذلك بلغنا عن الإمام مالك انه كان لا يأكل إلا بعد جوعه يومين أو ثلاثة وكان يقول أستحى من الله أن يراني مكشوف العورة على الخلاء .

وأخبرني سيدي الشيخ إبراهيم وسيدي الشيخ شهاب الدين الوفائى أجلّ أصحاب سيدي الشيخ تاج للدين الذاكر ا

ن سيدي الشيخ تاج الدين شيخهما كان يتوضأ كل سبوع مرة واحدة وانتهى أمره آخر عمره أنه صار يتوضأ كل اثنى عشر يوما مرة كما أخبرني بذلك الشيخ عبد الباسط الطلحاوى خادمه وسألت سيدي الشيخ شهاب الدين الوفائى عن ذلك

فقال لم يكن سببه قلة الأكل وانما ذلك من حال كان يرد على الشيخ ، قال وقد رأيته معزوما عند جماعة من أهل الجيزة أيام الربيع وهم ينوعون له الأطعمة على عادة الأرياف ما بين لحم ورز بلبن وسمن وغير ذلك فمكث عندهم تسعة أيام ونحن ننظره ليلا ونهارا لم يجدد له وضوءا .

وكان رضى الله عنه يقول : لا يسمى الفقير قانعا حتى يأكل كل ثلاثة أيام أكلة وأما الذي يتغدى ويتعشى كل يوم ولو قليلا فلا يسمى قانعا بل لم يشم من القناعة رائحة رضى الله عنه ، فتأمل هذا العهد واعمل به والله يتولى هداك.

**144 - أخذ علينا العهود أن نلزم الأدب مع اصجاب النوبة وإن لم نجتمع بهم ولم نعرفهم**

وذلك لأنهم يشهدون ما نفعله في قصور بيوتنا ولهم المؤاخذة بذلك والتأديب عليه حق والخواطر التي لا تنبغى لا سيما إن كان أحدنا يدعى أنه من الفقراء الصادقين وينفخ شواربه فإن قوسهم موتور بالتأديب على كل من ادعى ذلك

.

وقد أوصاني سيدي على الخواص فقال : إذا خرجت من بيتك لسفر أو حاجة ضرورية أو إلى محل التنزهات والمفترجات فلا تجاوز صور البلد أو عمرانها حتى تستأذن بقلبك أصحاب النوبة

فإذا رجعت فاستأذن في الدخول كما في الخروج لأنهم يحبون من يحفظ لهم المقام ويتعرف إليهم به ويحبون من يستغيث بهم عند نزول البلايا والمحن ويقادون ممن يستغيث بغيرهم من الأموات أو الأحياء ويتكدرون منه لقلة أدبه وعدم مراعاة مراتبهم فإنهم هم المتصرفون في قضاء حوائج العباد وتولية الملوك والنواب وعزلهم وهم خواص الأولياء بعد أصحاب الدوائر الكلية العلية ويكونون في كل بلد وإقليم بالنوبة ويزيد عددهم وينقص بقلة البلاء وكثرته وهم الآن في مصر سبعون رجلا أعنى في سنة خمس وأربعين وتسعمائة وسوف يزيدون بزيادة البلاء الآتي قريبا .

واعلم يا أخي انه لا يقضى لأحد من الخلق حاجة إلا بواسطتهم ولو استغاثوا بأكبر الأولياء من الأفراد لا يقدر على قضاء تلك الحاجة إلا إن سألهم أو استغاث بهم وكل من استغاث بغيرهم وأغيث إنما هو لأجل استغاثته بأصحاب النوبة فالعارف من أتى البيوت من أبوابها.

واعلم يا أخي أنه لا يعرف أصحاب النوبة على التعيين إلا من حق له قدم الولاية لتحجبهم عن كل من مال إلى الدنيا بقلبه ولو طرفة عين وما رأيت أعرف بهم من سيدي على الخواص فكان يعرف من تولى منهم ومن عزل في سائر أقطار الأرض وقد بسطنا الكلام على وقائعه معهم في العهود الكبرى والله أعلم .

**145 - أخذ علينا العهود أن لا نعود مريضا في بيته إلا بشئ يناسبه في الملاطفة من سكر ولوز ومستحلب لا سيما إن كان ذلك المريض فقيرا .**
ورأيت شخصا دعا سيدي محمد بن عنان يوما لعيادة مريض في بيته فأبى وقال لا ينبغي لمشهور بالصلاح ان يذهب إلى بيت مريض إلا إن كان يقدر على تخفيف المرض عنه إما بالتحمل عنه بالقلب وإما بسؤال الله عز وجل فإن لم يعلم قدرته على التحمل عنه دعا له بالشفاء من غير دخول عليه وأمره بالصدقة ولو بماله كله على حسب شدة المرض وخفته فإنه ليس شئ الآن أعون على حصول الشفاء من الصدقة وكثرة الاستغفار .
وسمعت شيخنا رضى الله عنه يقول لا فائدة في الحضور عند المريض إلا التخفيف عنه يقينا لا ظنّا وتخمينا فهذه عيادة أرباب الأحوال وأما من دخل على مريض وخرج والمريض على حالته لم ينقص ألمه فكأنه لم يعده وإن كان في ذلك ائتلاف بين المؤمنين فافهم وعد كل من خفت عليه التنافر بعدم العيادة .
وقد دخلت مع سيدي محمد بن عنان على سيدي على البليلى المغربي بجامع الأزهر وكان في أشد المرض فحمل عنه سيدي محمد واضطجع

مريضا وقام سيدي على فمشى إلى مطهرة جامع الأزهر وتوضأ فتعجب الناس من ذلك ، ومرض سيدي محمد نحو أربعين يوما من ذلك الوقت رضى الله عنه .

**146 - أخذ علينا العهود ان لا نمكن أحدا من إخواننا من الشكوى ممن ظلمه**
وإنما نأمر كل من اشتكى بالصبر وكظم الغيظ والرجوع باللوم على نفسه ويقول لها ما ظلمك إلا من قلة سياستك ولو طاوعتيه على غرضه ما شوش عليك فأنت الجانية عليه بالإخلال بحقه وعدم توقيره وتعظيمه أو عدم الرد عن عرضه في غيبته أو عدم الهدية إليه ونحو ذلك وما رأينا أحدا طاوع أحدا في غرضه فكرهه من حيث المطاوعة أبدا وقد كنت مرة عند سيدي على الخواص فجاءه شخص فشكى له من إنسان وبالغ في تنقيصه وذكر مساويه

فرفع الشيخ رأسه وقال اللوم عليك أنت الذي أحصيت عليه مساويه ولم تذكر من محاسنه ولا واحدة وذلك دليل على خبث طويتك ، فخجل الشخص وقال أقول في حقه أستغفر الله ،

فقال الشيخ اسمع يا اخى هذه قاعدة مقررة كل من شكى من إنسان وبالغ في الشكوى منه فهو دليل على أنه أذى ذلك الانسان أشد الأذى لان الذخيرة لا تهيج إلا إن حركها محرك ، فاعلم ذلك .

**147 - أخذ علينا العهود لا نمكن أحدا من إخواننا يشتغل بشئ من العلوم الكاسدة التي تعطل العمل بها**
فإن العمر ضاق عن مثل ذلك بل قال بعضهم نسيان العبد لكل علم لا يستطيع العمل به من رحمة الله به فإن موضوع العلم إنما هو ليعمل به فافهم ، ومثال من يشتغل الآن بمثل ذلك مثال من

عمر له قرنا في مدينة خراب ليس فيها أحد وصار يحمى الفرن ليلا ونهارا رجاء ان تعمر تلك المدينة ويجئ الناس يخبزون عنده وما بقي الآن بعد ما فرض الله عز وجل أفضل من الاشتغال بذكر الله وكثرة الاستغفار .

ومن أعظم دليل على أفضلية ذلك انشراح الصدر للاشتغال به عند طلوع الروح فلو سئل الفقيه المختصر عن مسألة من مسائل البيوع والدعاوى والأقارير التي كان يقول قبل ذلك انها أفضل من الذكر لم يجد له داعية لأنها باله لها فلو كان الأمر كما يقول من الأفضلية لكان الاشتغال بها في ذلك الوقت واجبا مقدما على كل قربة فهذه الحالة التي تكون للمحتضر فهي التي تكون للفقراء طول عمرهم كان أجلهم لم يزالوا يشهدونه حاضرا عندهم فاعلم ذلك .

قلت ولكن التحقيق أن لكل مقام رجال فالفقير فقير والفقيه فقيه والقاضي قاضى وبذلك كمال الوجود وإنما العارف في كل عصر يدعو كل شخص من الطريق التي هي أقرب ، والله على كل شئ شهيد .

**148 - أخذ علينا العهود ان لا نرجع إلى محبة الدنيا بعد إذ خرجنا منها إلا بمصلحة ترجح على مصلحة تركها**

وذلك لئلا نرجع إلى دخول الحجاب الذي كنا خرجنا منه ومعلوم أن أحدا لا يعرف عيب الدنيا إلا إن خرج عن محبتها لقوله صلى الله عليه وسلم حبك للشئ يعمى ويصم ،
فإذا خرج عبد عن الدنيا عرف إذ ذاك عيبها ونقصها ووجدها حية تسعى فإذا عرفها كذلك وقيل له خذها ولا تخف فمن الأدب أخذها لقوله ولا تخف فيمسك الدنيا بحذافيرها بالإذن كما كان ألقاها بالادن كما سيأتي بسطه إن شاء الله تعالى في مواضع

وهذا العهد يقع في خيانته كثير من الفقراء الذين لم يسلكوا الطريق ولم يفطموا على يد شيخ فيصطادهم إبليس أواخر عمرهم ويموتوا على محبة الدنيا كما شاهدنا ذلك في بعض المنقطعين في الكهوف والزوايا المهجورة

وكان آخر أمرهم الخيول المسومة والملابس الفاخرة والأطعمة المنوعة وصاروا منهمكين على الدنيا أعظم من أبنائها ، وقد قلت مرة لشخص من المنهمكين على الدنيا خفف عنك هذا الانهماك العظيم ، فقال قل ذلك للشيخ الفلاني وأشار إلى شيخ معظم في البلد ، فلا حول ولا قوة ، الا بالله العلي العظيم .

واعلم يا اخى أنك لو تفكرت في قوله صلى الله عليه وسلم " ازهد في الدنيا يحبك الله " لعلمت يقينا مرتبتك في الزهد في الدنيا وعلمت كون الحق تعالى يحبك أولا يحبك لأنه صلى الله عليه وسلم علق محبة الله على الزهد في الدنيا وكذلك لو تأملت في قوله صلى الله عليه وسلم " إن الله عز وجل منذ خلق الدنيا لم ينظر إليها " ع

رفت ان الفقير المحب في الدنيا أولى لعدم نظر الحق تعالى إليه ما دام يرجح الذهب على الزبل لا سيما إن تظاهر بأحوال الصالحين ومراسمهم الظاهرة وجلس في زاوية يرصد الدنيا كل مرصد بالكشف والنصب والكذب على الله تعالى بنفسه أو بفعل ذلك على يد النقيب .

وحكى أنه لما دنت وفاة سيدي داود الأعزب رضى الله عنه أراد النقباء والفقراء أن يحملوه إلى قرافة مصر ليموت بها فأخبروه بذلك فنظر إليهم مغضبا وقال تريدون أن تجعلونى كالقرد تجبون على الدنيا وطردهم من البلد إلى وقتنا هذا.

وسمعت سيدي محمد بن عنان يقول أولى من محب الدنيا لعدم نظر الحق تعالى إليه من طلب الحق تعالى والقرب منه بالأعمال الصالحة وكثرة الأوراد والتملق إلى الله تعالى في الأسحار والحق تعالى إنما طلب من عباده أن يخلصوا له الدين لا أن يشركوا معه أهوية نفوسهم وأكثر من يقع في هذا المشتغلين بعلم الحرف ورياضات الأسماء فيجسوا نفوسهم ليلا ونهارا بقصد أغراض خسيسة لا تساوى جناح بعوضة كما سيأتي بسط ذلك في عهده .

<u>وسمعت سيدي عليّا الخواص يقول :</u>
ثلاثة توجب المقت وقلة البركة في الرزق وظلمة القلب وخراب السر : الاشتغال بعلم الروحاني والكيمياء واللواط ، نسأل الله العافية .

**149 - أخذ علينا العهود ان نمد أصحابنا بما نقدر عليه ولا نعلمهم بأن ذلك المدد بواسطتنا**

وذلك ليكون الأجر فرا إن شاء الله تعالى فإن الإخوان إذا شعروا بذلك ربما دعتهم نفوسهم إلى مكافئتنا بالخدمة وكثرة الشكر فينقص رأس مالنا ان كان له وجود لضعف أمثالنا عن شهود مدحه من غير ميل
ثم إذا فتح على أحد من الإخوان بفتوح وهو يعمل حرفة من الحرف لا نمكنه من تركها اعتمادا على فتوحه وقوة يقينه فإن غالب فتوج أهل هذا الزمان كالعرض الزائد لتحرق غالب القلوب فلا يمكث فيها مدد دنيا الانسان في صنعته
وهو راض مثاب خير من عوده إلى الأسباب وهو كاره معاب وقد شهدنا كثيرا من فقراء عصرنا اجتمعوا ببعض أشياخ فحصل لهم بعض آفات فتركوا صنائعهم فذهبت تلك اللمعات وصاروا قاعا صفصفا يأكلون بدينهم

كل يوم بيوم ودخلت رأسهم الجراب وصاروا كمن تولى قاضى القضاة ثم عزل وافتقر لا يمكنه ان يعمل بعد ذلك نائبا ولا شاهدا .

وكان سيدي على الخواص يقول : ما عندي فقير أعظم ممن بيده حرفة تكفه عن سؤال الناس باطنا وظاهرا
وكان يقول : من كانت له صنعة ثم تركها فقد عرض جسمه لسائر العلل لأن الصنعة مصحة للجسم من سائر الأمراض وللروح من سائر العاهات ، والله غفور رحيم .

واعلم يا اخى انه لا ينبغي لفقير ان يتكرم بالمدد إلا على من هو صادق في همته كامل الأخلاق في نشأته فإنه أزكى لزرعه ومن زروع في أرض سبخة أحرقت كل شئ بذره فيها .

واعلم يا اخى انه لا يصلح ان يتصدق لإمداد الإخوان إلا من ذهب في الدنيا ونعيمها وذلك لأن من رغب فيما ذكر فمن لازمه الشح والبخل ثم إذا فتح على أحد من الإخوان
فالأدب من جميع إخوانه مرعاة حقوقه وحمل نعله وخدمته فإن ذلك يرقيهم إلى محل الفتح وأما إذا قامت نفوسهم منه وحسدوه ونقصوه فإنهم لا يزدادون بذلك إلا طردا فإن من خدم أهل حضرة الملك جره ذلك إلى مقامهم فيصير جليس الملك ولو على طول كما هو مشاهد من أحوال أركان الدولة
ومن قل أدبه معهم طردوه إلى حضرة البهائم والشياطين وإذا لم يفتح الله تعالى على فقير بعد طول المجاهدة فمن الواجب علينا أمره بالشكر لله
ونقول له احمد الله الذي لم يعطك حالا ولا مقاما تقيم به صدرك على الناس ووفر لك أجر أعمالك الصالحة ، والله تعالى أعلم.

**150 - أخذ علينا العهود أن نتعفف عن الاكل من أطعمة الناس جهدنا ولا نلتفت قط بقول من يقول الفقير كالبحر لا تكدره الرمم**

لأنا نعرف من أنفسها التي هي في الصفات أنجس من الخرارة وهذا القول من الجهل بأحوال الأكابر الذين نقل عنهم ذلك القول وأين الحال من الحال فإن لم نتعفف ووقعنا في الأكل من طعام ظالم أو مكاس أو قاض نوينا بذلك الأكل عتق إخواننا المسلمين من كله إذ لا بد لذلك الطعام ممن يأكله فنكون من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا كما مر أول العهود ثم نلقيه من ساعته بالقيء .

وكان سيدي إبراهيم المتبولى رحمه الله إذا خرج إلى دعوة عند أحد من أكابر الدولة يقول لأصحابه ارجعوا فانى عازم إلى أكل السم تحملا عن المسلمين فيرجعون .
وسمعت سيدي على الخواص يقول : للقمة أثر عظيم في قلوب الآكلين وان علت مراتبهم فتؤثر في كل أحد على قدر استعداده فأثرها في المؤمنين أعمال مذمومة بحسب ما يقتضيه حقيقة تلك الأطعمة حلّا وشبهة .

وأثرها في أصحاب الأحوال قسوة في القلب وثقل في الطبيعة وأثرها في العارفين غفلتهم عما يعود عليه نفعهم من مصالح الدارين ما دامت تلك المطعمة في بواطنهم وأثرها في الكاملين كثرة الخواطر التي لا منفعة فيها وأثرها فيمن هو أعلى من ذلك لا يحزنه إلا أصحاب تلك الرتبة .

اعلم يا أخي كلما عظمت المشقة في تحصيل اللقمة كانت أحل وسمعت سيدي الشيخ شعبان المجذوب بجباب النصر يقول : لقيمة

الصنائعى اليوم من الجنة ، فتدبر ما قررناه لك واعمل عليه فإنه نفيس ، والله يتولى هداك .

**151 - أخذ علينا العهود ان لا نغتر بصفاء حالنا مع الحق تعالى**

فإن حكم ذلك كحكم اللبن الطيب اللون والمطعم ثم لا بد له من ذلك من خلطه بالمنفحة الخبيثة المنظر والرائحة في افتقاره إليها لتشده وتثبته وتصبره على مصائب الزمان وتقلب الحدثان ولولا المنفحة لتغير وتلف في أسرع زمان .

وكان سيدي على وفا رضى الله عنه ينشد :

**كل ما يشعر ان وقتي راق * يخترع تشويش يظلم الآفاق**

وسمعت سيدي عليّا الخواص رحمه الله تعالى يقول أعظم الآفات الداخلة على الفقير حصول الكشف والركون إلى صحته فإنه كالمنازعة لأوصاف الربوبية .

لخروج صاحبه من سياج من خلق من طين ولما فيه من التشبه بصفات الحق تعالى الذي يعلم السر وأخفى .

وتأمل للنبات لما تشبه بأعلى منه وقام على ساق طالبا للانتقال عن رتبته إلى مرتبة الحيوان صاحب التدبير والروية والحركة كيف عوقب بالحصاد والدوس بالنعال وحوافر البهائم إلى أن صار كالتراب على أوطأ حالة ترى فما ساوى صعوده هبوطه هكذا يكون سياط القدر على أهل الاغترار بالله تعالى .

ومن أعظم أبواب الاغترار ثناء الناس على الانسان ومدحهم له.

وفي كلام سيدي علي بن سودون رحمه الله :

**يوم طهورى يا ما رأيت * زغرتو لي وكيت وكيت**
**فرحونى وما دريت * ما القضاء في صانع**
**زغرتت أهل حارتى * وايش يبالي الاشاكع**

فتأمل باطن هذا الكلام يا اخى واعتبر والله يتولى هداك .

**152 - أخذ علينا العهود أن نتعلم آداب ذوى البيوت**

فان عندهم من الأدب ما ليس عند غيرهم من المتصوفة وغيرهم وتأمل حياءهم وكرمهم وعدم نطقهم بالفاحش من الكلام وعدم إشاعتهم الفاحشة عن أحد من جيرانهم ومعارفهم .

وتأمل تواضعهم تجدهم أكثر تواضعا من بواب دارهم كما سيأتي بسطه في عهد توقير الأكابر ان شاء الله تعالى .

**153 - أخذ علينا العهود ان ننهى إخواننا عن مجالسة المجاذيب وعن سؤالهم ان يدعوا لهم**

لأن المجاذيب في حضرة لا يمكن دخولها لغيرهم وحالهم غريب وربما سألناهم أن يدعوا لنا فدعوا علينا فنفذ الله ألسنتهم فينا لأن مرتبتهم ربما اقتضت ان الله يجيبهم في كل ما سألوه وكان دأب الشيخ عصيفير في حارتنا أن كل من سأله الدعاء يدعو عليه .

وكان شخصا قال له يا سيدي ادع لنا قال الله يبليك بالعمى في حارة اليهود ، وسأله شخص آخر ذلك فقال الله يبعث لك بسهم رباني.

وسأله الأخ محمد المنوفى أن يدعو له فقال جاءتك داهية بطبل خانه ، وكان الله ينفذ له كل ما يقول .

وكان سيدي إبراهيم المبتولى يقول سلموا على المجاذيب بالقلب لا باللسان ولا تبدءوهم بالعطاء إلا إن طلبوا ذلك ثم إن طلبوا فأعطوهم ما سألوا من الدنيا إلا أن يطلبوا شيئا يحتاج إليه عيالكم ،
واعملوا أنهم لا يطلبون منكم شيئا قط إلا طليا لدفع البلاء عنكم أو رد ضائع لكم وذلك لغناهم عن الدنيا فمن شاء فليمنع ومن شاء فليدفع .
وقد ذكرنا جملة من وقاهم في العهود الكبرى والله واسع عليم .

**154 - أخذ علينا العهود ان نستشير إخواننا في كل أمر مهم نفعله أو نتركه**
كزواج أو سفر حج أو تجارة أو عمارة مسجد وبيت أو غرس بستان أو طلاق زوجة ونحو ذلك من سائر الأمور
ولو كان الشارع أمرنا بها على العموم فإنه ثم من السنن والواجبات ما هو أهم من بعض فنشاور إخواننا في أيهما نقدم ونعمل بما أشار به كلهم أو معظمهم فإن لم يظهر لهم شئ استخرنا الله تعالى فإن لم يظهر لنا ترجيح أمر على آخر أعدنا الاستخارة ثانيا وثالثا إلى سبع مرات
ثم نقول اللهم خر لنا واختر لنا ما هو الأصلح في علمك ، وإنما شاورنا في هذه الأمور إخواننا لأن الله تعالى قد أمنهم علينا في كل ما يرقينا ومعاذ الله ان اخواننا يجتمعون على ما فيه غش لنا ،

واعلم يا اخى ان الاستشارة والنصح بمنزلة تنبيه النائم أو الغافل من نومه أو غفلته فإذا استيقظ رأى السبب الذي تنبه من أجله فيحكم عليه بما يهديه الحق تعالى إليه من خير أو شر ولا حرج على الناصح في حميع ما ينصح به الا إن خرج عن

مقام الأدب لعدم حفظه مقام الخضوع وما يليق بحاله من ألفاظ النصح الموضوعة لكل نوع من الناس من ملوكهم إلى سوقتهم ولا يساوى بين الناس في ذلك إلا أعمى البصيرة
فعلم أن من نصح الأمير بألفاظ تقال لأحاد الرعية فقد أساء الأدب لأن الحكام قلوبهم غير مملوكة لغيرهم من الرعية فلهم ان يزجرونا بالعنف ويخرجون وليس لنا فعل ذلك معهم لسيادتهم وعبوديتنا فافهم

وإياك والعمل بمشورة النساء فإنهم قالوا : المحبوب لهوى النفس لا يستشار ، وما ثم أميل إلى النساء من الرجال لافتقارهم إليهن بشهوة وحالا وطبعا وإذا كان غالب الرجال ما بقي له كمال عقل في هذا الزمان فكيف بالنساء اللاتي نقصهن خلقي وإياك أيضا والعمل بمشورة من هو راغب في الدنيا فإنه أعمى القلب

أو تستشير زاهدا فيها واستشر كمل العارفين الذين يصرفون كل شئ في الوجود فيما وضع له وإياك ان تفتح باب النصح لإخوانك أو غيرهم في الملأ إلا بعد أن تستشيره في ذلك لا سيما إن كان صاحب نفس

فقد قالوا : النصح في الملأ تقريع فنقول له مثلا ما أحسن المسلمين إذا تناصحوا ونبه بعضهم بعضا على نقائصه ومقصود في فتح هذا الباب بيننا فتنبهنى وأنبهك فلا يسعه أن يقول الا نعم وأما النصح من غير استشارة ولا استئذان فهو خاص للعارفين بالسياسة النبوية لأنهم يمهدون سياستهم للأعوج بساطا يشهدونه فيه عوجه حتى يكون هو المبادر لترك العوج لما يرى لنفسه في ذلك من المصلحة فهؤلاء هم الذين ينصحون به الناس فلا ينصحون أحدا من الخلق في فعل شئ أو تركه على ظن أو تخمين أبدا فهم ولو شهدوا التقدير على عبد بزواج أو سفر مثلا ورأوا

المصلحة في ترك ذلك يقولون له لا تفعل لما جبلهم الله تعالى عليه من الشفعة والرحمة على خلقه وإذا شهدوا التقدير على عبد بالزنا ولا بد يقولون له لا تفعل ويحرم عليهم أن يقولوا له افعل لان الاضلال نعت إلهي

لا يكون لعبد من العبيد خلافا لما عليه بعض متصوفة العجم فإني اجتمعت بواحد منهم قال لي : للعارف إضلال من أراد الله إضلاله لتخلقه بأخلاق الله تعالى ، فقلت له إنما يكون التخلق للعارف بأسماء الافعال المأذون في التخلق بها كالمريد والجواد والحليم والكريم ونحو ذلك ، فلم يرجع إلى قولي

وقال الذي أعتقده أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل عارف من أمته ان يضل من شاء من الأمة ، نسأل الله تعالى أن يسلك بنا سبيل السنة ويجنبنا طريق البدعة إنه جواد كريم .

وقد بسطنا الكلام في العهود الكبرى أبسط مما هنا والله واسع عليم .

**155 - أخذ علينا العهود ان نكثر من الاستغفار والندم على ما فات من أوقات الخيرات تعظيما لحضرة الله عز وجل**

فإن من لم يحزن على فوات مجالسة الأكابر لا يستحق منهم التقريب لأن قلبه فارغ من محبتهم ، وأنشدوا في ذلك :

**كل يوم لا يراكم بصرى * ذاك لا أحسبه من عمرى**

فإن بلغنا مبلغ الرجال وارتفعنا من مقام الإيمان إلى مقام الإحسان كان لنا مشرب خريرى صاحبه الندم سوء أدب لأن ما وقع بقضاء الله وقدره وحكمته فلأي شئ يندم العبد فان قيل يندم للجزء الاختياري قلنا الاختيار

يغنى هناك في تلك الحضرة ، واعلم يا اخى ان الاستغفار واجب علينا سواء استحضرنا اننا عصينا أو لم نستحضر وأكمل الاستغفار ان يقول العبد ألف مرة صباحا وألف مرة مساء أستغفر الله العظيم الذي لا إله الا هو الحي القيوم وأتوب إليه من كل ذنب فعلته إلى وقتي هذا ، والله غفور رحيم .

**156 - أخذ علينا العهود ان لا نمكن أصحابنا من الجلوس في مجالس القيل والقال**

والخوض في عيون الناس من التجار والقضاة والأمراء والمقدمين وغيرهم ولا نمكنهم من الجلوس فيها إلا لضرورة ثم يقومون بسرعة فقل من يطيل الجلوس مع الناس في هذا الزمان ويسلم من ذكر أحد بما يكره ومن فتش نفسه في كل مجلس عرف صدق ما أقول .

وقد نهينا عن مجالس القيل والقال إذا كان الجلوس في المزابل فكيف إذا كان الجلوس لذلك في المساجد والقرآن يتلى فيه لا ينصت أحد له ولا يلقى باله لمواعظه بل يثقل على أحدهم إذا قلت له اترك هذا اللغو أو قم اسمع القرآن ولكن كل ذلك تصديقا لحديث " سيأتي على أمتي زمان يكون معبودهم بطونهم وفروجهم وحديثهم في مساجدهم أمر دنياهم لا يعبأ الله بهم "
ولكن من كان صاحب بصيرة في هذا الزمان فلينو بكل ما وقع من المخالفات تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر كهذه الواقعة المذكورة في الحديث فيكون من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فهو أحسن ممن كانت أفعاله سيئة صرفا ،

ثم إن كان لك يا اخى حاجة في مجلس عند كبير فيه لا يقضيها لك إلا إن فرغ مما هو فيه من اللغو وجر قوافى الناس فاجلس مكثرا من الاستغفار كلما جروا قافية أحد وأجب عن إخوانك الغائبين جهدك

إذا ذكروا بسوء فلعل ذلك يرقع ما تخرق من دينك في ذلك المجلس ان شاء الله تعالى ، وإياك يا اخى ومجالسة من يجمع الأخبار طول النهار
ثم يأتي إليك فتخوض أنت وإياه فتقول فلان ما كان يستحق الحسبة والقضاء أو الوزارة
وما كان ينبغي ان يكون مقدما عند الوالي إلا فلان وفلان أصلح للولاية من فلان وغير ذلك من الهذيانات التي لا يسمع لك أحد فيها من الولاة ولا يفرقوا من قلت أنه لا يستحق فإياك ثم إياك ، والله يتولى هداك .

**157 - أخذ علينا العهود ان نلازم البيوت ونقلل الحركة والأسفار إلى الريق وغيره أيام الفتن واشتغال قلوب الناس ما دام عندنا الرغيف فمن خالف فلا يلومن إلا نفسه .**

وكذلك لا نعمر دارا أيام غم الناس واشتغال قلوبهم ولا نزرع بستانا ولا نعمل عرسا ولا طهورا ولا عزومة في مفترجات ولا نضحك ولا نمزح ولا نجامع ولا نلبس ثيابا فاخرة ولا مصقولة ولا نتطيب ولا نتزين ولا ننعم بدخول حمام وغسل ثياب من غير نجاسة ولا نتبسط في مأكل ولا مشرب ولا ملبس وسواء كنا آمنين على أنفسنا وأموالنا وعيالنا أم غير آمنين

ودليل جميع ما قلناه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر " وقوله صلى الله عليه وسلم " من لم يهتم بأمر المؤمنين فليس منهم " وغيرهما من الأحاديث ولا تصل يا اخى إلى هذه الدرجة إلا بأن تصير تتألم مثل ما يتألم سائر المتألمين من المسلمين في سائر أقطار الأرض كما تقدم بسطه في عهد مشاركة الناس في الهموم ونظير ذلك تألم سائر الفقراء الصادقين وغمهم

وضيق صدورهم أيام نكد سلطانهم أو أميرهم لما هو عليه من الارطباط امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم " لا ينزع أحدكم يده من طاعة إمامه وذلك لأنه الرأس " فكل فقير لم يتكدر أيام نكد السلطان فهو ناقص العهد وحكمه حكم البهائم .

واعلم يا اخى ان كل من انبسط أيام قبض الناس ولم يشاركهم في وزن خراج البور والعاطل أو في وزن المصادرة والرمية على السوق مثلا فإن الله يقبضه أيام بسطهم في الدنيا والآخرة ويصب عليه بلاء وحده من جهة أخرى أعظم مما فر منه عقوبة له لسوء أدبه وفراره من تقدير ربه وتميزه عن إخوانه وفي الحديث " إن الله يكره العبد المتميز عن أخيه "

وحكى عن الشيخ أبى الحسن الشاذلي انه رئى بعد موته وهو مقبوض الخاطر فقيل له ما هذا القبض وأنت لست في دار التكليف والامتحان ؟

فقال يا ولدى هذه أوقات كان اللائق بنا فيها القبض في دار الدنيا فجعلناها انبساطا فنحن نتضمنها في البرزخ فإياك يا اخى والانبساط في شئ مما قدمناه حتى تطمئن قلوب الخلق على ذلك البلاء الذي نزل عليهم وتستقر قلوبهم في أماكنها على جارى عوائدهم

ولعل الناس يا اخى ما بقي لهم استقرار قلب ما بقيت الدنيا فإنهم كما هو مشاهد لا يفرغون من تحمل بلاء إلا وينزل عليهم بلاء آخر تبلغ به قلوبهم الحناجر ،

<u>وقد سمعت سيدي عليّا الخواص يقول :</u>

إن الخلق الآن ليسوا في الدنيا حقيقة إنما هم في واد من أودية النار ينقلبون ثم لا يزالون يزدادون في كل ساعة من الغم والأنكاد والشدائد ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر قط على قلوبهم أنه يقع لهم ولا يسلم لهم واحد

بل ولا ساعة من تكدير ولا نقص في معيشة إما من عدو أو خسارة في دين أو دنيا أو جحد حق أو مناقرة امرأته أو حماته في البيت بسبب وطئه جارية الخدمة مثلا أو ترويجه على امرأته أو من تنافر خلقي بينهما وأنشد سيدي خضر رحمه الله تعالى :
**ومن نكد الدنيا على المرء أن * يرى عدوّا له ما من صدقته يد**

وقد قدمنا في سبب جور الولاة أن الوجود بقابل العبد بصورة ما برز منه عوجا واستقامة فان كنت يا أخي رجلا فأصلح ما برز منك من الأعمال ليقابلك الوجود بنظيره وإلا فلا تلومن المقابل لك فإن أقمت العذر لنفسك فأقمه لمقابلك من باب أولى كان الناس في الزمن الأول إذا رأوا من جارهم أو عدوهم أو زوجتهم وولدهم عوجا يرجعون إلى أنفسهم فيقيمونها ليستقيم مقابلها فصار الواحد اليوم يريد أن يرجع إلى نفسه لقيمها فلا يستطيع ولذلك دام النكد ،

فاعرف يا اخى زمانك فإنه زمان ظهور العجائب ووطن نفسك على الأنكاد المتواترة وإن كنت قد ربيت على الراحة فذلك أمر قد فرغ منه ومن يظن بالدنيا عود نظامها وعود ما درس من مقالها فليوجد له كونا جديدا وحكما جديدا بل أقول من ظن ذلك بالدنيا
فهو قريب ممن لا يؤمن بعلامات الساعة التي نحن الآن في زمنها فإنه ليس لمحل ظهور علاماتها مكان إلا جوارحنا وجوارح حكامنا فوقوعها مركب من أعمالنا وأعمالهم ، جف القلم بما هو كائن وإن جاءنا في هذا الزمان من حكامنا عدل أو رحمة أو أمن أو رخاء فهو كصحوات المريض يعقبها غشوات لكون ذلك في غير

أوانه وفي غير مكانه لعدم استقامتنا فالخلق الآن في أمور لا تحد ولا توصف ولا يعرف ما قلناه من النكد والتعب إلا أصحاب الدنيا الذين يلزمون بما لا يلزم من وظائف الظلم وغيرها
كالمحتسب وشيخ البلد وشيخ العرب وصاحب طمة الوزر وأضرابهم وطمة المتجردين عن الدنيا فلا يعرفون ما الناس فيه لعدم رائحة الدنيا بأيديهم وما رأينا عريانا قط تعرض له ظالم ولا قاطع طريق ولا احتاج قط إلى باب ولا صنبة ولا مفتاح فأنت أيها الأخ بالخيار بين أن تطلب الدنيا وتحمل الهم والنكد ووزن الرمايات والمغارم وبين انك تزهد في الدنيا فيخف عنك الهم والنكد ولا يقف لك أحد في طريق ، فاعلم ذلك وتدبره والله يتولى هداك .

**158 - أخذ علينا العهود ان نأمر أحدا ممن صحبنا أول اجتماعه بنا الخروج عن حالته التي دخل في صحبتنا بها ولو كانت مذمومة في الشرع**

فإنه ربما نفر منا ولم يسمع لنا وانما نسارقه شيئا فشيئا حتى يكون هو الخارج منها بنفسه أو يقيم فيها بنية صالحة كنية تخفيف المظالم ونحوها فإذا صحبنا متزوج أو تاجر أو حيلى أو مكاس أو قاض أو مشاعلى أو رأس نوبة الوالي أو مقدم المقرعة أو مشغول بخدمة السلطان أو محتسب أو شيخ عرب أو بلد فلا تأمر أحدا منهم بترك وظيفته
وإنما نعلمهم طريق الأدب فيها فنأمر المتزوج بأن ينام مع زوجته بالليل حتى تنام ثم يقوم لطاعة ربه عز وجل وأن يزهد بقلبه فيها فإنها من أكبر متاع الدنيا ،

وإذا ترك وطئها وهي نائمة بجنبه كتبت له حسنة ولا يتبعها في هواها وتحصيل كل ما تطلبه منه من الشهوات فإنه يهلك فإذا فعل ما ذكرنا فهو أحسن من العارف بيقين ونأمر التاجر بان يخبر المشترى

حقا ولا يغش أحدا ولا يسكت عن ذكر عيب يعلمه في السلعة ولا يجحف في الفائدة لا سيما ان كان المشترى جاهلا بالقيمة وغير ذلك ونأمر الحيلى بأن يحلى كلامه لمن أرسل إليه من أرباب الجرائم والتهم ويعلمه طرق صبر الرجال في بيت الوالي ويساعده بالكلام جهده ويسكن روعه قبل ان يدخل به للوالي ويقول له ضمانك على ولا يأخذ منه في حق طريقه إلا ما طابت به نفسه
فإنه إنما جاء ليأخذه للعقوبة أو ليعرضه لها مع ما حصل له أيضا عند رؤيته من الخض والرعب وكل ذلك لا يستحق عليه الحيلى أجرة ولكن إذا ساعده وطمن خاطره كما ذكرنا ربما طابت نفس المجرم أو المتهم بشئ يعطيه له حلالا لما رأى منه من الحنو والشفقة ونأمر المكاس إذا لم يخرج من وظيفته بأن يقف فيها بنية تخفيف المظالم فهو في عبادة ونفع بذلك نفسه ونفع السلطان ومن وقف بنية تحصيل الدنيا ضر نفسه وضر السلطان في الدنيا والآخرة ونأمره ان لا يأخذ من المكس زيادة على ما قرر في الديوان ولا ثمن جبة أو فروة أو رغيف له أو لعياله

فإن مشى على ما ذكروا أراد أن يخرج من الوظيفة منعناه لعلمنا بأن الوظيفة لا تتعطل وربما جاء فيها من لا يسمع لنا معروفا ولا يرحم غنيّا ولا فقيرا ونأمر القاضي بأن يقضى بالحق ولا ثمن جبة أو فروة أو رغيف له أو لعياله فإن مشى على ما ذكروا أراد أن يخرج من الوظيفة منعناه لعلمنا بأن الوظيفة لا تتعطل وربما جاء فيها من لا يسمع لنا معروفا ولا يرحم غنيّا ولا فقيرا ونأمر القاضي بأن يقضى بالحق ولا يأخذ على ذلك معلوما لنفسه غير ثمن الورقة وأجرة الكتابة وأما فلوس القانون فليس في يده أن ينقص منها درهما بل يعزلوه إذا نقص شيئا منها ونأمر المشاعلى بأن يكون كارها لعقوبة الخلق وأن يسن السكين لقطع الأيدي والسيف للتوسيط وضرب الرقاب ويحد الخازوق للخوزقة ويخنق المخنوق برفق حتى تغيب ويذبح المسلوخ قبل سلخه تهوينا عليه ونحو ذلك

ونأمر رأس نوبة الوالي بأن ينظر إلى من أقبلوا به عليه من المجرمين ويبسّم في وجهه وان كان في الحديد أو مخشبا قال فكوا الحديد أو الخشب عنه فإن وجه هذا ما هو وجه شئ من هذا ونأمره ان يقبل عليه ويخلو به ويطمئن خاطره ويقول للناس الذي عنده ان الناس كذبوا على هذا ومن قال إن هذا قتل أو سرق أو زنا أو قطع طريق أو فعل زغل أو فسد الجارية وهذه الواقعة تشبه واقعة فلان أمس الذي كذبوا عليه ونحو ذلك من الكلام الحلو ونأمر مقدم المقرعة بأن يخفف يده عند ضرب المقارع والكسارات وان يقلل من الجير والملح إذا سقاه للمعاقب وإن رأى الوالي مشددا في ذلك وفي تكسير الجير والملح فليوره ذلك ثم يدخل به موضع العقاب ويسقيه خلافه وإذا رأى الوالي مشددا في العصر لرأس المعاقب أو يديه أو رجليه فليذبح شيئا ويلطخ به ثياب المعاقب وعمامته ويديه ورجليه إشارة إلى أنه بالغ في ذلك جهده وليس ذلك من الخيانة انما هو معروف ولو أن المعاقب فعل كل كبيرة على وجه الأرض لا يستحق هذا التعذيب

قال صلى الله عليه وسلم " إذا قتلتم فأحسنوا القتل ، الحديث . . . " جميع هذه الأمور التي تفعل في بيوت الحكام مخالفة للشرع فاعلم ذلك ونأمر من كان مشغولا في خدمة السلطان أو أحد من الأمراء ان لا ينقص أجيرا شيئا من أجرته بل يحسن إليه أكثر مما حدّ له ولا يسخر عاجزا ولا من له عيال ولا من خرج عازما على سفر فان شق ما على الانسان أن يمنع من السفر عند توجه الهمة إليه وكذلك لا يسخر ترابا ولا جمالا قرب من مقصده الذي سافر إليه فيرجعه ثانيا إلى البلاد البعيدة التي كان سافر منها ونأمره أن لا يتوسع قط في مأكل ولا ملبس فإن ذلك ليس من

ماله وفي المثل من دهن رأسه بزيت السلطان لا يمت إلا أقرع وإذا كان هم الناس إلى خلجال رجهلم فهم عمال السلطان إلى آذانهم ونأمره بأن يخرج حق الله عز وجل من ذلك المال للفقراء والمساكين وغيرهم وأن لا يمنع سائلا مما في الدواليب من عسل أو سيرج أو زيت حار بالمعروف على العادة في الدواليب سواء رضى أصحاب المال بذلك أو لم يرض ونأمره ان يحسن إلى بنى حاشيته الذين استعملهم بحسب منازلهم في العادة والبلص الذين يصيرون يساعدون ذا عثر أو غضب عليه السلطان أو الأمير فيترك بابا للصلح فمن فعل ما ذكرناه خرج من صحبة ذلك السلطان أو الأمير سالما غانما ومن خالف خرج معطوبا خاسرا ونأمر المحتسب بأن ينظر في السوق بنور الله وأن يقف بالحسبة بقصد مصالح الفقراء والمساكين لئلا تغلو عليهم الأسعار ونأمره ان لا يتخذ من النقباء الا من كان ذا سياسة عنده قليل الصيد ولو اصطاد كثيرا لا بركة فيه ونأمره بان لا يقبل ممن يجازف في كثرة الفائدة من الزياتين والخرارين والخبازين ونحوهم ونأمر شيخ العرب أو شيخ البلد ان لا يأكل من الواسطة ولا يفرد عليهم مظلمة لنفسه ولا يسخرهم في بناء دار ولا في حرث ولا في حصاد ولا دراس ولا غير ذلك ولا يسخرهم قط في حرث ارض أو حصادها وزرعهم ذائب في الغيط فهكذا نفعل مع أهل سائر الوظائف الخارجة عن طريق الاستقامة فان هذه الوظائف قد استحكمت بحكم الوعد السابق من رسول الله ولا يقدر أكبر الأولياء اليوم على رفع خصلة منها وهي آخذة في الزيادة حتى يخرج المهدى والله غفور رحيم.

**159 - أخذ علينا العهود إذا عصينا الله بأرض ان لا نبرح منها حتى نعمل فيها طاعة ولو صلاة ركعتين أو قولنا أستغفر الله أو لا إله إلا الله محمد رسول الله ونحو ذلك**

فكما صارت البقعة تشهد علينا بالمعصية فيها كذلك صارت تشهد لنا بالطاعة فيها إذا استشهدت يوم القيامة ثم بعد ذلك تخرج من تلك الأرض ان شاء الله وهذا الأمر قد أغفله غالب الناس وقالوا إذا عصينا الله تعالى في مكان فتحول عنه ولو كانوا قالوا كما قلنا لجمعوا بين الطرفين ، ثم اعلم يا اخى ان اللوم حقيقة إنما هو على العاصي لا على الأرض فقولهم إنها أرض سوء مجازا قال شيخنا رضى الله عنه وحكم الثوب إذا عصينا الله تعالى فيه حكم المكان وكذلك جميع ما يكون آلة للعصيان حتى الحمار الذي نركبه لموضع المعصية أو النعل أو القبقاب الذي مشينا به وان تصدقنا به كان أفضل وأفضل بشرط ان يكون يصلح ان يستعمل في طاعة ومن هنا أمر النبي ببناء المساجد في موضع الكنائس والبيع إذا أسلم أهلها عملا بالعدل في الأرض فكما عصى الله فيها فكذلك يطاع واعلم أنه لا يجوز لمن عصى الله تعالى بجارحة من جوارحه ان يقطعها أو يتلفها كما يفعله بعضهم بل يفعل بها الطاعات التي خلقت لها بالإضافة وهذا الامر كان في شريعة من قبلنا فخفف عنا تكريما لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فإذا فعلناه فكأنا نسخنا كرامة نبينا فافهم وكذلك إذا تبنا عن فعل مباح كالمفترجات وسماع الآلات المباحة نفعله بعد ذلك بنية ان الشرع أباحه فيحصل لنا أجر الإيمان بأن ذلك مباح وهو طاعة بلا شك فاعلم ذلك .

**160 - أخذ علينا العهود أن لا نهجر صاحبنا إذا صحب أحدا من الأشرار فربما**

**صاحب الأشرار ليسارقهم بالمواعظ حتى يتوبوا عن الشر فتثنت في ذلك ،**
ونستدل على صلاح ذلك الرجل بصحبة صاحبنا له الذي هو صالح عندنا ونجعل إشاعة الفسق مثلا عن ذلك الرجل من باب سوء الظن بالمسلمين فان المبغضين والحاسدين في الناس اليوم كثير لا سيما أهل الدين والصلاح الذين رفعهم الله على أقرانهم ولم يزل التنقيص في كل عصر للأخيار من طائفة الأشرار .

وقد تقدم في عهد أصحاب الكتب وجوب إحسان الظن بجميع المسلمين ورؤية العبد أنهم خير منه ولو فسقة فضلا عن العلماء والصالحين فإنه لا يظن بالناس الشر الا من كان من أهل الخير ومن ادعى انه انما هجر صاحبه لله تعالى لصحبته للفسقة قالوا له هذا ميزان يقام عليك في صحبتك كذلك فإنك لا تسلم من الفسق في عمل من الأعمال إذا حققت النظر بعين البصيرة بل تجد نفسك أكثر فسقا كما مر أول هذه العهد والله غفور رحيم .

**161 - أخذ علينا العهود أن نتفقد جميع ما في دارنا من الدواب والحشرات حتى الهرّ والعرسة والنملة والذبابة**
وان لا نغفعل عن مصالحهم ومعاشهم فنقدم إليهم ما يأكلون وما يشربون بأنفسنا أو بمن نثق به من العيال والخدام لا سيما في أيام رمضان فان الناس لا يأكلون فيها فلا تجد الهرة ما تأكله فعلى من عنده الدواب والحشرات ان يفضل لها من عشائه ويترك لها لقيمات الزفر على اسمها كل ذلك لنكتب في ديوان المحسنين ان شاء الله تعالى ولا ينبغي لنا أن نهمل من حل بساحتنا من الدواب ونكلهم إلى أنفسهم فربما

وكلنا الحق تعالى إلى أنفسنا عقوبة لنا فنهلك كما هلكوا إما جوعا وإما عطشا وتقسو علينا القلوب التي كان يحصل لنا منها البر والمعاش .
واعلم يا اخى ان هذه الدواب ما طافت بك أو أقامت عندك إلا ترجو نوالك وحسنتك لحسن ظنها فيك فلا تخيب ظنها يخيب الله ظنك وإذا رأيت نملة فاعلم أنها ما خرجت من جحرها وبايعت أصحابها على الموت إلا لأجل القوت فإنها معرضة في حال خروجها لوقع حافر أو نعل عليها فإذا رأيتها كذلك ولو في غير بيتك فاجعل لها شيئا في طريقها أو على باب جحرها مما تعلم أنها تأكله كالدقيق أو الطعام أو الشراب وهون عليها طريق تحصيل رزقها يهون الله عليك طريق رزقك واحذر يا اخى ان تضرب الهرة إذا اكلت الدجاجة التي طبخت لك أو أكلتها نيّة فإن في الحديث " العجماء جرحها جبار " ثم تأمل تجد اللوم عليك لا عليها لأنها ما خطفت الدجاجة إلا بعد أن جربتك في البخل وأيست من برك وإحسانك ورأتك مرات وأنت تمر مش العظام إلى أن لا تخلى عليها رائحة لحم ولا جلد ثم ترميها لها منجرة مع أنها مسكينة ليس لها صنعة تأكل منها ولا بيت تدخر فيه قوتها فلو كنت تفتقدها ولو بمصارين الدجاجة أو رأسها أو تخلى لها على العظم بعض لحم لم تخطف شيئا وقنعت بذلك واطمأنت على رزقها وإذا كان الغالب على الرجال في هذا الزمان عدم الطمأنينة في الرزق فيكف بالقطيطة فافهم واحذر ان تجعل للنمل الطائف من قطران أو تعليق في السقف أو مكان لا يحصل اليه فربما قيض الله لك بحكم العدل من يفعل لك مثل ذلك في طريق رزقك ويقهرك على عدم الوصول اليه كما قهر تها ثم إن كان

ولا بد لك من جعل المانع في طريق رزقها فأخرج لها نصيبا مفروضا على قدر ما يخصها إذا قرنت مع جميع أهل البيت ثم اجعل المانع بعد ذلك لئلا تتلفه أو تقذره وتأمل إذا كان الله يجازيك بالمعارضة في طريق رزقك إذا عارضت نملة فكيف تكون مجازاتك إذا عارضت أحدا من مساكين المسلمين كما يشهد لذلك حديث البخاري " دخلت امرأة النار في هرة حبستها فلا هي أطعمتها وسقتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض . "
انتهى . فاعلم ذلك .

**162 - أخذ علينا العهود ان لا ندعى قط كمال الإيمان بما اخبر به الشارع فإن أفعالنا تكذب دعوانا**

كما تقدم بيانه أوائل العهود فإن علامات الساعة بارزة على كواهلنا وقد ارتفعت الأسافل في الأرض وقل البر والمعروف وساءت الظنون وانتشرت قلوب الخلائق انتشار حبات الشعير في الماء الذي يغلى على النار وقل الرزق من كل شئ من المعاني والأجسام وانحلت أسباب رباط القلوب وغير ذلك من الأحوال المشاهدة لأرباب البصائر فإياك يا اخى ان تتكدر ممن يقول يا فاسق يا قليل الدين يا من لا يخاف من الله فإنه صادق في قوله شئت أم أبيت كما سيأتي بسطه في عهد شهود الانسان فسقه ان شاء الله تعالى وقد وقع للأخ محمد السرسى الضرير انه رآني في المنام وانا أقوده إلى ارض ناعمة سهلة وهو يتفلت من يدي إلى ارض كثيرة الوعر والحرورات فقص ذلك على سيدي على الخواص وقال يا سيدي خفت على نفسي ان أكون قليل الدين فقال له الشيخ هون عليك يا اخى فان أكثر الناس اليوم يشاركونك في قلة الدين ومن هو كامل الدين اليوم أو يقدر على أن

يدعى ذلك فان شرط الكمال ان لا يقبل صاحبه زيادة وهذا أمر لا يصح لمخلوق . اه فاعلم ذلك .

**163 - أخذ علينا العهود أن لا نشاحح بياعا قط ولا شريكا لا سيما ان كان ذميّا وذلك لئلا يكون له المنة علينا في الدنيا والتبعة علينا في الآخرة**
ومن ذلك شحاتة الليمونة والفجلة بعد ان يفرغ أحدنا يشترى وأقبح من كل قبيح وقوع ذلك من تاجر عملك كذا كذا ألف دينار وبياع الليمون أكثر ما يكون رأس ماله أربعة انصاف فاعلم ذلك واعمل عليه .

**164 - أخذ علينا العهود ان نحثو في وجوه من يمدحنا التراب**
وصورة ذلك أن يأخذ أحدنا كفّا من تراب ويرمى به بين يدي المادح برفق كما كان الصحابة والسلف الصالح يفعلون
ثم يقولون له وما عسى ان تمدح من خلق من هذا التراب الذي تطؤه الاقدام وتبول عليه السكلاب ومن هو انا وما قدرى توبخ نفسك بحق وصدق
هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم " احثوا التراب في وجوه المداحين "
قولك ذلك يصدق ان لا تتأثر ممن لا يعظمك ولا يقوم لك ولا يجبلك فإذا تأثرت قيل لك فأين قولك نحن أقل الناس أو تحت نعالهم فلولا انك ترى نفسك فوقهم ما تكدرت لعدم قيامهم لك مثلا وما رأينا عبدا تكدر من سيده إذا لم يقم له عند دخوله أبدا بل ولا خطر له ذلك فافهم ، فإن هذه ميزان تطيش على الذر ثم إياك يا اخى ان تمدح أحدا في وجهه فتخجله ثم يجب على الممدوح ان يظهر الكراهة للمدح بين أصحابه حتى لا يرجع إلى مدحه ثانيا فإن مدحهم له في الملأ يفتح عليه باب إقامة الميزان من جميع الحاضرين لينظروا هل هو كما مدح أم لا وأكثر الموازين في هذا

الزمان جائرة فيخرج الممدوح كالنصف الزغل بعد ان كان مستورا ، وكان أنس رضى الله عنه يقول : " لم يكن أحدا أحب إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنا لا نقوم له إذا مر علينا لما نعلم من كراهته بذلك " وإياك ان تمدح من يغلب على ظنك ان المدح يورثه العجب بحاله ولو من ورائه فإنك تؤذيه ولا تمدح ان مدحت إلا قوما كنسوا بأرواحهم المزابل ، والله عليم حكيم .

**165 - أخذ علينا العهود إذا كسلنا عن عبادة أن نتركها ذلك الوقت ولا نتكلف لفعلها إلا أن تكون واجبة تعظيما لأوامر الله عز وجل**

وقد وقع للخليل عليه السلام أنه لما أمر بالختان لم يجد موسى يختتن بها فاختتن بالفأس فقيل له هل صبرت حتى تجد الموسى فقال انما فعلت ذلك خوفا من تأخير أمر الله تعالى ، وقد نهى الله تعالى عن النفاق وعن التلبس بصفات المنافقين في الصورة ، قال تعالى في صفاتهموَإِذا قامُوا إِلَى الصَّلاةِ قامُوا كُسالى يُراؤُنَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًافخرج من يكلف نفسه بالعبادة مجاهدة لنفسه لا رياء فلازم في ذلك وهذا العهد خاص بالكمل من العارفين أما المريدون فالواجب عليهم فعل العبادات مع الكسل لئلا يقع في الردة عن طريق القوم وذلك أشد من الكسل فاعلم ذلك .

**166 - أخذ علينا العهود إذا كنا في تلاوة قرآن أو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نقطع ذلك لكلام أحد من الخلق إلا لضرورة نعرف من الله تعالى مسامحتنا بمثلها**

وعدم دخولنا في سوء الأدب بفعلها كما أنه لا ينبغي لآحاد الناس أن يطلب منا الإقبال على مخاطبته وترك مخاطبة من نحن بين يديه من الملوك والأولياء بل يعد ذلك من سوء أدبه ثم لا يلزمنا الإقبال عليه بخلاف

العكس قلنا الإقبال على الأعلى إذا كنا نكلم الأدنى بلا مشاورة قياما بواجب الرتبة واما إذا كنا نخاطب الأكابر فمن الأدب أن لا نلتفت للأصاغر الا بعد استئذانهم فنقول بقلوبنا دستور يا الله أو دستور يا رسول الله أن أكلم فلانا ثم يكلمه بعد ذلك ولا حرج وان كان قلب أحدنا حيّا سمع اذن صاحب ذلك الكلامك بحكم خرق العادة إما على لسان هاتف وإما بنطق الأرواح والله واسع عليم .

**167 - أخذ علينا العهود إذا ضرب أحدنا زوجته أن لا يجامعها في ذلك اليوم**
فإن من فعل ذلك صغر في عين زوجته وصار عندها كعبدها حين ترى ذله بين يديها ورقته لها لأجل شهوة تلك الجلدة المدبوغة بدم الحيض والبول
وفي الحديث " لا يضرب أحدكم ضعيفته ضرب العبد ثم لعله يجامعها ويعانقها من يومه ذلك " ثم إذا أراد الجماع بعد ذلك اليوم فليكن ذلك من طريق بعيدة .

**168 - أخذ علينا العهود ان لا نمكن أحدا يؤذى أحدا صلّى الصبح في جماعة لأنه في ذمة الله وجواره**
كما ورد في الحديث الصحيح فإياك يا أخي ان تشتكي من ذلك عليه حق أو تقابله بالأذى إذا بدأك هو به ونقولفَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْبل احتمله لأجل من هو في خفارته سبحانه وتعالى وتأمل لو صرح لك أمير بأن ذلك الرجل في ذمته وجواره ذلك اليوم كيف تكرمه غاية الإكرام فضلا عن السكوت عن مقابلته . وفي الحديث " من كان يريد أن يعلم منزلته عند الله فلينظر منزلة الله عنده فان الله ينزل العبد حيث أنزله من نفسه " والله اعلم.

**169 - أخذ علينا العهود ان نذهب لصلاة العشاء والصبح في غير سراج إلا لضرورة**

وذلك لما ورد من فضل الخروج للجماعات في الظلام والسر في ذلك يعرفه العارفون بالله عز وجل .
وفي الحديث " بشر الماشين إلى المساجد في الظلام بالنور التام يوم القيامة " فعلق صلى الله عليه وسلم حصول النور التام على الصراط وغيره لمن مشى في المساجد هنا في الظلام ومفهومه ان من مشى إلى المساجد في سراج قل نوره هناك فافهم والله اعلم .

**170 - أخذ علينا العهود ان نكرم كل ضيف ورد علينا سواء كان مؤمنا أو كافرا**

حتى الأيام والساعات والخواطر فنكرم الأيام والساعات والدرج والدقائق والثواني بذكر الله عز وجل في كثرة الاستغفار لتفارقنا وهي شاكرة غير ذامة إذا وقفت بين يدي الله عز وجل فإن كل شئ برز عن كن يرجع إلى محل بروزه بعد ادباره وشرط العارف الإقبال على ربه ليلا ونهارا فلا يفارقه ثانية أو دقيقة أو درجة أو غيرها إلا وهي راضية عنه فتفارقه مختومة على ما وضعه فيها فلا يفك ختامها إلا بين يدي الله عز وجل فإذا فكت ظهر ما عمله فيها من خير أو شر أو هما معا وأعظم صحائف الدواير مدة العمر ثم السنين ثم الشهور ثم الجمع ثم الأيام ثم الساعات ثم الدرج ثم الدقائق ثم الثواني فان عمل فيها كلها خيرا كانت كلها بيضا وان خلط كان في كل دائرة نكتا سوداء على حسب عدد السيئات ، فأكرم ضيفك ولا تتوقف على كونه مسلما بل أطعم كل وارد ولو من غير الملة وقد استضاف مشرك إبراهيم الخليل فأبى الخليل أن يطعمه حتى يسلم فولى المشرك ومضى فأوحى الله تعالى

إلى إبراهيم : لأجل لقمة تأمره ان يترك دينه ودين آبائه وعزتي وجلالي إنه يشرك بي منذ سبعين سنة وأنا أرزقه ليلا ونهارا فرجع إبراهيم في أثره فرجع فأخبره فأسلم وصار يبكى ويقول وعاتبك ربى من أجلى ، فاعلم ذلك .

**171 - أخذ علينا العهود ان لا نتكلف قط لضيف**
ولو أعز أصحابنا ومن نعتقد فيه سدا لباب التكلف الذي تبرأ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله " نحن معاشر الأنبياء برآء من التكلف.
واعلم يا اخى ان كل من فتح باب التكلف للضيوف كره لقاءهم ضرورة وصار يتوارى عنهم وأخطأ السنة وان شككت في قولي هذا فامتحن نفسك بما لو جاءك ضيوف من بكرة النهار فذبحت وطبخت وعجنت وخبزت لهم على ضحوة النهار فأكلوا ذلك ثم جاءك على الأثر جماعة أخر يستحقون الذبح فذبحت لهم وطبخت وعجبت وخبزت لهم على العصر فأكلوه ثم جاء جماعة أخرى يستحقون الإكرام ففعلت كما فعلت لمن قبلهم واستوى ذلك على المغرب فأكلوه ثم جاء جماعة أخرى فذبحت لهم وفعلت كالأول وخبزت بعد العشاء برقدة فأكلوا ثم استقبل جماعة أخرى من الصبح وأظنك لا تطيق المشي على ذلك ثلاثة أيام إلا وتعزم على الرحيل في بلد أخرى وبتقدير أنك تصبر للتكليف في شر الطعام فالعيال لا يصبرون لصنعه ذلك وأشق ما على المرأة العجين والخبيز والطبيخ في يوم واحد مرتين فإياك أن تتكلف وتغتر بحكايات الكرام كحاتم طيئ ومعن بن زائدة وأبو زيد الهلالي سلامة وأضرابهم فإنهم كانوا أهل مراتب في الدنيا لا يقدر أحد من أكابر الأمراء اليوم ان يتبعهم على ذلك الكرم فضلا عن مشايخ القرى والفلاحين وآحاد المعلمين والفقراء المتوكلين.

وقد كان أبو زيد الهلالي ينشد :
**ومن يجعل الطرقات أطناب بيته * ولم يكرم الأضياف ذاك ظلوم**

وكان هو وغيره ينحر أحدهم للضيف الواحد الناقة في عشائه فإذا أصبح ذبح له أخرى ويقول لا أطعم ضيفي من اللحم البايت وكان لا يتعشى قط حتى تغيب نجمة الضيف .
وكان انس بن مالك رضى الله عنه يخرج لضيفه الكسرة اليابسة والخل ويقول كل يا اخى ولولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا عن أن نتكلف للضيف لتكلفت لك فوق ذلك ، وأخرج عمر بن عبد العزيز أيام خلافته للحسن البصري نصف رغيف ونصف خيارة وقال كل يا حسن فإن الحلال في هذا الزمان لا يحتمل السرف ، وكان إذا دخل عليه ضيف ولم يجد إلا الماء يسقيه قبل ان يذهب وكذلك أدركت الشيخ يوسف الحريثى يفعل ذلك ، وفي الحديث " ما جعل ولى الله تعالى إلا على السخاء وحسن الخلق " فعلم مما قررناه أن من أخرج لضيفه ما تيسر في البيت دامت ضيافته ومن تكلف هرب وترك فعل السنة كرها عليه ، والسلام .

**172 - أخذ علينا العهود ان نتخلق بالرحمة على سائر الوجود**
لكن لا نبالغ في الرحمة بالكلية بحيث نرق للذبيحة مثلا فلا نذبحها لأن الحق تعالى أرحم بها منا بلا شك وقد أمرنا بذبحها فنذبحها من غير مبالغة إلى غايتها إيثارا لجناب الله الذي هو أرحم الرحماء فندع من الرحمة بقية لئلا يحصل لنا صورة ادعاء في الرحمة أعلى منها فللرحمة حكم لا تتعداه كما أن من رحم

الحربي أو الزاني البكر أو المحصن أو المرتد فلم يقتله فهو مذموم ، وقد ذبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أرحم خلق الله بعد الله وإنما قال صلى الله عليه وسلم للذي رحم الشاة أن يذبحها إن رحمتها رحمك الله لكون ذلك الرجل كان في مقام الترقي فمدحه لرحمته الشاة لكونه لم يجد عنده قسوة وإلا فمعلوم أن امتثال امر الله تعالى في الذبح أرجح من تلك الرحمة التي منعته عن الذبح فافهم ذلك فإنه نفيس .

**173 - أخذ علينا العهود أن لا نهمل فعل الفضائل ونتساهل فيها بل نبادر بها قبل غيرنا ،**

وقد قال بعض العارفين إياك ان تبدأ بالسلام من علمت بالقرائن أنه عازم على البداءة بالسلام عليك بل اصبر حتى يسلم هو وتكون أنت الراد وذلك لأن أجر الرد أعظم لكونه واجبا وأحب ما يتقرب به إلى الله الواجبات ، وقولهم الإيثار في القرب الشرعية مكروه محله ما إذا لم ينتقل إلى أعلى ما تركه فان انتقل إلى أعلى ما تركه فليس ذلك مكروها لأن الله تعالى يباهى بالمؤمنين إذا تنافسوا في الفضائل والكفارات فتأمل ، فعلم أن المبادر للسلام في هذه الصورة مؤثر بالقرب الشرعية وذلك مكروه فلو قدر أن كلا منهما كان عارفا بهذه الصورة فيتربص حتى يكون غيره هو البادئ بالسلام لئلا يؤدى إلى رفع حكم المسألة بالكلية وأيضا فلعلمنا بأننا أحوج إلى فعل الأمور المكفرة عنا سيئاتنا من غيرنا ولا شك ان فعلنا الواجب أعظم في التكفير من المسنون وإذا علمنا من انسان انه يكره سلامنا عليه وغلب على ظننا انه لا يرد علينا السلام فلا يطلب منا السلام عليه شفقة عليه فإنا إذا سلمنا عليه اوقعناه في الإثم الحاصل من عدم الرد وإذا لم نسلم عليه

رحمناه وأحلنا بينه وبين الوقوع في الإثم فبهذه النية يا اخى اترك السلام واما إذا علمنا من دينه انه يرد السلام مع الكراهة والاشمئزاز فنسلم عليه ونجهر بالسلام جهرا قويّا ونبدأه به فندخل عليه ثوابا برده السلام ونسقط من كراهته لنا بسلامنا عليه بقدر إيمانه ونفسه الصالحة ان كان ممن جبل على الاخلاق الحسنة وانما بدأنا بالسلام هنا وآثرنا عدونا باجراء الواجب لأن بدايتنا له فتح لباب الصلح وزوال العداوة وذلك أوجب وأكثر أجرا من الرد ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم في المتقاطعين " وخيرهما الذي يبدأ بالسلام " فافهم وتأمل واعلم ذلك فإنه نفيس .

**174 - أخذ علينا العهود ان لا نتزوج قط شريفة ولو للتبرك**

فإن السلامة مقدمة على الغنيمة ويمكن التبرك بها وخدمتها والإحسان إليها بلا تزويج فلا يليق أن يتزوج بشريفة الا من هو شريف أو من ماتت نفسه وتهذبت أخلاقه وباشر الايمان قلبه بحيث صار يعد نفسه خادما لها وعبدا من عبيدها يعتقد أنه متى خرج عن طاعتها أبق ولا يرفع له إلى السماء عمل فمن صار كذلك فليتزوج وإلا فالبعد أولى لأنها بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أغضبها أو ساء أدبه عليها فكأنه فعل ذلك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ثبت هذا الحكم لفاطمة رضى الله عنها ثم هو لذريتها من بعدها إلى يوم القيامة .
فعلم أن من أقبح الخصال ان يتزوج الواحد على شريفة أو يتسرى عليها أو يؤذيها بسوء خلقه أو بخله ونتانه أو يخالفها فيما تطلبه منه من المباحات .
ومن وصية سيدي على الخواص رحمه الله إياك ان تتزوج شريفة أو تنظر إلى حجم بدنها وهي في الإزار فإن ذلك مما لعله يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأنت يا اخى لو رأيت أحدا يمعن النظر إلى ابنتك وهي مارة أو وهي في بيتها لتكدرت منه غاية التكدير وإياك ان تنظر إلى شريفة في حال مبايعتها أو فصدها أو مداواتها إلا وأنت في غاية الحياء والخجل منها ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كنت كامل المحبة لجدها صلى الله عليه وسلم فاهد لها ما تطلب شراءه منك فإن الهدية لا تتوقف على معرفتها ولا رؤية وجهها وإياك إن كنت تبيع الأخفاف للنساء ان تنظر إلى رجلها فان ذلك من أعلى طبقات سوء الأدب واحذر ان ترد شريفا خطب ابنتك أو أختك مثلا لأجل فقره وضيق يده أو غير ذلك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سأل ربه عز وجل ان يكون رزق آي بيته كفافا لا يفضل منه شئ في غداء ولا عشاء فشيء اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه ولأهل بيته لا يسمى عيبا ترد به الخطبة بل من سماه عيبا كفر بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم ذلك .

**175 - أخذ علينا العهود ان لا نتقدم قط على قوم في أمر من أمور الدنيا والآخرة إلا إن كانوا راضين بنا أو كانت المصلحة لهم في ذلك**
من حيث لا يشعرون أو كان محمودا في الدين فإن كان ينفعهم أو كان محمودا في الدين تقدمنا عليهم ولا نبالى بكراهتهم لأن من كره ما ينفعه فهو جاهل ومن كره ما أحبه الشارع فما هو بمؤمن ولا مراعاة لجاهل ولا لغير مؤمن في الدنيا فإذا كنا أقرأ منهم مثلا وأعلم منهم بواجبات الصلاة وسننها وآدابها فنقدم عليهم ولو لم يقدمونا عملا بتقديم الشارع لنا ومراعاة لغرضه لا محبة في الرياسة على غيرنا وأما إذا كرهوا إمامتنا لما فيها من الجامكية وأردنا محبتهم لنا نبعنا لهم ما فيها من المعلوم ولم نأخذ منهم شيئا أو تركنا لهم الإمامة

أصلا إن كان فيهم من يقوم مقامنا وتأمل لما كره قوم امارة إسامة بن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله إنه خليق بالإمارة ولم يعزله صلى الله عليه وسلم لأجل كراهتهم له لكونها لحظ نفوسهم لا نصرة للدين وذلك لأنهم ما كرهوا توليته إلا لكونه من الموالى وهم من أكابر قريش فاعلم ذلك

**176 - أخذ علينا العهود ان نذكر الله تعالى في جميع مواطن الغفلات**
كالأسواق والمفترجات بقصد نزول الرحمة على الغافلين بحيث لا يعلمون فمن فعل ذلك سمى من المحسنين وتسمى هذه الخلوة خلوة العارف بربه عز وجل .
قال محيي الدين رحمه الله : ويكون ذكرنا لله في مواطن الغفلة سرا بحيث لا يتنبه أحد له فينزل على الخلق الرحمة من حيث لا يشعرون .
قلت : الوارد في ذلك ان يذكر الله جهرا فاعلم ذلك .

**177 - أخذ علينا العهود ان نكثر من الإحسان للناس رجاء ان يعمى الناس عن مساوينا**
ويتأكد ذلك على من كثرت عيوبه وما ثم لستر العيوب شئ أنفع من البر والإحسان وقد رأينا كثيرا من العباد لا يفترون عن العبادة ومع ذلك فعيوبهم مكشوفة لتجلهم وعدم إحسانهم ويقولون الكرم يستر ، فاعلم ذلك .

**178 - أخذ علينا العهود أن نعمل بأحاديث الفضائل ولو قيل بضعفها**
لا سيما إن اعتضدت بالكشف ولا نهمل العمل بها كما هو الغالب في الناس فبمجرد ما يسمعون بضعف الحديث يتهاونون بالعمل به .
وقد وقع للشيخ محيي الدين بن العربي رضى الله عنه أنه اطلع على تعذيب امرأة في النار وكان قد عمل سبعين ألفا لا إله إلا الله بقصد فكاك رقبة من النار

فقال اللهم اجعل ذلك في صحائف فلانة فخرجت من النار لوقتها ، والحديث الوارد في ذلك لم يزل المتحدثون يتكلمون في سنده فاعمل بمثل ذلك يا اخى ولا تستبعد حصول الأجر العظيم بالعمل اليسير فإن مقادير الثواب لا تدرك بالقياس .

**179 - أخذ علينا العهود أن لا نفشى لأحد سرا الا أن تكون مصلحة الإفشاء ترجح على مصلحة الكتمان**

ولا يشترط في تسميته سرا أن يوصيك أخوك على ذلك بل يكفى القرينة فإذا حدثك وصار يلتفت يمنا وشمالا فاعلم أنه يريد منك الكتمان ولو لم يصرح هو لك بذلك ومتى تكلمت به ولو لزوجتك وصديقك كنت من الخائنين وإذا علمت من نفسك عدم الكتمان فالواجب عليك ان تعلم بذلك من يريد يساررك ليأخذ حذره فإن الدين النصيحة فإذا أعلمته بحالك وأطلعك على سره بعد ذلك فاللوم عليه لا عليك .

وكان الإمام الشافعي رضى الله عنه ينشد :

**إذا المرء أفشى سره بلسانه * ولام عليه غيره فهو أحمق**
**إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فسر الذي قد أودع السر أضيق**

فاعلم ذلك .

**180 - أخذ علينا العهود ان نسمع كلام العلماء والوعاظ ونعمل به ولو لم يعملوا هم به فننتفع وننفعهم بعلمهم من حيث لا يشعرون**

ومن قال لا أعمل

حتى يعمل العالم أو الواعظ فاته خير كثير وهو حجة في قلة الدين فإنه ليس لمسلم ان يترك العمل بما يعلمه من شرع ربه ويقول لا اعمل به حتى يعمل بذلك زيد من الناس فاعلم ذلك وسيأتي بسطه ان شاء الله تعالى في مواضع .

**181 - أخذ علينا العهود ان لا نبغض أحدا من الأنصار ولو بالغ في أذانا**
فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال علامة الإيمان حب الأنصار وكيف ينبغي لمسلم أن يبغض ذرية من يحبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ما ذلك إلا نفاق واعلم يا أخي أنه يلحق بأنصار النبي صلى الله عليه وسلم وذريتهم في المحبة كل من نصر دين الله تعالى في زمننا هذا من العلماء والمؤمنين فيحرم بغض هؤلاء وفي الحديث " إذا بغض الناس علماءهم واظهروا عمارة أسواقهم وأكبوا على جمع الدراهم والدنانير رماهم الله بأربع خصال بالقحط من الزمان والجور من السلطان والخيانة من ولاة الحكام والصولة من العدو " . انتهى . ثم إن أنصار الدين ينقسمون إلى قسمين قسم نصر دين الله تعالى ابتداء من نفسه من غير أن يعرف وجوب ذلك وقسم عرف وجوب نصرة الدين من نحو قوله تعالى :كُونُوا أَنْصارَ اللَّهِفهذا قد أدى واجبا من حيث امتثاله امر الله تعالى فله اجر النصرة وأجر أداء الواجب ، والله أعلم .

**182 - أخذ علينا العهود ان لا ننام قط مع أحد تحت غطاء واحد**
ولو كان أعظم صديق وكذا لا ننام بحضرة مستيقظين أبدا وذلك خوفا أن يخرج منا ريح في حال النوم لا نحس به فيضحك الناس علينا ويتعين ذلك ويتأكد على أصحاب المراتب العالية كالأمير والقاضي والصالح والمقدم والمعلم وكل من له مروءة.

وكان سيدي أبو الحسن الغمرى رحمه الله يقول لا أقدر على نوم بحضرة المستيقظين أبدا وكان إذا سافر في مركب في البحر ينام جالسا لثلاثة أيام وأكثر . وكان يقول لا أستطيع ان يخرج منى في المركب بول ولا غائط ولو مكث جمعة رضى الله عنه .

**183 - أخذ علينا العهود أن نلبس أنفس ما عندنا عند كل مسجد ومجتمع وعند قدوم الوفود والدخول على الأكابر**

عملا بقوله تعالى :يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ
فعلمنا تعالى الأدب معه كلما حضرنا بين يديه في الحضرة الخاصة .
وفي الحديث أيضا " إن الله جميل يحب الجمال " فنحب التجمل بالثياب تحبيبا لله تعالى لا بحكم الطبع والفخر في الدنيا وكان صلى الله عليه وسلم إذا قدم عليه وفد لبس أحسن ثيابه وأمر بذلك أصحابه وكان يصلح طيات عمامته في حبب الماء صلى الله عليه وسلم ثم لا يخفى ان من حضر بين يدي الملوك وعليه ثياب وسخة مخرقة تبدو عورته منها مع القدرة على أعلى منها فقد أزرى بحضرتهم فكن يا اخى جميلا في ظاهرك ذليل القلب بين أيديهم ساكن الجوارح بحضرتهم ودع عنك كل ما يزرى بك أو بحضرة الأكابر فان حضرة الأكابر ملحقة بحضرة الحق لما هم عليه من محبة الجمال المقيد بالأشخاص وحسن الصور وغير ذلك ولذلك يتنازعون في استخدام من كان جميلا من الغلمان والعبيد ويتشوشون من وقوع بصرهم على شئ من القاذورات أو العورات الحسية أو المعنوية فأعظم ما يكون عندهم وقوع بصرهم على شئ من محاشم رجل أو امرأة.

وتأمل حياءهم في اتخاذهم السراويل الطويلة العنان وتضييق أكمام القمصان واتخاذ الخف والطوق كل ذلك خوفا منهم أن يبدو للناس من أرجلهم أو أيديهم أو عنقهم لا سيما بحضرة الأكابر فكل ما يكن عورة عند غيرهم فهو عندهم عورة ما عدا الوجه والكفين رضى الله عنهم .
وكان الإمام على رضى الله عنه يقول لئن أنشر بمنشار أحب إلى من أن أرى عورة أحد أو أن يرى عورتي ولذلك يقال في حقه كرم الله وجهه لكونه لم يقع بصره على عورة أحد قط ، فعند الأكابر من الأدب ما ليس عند غيرهم كما تقدم من بسطه مرارا .

**184 - أخذ علينا العهود ان نغتسل لكل يوم جمعة وإن لم نحضر**
عملا بأمر الشارع لنا بذلك وهو أحد المذاهب والحكمة في ذلك ان الله تعالى خلق الأيام سبعة وهي أيام الجمعة فكلما انقضت دورة جاءت دورة أخرى فهي الجديدة الدائرة ولا ينبغي لمسلم ان تفارقه دورة جمعة الا عن طهارة يحدثها فيها إكراما لها وتقديسا لذاته فحكم هذا الغسل حكم السواك من حيث كونه مطهرة للبدن مرضاة للرب .
وسمعت سيدي عليّا الخواص يقول إذا أراد الخلائق التأهب لدخول حضرة القدس في الجنة لا يؤذن لأحد منهم في الدخول إلا بعد الغسل كما في دار الدنيا فإن لم يكن اغتسل للجمعة في دار الدنيا وقف هناك خارج حضرة القدس ولم يؤذن له في الدخول .
فدخول الناس في حضرات الآخرة على صورة دخولهم في حضرات الله في الدنيا سواء.

وتأمل من أتى الجمعة في دار الدنيا من غير غسل لا يؤذن لهم في دخول حضرة الحق التي يدخلها المغتسلون أبدا بل يجد عنده جفاء وحجابا وقبضا فعدد غسل الناس ودخولهم حضرات الآخرة على عدد غسلهم ودخولهم هنا فينغمس أهل الجنة هناك في الأنهار الكافوريات الكوثريات الممسكات من غير أن يجرد أحد منهم ثوبا أو ينزع حليّا فلا الماء يبلهم ولا الهواء ينشفهم بل ترشح أبدانهم من رشح الند والعنبر وتندو رؤوسهم من طل المسك الأذفر . انتهى . وهذا الحكم الذي قررناه في الغسل يجرى في سائر المسنونات من أنواع الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها فكل سنة لها مرتبة في الجنة لا تنال تلك المرتبة إلا بفعل تلك السنة فإياك يا اخى والتهاون بفعل السنن وتقول الأمر سهل هذه سنة يجوز تركها كما عليه غالب طلبة العلم في هذا الزمان فيقال له في الآخرة إذا أراد درجة تلك السنة لست من أهلها لأنك لم تفعل ما تنالها به ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

**185 - أخذ علينا العهود أن لا نكثر من النوم فمن أكثر من النوم جامع المفلسين يوم القيامة**

لأن النوم أخو الموت لا تحصل منه دنيا ولا آخرة وأكثر ما يكون النوم في الليل والنهار سبعون درجة منها مقدمات النوم والاستيقاظ وأعدل النوم أن ينام ثلث الليل دائما ويقوم الثلثين فينام ثلث عمره فإذا عاش ستين سنة يكون قد نام عشرين سنة فإنهم لم يعدوا النهار من العمر لكون الحق جعله معاشا فافهم .

وكان شيخنا يقول : النوم زيادة على سبعين درجة معدود من الإسراف

وذلك يميت القلب عن تعاطى أسباب الدنيا وأحوالها مما لا بد للعبد منه وربما استحكم نوم الإسراف في الإنسان حتى يصير ذلك مخالفا لنوم الطبيعة الذي جعله الله راحة للجسد وزيادة في النفس فيفسد على العبد أمر معاشه ويفسد عليه صحة مزاجه الأصلي وأعظم مفاسده في الإنسان إضعاف الروح لكثرة ارتباطها بعالم الخيال وانفصالها عن الجسد لا سيما ان كان مظلما كثيفا بالأعمال الخارجة عن قوام السنة الإلهية والطبيعة الكلية ومن هذا الارتباط يتولد ضعف الاعتقاد وفساد القوة الخيالية المصورة للأشياء في مرآة العقل فلا يشهد شيئا قط إلا قابلا للتعقيد والإشكال حتى يختلط حاله فضلا عن غيره فإن تمكنت العادة في شخص بالنوم في الأوقات المنهى عن النوم فيها كنوم الإنسان بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس ومن العصر إلى الغروب فقد عرض نفسه .
للهلاك وفساد صحة المزاج حتى يلتحق بالحيوانات البعيدة الإدراك .
قال شيخنا رضى الله عنه : ومن آفات مطلق النوم في غير وقت الصبح والمعصر أنه يورث الغفلة والنسيان ويورث كثرة البلغم والسوداء ويضعف المعدة وينتن الغفم ويربى دود القرح ويضعف البصر ويربى الغشاوة على العين ويضعف الباه عن الجماع ويفسد الماء ويورث الأمراض المزمنة في الولد حال تكوينه وغير ذلك .
وسمعت أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول : من أدمن من النوم بعد الصبح والعصر ضعف إيمانه بالبعث والنشور وأحوال البرزخ ويوم القيامة وكثر عليه التخيلات الفاسدة حتى لا يكاد يعقل شيئا أبدا من مصالح

دنياه وآخرته . انتهى . ولا بأس بالقيلولة في أيام الصيف ولو قبل صلاة الظهر لحديث " استعينوا بالقيلولة على قيام الليل . "
قال سيدي عبد العزيز الديريني رضى الله عنه : والنوم قبل الظهر دواء للسهر الماضي وبعد الظهر دواء للسهر المستقيم ، والله أعلم .

**186 - أخذ علينا العهود أن نأمر إخواننا بالإقامة في حرفهم ولو قرى يقينهم بالله عز وجل**

كما تقدم بسطه في عهد مشاعل الوالي هذا مع مراعاتهم إشارة شيخهم في ذلك .
وكان سيدي على الخواص رحمه الله تعالى يقول : أحب العباد إلى الله تعالى من كان في مشيه كالدابة التي تحمل أمتعة الناس ويسوقونها لا تدرى المتاع الذي على ظهرها لمن هو ولا مع من هو ولا تعلم هي مع من ولا بنفاسة ما حملته ولا نجاسته وهي صابرة على ما تقاسيه من كد العمل وعلى ما تلاقيه من شدة الجوع والعطش غير طامعة في شئ ترتجيه في الدنيا والآخرة فتأمل ذلك .

**187 - أخذ علينا العهود ان نسرع بتزويج البكر إذا بلغت**

فربما ساء خلقها على الرجال وطال لسانها عليهم بالتأخير لاحتراق شهوتها واحذر يا اخى ان تقيد تزويج بنتك على أحد معين أو بنظام فيه تعنت فتنفر نفوس الناس عنها ثم انك بعد ذلك تقع في أخبث الناس حالا لموضع اختيارك وتعنتك على إخوانك واحذر ان نرد صاحب حرفة دنيئة بل زوج يا اخى كل من له حرفة يحصل بها الرغيف ، والله عزيز حكيم.

**188 - أخذ علينا العهود ان لا نمكن أحدا من إخواننا يشهد على ابنته بأن جهازها لأمها أو جدتها مثلا بقصد حرمان الزوج أو أولادها منه إذا ماتت**

فإن ذلك من أعلى درجات النفاق وعلامة على سوء الاعتقاد وشدة البخل وطول الامل ثم إنه لا يبارك لمن فعل ذلك فيما حرم الزوج منه .

قال شيخنا رضى الله عنه : وطريق الخلاص من ورطة هذا النفاق ان يجهز ابنته جهازا وسطا لا كلفة عليه فيه ثم يسمح لابنته به بطيبة نفس وانشراح صدر ولا يحتج المهور بخرق كسر خاطر ابنته فان ذلك من تلبيسات النفس ولم يراع الشرع الأجير الخاطر فيما لا ينقص درجة الانسان في الجنة فإن كان ينقصها تعين كسر خاطره وتنفعه من حيث لا يشعر وقد امن الله عز وجل العبد على عياله وأولاده ومتى سعى في تنفيص درجاته فقد غشهم وخانهم ووقع بينه وبين الزوج وأهله الخصومات والتنافر كما هو مشاهد وهذا الامر قد كثر في أهل مصر فصار الزوج يقول للخاطبة انظرى لي واحدة كثيرة الجهاز ولو كانت كبيرة فإنها أحسن فربما تموت فأرثها ورأيت شابا تزوج عجوزا لأجل إرثه لما لها .

فطال الزمان عليه وهو يكلف نفسه في وطئها شرب سم الأراقم فطلقها فانقضت عدتها فأخذها شخص فمكثت في عصمته نحو سبعة أيام وماتت فورث منها نحو ثلاثة آلاف دينار فندم الأول ندما شديدا حتى كأنه فوت صلاة العصر في جماعة فلما علم أهل العروسة من الأزواج هذا الأمر ضربوا المكر كذلك على الأزواج جزاء وفاقا ، والله غفور رحيم .

**189 - أخذ علينا العهود ان لا نكلف الزوج ما لا يطيق إذا تزوج ابنتنا أو أختنا أو امرأة من أهلنا**

وذلك كأن نقرر عليه نفقة معينة أو كسوة معينة زائدة على

حال الزمان الذي نحن فيه ونحذر الأم من التعنت على الزوج في فعل مصطلح النساء الذي اندرس حكمه باندراس الأسباب وموت الدنيا ومكاسبها وذلك كأن تشرط على الزوج ان لا تدخل ابنتها عليه إلا بالفرح والمغانى وان لا تزوجها له الا بمهر أمها أو جدتها ونحو ذلك فإن الزمان قد استأخر وصار الرزق ينقص فيه كل يوم عن اليوم الذي قبله تارة كميته وتارة بقلة بركته وتارة بهما كما هو مشاهد في أكثر الناس حتى صار أحدهم لا يقدر ان يحصل له رأس مال يجعله عقدة يبنى عليها أبدا والشاطر الآن من يعمل بنفقة يومه ثم إذا مالت ابنتك يا اخى إلى النقلة إلى زوجها فلا تغضب عليها لأن الميل إلى زوجها هو الأصل لكونها مخلوقة له بالأصالة والأبوان انما كانا سببا لايجادها له لا غير فافرح يا والدها بذلك وقل الحمد لله الذي ألف بينهما وكفانا شر التنافر واحذر يا اخى ان تميل على الزوج إذا شكت لك منه بل اصبر وتثبت واجمع بينهما مرارا ينكشف لك الأمر على جليته وتعرف السبب في ذلك فتحكم على بصيرة وكن دائما على ابنتك مساعدا لزوجها عليها ولا ترق لها أبدا بكثرة غضبها ومفارقتها للأزواج ينفلت سرك من جرتها هكذا قال المجربون .

واعلم أن كلما بالغت ابنتك في الشكاية من زوجها فاستدل بذلك على كونها بالغت في أذاه ومخالفة أغراضه وعدم القيام بواجبه فإن دخيرة الزوج لا تتحرك كل هذا التحرك إلا بشئ كثير لأنها لا تتحرك بنفسها فافهم ، وان كانت بنتك كارهة ولم يقع بينها وبين زوجها خلاف فابر الرجل من الحقوق إن كان فقيرا والمصالحة على شئ ، وإذا كان الزوج هو الكاره فخذ منه

الحق إن كان غنيّا وإلا فالمصالحة أو التوسط ولا تكثر الشد فإن كثرة الشد ترخى ، والله أعلم .

**190 - أخذ علينا العهود ان نصلح النية عند الجماع**
نتخلق بالرحمة المحمدية جهدنا وطاقتنا ثم نفرغ الماء في الرحم وذلك ليخرج الولد مفطورا على الأخلاق النبوية فإن الولد لا يخرج عن صورة ما كان والده عليه من الصفات المحمودة أو المذمومة قيد شبر فلا يلومن الوالد إلا نفسه إذا خرج ولده مارقا فاسقا محبّا للدنيا مفطورا على أخلاق الشياطين .
قال شيخنا رضى الله عنه : ولا ينبغي للرجل ان يجامع ونفسه ميتة عن الأعمال الدنيوية والأخروية فإن الولد كذلك يأتي فيكون عاطلا لا ينفع في شئ وكذلك لا ينبغي له ان يجامع وهو منازع لأحد في دنياه فان الولد يأتي كذلك منازعا للناس مماطلا وقس على ذلك الأخلاق النفيسة والتبعية والخير ونحوها ، والله عليم حكيم .

**191 - أخذ علينا العهود ان نقلل من النكاح ما أمكن**
حفظا للصحة وخوفا أن نصير في المثل كفقيه الريف قليل العلم كثير النكاح وانما لقلة النكاح جعلوه قليل العلم لتهاونه في الوقوع فيما يهدم بنيه ولو أنه كان من أهل العلم ما وقع في ذلك .
وتأمل يا اخى الحمارة أو البقرة أو غيرهما من البهائم من حين تعرف انها حملت تمنع الفحل عن نفسها ولا تمكنه من نفسها بعد ذلك أبدا تجدها أعقل من غالب الناس .
وقد كان سيدي أحمد بن عاشر شيخ تربة السلطان قايتباى بمصر

المحروسة لا يأتي زوجته قط إلا على نية الولد وإعفافها هي وكانت إذا حملت لم يقرب منها حتى تضع وترضع ولدها وتفطمه بعد عامين وكان سيدي على الخواص رحمه الله يقول : يكفى الواحد في هذا الزمان الكثير الغم والنكد كل شهر مرة لأجل إعفاف المراة ولأجل شهوته هو وذلك لأن من كان كامل الإيمان يكثر تحمله لهموم الناس وما هم فيه من البلاء والمحن .
فيلقيه ذلك عن مثل هذا الفعل الذي يغلس وينجبس ويغلس ظاهرا وباطنا . انتهى .
فإن كنت يا اخى ناقص العلم قليل التحمل لهموم إخوانك المسلمين ففي كل أسبوع مرة فان كنت أنقص من ذلك ففي كل ثلاثة أيام مرة لا أكثر من ذلك في هذه الأيام ، وفي الحديث " من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم " ويقبح على حامل القرآن أن يكون قليل التحمل لهموم المسلمين وأما من كان كل ليلة فهذا قد ضعف دينه حتى لا يكاد يظهر لدينه صورة في الوجود ثم إن ذلك .
معدود من الاسراف والله لا يحب المسرفين وكأن من دخل في الإسراف كأنه دخل في فعل غير مأذون فيه شرعا فيكون عليه من رائحة الإثم ما على المسرف بالكلية بسبب ذلك الجماع ولو كان من عادتها ترك الصلاة وعليه أيضا تبعة نقص الأجر الذي حصل من تيممها بدلا عن الغسل أو عن غسل رأسها مثلا فإن كشف رأسها كل يوم وصب الماء عليها يضرها ويورث عندها الأورام والحرارات والغسل كل يوم أو ليلة في غاية المشقة على

النساء سواء كان في البيت أو الحمام مع ما في ذلك أيضا من الأذى بكثرة لوث النساء بها في دخولها الحمام كل يوم من الجيران والمعارف لا سيما إن كانت أمها ساكنة عندها أو أبوها أو أخوها أو أختها فإذا لاثوا بها كان ذلك في حقها يشبه العذر الشرعي في ترك واجب لما فيه من كشف العورة وهتك السريرة وقد استفتى شيخ الإسلام الشيخ يحيى المناوي رضى الله عنه في شخص جاء يوم الجمعة ولم يجد مكانا يستنجى فيه إلا الميضأة وعليها الزحمة وإذا انتظر انفضاض الزحمة فاتته الجمعة فهل ينتظر الانفضاض أو يكشف عورته لأجل الاستنجاء تحصيلا للجمعة .

فأجاب رحمه الله تعالى : الانفضاض من الناس ولو فاتته الجمعة ، وخوف فوات الجمعة لا يبيح كشف عورته . انتهى .

وقد كان السلف يخفون الغسل حتى عن خدمهم وأما إخفاؤه عن الأصهار فذلك كالواجب ، ورأى سيدي على الخواص رحمه الله تعالى شخصا دخل الحمام مع أبى زوجته ووالده فكاد أن يضربه على ذلك وقال أين حياؤك وأنت تدخل الحمام مع صهرك وأأت عريس جديد بابنته ، إذا علمت ذلك فخفف يا اخى الجماع جهدك ولا تتسبب في نقص دين زوجتك بإخراجها الصلوات عن وقتها أو نقص طهارتها وكن مساعدا لها ومخففا عنها المشقة ما أمكن كما خففت عنك أنت الآخر مشقة الشهوة وساعدتك على غض بصرك وحفظ فرجك .

واعلم يا اخى انه لولا خروجك إلى الناس واحتياجك لدخول المساجد وقراءة القرآن لأجل أمانتك مثلا أو حضورك لكنت أنت الآخر تكسل عن

الغسل في أغلب أوقاتك حتى تخرج الصلوات عن وقتها فإن المرأة صورة باطن الرجل في الدين فكل ما تراه يبدو من زوجتك من الصفات المحمودة أو المذمومة فهو صورة ما أنت عليه في باطنك ففتش نفسك تعرف صدق ما أقول .
ولو كنت يا اخى تأتى زوجتك بنية صالحة لكانت عاقبته محمودة ولم يحصل لك فوات صلاة الصبح في جماعة مثلا فإن ما كان لله تعالى لا يحصل لعبد به تشتيت شمل في فعل الخير أبدا بخلاف ما كان لشهوة نفس فإن من ملازمة التشتيت .
واعلم أن من أقوى علامة على ظلم قلب الفقيه قلة دين زوجته إذا لم يفض نوره على زوجته التي هي أقرب الناس اليه فكيف بغيرها ثم إذا جرى عليك المقدر بالإسراف بالجماع حتى أخرت امرأتك الصلاة عن وقتها فصلّ عنها من غير إعلامها جميع ما يفوتها من الصلوات بسبب جماعك لتخلص نفسك من تبعتها ولو لم يكن من عادتها ان تجعل ثواب ذلك في صحائفها فلعل الله تعالى يتقبل ذلك عنها ويحسبه لها في الآخرة وإن حكم الشرع في الدنيا بخلافه وهذا أمر سننته لك .
ولم أجده في كلام أحد من العلماء وهو من باب من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها وقد يتزوج لذلك بقول العلماء وعلى الزوج ثمن ما غسل جماع ونفاس لا حيض واحتلام وإنما كان عليه ذلك لكونه كان سببا فيه بخلاف الحيض والاحتلام .
وقد سن الشيخ أبو مدين شيخ المغرب صلاة ركعتين بعد الأكل يقرأ في

الأولى لِإِيلافِ قُرَيْشٍ وفي الثانية قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ بلا فاتحة في الركعتين ، ولم يوجد ، ذلك من كلام غيره من أهل السنة ، والله أعلم .

**192 - أخذ علينا العهود ان لا نمكن أحدا من أصحابنا يفتح باب المجادلة بغير علم مع أحد**

عملا بقوله صلى الله عليه وسلم " لا يجادل في الدين إلا منافق أو مرتاب في دينه " وانما قيدنا ذم المجادلة بقولنا بغير علم ليخرج من جادل بعلم عن دين الله عز وجل فان ذلك واجب ولا يصل العبد إلى مرتبة العلم ويسمى من المجادلين بعلم إلا إن علم جميع طرق الشريعة .

وفي الحديث " إن الشريعة جاءت على ثلاثمائة وثلاثة عشر طريقة ليس منها طريقة يلقى العبد بها ربه الا دخل الجنة " رواه الطبراني وغيره ، فمن كان عارفا بجميع هذه الطرق ورأى طريقا يخالفها كلها فله الجدال وإن جهل منها ولو طريقة واحدة فلا ينبغي له الجدال لاحتمال أن يدحض بجداله طريقة من طرق الشريعة ويتبرى من العمل بها فيفوته خير كثير ويصير معدودا ممن ينكر الشرائع واعلم يا اخى ان المجادل لك لا يخلو عن حالتين إما أن يطلب أن يردك إلى حالة دون ما أنت عليه أو أعلى منه فمن الأدب أن تنزل معه أو تصعد بالعلم وإما تضمنها على ما أنت عليه فهو دأب الحامدين .

قال شيخنا رضى الله عنه : ويلحق بالجدال بغير علم الغوص فيما أشكل على أهل العقول من معرفة معاني الحروف أوائل السور وآيات الصفات فإن معرفة ذلك خاصة ممن حق له قدم الولاية وقول بعضهم إن هذه الأمور لا تكشف لأحد في هذه الدار قصور منه لجهله بمراتب العارفين وهو يؤدى إلى القول بأن الله تعالى خاطب عباده بما لا يفهمون ولا يعقلون وذلك عبث تعالى الله

عن ذلك ، ويلحق بالجدال بغير علم أيضا الخوض في نحو قولهم في القرآن هل هو محدث أو قديم وهل المكتوب في المصاحف والمتلو بالألفاظ عين كلام الله أم هو كلام الله ونحو ذلك مما يؤدى إلى هتك أستار الله عز وجل ، ويلحق بذلك أيضا مجادلة المقلدين من أهل المذاهب الأربعة وغيرها وإدحاض حجج بعضهم بعضا بالأدلة العقلية واللغوية حتى أن أحدهم يتبرأ من مذهب الآخر ويرى كأن ذلك المذهب الذي تبرأ منه خارج عن الشريعة ولو اطلعوا على جميع طرق الشريعة لا يخرج عنها قول من أقوالهم كما أوضحنا ذلك في خطبة كتابنا المسمى بكشف الغمة عن جميع الأمة ، والله واسع عليم . انتهى .

**193 - أخذ علينا العهود ان لا نسعى قط لأحد في الولاية أو قضاءة أو مساعدة تناله وعدم مساعدتنا له بالقلب والقالب إلا إذا علمنا صلاحيته لذلك دون غيره فإنا نساعده لمصلحة الدين والمسلمين .**

وقد تقدم في هذه العهود أن كل شئ جاء بسؤال لا يسد صاحبه في القيام به ثم إن تولى وتجون علمناه طريق الخلاص للمذمة في تلك الولاية كأن يقف بنية نفع الناس وتفريج كربهم وتخفيف المظالم عنهم ويرضى لنفسه بالقدر اليسير الذي لا يرضى به أمثاله كما مر في عهد مصاحبة الظلمة والحكام ، والله عليم حكيم .

**194 - أخذ علينا العهود ان نصبر لحكم من كان تحت حكمنا سنين ثم ساعدته القدرة على التولية علينا والحكم فينا**

وإن تغلست نفوسنا من ذلك قلنا لها اصبرى على جوره كما صبر على جورك سنين عديدة فإنك بذلك

تؤهلين لرجوعك إلى ولايتك ولولا إخلالك بشروط ولايتك ما تولى فيها مكانك غلامه ولا أحد من صبيانك ، فعلم أن لم يذعن لغلامه إذا تولى استحق دوام العزل من تلك الولاية كما جرب فإن أحدا لم يعزل قط من وظيفة وهو قائم بشروطها أبدا لا بد له قبل عزله من الإخلال بالشروط فمن أراد دوام ولايته الظاهرة والباطنة فلا يخل بشرط من شروطها فإنه يشرع بذلك في أسباب العزل ومن شروطها عدم التقلق من كثرة حوائج الناس وأن يكون دائما مأكولا مذموما فمن تقلق بما ذكر ولم يحتمل ذم رعيته له استحق العزل ، قال تعالى :وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وَكانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَانتهى .

فتحمل يا اخى قول الرعية ما تولى فلان علينا إلا لأجل شئ يأخذه أو ما تولى إلا لمحبة في الظلم والعواينة ونحو ذلك فإن بهذا التحمل تدوم ولايتك عليهم ، والله عزيز حكيم .

**195 - أخذ علينا العهود أن نأمر جميع إخواننا بأن لا يدخلوا قط على فقير ولا عالم إلا ونيران عقلهم ونقلهم مكسرة**

وذلك لينفحهم من علمه وصلاحه فإن من دخل على فقير أو عالم بقصد الامتحان لم يخرج إلا ممقوتا من الله عز وجل ومقت الله للعبد قلّ أن يمحى .

وسمعت سيدي الشيخ محمد الشناوي رحمه الله تعالى يقول : ما تذكرت قط أنني دخلت على صالح ولا عالم وخرجت من عنده بلا فائدة وما دخلت قط على انسان ممتحنا له أبدا وقد كثر الامتحان في هذا الزمان من غالب الناس فيدخلون على ذلك الفقير أو العالم مظهرين له الزيادة والود

ثم إذا سمع أحد منهم كلمة فيها دعوى مثلا خرج ينشرها في الناس ويصير يقول وجدنا عند فلان دعوى عريضة واعتقادات فاسدة وذلك لا ينبغي ان يقال الا بعد مراجعة صاحب الكلام وقولهم له ماذا قصدت بقولك هذا فربما يكون مخطئا فيه عند عامة العلماء فحينئذ ينبغي إشاعة ذلك عنه لئلا يتبع عليه والأعمال بالنيات ، والسلام .

**196 - أخذ علينا العهود ان لا نقدم على أنفسنا أحدا في الدعاء إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط**

عملا بقوله صلى الله عليه وسلم " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده والناس أجمعين " فمن قدم على نفسه أحدا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو دليل على تهوره وعدم عدله ، إذا علمت ذلك .
فقدم يا اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نفسك ثم والدتك ثم والدك ابا الروح ثم الجسم ثم أولادك ثم إخوتك ثم أعمامك ثم بنى أعمامك على ترتيب الإرث ثم إخوانك الأحياء ثم الأموات وأحق الناس بالدعاء بعد الأقارب من له حق من الأحياء والأموات في علم أو تعليم أو قضاء حاجة أو إعطاء هدية أو وفاء دين ونحو ذلك وانما ذكرنا الولد بعد الأب لقول نوح عليه السلامرَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوالِدَيَّفقدم الوالد على الولد بقرينة قول إبراهيم عليه السلاموَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنامَفذكر بنيه بعد نفسه لكون أباه لم يكن على دينه ، والله أعلم .

**197 - أخذ علينا العهود ان لا نهدى ثواب عملنا في صحائف غيرنا سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن دلنا على فعل ذلك العمل من العلماء والأشياخ**

لقوله صلى الله عليه وسلم " من دل على خير فله مثل أجر فاعله " فثواب اعمالنا كلها بالأصالة

لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولنا من الثواب نظيره ، وأما غير رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدعاة إلى الله تعالى فله نظير الثواب لا عينه فافهم وإياك ان تجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك كغيره فتسيء الأدب .
فعلم أنه لا ينبغي لقارئ مثلا ان يقول اللهم اجعل ثواب ما قرأنا في صحائف فلان الولي أو الصالح أو غيرهما ممن لم يدله على فعل ذلك الخير وانما يقول اجعل نظير ثواب ما قرأته فإن من اخرج عن ذاته الفاعلة عملا من أعمالها فقد ظلمها إلا أن يوصل الشرط الذي قدمناه ثم بتقدير ان الله تعالى يثيبها على ذلك العمل فهيهات ان يكفر ذلك ما جناه العبد من الزلل .
وتأمل قصة آدم عليه السلام من الشجرة كيف لم يوف جميع التكاليف بكفاراتها بل اعترف بعد ذلك كله وقال :رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَولو كان في التكاليف تعرف لم يكن على العبد بعد فعلها حجة فافهم هذا في ذنب واحد فكيف بمن يرتكب منا كل يوم ذنوبا لا تحصى ، ويؤيد ما قلناه من أنه لا ينبغي لعبد ان يجعل ثواب أعماله لغيره وهو محتاج اليه وقول العلماء من حج عن غيره قبل نفسه وقع عن نفسه دون الغير اللهم إلا أن يفيض الثواب على تلك الذات حتى يعمها كلها فللإنسان ان يتصدق على غيره بالزائد كما في الأموال الظاهرة ولكن قليل من الفقراء من يعرف أنه حصل له ثواب فياض عليه أم لا لعدم كشفه .
وكان اخى أفضل الدين رحمه الله تعالى يدرك اعماله التي يزيد ثوابها ويفيض والتي تجيء سواء بسواء والتي تنقص.

وكان رضى الله عنه ينظر إلى عملي وهو صاعد في الليل وأنا في حارة بعيدة عنه ويقول لي صعد لك الليلة عمل كذا وكذا وعملك الفلاني كان أنور من العمل الفلاني ، وأخبرني رضى الله عنه مرة برد دعائي في حق شخص كان في السجن دعوت الله بالليل أن يطلقه وقال لي رأيت الليلة دعاءك لفلان وهو يصعد ويرجع إلى الأرض ، وأخبرني بأنه بقي من مدة سجنه كذا كذا شهرا فكان كما قال رضى الله عنه ، فعلم أن قول بعضهم بحصول الثواب ليت من القارئ وبعدم قبوله من غير كشف لا اعتماد عليه لأن كلا منهما ليس هو على يقين مما أفتى به ، والله أعلم .

**198 - أخذ علينا العهود ان لا ننصح من علمنا عنده عنادا في الدين**
بحيث إذا قلنا لا تفعل الشئ الفلاني يفعله مكارها لنا وإذا سكتنا عن النهى له يتركه وهذا الأمر يخفى على كثير من الفقهاء فضلا عن غيرهم لا سيما إن نهاه بعنف ونفس كقوله مثلا لداخل المسجد اجعل بطن نعلك بعضه على بعض يا كلب يا فاسق يا من لا يخاف الله يا من هو ليس بمسلم ونحو ذلك من الألفاظ القبيحة التي هي أشد قبحا مما نهاه عنه فكما قامت نفسه حتى خرجت عن الاعتدال كذلك تقوم نفس المأمور بالعنف ، ثم اعلم أنه لا ينبغي لمن ليس عنده سياسة ورقة حاشية أن يكون ناصحا أبدا لأن فساده أكثر من صلاحه ونصيحته عدم النصيحة لأنها تعرض المنصوح لمقت الله عز وجل فيرجع نظير ذلك على الناصح والله تعالى يجب من عباده من يراعى حقوق عبيده وإن جهلوا فإنهم خلقه وعبيده وكثيرا ما يحصل لمن ينصح بلا سياسة فيقابل المنصوح له بالأذى فيقول أنا الظالم الذي نصحت فيجعل

النصح الذي هو أدب ظلما وأصل ذلك القول من قلة سياسته ، وكان شيخنا رضى الله عنه يقول : لا يصلح النصح إلا لمن كنس بأرواحهم المزابل ونارت هياكلهم فأدركوا القضاء مدة التقدير على المنصوح وبقاها وذلك هم حينئذ يتخلقون بالرحمة فإذا رأوا التقدير نازلا على العاصي كالمطر ألان له القول بقدره وإذا رأوا التقدير نقص مدته أغلظوا عليه ، وكان رضى الله عنه يقول : ما دام الحق تعالى يخلق المعاصي للعبد لا يمكنه يتوب فإذا رجع الحق تعالى عن خلق المعاصي للعبد تاب لا محالة حتى لو أراد أن يعصى لا يجد ما يعصى به ويسمى صاحب هذا المقام من أهل التوبة النصوح وغيره من أهل التوبة الكاذبة والله غفور رحيم .

**199 - أخذ علينا العهود أن ننصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**
فالنصيحة لله تعالى ان يعفو العبد ويصفح فيثنى عليه بذلك فيرجع ذلك الثناء إلى الله تعالى لأنه تعالى هو الذي شرع ذلك وندب إليه والغش فيه أن يفعل العبد عكس ذلك فلا يعفو ولا يصفح فيذم بذلك فيرجع صدره الذم إلى حضرة الله عز وجل كما قال تعالى :وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍوفي المثل السائر الولد الهوى يجلب لوالديه اللعنة ، وقد قدمنا ان كل عارف يغار على الحق تعالى أن يذكره أحد بسوء كقوله ربنا ما عليه من الفقير وما يعطى إلا الظلمة والأغنياء أو ربنا جاى علىّ دائما فإذا سمع العارف ذلك وجب عليه أن يبيع عمامته ويعطى ثمنها لذلك الفقير صيانة لجناب الله تعالى عن الذم لا طلبا للثواب في الآخرة وغيرها فما نصح من نصح لله تعالى حقيقة إلا لإشارة جناب الحق تعالى على نفسه

كما أن من يطلب الثواب والثناء على العفو الصفح لنفسه دون الله فما نصح لله بل زاحمه في شهود الملك فإنه لولا شهود الملك فيما أعطاه للناس ما طلب ثوابا ولا شكرا ، وأما النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد مضت في أيام حياته وما بقي له نصيحة بعد موته إلا أن تجعل اللام لام الاجل فكان الواجب على الصحابة أيام حياته ان ينصحوه إذا شاورهم في امر لم يوح إليه في شأنه بشئ كما نصحوه يوم بدر وحنين أراد أن ينزل بهم على غير ماء وكما نصحه عمر رضى الله عنه في قتل أسارى بدر وكما قال له ذو اليدين أقصرت الصلاة يا رسول الله أم نسيت ليعلم هل نسخ ذلك الأمر الذي لم يفعله وهو السلام في الظهر من ركعتين أو أنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك نسيانا ، وأما النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم فأن لا يكتم عنهم شيئا من أمر دينهم وسواء كان الأئمة حكاما أو علماء فإذا استفتوك يا أخي في أمر جهلوه فالواجب عليك إعلامهم به فيعود النفع عليهم وعلى عامة المسلمين وإذا تعارض عندك أمر أن أحدهما يصلح دينهم والآخر يصلح دنياهم فقدم لهم الأمر بما يصلح دينهم ، ثم لا يخفى على كثير من الناس وحوب النصح لأهل الذمة إذا رأيناهم يفعلون شيئا من سفساف الأخلاق فدلهم على مكارم الأخلاق فينتفع الذمي بذلك في الدنيا ويرجع علينا نحن أثر ذلك من الثواب في الدنيا والآخرة وإن لم يتب هو وربما كان في علم الله أن ذلك الذمي يسلم فيسلم على ما سلف من الخير ومن نصحنا للمشركين أيضا قتالهم حتى يسلموا وإن كانوا يشعرون بذلك لكن هنا دسيسة لا تخفى على عالم عارف وهي نفرة بعض المقاتلين من القيام مقام المشركين في قبضة الشقاء إذا رجع

المشركون كلهم بقتالهم إلى قبضة السعادة إذ لا بد في كل قبضة من أهل يقومون بها وإذا كره المقاتلون قيامهم مقام المشركين أحيوا مقام المشركين في قبضة الشقاء فما أخلصوا ذاتا في نصحهم شيئا فافهم . انتهى . ومن هنا قال الحسين الحلاج ما خرج أحد من الدعاة إلى الله من جميع الأمة عن هوى نفسه أبدا وأقل ما في ذلك ان الداعي يطلب الأنس بالاشكال في المرتبة ولو كان خرج عن الهوى لم يرجح جانبا على جانب ومن هذا الباب أيضا تأديب الأطفال والمريدين والأرقاء بالضرب والهجر هو من نصحهم أيضا ،

وسمعت سيدي عليّا الخواص رحمه الله تعالى يقول :
النصيحة هي الإبرة والناصح هو الخيط الذي يولف أجراء الثوب مثلا حتى يصير قميصا كذلك الناصح في الدين يؤلف متفرقاته بالجمع على كلمة واحدة قال تعالى :شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَمُوسى وَعِيسى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِفافهم وتأمل تعرف خروج بعض المقلدين للمذاهب اليوم من سياج أئمة مذاهبهم بتضعيف نصوحهم وترجيح بعضها على بعض حتى صار كل واحد يقول :
الحق معي وحدى ، نسأل الله أن يلطف بنا وبهم آمين والحمد لله رب العالمين .

**200 - أخذ علينا العهود إذا رأينا من يتجاهر بالمعاصي ولا يستتر أن نستره نحن بعدم إشاعة ذلك عنه وتكذيب من أشاع عنه الفسق ونكون أولى به من نفسه**
كما إذا رأينا عالما لا يعمل بعلمه نعمل نحن به فنكسب خيرا وننفعه بعملنا وبعلمه من حيث لا يشعر هو فنكون من المحسنين بذلك وربما خلع تعالى

علينا علم هذا العالم جزاء لنا على كثرة شفقتنا عليه ومحبتنا الخير له وسيأتي بسطه في مواضع إن شاء الله تعالى .

**201 - أخذ علينا العهود ان نأمر جميع إخواننا بتعظيم الذاكرين الله كثيرا والذاكرات من حيث نسبتهم إلى مجالسة الحق تعالى في قوله " أنا جليس من ذكرني "**
وجليس الحق تعالى لا ينبغي لمن له عليه دين ان يتعرضه بالأذى وينوى له سوءا في حين من الأوقات وهذا الأمر وإن كان واجبا في حق المسلمين فهو في حق الذاكرين أوجب وأوجب تعظيما لله عز وجل " وتأمل قوله تعالى " انا جليس من ذكرني " ما قال من حضر معي ولا من شهدنى ولا من رآني بل أثبت مرتبة المجالسة لمن ذكره تعالى بالله فقط ولو كان القلب غافلا لكن مراعاة من حضر مع الله تعالى في ذكره آكد من غيره كما عليه طائفة الأولياء ، وفي الحديث الصحيح " من عادى لي وليا فقد آذنته بالمحاربة " فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله من هم الأولياء ، فقال هم الذين إذا رأوا ذكر الله عز وجل أي لدلالتهم عليه بالصفات التي تخلقوا بها فأول ما يقابلهم الرأي تنعكس الأشعة منهم إليه فيذكرون الله تعالى بعد أن كانوا غافلين ثم لا يخفى ان كل من ثبتت ولايته حرمت معاداته وهجره وقطيعته لا سيما بغضه في حال كون يذكر الله عز وجل في مجلس أو فرادى فإنه حينئذ في حضرة الله الخاصة وذلك من أقوى علامات النفاق والبعد عن حضرة الله عز وجل ولم يجعل الحق تعالى نفسه جليسا لعبده في شئ من الطاعات غير الذاكرين فإياك ان تستبعد حصول الهداية لفاسق واظب على ذكر الله أياما فإن الله تعالى ربما تولاه واتخذه وليّا في يوم أو مجلس واحد ،

وقد كان أبو علي الدقاق يقول :
الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد أعطى ذلك المنشور فاعلم ذلك واشكر الله عز وجل الذي أعلمك بصفات أهل مجالسته لتعرف مقدارهم وتجتنب معاداتهم ولا تكن أشقى العالمين فإن من آذى وليّا كتب من أشقى العالمين ، وتأمل قوله تعالى في عاقر الناقةإِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهاتعرف شقاوة من آذى الأولياء من باب أولى فإنه تعالى إذا حكم بالشقاء لعاقر الناقة فكيف بولي من أوليائه ، ثم اعلم يا اخى أن هؤلاء الفقراء الذين يقع من الناس الأذى لهم لو كانوا منتسبين إلى أحد من الأمراء ما تجرأ أحد أن يؤذيهم احتراما لوجهه فالله أولى وأجل بمراعاة أهل حضرته فإياك أيها المتشبه بالفقهاء أن تتعرض لفقير أحدث مجلس ذكر في جامع أو زاوية وتتعلل بأن رفع أصوات الذاكرين تؤذيك وتؤذى المسلمين فإن ذلك من علامة نفاقك ، ولو أنك كنت سالما من النفاق حسن الاعتقاد في الله عز وجل محبّا له لتلذذت بسماع ذكره وحصل لك الشفـاء من كل مرض مزمن
كما أنشد العارف بالله تعالى سيدي عمر بن الفارض رحمه الله تعالى عنه :
**فإن ذكرت في الحي أصبح أهله * نشاوى ولا عار عليهم ولا إثم**
**وان خطرت يوما على خاطر امرئ * أقامت به الأفراح وارتحل الهم**
**ولو نضجوا منها ترى قبر ميت * لعادت اليه الروح وانتعش الجسم**

**ولو طرحوا في حائط كرمها * عليلا وقد أشفى لفارقه السقم**
**ولو قربوا من حانها مقعدا مشى * وتنطق من ذكرى مراقتها البكم**
**ولو عبقت في الشرق أنفاس طيبها * وفي الغرب مذكوم لعادله الشم**
**ولو جليت سرا على اكمه غدا * بصيرا ومن راووقها تسمع الصم**
**ولو أن ركبانا يمموا تراب أرضها * وفي الركب ملسوع لما ضره السم**
**ولو رسم الراقي حروف اسمها على * جبين مصاب جن أبرأه الرسم**
**وفوق لواء الجيش لو رقم اسمها * لا سكر من تحت اللواء ذلك الرقم**
**ويطرب من لم يدرها عند ذكرها * كمشتاق نعم كلما ذكرت نعم**
**فما سكنت والهم يوما بموضع * كذلك لم يسكن مع النعم الغم**

إلى آخر ما قال ،
واعلم يا اخى ان صياح الذاكرين إنما هو عن شهود تجلى الحق تعالى لقلوبهم بما فوق طاقتهم ولذلك خر موسى صعقا حين

كان التجلي فوق طاقته وربما يكتم الفقير الصياح فيرم نفسه فيموت لوقته وساعته ، وقد حكى الشيخ احمد الضرير أحد تلامذة الشيخ عمر ردوشتى بتوريز العجم شيخ الشيخ دمرداش المحمدي بظاهر القاهرة المحروسة ان جماعة من علماء توريز العجم اعترضوا على صياح جماعة الشيخ عمر في الذكر وعقدوا على ذلك مجلسا بحضور الشيخ فنادى الشيخ معاشر الفقراء من كان منا فلا ينطق بصياح ويكتم وارده ولو مات فافتتح الذكر فغرقوا في ذكر وصاحوا غلبة فنظر إليهم الشيخ شزرا فكتموا فمات منهم اثنا عشر رجلا وغشى على نحو أربعمائة فقير ، قال الشيخ احمد الضرير فأتوا بي إلى هؤلاء الموتى فوجدت أمعاءهم قد انفتقت ووجدت أكبادهم احترقت فمسكتها بيدي فتفتت كالكبد المحروق على الجمر

فأرسل الشيخ عمر وراء العلماء الذين كانوا أنكروا وكبيرهم ملّا عبد اللطيف كبير المدرسين وقال لهم انظروا إلى هؤلاء الموتى هل يقول عاقل ان هؤلاء متغفلين ولكن سهم الله تعالى فيك يا عبد اللطيف فتطبقت عليه داره في ذلك اليوم فهلك هو وأولاده وعياله وخيله ولم ينج منهم أحد وكان يوما مشهودا في توريز العجم فاحترمه عند ذلك السلطان وصار ينزل إلى زاويته فنم عليه بعض الفقهاء أو قال نزولك لمثل هذا إخلال بحرمة السلطان فإنه رجل جاهل ونحن نبين لك جهله فجمعوا جماعة من العلماء ورتبوا له أسئلة يسألونه عنها بحضرة السلطان فدعوه ليحضر فلما حضر مسح الله تعالى تلك الأسئلة كلها من قلوبهم وصار السلطان يقول لهم ما تسألوا فيقولون لم يبق عندنا سؤال واحد وهذا سحر منه لنا ولكن هذا يدعى أنه من أهل الكشف ونحن نبين

لك كذبه فقال السلطان بأي شئ تمتحنونه فقال بهذا المملوك وكان هذا المملوك خازن دار السلطان ومن أعز مماليكه عليه فجردوه من ثيابه وكفنوه ووضعوه على النعش ودعوا الشيخ عمر للصلاة فلما وقف عند رأسه قال أصلى على حي أم على ميت فقالوا على ميت فكبر عليه فإذا هو ميت كما قالوا ، فمن ذلك اليوم كثر اعتقاد السلطان والأمراء فيه حتى مات رضى الله عنه ، فاعلم ذلك والله غفور رحيم .

**202 - أخذ علينا العهود ان لا نمكن أحدا من إخواننا الفقراء يبحث في معنى المتشابهة والمحكم**

وإنما نأمرهم ان يصقلوا مرآة قلوبهم حتى يزول صداها ويصير يفرق بين الحق والباطل ومعلوم عند كل عارف أن الحق تعالى لم يكلف أحدا من عباده بإدراك معاني كلامه القديم على حكم المطابقة والحصر في نفس الأمر ولو أنه تعالى كلف عباده ذلك ووقع لم يقع في العالم خلاف بين المجتهدين واتباعهم وتساوى علم التابع وعلم متبوعه ، وقد قررنا غير مرة ان خطاب الحق تعالى بالأوامر وغيرها شامل لكل من دار عليه فلك الربوبية من الأنبياء والصالحين والملائكة المقربين والأئمة المهتدين والكفرة والمنافقين والطغاة والظالمين وسائر الخلق أجمعين فمن ادعى بفهمه تخصيصه بقوم دون قوم أو بمذهب دون مذهب ورد ما فهمه أحد من المسلمين فكأنه يقول أن الحق تعالى لم يخاطب هؤلاء بتكليف هذا في الأمور الصريحة في الدين دون المستنبطين فإن مداركها خفية على غير العلماء ، والله عليم حكيم .

**203 - أخذ علينا العهود ان لا نمتنع من تزكية مسلم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويؤمن بالله بحسب درجته**

عملا بقوله تعالى : كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ الآية ، ولا ينبغي لنا ان نمتنع من التزكية له إذا طلب منا ذلك فإننا ما زكيناه إلا بتزكية الحق تعالى كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك خاص بجميع أمته ولو أنه استثنى أحدا منهم لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم سيادة على غيره من الأنبياء والمرسلين في ذلك فافه وإياك ان تجرح من أثبت الحق تعالى عدالته وزكاه عند نبيه صلى الله عليه وسلم

فإن التجريح ليس من شان الفقير واستر فضائح إخوانك المؤمنين في دينهم وطرق أسباب معائشهم ولا تقم عليهم ميزان عقلك يقم الله عليك الميزان واحفظ حرمتهم لا سيما ان كانوا مسلمين على المعاصي ويتسترون عند ارتكابها وإذا دعيت لتزكيية أحد وشككت في حاله فلا تزد على قولك ما أعلم منه إلا أنه خير منى اللهم إلا أن يكون فسقه بالأمور التي تضيع الحقوق كالكذب والنصب وشهادة الزور فللفقير ان يبين ذلك وان كان فيه تجريحا ولا حرج عليه هكذا درج عليه السلف من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم ، وكان ابن عباس رضى الله عنهما لا يرد شهادة أحد من المسلمين إلا إن كان فسقه يتعلق بالمشهود به ويقولون لا يلزم من فسق أحد بشئ وتهاونه في الوقوع فيه ان يقع في نظائره . انتهى .

**204 - أخذ علينا العهود أن لا نمكن أحدا من إخواننا يصغى لمن يحط على أحد من الأولياء كائنا ما كان**

ولا نمكنهم من ذكر كراماتهم ومناقبهم بحضرة من ينكر عليهم فيكون ذلك سببا لزيادة المقت للمنكر ولتنقيص ذلك الولي وحكم من فعل ذلك حكم من يذكر فضائل أبى بكر وعمر بين الروافض ، وقد فعل نحو ما ذكرناه القشيري رحمه الله تعالى فإنه ذكر عقيدة الحلاج

أول الرسالة على الكتاب والسنة ليزيل بعض ما في نفوس الناس من اعتقادهم حيث طويته ثم لما ذكر مناقب الرجال ذكره في الأواخر حتى لا يتطرق التهمة لمن ذكره من الرجال واعلم أنه لا ينبغي ذكر مناقب الشيخ محيي الدين وابن الفارض وابن سبعين وأضرابهم بحضرة من ينكر عليهم وإذا ذكرنا عن أحد منهم أدبا فالأولى ان نقول قال بعض المحققين كذا وكذا ولا يصرح قط بذكر أسمائهم فيكون سببا لمقت المنكرين لأن المتعصبين في الغالب مقلدون فربما ردوا الحق اليقين لكونه جاء على لسان ذلك الشيخ وقد شاهدت مقت جماعة كثيرة من جهة التعريض لسيدي عمر والشيخ محى الدين ولم ينفع الله تعالى أحدا منهم بعلمه وقد أخبرني الشيخ الصالح أمين الدين إمام جامع النحرى أنه رأى شخصا كان ينشد لمن يتعاطى الشراب خمرية سيدي عمر ابن الفارض ويستهزئ به فحول الله تعالى بوله وغائطه إلى أنفه وفمه ولم يزل كذلك إلى أن مات ، وأخبرني الشيخ محمد التاجر أنه كان ساكنا على مكان يشرف على قبر الشيخ محيي الدين بن العربي فجاء شخص من فقهاء الشام المنكرين على الشيخ وبال على قبره فخسف الله تعالى به الأرض إلى أن غاب وأنا أنظره ثم إن أهله فقدوه من تلك الليلة فأخبرتهم الخبر فحفروا الأرض فوجدوا رأسه فحفروا فهال فلم يزل كلما حفروا غار ولم يقدروا على إخراجه ، نسأل الله العافية .

**205 - أخذ علينا العهود ان نعلم عيالنا الآداب الشرعية والعرفية ولا نحوجهم إلى الخروج إلى فقيه أو واعظ أجنبي يتعلمون منه**

فإنا نحن المطالبون بذلك دون غيرنا وفي الخروج آفات لا تحصى أقل ما هناك رؤية الأشكال الجميلة

من الشباب فربما مالت نفوسهم وكرهت شيخوختنا وقال السلف من أطلق ناظره أتعب خاطره وعلينا أن ننصح عيالنا حتى الجواري السود ان لا يخرجن لحمام أو غيره إلا بياب خلقة دنسه تزدريها العيون وتتكلف لرؤيتها النواظر ونعلمهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن من لبست منكن ثوبا حسنا أو بخرت لها ثوبا عند الخروج لعنها كل شئ مرت عليه حتى ترجع إلى بيتها ونعلمهن إذا دخلن بيت أحد لعيادة أو غيرها ان لا تجلس على فرش أهل البيت إلا بإذنهم وتجلس تحت الإيوان حتى يعزم عليهن أهل البيت بالجلوس فوق الإيوان ونمنعهن جزما من الخروج إلى محل المفترجات التي يختلطن فيها مع الرجال وكذلك من سكنى البيوت التي طيقانها تشرف على الشوارع فمن مكن زوجته من ذلك تلفت ، والله غفور رحيم .

**206 - أخذ علينا العهود ان لا نقرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نقدم بين يدي قراءته صدقة**

إما من المال إن كنا أغنياء وإما من أنواع التسبيح والتهليل والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنا فقراء قال صلى الله عليه وسلم " كل سلامي من الناس صدقة " وعد صلى الله عليه وسلم من الصدقة التسبيح والتهليل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقد وسع صلى الله عليه وسلم عليك يا اخى وما بقي لك عذر في عدم الصدقة قبل قراءة الحديث وأما الصدقة قبل تلاوة القرآن فلم يبلغنا في ذلك شئ ، والله اعلم . انتهى .

**207 - أخذ علينا العهود ان لا نشدد في إزالة منكر إلا إذا كان مجمعا على تحريمه أو يهدم الدنيا والدين**

كالمرافعة في الناس عند الحكام والسعي في اخذ أموالهم بغير حق وكالمراودة لأجنبية عن نفسها وكالغصب وقطع الطريق

والسعي في إبطال صلاة الجماعة من المسجد للشعائر ونحو ذلك ، أما ما لم يجمع على تحريمه ولا يختل نظام الدين بفعله مثلا كالطبل والمزمار وسماع الغناء والاجتماع في مواضع التنزهات وموالد المشايخ الذي يجتمع فيها أخلاط من الناس كمولد سيدي احمد البدوي وأضرابه فالأمر في ذلك سهل ولم يزل العصاة والزناة في نفس البلد يزنون ويشربون الخمر فالمصلى يصلى والزاني يزنى لا خصوصية لهذه الموالد ولكن إن ظفرنا بمنكر غيرناه جهدنا بشرطه ، واعلم يا اخى ان مصالح الموالد والفرجات أكثر من مفاسدها وأقل ما فيها زوال ملل النفوس من العبادات والصنائع الشاقة على النفوس وتنفيق سلع الحلوانيين والفاكهانيين واحتراف الحكويين والمشعوتين والشعراء والمحبظين فيسمعون الناس الكلام المضحك المخفف لهموم الدنيا وكربها الحاصل من ارتكاب الديون والتعب في تحصيل نفقات العيال والأولاد وتوفية ما عليهم من المظالم للمحتسب والفقراء وكراء البيوت والحوانيت وأنت يا فقيه فارغ من ذلك كله لا يقول لك ظالم قط أعطني نصفا وما عند أهل الجنة خير من أهل النار وسيأتي إن شاء الله تعالى عن بعض العارفين انه كان يقول : وجوب إزالة المنكر إنما كان أوائل الإسلام وأما الآن فما بقي إلا الاستحباب ، وسمعت سيدي عبد القادر الدشطوطى رحمه الله تعالى يقول : أصل تحريم سماع الآلات إنما هو لأجل خوف تعطيل الناس حرفهم التي تجلب لهم نفعا في الدين والدنيا فأما إذا صارت الآلات نفسها يحترف بها أصحابها معائشهم فالأمر في ذلك سهل والاستغفار يطفئ غضب الجبار ، والله غفور رحيم.

**208 - أخذ علينا العهود ان لا نمكن أحدا من اخواننا يقرأ القرآن بعرض من الدنيا**
كما تقدم إيضاحه أوائل هذه العهود
وأما أخذ الصحابة الأجرة على الرقية لمن لدغ بالعقرب
فذلك من حيث التداوي لا من حيث قراءة الفاتحة
فأقاموا تلاوة القرآن مقام الدواء الكوني ولو كان ذلك من حيث أجر القرآن ما قال صلى الله عليه وسلم لهم : اضربوا لي معكم بسهم ، فعلم أن من الأدب للقارئ ان يقرأ القرآن قربة إلى الله تعالى
ويأخذ ما أعطيه على ذلك ابتداء عطاء من الله لا بيعا للتعب في تلاوة القرآن بعرض من الدنيا وقد كثر من بعض الفقهاء بيع أجر التلاوة حتى ربما أعطاهم إنسان دارهم ليقرءوا عنده ليلة الجمعة أو ليلة القدر فيعطيهم شخص آخر بزيادة فلوس فيفسخون على الأول فإن تكدر قالوا له تزيد ونحن نفسخ لك ولو أنهم كانوا يقرءونه بقصد الثواب كما يدعون ما قالوا ذلك ولكن ان قدر على فقيه الوقوع فيما ذكرناه فليستغفر وينوى بذلك تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اخبر في قوله " وسيجئ قوم من أمتي يقرءون القرآن بعوض من الدنيا " أولئك قوم قد خرجت عظمة الله من قلوبهم ، فإذا نوى بهذا الفعل القبيح تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم صار من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا .
وقد وقع للأخ محمد السرسى الضرير أنه قرأ مرة لامرأة على قبر ولدها سورة يس وسورة تبارك وقل هو الله أحد والمعوذتين فأعطته درهما فرده عليها وقال والله قد قرأت لك شيئا يساوى ثلاثة نقرة فلو لا أن الشيخ محمدا هذا ساذج مغفل لقلنا انه لا يعرف للقرآن عظمة ، والله عليم حكيم.

**209 - أخذ علينا العهود ان نقر وقوع المعاصي في الأرض من حيث التقدير الإلهى ونكرهها وننكرها من حيث الكسب عملا بالحقيقة والشريعة في ذلك**

فإن الله تعالى كره المعاصي مع إرادة وقوعها في الكون فكما أن الحق تعالى يريدها ولا يحبها فكذلك يجب علينا ان نقرر وقوعها في الوجود بالقلب دون اللسان تبعا لا إرادة الحق تعالى ونكرهها ولا نرضاها لأنفسنا ولا لغيرنا من حيث الكسب ومن هنا قال الأئمة يجب الرضى بالقضاء لا بالمقضى فعلم بما قررناه أن حقيقة إرادتنا لوقوع المعاصي في الأرض هو التسليم لله والسكوت لا حث الناس على فعلها كما هي حضرة الطاعات حتى لو رأينا جميع حضرات قبضة الشقاء قد تعطل لا يجوز لنا أن نحث الناس على استعمالها .

واعلم أيضا بالمعاصي من حيث الكسب أخطأ وصارت معصيتين ومن سخط على الله من حيث التقدير أخطأ وصارت معصيتين ومن سخط على الله من حيث الكسب ورضيها من حيث التقدير أصاب وكانت طاعتين

ومن طلب رفع المعاصي من الوجود فهو جاهل بما تطلبه حضرات الأسماء الإلهية فرحيم بمن وغافر لمن وعفو عن من وحليم على من ومذل لمن ومنتقم ممن ونحو ذلك فإن أثر هذه الأسماء في حق من لم يعص لا يليق فلو لا العاصي ما ظهر فضل كمال ذلك وحلمه على عباده ،

<u>وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول :</u>
إنما كان التشديد في إزالة المنكرات أوائل الاسلام حين كان الدين آخذا في الكمال وأما اليوم فما بقي إلا مطلق الوجوب من غير تشديد لأن الدين على أواخر مراتبه في النقص فقال له شخص يا سيدي ينبغي القول بالعكس الآن امساكا لوج الدين فيكون

المطلوب الآن التشديد وهيهات أن يرتدع الناس ، فقال الشيخ حفظت أشياء وغابت عنك أشياء وذلك ان التشديد لا يحمله الأقرب كالصحابة والتابعين فلو كلفنا الناس الآن بها كلف به سلفهم كان ذلك من أشد التكليف عليهم وكانت الشريعة عذابا عليهم
وموضع الرخص في كل عصر إنما هم للضعفاء الآن وحكم غالب الخلق الآن حكم قريب العهد بالإسلام فتأليفهم واجب فقال له الشخص هل لك في ذلك دليل من السنة ؟ فقال نعم قوله صلى الله عليه وسلم لحذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم وخفت أماناتهم واتبعوا أهواءهم وآثروا دنياهم على آخرتهم وأعجب كل ذي رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العامة . اهـ

فقوله صلى الله عليه وسلم ودع عنك أمر العامة أمر لنا بالسكوت عند وقوع هذه الصفات من الخلق وقد وقعت كلها كما هو مشاهد وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال فمن سكت الآن على ما يراه من العامة كان بإذن من الشارع بل امتثال ذلك أولى لأن قوله ودع كان كالناسخ لوجوب الأمر السابق منه بتغيير المنكرات وفيه الحجة بإقامة عذر للآمرين والمأمورين لأنه في زمن ظهور علامات الساعة . اهـ .

**210 - أخذ علينا العهود ان نعمل بالآداب المنقولة عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين**
وان لم نعرف لها مستندا أو نرى ذلك مقدما على قول العالم من علمائنا وهذا العهد قل من يعمل به من المتقلدين فنقول له هذا ورد عن الامام على فيقول أفتى فلان بخلافه ولا يلتفت بقول الإمام على مثلا وما هكذا كان الأئمة المجتهدين رضى الله عنهم.

وقد نقل ابن الصلاح في علوم الحديث عن الامام الشافعي رضى الله عنه أنه قال في رسالته القديمة بعد أن أثنى على الصحابة بما هم أهله من الفضل والصحابة فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل وأمر استدرك به واستنبط به ذا رأى لنا احمد وأولى من رأينا عندنا لأنفسنا . اهـ

فانظر يا اخى هذه الأوصاف من هذا الإمام بل نقل عنه رضى الله عنه أنه لما زار قبر الإمام أبي حنيفة رضى الله عنه أدركته صلاة الصبح فترك القنوت وقال كيف نكون في مكان الرجل ونخالف اجتهاده فرضى الله عن أهل الإنصاف

ثم أقل أحوالنا أن نجعل كلام السلف وكلام المتقدمين لأئمة المذاهب الذين نعمل بفتاويهم لنا في الحلال والحرام ولا نعرف لهم مستندا وقد جاء عن أهل البيت آداب كثيرة لم يجد العلماء لها مستندا وقد تتبعت غالبها وذكرت بعضه في العهود الكبرى وأكثر من يفعل هذه الآداب العجائز وكثيرا ما كنت أسمع أمي رحمها الله تعالى تقول : لا تزوروا المريض يوم السبت ولا تتخطوا غسالة الثياب ولا تدوسوا على نجارة برى الأقلام ولا تغزلوا ولا تخيطوا يوم الجمعة ولا تقصوا الأظفار يوم السبت ولا يوم الأحد ولا تغسلوا الثياب يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس أو الجمعة ولا تتزوقوا لرجالكم ولا تفصلوا قميصا ولا غيره يوم الاثنين ولا تشربوا في كوز البلور ، فقلت لها من أين عرفت ذلك ؟ فقالت علمته لي أمي وقالت إنها تعلمت ذلك من أمها فلما كبرت وتتبعت آثار الصحابة وأهل البيت رضى الله عنهم وجدتها مسندة فأما منع الزيارة يوم السبت فهي عن الإمام على رضى الله عنه وأما عدم تخطى غسالة الثياب فعن فاطمة رضى الله عنها وأما عدم الدوس على براية الأقلام فعن ابن عباس رضى الله عنهما وأما

عدم الغزل والخياطة يوم الجمعة فعن عائشة رضى الله عنها وأما عدم قص الظفر في اليومين السبت والأحد فعن على أيضا رضى الله عنه وأما عدم غسل الثياب في الأيام المذكورة فعن فاطمة أيضا رضى الله عنها فقد رأت قوما يغسلون ثيابهم يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فكرهت ذلك وقالت تشتغلون بنظافة ثيابكم يوم مات نبيكم ويقال إنها دعت عليهم فشاورتها امرأة أن تغسل قميض زوجها يوم الثلاثا فقالت حتى تمضى الجمعة فمن محبة أهل البيت ان نكره ما كرهوا وأما عدم الشرب في الكوز البلور فنقل البيهقي أنهم لما عطش الحسين رضى الله عنه أيام الحصاد كانوا يملئون له كوزا من البلور ويرينه له رضى الله عنه فيقول لهم لأجل جدى اسقونى شربة من ماء فيرجعون بالكوز ولا يسقونه فالأعمال في مثل ذلك بالنيات . انتهى .

**211 - أخذ علينا العهود ان لا نمكن أحدا من اللغط ورفع الصوت عند تلاوة القرآن أو قراءة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم**

ومن قرأ سورة الحجرات كفته في الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث أيضا عند بنى لا ينبغي التنازع ومعلوم ان لقارئ كلامه صلى الله عليه وسلم بعد موته من الحرمة ما لرسول صلى الله عليه وسلم أيام حياته بل أشد لأنه ربما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لمن قل أدبه عند سماع حديثه لو كان حيّا بخلاف قارئ حديثه صلى الله عليه وسلم فاسمع يا اخى ولا تجادل قط في فهم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم واعمل على حلاوة مرآة قلبك ليصح تلك دخول حضرته صلى الله عليه وسلم وتفهم كلامه فان من كان خارج حضرته فهو في حضرة إبليس ، والسلام .

**212 - أخذ علينا العهود ان نحفظ حرمة أصحاب المنافع العامة ونقوم لهم إذا**

**وردوا علينا وعلى الناس كما هو مشاهد**
وذلك كالمعداوى والإسكافى والفران والطحان والتراس والطباخ والجزار والزيات والنجار والحداد والحراث والحصّاد ونحوهم ، وسمعت شيخنا رضى الله عنه يقول : أكرم الله تعالى السوقة وأرباب الصنائع بأربع خصال قل ان توجد في فقيه فضلا عن غيره :
الأول أنهم يأكلون من كسب يمينهم ويطعمون الظالم والمسكين والفقير من فاضل كسبهم ولا يأكلون من أوساخ الناس ، الثاني انهم لا يشهدون قط لهم أفعالا تكفر عنهم قبيح زلاتهم ولا يقولون انها قط كفرت بالشئ الفلاني .
الثالث تعظيمهم للعلماء والصالحين وتغميضهم عن عيوب الناس ، الرابع حمايتهم عن الدعاوى بالعلوم الظنية والحجج الوهمية والاعتقاد الفلسفية وغير ذلك .

**213 - أخذ علينا العهود ان نعفو ونصفح عن جميع هذه الأمة المحمدية**
ولو فعلوا معنا ما فعلوا من الأذى إكراما لمن هم عبيده تبارك وتعالى ولمن هم من أمته صلى الله عليه وسلم .
وفي المثل الساير لعين تجازى ألف عين وتكرم .
فمن اخذ من أمة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عرف قدر عظمة الله عز وجل ولا عرف قدر رتبته صلى الله عليه وسلم

وكان الإمام الشافعي رضى الله عنه يقول :
**من نال منى أو علقت بذمته * أبرأته لله شاكر منته**
**أأرى معوق مؤمنا يوم الجزا * أو أن أسوء محمدا في أمته**

وإياك يا اخى ان تؤاخذ أحدا من هذه الأمة وتنفذ غضبك فيه لحظ نفسك دون مصلحة ذلك الشخص وإياك ان تنقصه إذا نقصك وتمزق عرضه كما مزق عرضك أو تسعى على اخراجه من بيته أو خلوته كما أخرجك تسقط من عين القرب وتلحق بالبهائم ،

وسمعت سيدي عليّا الخواص رحمه الله تعالى يقول :
إياك ان تؤذى من آذاك وتقول وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها الا على سبيل التلاوة فقط لا العمل بها
فإن الله تعالى قد عرض لك العفو والإصلاح عقبها وقالفَمَنْ عَفا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَوقد أخبرنا بحمد الله ان نكون من أهل العفو والصفح والإصلاح ومن تحقق بهذا العهد رجونا من الله عز وجل ان لا يطالب أحد من عباد الله بحق في الدارين لا في مال ولا عرض كما فعل مع عباد الله والله يحب المحسنين ، ومحك التحقيق ان لا تشكو من آذاك لأحد من الناس ولا تعتب عليه ثم تأمل يا اخى قوله تعالى في سيئة المجازات سيئة مثلها كيف سماها سيئة وأكدها بمثلها تنفيرا عن المجازات فأقم العذر لكل من آذاك من جميع الخلق لأنه لا يخلو إما أن يكون ذا علم أو ذا جهل ، فإن كان ذا علم فقد استند في ذلك الامر الذي إذا أنابه إلى علمه واجتهاده وأنه رأى المصلحة في ذلك وان كان ذا جهل فنعذره ونعرض عنه بقوله تعالى :
وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ واحذر ان تكره من آذاك من آحاد الأمة فضلا عن الشرفاء والعلماء والأنصار أو تؤذى أحدا من الأشراف بشكاية من بيوت الحكام فإن ذلك من علامات الشقاء نسأل الله العافية ، فمن آذى شريفا فكأنه آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كفر شريفا فكأنه كفر عضوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير

تعيين فينسحب الحال على بعض ذاته الشريفة كلها ، وقد أخبرني السيد الشريف بزاوية الخطاب رحمه الله تعالى قال ضرب كاشف البحيرة شريفا فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة في منامه وهو يعرض عنه فقال يا رسول الله ما ذنبي ؟ قال تضربني وأنا شفيعك يوم القيامة ؟

فقال يا رسول الله ما أتذكر أنى ضربتك ، فقال أما ضربت ولدى ؟

فقال نعم ، فقال ما وقعت ضربتك إلا على ذراعي هذا ثم أخرج صلى الله عليه وسلم ذراعه متورما كخلاية النحل نسأل الله العافية ، ثم اعلم يا اخى انه لا يتم لمن يحب الدنيا عدم كراهة الناس أبدا لأنه لا بد له من أحد يزاحمه في امر من الأمور الدنيوية أو المخلوطة بأعمال الآخرة وكل من أراد ينزع ما بيدك من المحبوبات للنفوس تكره ضرورة إلا أن تبلغ مبالغ الرجال الذين زهدوا في المراتب اختيارا منهم لما رأوا من راحة قلوبهم وهذا الأمر قل من يتخلص منه من مشايخ زماننا وعلمائنا ووعاظنا فضلا عن غيرهم وقد شاهدت شخصين في حارة واحدة بينهما شحنا فعجزت في الصلح بينهما وما هكذا كان السلف الصالح رضى الله عنهم أجمعين وإلى هذا الذي ذكرناه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم " وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس " فمن ادعى أنه زهد فيما في أيدي الناس ووجدنا له مبغضا من المسلمين كذبناه وقلنا له يا اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق منك ، فعلم أن أعداء الناس تكثر بكثرة محبته للدنيا ويقل بقلة محبته لها ويعدم بالكلية بعدم محبتها فلا يكره الزاهد في الدنيا الا مجرم أو منافق ولا عبرة بكراهة هؤلاء والله أعلم .

**214 - أخذ علينا العهود ان نعلم من كان وزانا أو مباشرا أن لا يركن لكونه**

**مخلصا من تبعات الناس ولو بالغ في الاحتياط إلى الغاية**
فان الله ربما أقام عليه ميزان التدقيق فأهلكه كما حكى عن بعض المتورعين انه كان يبالغ في ترجيح الميزان إذا باع وينفض الكيل من الغبار إذا كال فأحصى الله عليه أمورا غفل فيها في بعض الأوقات فلو كان فوض أمره إلى الله وسأله ان يعفو عنه لعفى عنه وسامحه إن شاء الله تعالى فإنه تعالى لا يخذل من استند اليه واعترف بخطاياه ، فاعلم ذلك .

**215 - أخذ علينا العهود ان نكره العصاة لله كما نحب أهل الطاعة لله**
عملا بقوله صلى الله عليه وسلم " الحب في الله والبغض في الله من أوثق عرى الإيمان "
ومحك الصدق في ذلك يا اخى ان لا تزداد بغضا على ذلك العاصي الذي يشرب الخمر مثلا أو يزنى أو يظلم الناس بإيذائه لك وتنقيصه لعرضك ولا يتضح لك ذلك إلا أن تعرف يا اخى ميزان بغضك له لله قبل إيذائك وانظر بعد أذاه لك فإن زاد بغضك له بعد الأذى فليس بغضك لله انما ذاك حظ نفس وإن لم يزدد بالأذى فهو لله عز وجل وهذا ميزان تطيش على الذر ولا يزن بها العارفون الغواصون على دسائس النفوس .
ومن وصية أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى إذا بغضت أحدا فلا تبغض إلا صفاته لا ذاته لأن ذاتك وذاته واحدة من حيث الطينة .
وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم في الثوم أنها شجرة أكره ريحها وما قال أكرهها .
انتهى .
فعلم أن عداوتنا لإبليس وأتباعه من الكفار والعصاة إنما هو بعد عن صفاتهم حتى لا نتبعهم على أخلاقهم لا غير ومن حقق النظر في نفسه.

وشهد ما هي منطوية عليه من المعاصي استحى أن يشهد نفسه برياء العيوب حتى يبغض لله فإنه لا يبغض في العادة لله إلا من كان على طاعة لا يعصى الله تعالى إلا في نحو عمره مرة أو في السنة مرة وأما الذي يعصى كل يوم أو كل ساعة كأمثالنا فمن الأدب له ان لا يشتغل ببغض أحد ونجاة نفسك أولى ، ومحك صدق من يبغض الصفات لا الذات أن لا يكون يتكدر عند رؤية ذلك الشخص حين تركه للمعاصي فإنه ليس إذ ذاك صفات قبيحة يبغض لأجلها ومتى تكدر من رؤيته وهو يصلى أو يقرأ أو يذكر فإن ذلك من أقوى علامات بغضه لغير الله لأنه إذ ذاك في طاعة الله فكيف يبغض فافهم .

**216 - أخذ علينا العهود ان نجيب عن إخواننا في غيبتهم ونحمل أحوالهم على أكمل الأحوال**

ولو لم يكن من رتبتهم الوصول إلى ذلك المشهد الذي حملنا حالهم عليه ولا نمكن أحدا من الطعن فيهم إلا بعد سبعين محملا فإذا عرضنا السبعين محملا على حالهم ولم نقبل محملا منها رجعنا على أنفسنا باللوم وقلنا لها يحتمل فعل أخيك سبعين محملا ولا تحمليه على واحد منها ما ذلك إلا خبث طويتك وسوء اعتقادك فلا يجوز لنا الطعن في المسلمين ما وجدنا لأفعالهم محملا فإذا سمعنا أحدا يقول عن شخص من العلماء أو الفقراء فلان كبير النفس .

ومن علامة ذلك أنه لا يجيب قط أحدا أو نحو ذلك جوابا عنه انما يمتنع من ذلك ازدراء بنفسه أو لشدة حيائه من حصول المحافل التي تجتمع فيها وجوه الناس فربما خاف ان تبدو له عورة في ذلك المجلس وكشف العورة حرام والواجب لا يبيح لنا كشف العورة فضلا عن غير الواجب

بقرينة إسقاط وجوب الحضور إلى وليمة العرس إذا كان هناك منكر لا يقدر على إزالته إذا حضر .
وقد أولت بحمد الله وإن كان تأويلا بعيدا قول بعض الطلبة في حق شيخه إنه أعلم من الإمام الشافعي وقول الشيخ نعم الشافعي كالنقطة من بحر علمي ، فقلت إن صح هذا الكلام عن هذين الرجلين فهو صحيح ووجّه ان الشيخ شهد الوجود كله من نعم الله من الملائكة والأنبياء والصحابة والتابعين وكمل العارفين العاملين والملوك والأمراء وجميع المسلمين والمؤمنين لارتباط نظام الوجود بعضه ببعض فلا يصح وجود نعمة إلا بمساعدة جميع الوجود .
فانظر يا اخى إلى الإمام الشافعي رضى الله عنه وقابله بجميع الوجود ممن ذكرنا ومن لم نذكر نجده كنقطة من بحر نعمة الله عز وجل على هذا الداعي ونقطة من بحر علمه الذي اطلع عليه من علوم سائر الادوار من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى وقته الذي قال ذلك فيه لأن أقوالهم إذا اجتمعت صارت أكثر من مائة ألف مجلد فقابلها بأقوال الامام الشافعي التي استنبطها تجدها أكثر ما تكون مجلدا واحدا وبقية كلامه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والتابعين والامام الشافعي لم يختص بعلم ذلك بل غيره مساو له في ذلك .
ويؤيد ما ذكرناه ما حكى عن الشيخ أبى الحسن الشاذلي رضى الله عنه أنه قال لا يكمل العبد في مقام الشكر حتى لا يرى فوق نعمته فقال له شخص كيف هذا ومعلوم ان نعمة السلطان أعلى بيقين فقال الشيخ نفس السلطان من جملة

نعم الله على ذلك العبد وجميع الوجود كله كذلك من نعم الله على ذلك العبد والحمد لله رب العالمين .

**217 - أخذ علينا العهود ان لا نسىء الظن بأحد من المسلمين**
بل الواجب علينا تحسين الظن فيهم ما أمكن على قدر ما فينا من الصفاء واعلم يا اخى ان الحق تعالى لا يسأل عبدا في الآخرة قط لم حسنت ظنك بعبادي ابدا وانما يكون السؤال من سوء الظن ، ولا نصل يا اخى إلى مقام حسن الظن بجميع الناس الا ان طهرت باطنك من جميع النقائص والرذائل وما دام الباطن لم يتطهر فسوء الظن من لازمك لأنك لا تقيس الناس دائما الا على ما في نفسك .
وفي الحديث " المؤمن مرآة المؤمن " وتأمل العنين الخلقي لما نزع الله تعالى منه ذوق لذة الجماع إذا رأى رجلا أجنبيا خارجا من عند أجنبية لا يحمله قط على الزنا بها لأن باطنه لا يتعقل ذلك بخلاف من له شهوة الجماع يحمله على الزنا بتلك الأجنبية ضرورة قياسا على نفسه لو خلى بها فكل من أحسن الظن بالناس أو أساء الظن بهم فهو صورة باطنه فيعلم مقامه من كلامه .
فعلم أن من سوء الظن بالناس قولك لولا انى أخاف ان فلانا يسئ الظن بي إذا فعلت كذا لفعلته فإنك أسات الظن به وجعلته من الذين يسوءوا الطن بالناس وكذلك من سوء الظن حملك لمن لا يزورك ولا يعودك إذا مرضت ولا يتردد إليك أنه إنما فعل ذلك تكبرا عليك بل الواجب ان تحمله على أنه قصد بذلك عدم حصول المنة عيك في تردده إليك وان وجدت أنت

في نفسك خلاف ذلك ، وفي الحديث " الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلفت وما تناكر منها اختلف " وذلك ان أرواح الذرات عند اخذ الميثاق كانت على اقسام فمنها ما هو وجه لوجه فهذان لا يتباغضان ابدا ومنها ما كان وجها لظهر فصاحب الوجه يحب وصاحب الظهر لا يلتفت وهذا يقع كثيرا للعاشقين .
ومنها ما كان جنبا لجنب أو وجها لوجه أو ظهرا لظهر مع الازورار فيتحابان أو يتباغضان سامته بعضهم لبعض فتأمل ذلك فإنه نافع يقيم به الأعذار للناس .

ثم لا يخفى عليك يا اخى أن عتبك على من لا يزورك انما هو لرؤية نفسك عليه فأنت أولى بالذم ولو رأيت نفسك دونه ما طلبت ذلك منه ثم إن كان اجتماعه بك خيرا فهو الذي تركه من ذات نفسه وان كان شرّا فقد استراح منك وان كان لا خيرا ولا شرّا فلأمر سهل لا يحتاج إلى غيظ ويجب على كل مسلم أن يحتقر نفسه عن استحقاق مشى الناس إليه ويقول لها ومن أنت حتى يمشى الناس إليك وأي فضيلة عندك تستحقين بها ذلك ويجب عليه أيضا أن يفرح بعدم مشى الناس إليه لأنهم عتقوه من المنة وكلفة المكافأة فإن الفقير الصادق أثقل ما عليه في مكافأة الناس شهوده أن مشيه إلى بيت واحد ألف مرة لا يساوى مشى ذلك الأحد إليه مرة واحدة . انتهى .

وكذلك من سوء الظن حملك لمن ينقصك في المجالس كلما ذكر اسمك على أنه قصد بذلك سترك في هذا الزمان شفقة عليك فإن الظهور يقطع الظهور قال تعالى : يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ

الظَّنِّ إِثْمٌفتحمله على أحسن المحامل وان لم يقصد هو ذلك ثم تنكر عليه انتهاكه لأعراض المسلمين ومن أحسن المحامل ان تحمله على أنه قصد بذلك سد باب نظر الناس إلى صلاحك وكمالك أو سد باب العجب والزهو عنك لأن العبد ربما استحسن حاله عند الناس له فيهلك .

وكان هذا التنقيص دأب أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى كان ينقص كل من ذكر من إخوانه بخير في المحافل خوفا عليهم من الإعجاب بأحوالهم فقلت له قد يكون أحدهم قد حماه الله من شهود العجب فيكون ذكر فضائله أكثر لتتأدب به الناس فقال مذهبي شهود الضعف في أحوالي وأحوال إخواني والسلامة مقدمة على الغنيمة والأعمال بالنيات ، وكذلك من سوء الظن تصديقك لمن قال لك فلان اغتابك وانما الواجب عليك تكذيبه ثم يقول له فلأن أجل من أن يستغيب الناس أو يقع في أعراضهم لا سيما ان كان ذلك الرجل مشهورا بالعلم والصلاح ، وقد حكى لي الأخ الصالح للشيخ كريم الدين خليفة الشيخ دمرداش نفع الله به المسلمين ان شخصا مشهورا بالعلم قال له الشيخ : فلان يقول لك ما شروط الخلوة ؟
قال فألهمني الله تعالى ان أقول له إني أجل الشيخ عن الجهل بها وإذا لم يجهلها فما بقي الا الامتحان وانا اجله عن مثل ذلك أيضا ولكن انا أمضى اليه وأتفهم الحكاية فخزى ذلك الشخص وقبل رجله واعترف بكذبه على ذلك الشيخ
وأنه اخترع ذلك من نفسه وافتراه على الشيخ لأنه ما كان يظن أن الشيخ كريم الدين يذهب إلى ذلك الشيخ يتفهم منه الحكاية فاعلم ذلك وإياك ان تصدق أحدا في أحد تهلك ويكثر عندك الحقد وبغض المسلمين

وكل من حاك بنميمة خذه واذهب به إلى من نقل عنه وقل له هذا قال لي عنك كذا وكذا هو صحيح أم لا فإنه لا يعود ينقل إليك نميمة أبدا والله يتولى هداك .

وكذلك من سوء الظن حملك الفقير إذا دخل عليه عالم فلم يقم له أو لم يبش في وجهه أنه فعل ذلك تكبرا على العالم حاشى الفقراء من ذلك وإنما ينبغي حمله على ظنه الكمال في ذلك العالم وأنه لا يتغير لفقد القيام له أو البشاشة عملا بقوله صلى الله عليه وسلم " من أحب ان يتمثل له الناس قياما فليتبوء مقعده من النار . "

وكثيرا ما يترك الفقراء تعظيم الأكابر رفعا لمقامهم عن أن يتغيروا لفقد حظوظ نفوسهم قياسا على حال الفقراء في عدم التشويش من ذلك .

وكذلك من سوء الظن حملك لمن رأيته مارا في السوق والناس محرمون لصلاة الجمعة من أنه متساهل في دينه إنما الواجب عليك حمله على عذر شرعي أسقط عنه الحضور ، وكذلك من سوء الظن أيضا قولك لولا أنى أخاف ان تكبر نفس فلان إذا تواضعت له لتواضعت وذلك من تلبيسات النفس . انتهى .

فأعط يا اخى أخاك حقه من التواضع وخفض الجناح وخلص نفسك أولا فإذا خلصت فخذ بيد أخيك واسأل الله تعالى بظهر الغيب أن لا يحرك صفة الكبر في نفسه بسبب تواضع الناس له بل لو تأملت لوجدت قولك هذا في غاية الكبر لأنك أثبت لنفسك مقاما أعلى من مقام أخيك ثم تنزلت له منه ولولا شهودك ذلك ما صح لك لفظ التواضع.

والتنزل وهذا تواضع غالب الناس اليوم وأما تواضع العارفين فهو شهودهم على الدوام أنهم دون الخلق أجمعين كما مر في أول العهود فليس لهم مقام أعلى يتنزلون منه للناس أبدا فاعلم ذلك وإياك أن تشهد نفسك في حال تواضعك أنك أحسن حالا من المتكبرين فإنك تكون أسوء حالا منهم إلا أن يكون ذلك الشهود على وجه الشكر لله والاعتراف بنعمة الله ، والله عليم حكيم .

**218 - أخذ علينا العهود ان لا نتكبر على من استكبر علينا ولا نتمشيخ على من تمشيخ علينا فنكون أسوء حالا منه كما مر في العهود قبله .**
وكان من آخر وصية أحمد بن الرفاعي لأصحابه في مرض موته من تمشيخ عليكم فتتلمذوا له فإن مد لكم يده لتقبلوها فقبلوا رجله وكونوا آلآخر شعرة في الذنب فإن الضربة أول ما تقع في الرأس . انتهى .

وهذا العهد يتأكد فعله مع الفقراء الذين صحبوا المشايخ كثيرا حتى طعنوا في السن ولم يفتح على أحد منهم في الطريق فإنهم يزدرون الشباب الذين فتح عليهم قياسا على حالهم فمن أراد أن يصطادهم للهداية فليكرمهم ويبجلهم ويسارقهم شيئا فشيئا حتى يتبين لهم الحق إن شاء الله تعالى .

وكذلك يتأكد فعل هذا العهد مع الفقيه المجادل المتعلم العلم لغير العمل فمن أراد من الفقراء هدايته فليقم له إذا ورد عليه ويفسح له في المجالس ويحسن إليه ما استسطاع وإلا فلا طريق إلى هدايته لا سيما وعلم غالب المجادلين في نفوسهم لا في قلوبهم والنفس محل الظلمة والتلبيس فلو لم نتواضع للمجادل فر من صحبتنا وفاتنا وفاته الخير لأنه إذا لم ير من

أحد تعظيما له قامت نفسه كالترس المانع لوصول الخير إليه وكان من سياسة سيدي أفضل الدين أنه يربى كل من رأى نفسه قائمة من الفقراء والفقهاء بتعليمه الآداب في صورة الاستفهام منه ثم يعطف عليه بالجواب كأنه يعرض عليه هل ترضاه أم لا فيظن الحاضرون أنه يتعلم من ذلك الشخص والحال أن ذلك الشخص هو المتعلم من حيث لا يشعر بنفسه انه متعلم وهذا هو دأبى الآن مع إخواني والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، فاعلم ذلك .

**219 - أخذ علينا العهود أن نرى نفوسنا أحق بما عندنا من المال والثياب وجميع الأمتعة من محاويج المسلمين**

بل نرى الحق في ذلك مشتركا ثم نقدم كل من رأيناه أحوج من أنفسنا أو غيرنا كل ذلك عملا بقوله صلى الله عليه وسلم " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه " أي لا يؤمن الإيمان الكامل ، واعلم يا اخى ان الايمان انما شرع للعبد ما دام يوق شح نفسه فإذا وقى شحها فالبداة لنفسه أولى وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك ، كما سيأتي بسطه في عهد الإيثار ان شاء الله تعالى مع أن إيثار العبد على نفسه لا يطيق العبد الدوام به وفي كلام سيدي أحمد بن الرفاعي رضى الله عنه لا تصحب من يؤثرك على نفسه انه لا يدوم ، والله أعلم .

**220 - أخذ علينا العهود ان نخلص الصحبة لله عز وجل في حق من صحبنا**

فإن الصحبة لعلة تزول بزوالها ومن العلل صحبتنا الإنسان بقصد حصول الثواب في الآخرة أو ان يأخذ بيدنا هناك .

وكذلك من العلل صحبتنا له بقصد انتفاعنا بعلمه أو انتفاعه بعلمنا بل

يقصد وجه الله تعالى بالصحبة ونجعل غير ذلك من سائر العلل بحكم التبع لا بالقصد الأول مع أن في قصدنا لصاحبنا .
الانتفاع بعلمنا رائحة دعوى المقام عليه في الصورة وان كان كل فقير يرى نفسه دون تلميذه في نفس الأمر فاعلم ذلك .

**221 - أخذ علينا العهود أن لا نزهد في الدنيا النعيم لترك الدنيا وخلو اليد وراحة البدن كما تفعل العباد الذين لم يسلكوا طريق العارفين**
فخرج من لذة إلى ألذ منها أو مثلها فإنه لولا اللذة التي يجدها الزاهد حين يزهد في الدنيا ما زهدنا فيها فكان هذا ما برح عن حظ نفسه وحجابه عن ربه ويؤيد ما ذكرنا قول بعض الزهاد لو يعلم الملوك ما نحن فيه من النعيم وراحة القلب لقاتلونا عليه بالسيوف إذا علمت ذلك فازهد في الدنيا كزهد العارفين وهو أن تعلق قلبك بمحبة ربك وحده وتمسك الدنيا بحذافيرها لا تترك منه شيئا وتتصرف فيها تصرف حكيم عليم وتستعمل كل شئ فيما خلق له وإيضاح ذلك ان الحق تعالى قد امتن علينا بأنه سخر لنا ما في السماوات وما في الأرض ولولا حاجتنا إلى كل شئ فيهما ما صح وجه الامتنان فافهم واعمل على ما قررته لك من الزهد تكن من الراسخين في العلم ودع عنك قول من يقول بذم الدنيا على الإطلاق فإنه جاهل بما قلناه فإن الذم ما دخل إلا من النية فلو نوى العبد بإمساك الدنيا كانت محمودة بالإجماع ثم إنا نقول أنه لا يصح لعبد قط الاستغناء عن الدنيا كما يتوهم أقل ما هناك ما يأكل وما يشرب وما يلبس وما ينكح فإن ذلك من الدنيا بيقين وكذلك الهوى الذي ينفس فيه من الدنيا ومتى ذم نفسه مات ، لحديث قالوا يا رسول الله ما الزهد

في الدنيا ؟
قال هو قوة يقين العبد في ربه ،
وأنشد سيدي علي بن وفا رضى الله عنه في الزهد يقول :
**ترحل عن مقام الزهد قبلي * فأنت الحق وحدك في شهود**
**أأزهد في سواك وليس غير * أراه سواك يا سر الوجود**

فإن طلبت يا اخى العمل بزهد العارفين فاعمل على خروج محبة الدنيا من قلبك بإشارة شيخ كامل حتى تخرج في محبة الطبع التي فتحت عينك عليها بالدنيا ثم بعد ذلك امسك الدنيا بحذافيرها وتصرف فيها كلها بالحكمة
وكان شيخنا رضى الله عنه يقول بيت الفتنة بالدنيا أربعة أمور :
**النساء والجاه والمال والولد** ، والكامل لا يهرب من شئ منها بل يحب ذلك بتحبب الله عز وجل ، ويغلب حكم محبة الطبع لله عز وجل ، فأما محبة النساء فطريقك يا اخى ان تحبهن بتحبيب الله لكونهن بعضك فإنهن خلقن منك فإذا أحببتهن فكأنك ما أحببت إلا نفسك . وفي الحديث " ابدا بنفسك " لا سيما محل الانفعال والتكوين في توالد جميع من في الوجود من الناس وما ظهر عظمة من الحق تعالى رأت حضرات أسمائه وأحكامه إلا بذلك فمن أحب النساء بهذه الصفات فقد أحبهن لله لا لنفسه وكانت محبته لهن نعمة من الله تعالى عليه لا محبة لأنهن رددنه إلى الله عز وجل والى محبته فرجع حبهن إلى حب الحق لكونهن مظهر الظهور كمال الحق تعالى في الوجود وإلى ذلك الإشارة لقوله صلى الله عليه وسلم حبب إلىّ من دنياكم النساء فافهم.

وأما محبة الجاه الذي هو الرياسة على بنى الجنس فلا تزول قط من بني آدم فإنها من أصل النشأة والجبلة كالشح والبخل والجبن ونحو ذلك وإنما الكامل من رجال الله تحفه المعونة من الله عز وجل فتتعطل تلك الصفة عن الاستعمال في غير محله ويقلب حب الرياسة بالنية الصالحة ويصير بحبها لله عز وجل من حيث أنها صفة من صفات الحق تعالى إذا الحق تعالى هو الحقيق بالرياسة على سائر العالم دون العبيد ومحك الصدق في ذلك ان يحب صفة الرياسة إذا ظهر بها غيره كما أحبها إذا ظهر هو بها على حد سواء ومتى ترجح عنده محبة ظهوره هو لم يذق الصدق في ذلك ، فعلم مما قررناه ان حب الرياسة لا يصح خروجه بالكلية وأما قول من قال آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة فليس المراد به ما يتبادر إلى الأذهان من أنها تخرج بالكلية وإنما المراد انهم يخرجون عن حب إضافتها إلى أنفسهم ويحبونها من حيث كونها صفة لله تعالى وسبب تأخر خروجها من رؤوس الصديقين عن بقية الصفات المذمومة كون النفس كثيرة التعشق إليها فلا يزال الحق تعالى يخرج الصفات المذمومة من نفس من اعتنى به من عبيده شيئا فشيئا إلى أن يصير يراها لغيره دون نفسه فليتبرأ عنها لله بل تبرأ عن نفسه فضلا عن صفاتها فإذا تكامل ذلك الخروج وعلم من نفسه ما لم يكن يعلمه قبل من دعوى الخروج وعلم من نفسه ما لم يكن يعلمه قبل من دعوى الأوصاف أحب الرياسة حينئذ لكونها من أوصاف ربه لا فخرا ورياسة على الخلق وما رأينا أحدا لبس ثياب غيره بحضرة جماعة فتكبر عندهم فافهم ، وأما محبة المال فيقلبها العارف كذلك عن محبة الطبع إلى محبة الله

عز وجل فيحب المال بتحبب الله ذلك له مشاهدة من حيث أنه ملك الله عز وجل لا بحكم الطبع وشح النفس وذلك لأن العارفين لما رأوا المال يمال إليه بالطبع ولذلك سمى مالا طلبوا وجها إلاهيا يحبون المال به لكون مرتبتهم تعطى انهم لا يحبون قط شيئا إلا إن جمعهم على الحق تبارك وتعالى ولا بد لهم من جمع المال كما قلنا في الرياسة من حيث أن ذلك مذكور من أصل الحيلة فنظروا في نحو قوله عز وجلوَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناًفرأوه ما ذكر إلا أصحاب الجدة والمال فأحبوا المال محبة ثانية ليكونوا من أهل هذا الخطاب لا غير فيتلذذون بسماعه حيث وجد معهم المال ومنهم من نظر أيضا في قوله صلى الله عليه وسلم " إن الصدقة تقع بيد الرحمن " فأحبوا ذلك الحال حتى يفتشوا ويتشرفوا بمناولتهم الصدقة للحق تعالى بعين الإيمان ويعاينوا شدة القرب من الحق المكنى عنها بيد الرحمن فافهم ، فحصل للعارفين بهذا النظر شرفان شرف توجيه الخطاب إليهم من الله بقوله وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وشرف مناولة الحق تعالى منهم ، فكانت لهم وصلة الخطاب والمناولة وليس هذان الشرفان لأحد من الفقراء لأنهم وكانوا يتناولون من الحق ما أخذه من يد المتصدق فلا شرف فيه فإن الفقير حينئذ يشاهد لكونه آخذا لا معطيا ولا شرف في ذلك في العادة بل هو إلى الذل والمسكنة أقرب فلأجل ما قررناه بادر .
الكمل من العارفين إلى عمل الصنائع والحرف وتحصيل الأموال بقصد الإنفاق في وجوه الخير حتى إن أحدهم يود أن لا يبطل من الصدقة عن الفقراء لا ليلا ولا نهارا وأكبوا على الدنيا كل الاكباب لأجل ذلك فإياك

وسوء الظن بهم قياسا على حال أبناء الدنيا تخطى طريق الصواب وأما محبة الولد التي هي آكد أركان الفتنة فالعارف كذلك يقبلها بالنية الصالحة إلى محبة الله عز وجل وذلك لأن الولد سر أبيه وألصق الأشياء به والعارف من مرتبته إيثار جناب الحق تعالى على جناب طبعه وهواه فيحب ولده بتجيب الله تعالى ولا يحمله على محبة ولده إلا شهود تحبيب الحق لا غير لكون الولد خلق منها كالنساء سواء فكأنه ما حب إلا نفسه فافهم ، فلو لا الولد ما عمر الوجود ولا أرسلت الرسل ولا أنزلت الكتب فهو يحب كثرة الأولاد لتكثر عبيد سيده ويظهر فضله عليهم لا ليرثه الولد إذا مات

<u>وسمعت سيدي عليّا الخواص رحمه الله تعالى يقول :</u>
من أعظم ما امتحن الله تعالى به عباده الولد لينظر هل يحجب الوالد المحبة لولده عن إقامة الحدود التي قدرها الحق تعالى من غير رأفة أم لا وهل يؤثر رضى الله عز وجل إذا ابتلى ولده بالجذام مثلا أن يكره ذلك لولده كما عليه غالب الأمهات ثم من أعظم الامتحان كون الحق تعالى جعل الولد في صورة خارجة عن الأدب كالأجنبي عنه مع كونه ليس بأجنبي

وقد أشار إلى شدة هذا الامتحان رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله " وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . "
ولذلك جلد عمر رضى الله عنه ابنا له حتى مات ، وجاد ما عز والمرأة بإتلاف نفوسهما حين وقعا في الزنا إيثار لجناب الحق تعالى على جناب أنفسهما ولكن من جاد بإقامة الحد على ولده فهو أعظم من البلاء لكون الولد ثمرة الفؤاد وأين ذلك من عين الثمرة فقد بان لك بهذا التقرير أن كل من راعى

هذه الفتن الأربع ووزنها بهذا الميزان فلا خوف عليه من الدخول في الدنيا ولو أكب عليها ليلا ونهارا لأنه قلب الفتنة والمحبة إلى النعمة ورد الأمور لأهلها وأحبها لأجل ربه لا لهواه وهو مشهد نفيس .
وقد سمعت هاتفا يقول مرة : من كانت محبته للدنيا صالحة أمن من سلب النعم ، فقلت له : ما كيفية صلاحها فقال : أن تكون في يده لا في قلبه لأنه حينئذ لا يشح بها على أحد عكس من كانت في قلبه . انتهى .

فإياك يا اخى ان تظن بأحد من الأولياء الذين دخلوا في الدنيا وحزنوها عندهم وبخلوا بها على السائلين والمساكين ان ذلك محبة في ذاتها قياسا على حالك أنت وإنما ذلك للمعاني التي تقدمت ولكشفهم ان ذلك الأمر الذي طلبه السائل منهم ليس برزق له فاعلم ذلك والله غنى حميد .

**222 - أخذ علينا العهود ان نحضر قلوبنا مع الله عند كل طعام وشراب ونأمر بذلك عيالنا وأولادنا**
ونعلمهم أننا حقيقة على مائدة الحق تعالى وهو ينظر إلينا وإلى قناعة نفوسنا وشراهتها واعترافها بالنعم أو غفلتها عن صاحبها ونحذرهم من الأكل مع الغفلة كالبهائم السارحة وكذلك نأمر نقيب الفقراء ان ينبه الفقراء على ذلك وكذلك الأولاد على تنبيه أبنائهم وخدمهم على ذلك كلما مد السماط حتى يصير ذلك عادة للفقراء وللأطفال والخدم والناس على دين ملكهم فاعلم ذلك

**223 - أخذ علينا العهود ان نحذر حفظة القرآن من إخواننا ان لا يفتحوا على أنفسهم باب الإجابة لأكل طعام العزاء والموالد المنذورة في بيوت الناس**
لأن ذلك يخل بالمروءة والدين وذلك قبيح من حامل القرآن وكيف ينبغي

الأكل من العزاء وأم الميت وزوجته وأبوه وأخوه وأولاده ينظرون كأنهم غمسوا في نار جهنم من فرقهم إلى قدومهم وأانت تأكل بنهمة وشهوة وعين جامدة كالبهائم بقلب فارغ عما هم فيه وأقبح من ذلك قول الفقهاء لا نقرأ حتى يبنوا لنا أيش يعطونا وأقبح من ذلك حناقهم وخصامهم على الفلوس حين يقبضونها ويطلب أحدهم التميز بنصف لزيادة تبعه في الدعاء ونحو ذلك ونأمر إخواننا برفع الهمة عن ذلك كله وأن يقولوا لكل من جاء يطلبهم أن يقرءوا في بيته أو يذكروا الله لأجل أكلهم الطعام الذي طبخه يا

اخى ان كنت خرجت عنه للفقراء فاحمله عندهم ليأكلوه وإن كنت ما خرجت عنه إلا بشرط الحضور .
والقراءة مثلا فالناس سوانا كثير والله أعلم .

**224 - أخذ علينا العهود أن لا نتقرب من الأمراء وأركان الدولة إلا لمصلحة ترجح على العبد منهم .**

وكذلك لا نغربهم إذا طلبوا القرب إلا بهذا الشرط وذلك لأن الغالب عليهم أنهم لا يحبون فقيرا اعتقدوه إلا لمصلحة نفوسهم الدنيوية ولا يطعمونه لقمة أو يكسونه جبة إلا وتحتها كذا كذا بلية وأقل ما هناك أنهم يطلبون من ذلك الفقير رد البلايا والمقدورات النازلة عليهم من سوء أعمالهم مع عوجهم وظلمهم للعباد ليلا ونهارا ويقولون للفقير يا سيدي الشيخ الحملة عليك فيتنحى لذلك ويدخل في الحملة معارضا للأقدار الإلهية فإما يقبل وإما يرجع البلاء عليه عقوبة له ، وإما إذا عزل أحدهم من ولايته وعليه مال السلطان فهي الداهية العظمى على الفقير والجيران

والمعارف لا سيما إن هرب فإنهم يسحبون الفقير ويقولون أين فلان وأين ودائعه التي أودعها عندك ويبهدلونه غاية البهدلة لا سيما إن كان الفقير قبل هديته أو أكل من سماطه فلا يجئ نفع ذلك الأمير ضرورة عليك وعلى أهل بيتك وجيرانك .
وقد جربنا ذلك وسترنا الله عز وجل في وقعة احمد باشا بمصر المحروسة والله اعلم .

**225 - أخذ علينا العهود** ان نقوم لحملة القرآن والعلم ولو صار أحدنا شيخ مشايخ وشيخ السلطان
بحيث صار السلطان ينزل إلى زيارته ونأمر جميع أصحابنا بذلك ولو كره العلماء ذلك فعلينا التعظيم وعليهم الكراهة وهذا العهد يخل بالقيام به غالب المتصوفة المحجوبون عن طريق العارفين فيقولون عن الفقهاء هؤلاء محجوبون ويعدونهم من العوام كما سمعت التصريح بذلك من كثير منهم وغاب عن هؤلاء شهودهم أن الفقهاء محجوبون هو عين الحجاب منهم فإنه ما من طريق من الطرق الإسلامية إلا وهي متصلة بحضرة الحق تبارك وتعالى فساوا باس للعارفين القائمين بحقوق العالم المطلعين على مرابته وما يستحق أهل كل مرتبة الذين يرون نفوسهم دون كل جليس على وجه الأرض رضى الله عنهم .

**226 - أخذ علينا العهود ان لا يحتقر أحدنا شيئا من الفتن ولا يأمن على نفسه ان يقع في كل معصية على وجه الأرض**
فمن احتقر شيئا من الفتن أو أمن على نفسه فهو من الجاهلين وأكثر من يقع في الخيانة وعدم العمل بهذا العهد المدعون للقوة من العباد والمتورعين بآرائهم دون السلوك على يد

شيخ ولو كانوا مالوا إلى الضعف والانكسار لحماهم الله تعالى من الوقوع في كل ما لا ينبغي وكذلك لا نستحقر كيد إبليس ونقول إن كيد الشيطان كان ضعيفا ونحن بحمد الله ليس له طريق إلينا ولا إلى جماعتنا فإن ذلك تهور وجهل بالمراتب فإنه عمل على أبينا آدم وعلى غيره من الأكابر الذين لا نصلح أن نكون تلامذة لهم .
وسمعت شيخنا رضى الله عنه يقول ما سمى كيد الشيطان ضعيفا إلا إذا قاوم الأمر الإلهى فإن الله غالب على أمره فكيف على إبليس وقد استعاذ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم من إبليس مع عصمتهم من العمل بما يلقيه إليهم .
وسمعت بعض أهل الشطح يقول : نحن لا نعرف إبليس ولا نلتفت إليه ومن هو إبليس في الوجود فما معنى إلا يوم حتى فسد جارية فمسكوه وسلموه للوالي فضربه مقارع فصار يقول هذه عمايل إبليس فقال أستغفر الله وكل هذا من مطابقة كلام القوم بإلفهم السقيم وعدم الانقياد لشيخ والله غفور رحيم

**227 - أخذ علينا العهود أن نساوى بين المسلمين في التوقير والاحترام من حيث الإسلام**

فإن الإسلام قد ساوى بينهم إذ هو كالشخص الواحد والمسلمون كأعضائه ثم بعد ذلك التساوي نتنزل كلإنسان منزلته العارضة التي ميزه الشرع بها كما نقدم أهل الشجاعة والمروءة والدين على أهل الجبن والكسل والخمول وكما نقدم الكريم على البخيل والشريف على الذمي والعالم على العامي وهكذا فمن ساوى بين أهل الفضل وبين غيرهم فقد

غش الحكمة وظلمها وفتر همة أهل الفضائل فافهم ، فإذا رأوا تلك المساواة ضعفت دواعيهم إلى التخلق بالفضائل وتأمل يا اخى سياسة الحق تبارك وتعالى لعباده كيف فاضل بينهم وذم قوما ومدح قوما ووعد قوما بالجنة وتوعد قوما بالنار كل ذلك تعليما لعباده ليتخلقوا بهذه السياسة ويعلموا أن الإنسان ولو بلغ في الترقي في درجات القرب للغاية ففيه جزاء يطلب على عمله الثواب فالكامل من ساس الناس بذلك واعلم يا اخى ان طرق انقياد الخلق للعبد وامتثال أمره ثلاثة أمور البر والصلاح والسيف ، فمن طلب سياسة الخلق من غير هذه الطرق أخطأ الطريق وأكثر من يتأثر من تقديم أهل الفضائل عليه إليهم الذي لم يرض نفسه برياضة ولا حل عليه نظر عارف وأما الفقراء الصادقون فيفرحون بتقديم الناس عليهم في سائر المحافل لأن الصادق مائل إلى الستر في هذه الدار ليخلص إلى دار البقاء وأجره وافر لم ينقص منه ذرة والكاذب مائل إلى كشف حاله ، نسأل الله العافية .

ثم إذا تشوش فقير من تقديم أهل المروءة عليه مثلا أمرناه بالأفعال التي يفعلها ذلك الشخص من العجن والخبز والطبخ والمشي في حوائج الفقراء إلى البلاد البعيدة ونحو ذلك فإن فعل هذه الأمور ألحقناه بأهل المروءات وان لم يفعلها تركناه ، وأعلمك يا اخى ميزانا تعرف بها من مروءته من حيث الإيمان ومن مروءته من حيث النفس وهو أنك إذا رأيت من أحد الإقدام على الأهوال والشدائد في دين الله وفي غير دين الله على حد سواء فذلك من قوة النفس لا من قوة الإيمان وإذا رأيت منه الإقدام على الأهوال في دين الله فقط إقامة للدين فاعلم أنه من قوة الإيمان ، والله غفور رحيم.

**228 - أخذ علينا العهود ان لا نمد أبصارنا إلى زينة الدنيا وأحوال أبنائها فيها في ملابسهم ومراكبهم ومأكلهم وبيوتهم ونظامهم**

فإن الدنيا حلوة خضرة وربما ازدرى أحدنا نعمة الله عليه برؤية ما هم فيه من النعم فيعرض تلك النعمة للزوال بل قال لي سيدي على الخواص : إياك والدخول على أكابر العلماء وأكابر الأولياء فقلت لماذا فقال خوفا عليك من ازدراء ما أعطاك الله من العلم والصلاح حين ترى عطاءهم أعظم من عطائك .

وكان الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى يقول الزينة في الدنيا على ثلاثة أقسام : زينة الله وزينة الشيطان وزينة الدنيا ، فزينة الله هو كل محمود شملته النية الصالحة وزينة الشيطان هو كل مذموم لم تشمله نية صالحة وزينة الدنيا ذات وجهبن وجه إلى الإباحة والندب ووجه إلى الكراهة والتحريم فأضف يا اخى كل زينة إلى صاحبها ولا تخلط فان الزينة جاءت بهمة في مواضع من القرآن وفي مواضع معينة مضافة ، قال تعالى :أَ فَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِوقال تعالى :فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْوقال تعالى :كَذلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْوالله أعلم .

**229 - أخذ علينا العهود ان نعتذر لإخواننا المحجوبين إذا وقعنا في شئ يوجب الاعتذار رفقا بهم ورحمة**

لأن ترك الاعتذار يوجب العداوة بل منهم من تعتذر له ولا يقبل ، وخرج بقولنا المحجوبين غيرهم من العارفين فلا يحتاجون إلى الاعتذار لهم لأنهم يحملون الناس على أكمل الأحوال ويخترعون لهم الأجوبة الحسنة ويهضمون نفوسهم على الدوام وإيضاح ذلك أن أصل الاعتذار انما هو سوء الظن إذ المعتذر يظن ولا بمن اعتذر اليه انه

أساء الظن في ذلك الأمر الذي وقع فيه لا بد له منه والا فما كان الأمر يحتاج إلى الاعتذار فالمعتذر يريد باعتذاره جبر النقص الذي توهم حصوله ويطلب به تزكية نفسه عن ذلك النقص الذي ظن أنهم ظنوه فيه والظن أكذب الحديث .
فعلم أن جميع الاعتذارات تزكية للنفس وتهمة للمعتذر اليه فهو مذموم من أصله لكن لما ترتب على تركه العداوة أمر به العبد من باب دفع الأشد بالأخف فلهذا كان الاعتذار بين عارفين لأن كل واحد منهما لا يقع في تزكية نفسه ولا في سوء الظن بأخيه ويشهد قيام الناس له مثلا في محفل يمحق دينه إن كان له وجود فكل من قام له يأخذ من دينه جزءا .
واعلم يا اخى انه يجب على العارف الاعتذار للمؤمن مداواة له وإذا اعتذر المؤمن للعارف فإنما هو لقياسه حاله على حاله وإلا فلو علم رتبة العارف ما اعتذر إليه لأنه لا يحتاج إلى الاعتذار اليه إلا الذي هو في حجاب عن شهود معاصيه ، والله تعالى أعلم .

**230 - أخذ علينا العهود أن نعلن بأعمالنا الصالحة في كل موطن يقتدى بنافيه فربما تشبه أحد بنا فيحصل لنا مثل ثواب عمله ان شاء الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم " من دل على خير فله مثل أجر فاعله . "**
وكان الشيخ أبو مدين المغربي رضى الله عنه يأمر إخوانه بإظهار العبادات والكرامات ويقول أعلنوا بالطاعات كما يتجاهر غيرنا بالمعاصي
ليكون تلك بتلك ويتعادل الوجود لا سيما في مواضع المعاصي فإنهم قالوا كثرة الطاعات في حارة أو بلد يدل على أن نار معاصي أهلها متوقدة حتى

احتاجت إلى طغيها بهذه الطاعات الكثيرة ولو كان أهل تلك البلد أو الحارة على تقوى من الله كفاهم أدنى الطاعات وخمدت لها النار فما احتاج إلى كثرة المكفرات إلا أكثر المخالفات ، فاعلم ذلك فإنه من لباب المعرفة .
فاعمل يا اخى بما ذكرناه وأظهر الطاعات بشرطها ودع عنك قول من يقول أخف الأعمال الصالحة أولى لأن ذلك مبناه على رائحة الاعتماد على العمل وشهود العبد أنه الفاعل لذلك العمل دون الله ولولا ذلك ما خاف على دخول الرياء فيه ولا خاف من عدم قبوله ولو كان يشهد أن الله هو الخالق للفعل وحده لم يصح له الخوف من دخول الرياء في عمله قط إذ أحد لا يراني قط بفعل غيره ولا يعجب ولا يتكبر فانظر بركة التوحيد ففات هذا الذي أخفى اعماله الصالحة بركة هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبركة إظهار شعار دينه وفاته أجر دلالته على الخير ولو أنه كان أظهر الأعمال لحصل له التأسي بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنهم ما أخفوا من أعمالهم إلا ما علموا أنه يشق على أممهم . انتهى .

**231 - أخذ علينا العهود ان لا نبدأ بالصلح من غضب بغير حق لئلا تكبر نفسه بغير حق وتذل نفوسنا في غير حل هذا حكمنا مع إخواننا الخاصين بنا .**
أما الأجانب عنا فنبدأهم بالصلح دائما ونقول لهم ولو كنا مظلومين نحن ظالمون عليكم والرجل هو الذي يبلغ الناس لا الذي يبلغه الناس شعر :تحمل عظيم الذنب ممن تحبه * وان كنت مظلوما فقل انا ظالم

وأنشد عنتر العبسي :
**لا يحمل الحقد من تعلو له الرتب * ولا ينال العلى من طبعه الغضب**

وأنشد أبو زيد الهلالي :
**ومن لا يجاوز عن أمور كثيرة * يموت ولا يبقى من الدهر صاحب**
فاعلم ذلك .

**232 - أخذ علينا العهود ان لا نقبل لأنفسنا هدية ممن نعلم بالقرائن أن تلك الهدية تخطر على باله بعد العطاء على وجه المنة**
وذلك لأن خطورها على باله دليل على تعظيمها عنده وتعظيمها دليل على رائحة البخل وطعام البخيل داء كما ورد ويزيد الداء وينقص بقدر البخل .

وتأمل يا اخى الملوك وأكابر الكرام كحاتم طيئ ومعن بن زائدة وأبى زيد الهلالي وأضرابهما لما ذهب عنهم البخل لم يكن قط يخطر على بالهم شئ أعطوه لأحد لحقارة ما أعطوه في أعينهم وما رأينا قط أحدا أعطى أحدا قشة فصار يذكرها في المحافل ابدا ، وخرج بقولنا لا نقبل لأنفسنا هدية ما لو قبلناها على اسم غيرنا من الفقراء والمحاويج فلا يضر مثلهم الأكل من ذلك ان شاء الله تعالى .

وقد حكى عن الجنيد رحمه الله تعالى انه دعى إلى طعام عند بعض التجار فلما مدوا السماط وقف التاجر على رؤوس الفقراء وقال كلوا بهمة وطيب نفس فإن والله كل لقمة يأكلها الفقير عندي أعز من خمسمائة دينار ،

فقال الجند للفقراء أمسكوا فإن صاحبنا دنىء المروءة يعادل لقمة الفقير بشئ من الدنيا ثم خرجوا ولم يذوقوا الطعام . انتهى . لا تقبل يا اخى هدية إلا من كريم أو صالح أو سلطان فإن في الحديث " لا يسأل أحدكم شيئا وان كان ولا بد سائلا فليسأل الصالحين أو ذا سلطان " كل ذلك لخفة المنة في عطاء هؤلاء ولا اعلم الآن أحدا من اخوانى في هذا المقام غير الأخ في الله تعالى محمد البرماوى أسبغ الله عليه النعم في الدارين من غير حساب ورضى الله عن كل من تبعه على ذلك آمين .

**233 - أخذ علينا العهود ان لا نقبل من أحد مالا لنفرقه على الفقراء الا ان كنا نعلم من أنفسنا اننا أتم نظرا من صاحب المال**

وذلك لان من لم يرسل الناس بصدقاتهم وخيراتهم أكثر مما يرسلون بها نفوسهم فعدم قبولهم أولى وكذلك ليس للفقير ان يتولى نظرا على وقف الا ان كان أتم نظرا من الواقف فان له يكن أتم فترك نظره لولى الا ان علم ضياع ذلك الوقف لو ترك النظر عليه ، وقد أرسل السلطان طومان باي للشيخ أبى السعود الجارحى رحمه الله تعالى مالا ليفرقه على الفقراء والمساكين فرده عليه وقال من تعب في تخليصه هو الذي ينبغي ان يتعب في تفريقه ، والله تعالى أعلم .

**234 - أخذ علينا العهود ان لا نقبل من أحد مالا لنفرقه على اخواننا الا ان كنا نعلم أنه لا يفرق قلوبهم**

كما سيأتي بسطه في عهد شيخ الزاوية أو آخر العهود ان شاء الله تعالى والقاعدة عند أهل الطريق السلامة مقدمة على الغنيمة انتهى .

**235 - أخذ علينا العهود ان نسر بجميع صدقاتنا المندوبة وهدايانا المحبوبة**

ما

أمكن الا ان كان هناك أحد يقتدى بنا من البخلاء قياما بشعار الصدقات كما في الصلاة المندوبة لان ما جعل الشارع فيه شعار الدين كالعيد والتراويح فان حكم الصدقات في ذلك حكم الصلاة فافهم .

واعلم يا اخى انه لولا عظم الشعار في إخراج زكاة الفرض .

كان الإسرار بها أفضل من حيث إن في إعطائها للفقراء في الملأ تنكيس الرؤوس وإظهار منة على الفقراء الآخذين للصدقات فلا يفي اجر عطيتهم تنكيس رؤوسهم والنفس من شأنها تحب الشغوف على أبناء جنسها الا ان اطمأنت وصارت ترى المال لله يفرق على عباد الله ليس لمخلوق فيه منة كما عليه الصادقون من الفقراء ومن ادعى هذا المقام من الاخوان فلا ينبغي له الاعتماد على ذلك إلا بعد امتحانه نفسه وأقل ما يمتحن الانسان به نفسه ان يصير بحيث لو سأله فقير لا يعرف جميع ما بيده من الدنيا أعطاه ثم لا يخطر في باله ان يحدث بذلك أحدا من أصحابه وجيرانه ومعارفه ابدا وذلك لان المعاملة مع الله حقيقة وهو تعالى عالم بما اعطى هذا العبد فأي فائدة الإعلام للخلق الذين لا يتأسون به لولا الرياء وعدم الإخلاص فعلم أن كل من نازعته نفسه بإظهار ما أعطاه للخق سرّا ولو تعريضا فليس هو من أهل هذا المقام والسلام

**236 - أخذ علينا العهود ان لا نوسع على أنفسنا وعيالنا وخدمنا كل ذلك التوسع بل نقصد في ذلك**

عملا بقوله تعالى : وَالَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً فمن داوم التوسعة على نفسه وعياله فقد فتح بذلك باب ازدراء النعمة والجهل بمقدارها فإن النعمة إذا كثر تداولها

على أهل بيت ازدروا النعمة على طول وسخطوا على ربهم إذا حولها عنهم لشدة ائتلافهم بها ، وقد قال لي بعض أركان الدولة اسئل الله تعالى لي ان يوسع الله تعالى علينا فإن بيتنا في غاية الضيق اليوم ثم أسر إليّ في أذني كالخائف من شكوى ربه وقال والله ما طبخنا الليلة في دارنا ألا لحم عجل ، فقلت له وهذا عندكم ضيق ؟ فقال نعم ما دخل بيتنا من منذ وعيت على نفسي لحم بقر قط فقلت له ان الحق تعالى أكرم الأكرمين وانما يحول النعم عن بعض العبيد ليعرف مقدارها لا غير ومن التهاون بها ان يطبخ في بيته كل ليلة اللحم الضانى والدجاج والحلو وان يشترى للعيال كل شئ اشتهوه فإذا واظبهم بذلك استهانوا بالنعمة ضرورة وتحملوا مقدابها فمن الأدب ان يكون الأمر كر وفر مكلما خاف سخطهم على ربهم يوسع عليهم حتى لا يذكروا ربهم بسوء وكلما خاف تهاونهم بنعمة قترها عليهم ليتلقوها بالتعظيم .

وتأمل يا أخي أولاد الأمراء والتجار والمباشرين الذين كانوا يتوعون الأطعمة والملابس تفاخر بالدنيا كيف تحولت عن غالب أولادهم النعم ؟

بل عنهم قبل موتهم وصار أحدهم يشتهى الدجاجة أو قطعة لحم فلا يجدها .

وجميع ما يرثه أولاد هؤلاء من الماء والعقار يضيعونه في المعاصي والقمار سهولة وطيب نفس كل ذلك لهوانه عليهم وعدم تعبهم في تحصيله وكونهم ما فتحوا عيونهم إلا على تلك المعايش والنعم واعلم يا أخي أن الحق تعالى قد امن كل رجل على عياله وأولاده وإخوانه ومن الأمانة أن لا يسعى في أسباب تحويل النعم عنه بكثرة إطعامهم الشهوات ولا في نقص

درجاتهم في الآخرة بأكل الطيبات وإذا فعل ذلك فقد خان الأمانة وضيعها لا سيما إن كان يشترى لهم الشهوات من ذات نفسه من غير تكرر سؤال منهم فإن من كمال عقل الرجل ان لا يشترى لعياله شهوة الا بعد تكرر سؤالهم ودخلتهم عليه وقد تقدم في هذه العهود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى كسرة يابسة قد علاها الغبار في بيت عائشة رضى الله عنها فاخذها من تحت الجدار ونفخ عنها التراب ثم وضعها على عينيه وقال يا عائشة احسنى مجاورة نعم الله عز وجل فإن النعمة قل ما نفرت عن أهل بيت فكادت ترجع إليهم . انتهى .
وقد سد رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ازدراء النعم بأمره لنا ان لا نأكل إلا على جوع ولا نشرب إلا على عطش فإن كل من جاع أو عطش يتلقى الطعام والشراب بكل شعرة فيه فانظر ما طوى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأداب التي بفعلها تدوم علينا النعم وقس على الطعام والشراب سائر النعم والشهوات من اللبس والجماع والنوم وغير ذلك والله اعلم .

**237 - أخذ علينا العهود أن لا نمكر بأحد من المسلمين ولا ننوي له سواء في ساعة من ليل أو نهار**
خوفا من الخسف ونزول العذاب والأخذ على غير توبة أو على تخوف وقنوط من رحمة الله تعالى قال تعالى أفأ من الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون الآية ولا يصل العبد إلى هذه الدرجة إلا بكثرة الاحتمال حتى يصير لا يؤاخذ أحدا من خلق الله في بحق الدارين والله غفور رحيم .

**238 - أخذ علينا العهود أن لا نفضل نفوسنا على كل شئ احتجتا إليه بتفضيل الله تعالى حتى البول والغائط**
إذ لو كان لنا سيادة عليه لكنا أغنياء عنه كما

مر أوائل العهود فإذا فضلنا نفسنا على الحمار مثلا قال كيف تفضلوا نفوسكم على وأنا أحملكم إلى البلاد ولا تقدون أنتم على حملى عشر خطوات ولذلك كان من الأدب إذا نزلنا على الحمار أن نقبله في وجهه ونقول جزاك الله خيرا وكثر عليك العليق والعلف وإذا فضلنا نفوسنا على الطعام مثلا قال كيف تفضلوا أنفسكم على وأنا كنت سبب حياتكم ثم إني كنت طاهرا فتجستمونى وانتنتمونى بصحبتكم ليلة واحدة ثم إنكم تسدون أنا فكم من رائحتى التي اكتسبتها منكم ونسيتون أن القذارة والنتان منكم فأي فضل لكم وأنتم تنجسون كل طاهر خالطكم ولو أنى كنت في إناء لم اتنجس ولم أنتن ولو مكثث الطعام وقس على ذلك كلما في الوجود من جميع المسخرات لنا والله اعلم .

**239 - أخذ علينا العهود إذا قضينا الحاجة أن نستحي من الأرض**

لأنها أنا ومنها خلقنا وهذا من أسباب اتخاذ الأكابر السراويل على الدوام فلا ينبغي لإنسان أن يبول أو يتعوظ على أمه إلا لضرورة تبيح مثل ذلك ومن هنا قللت الأكابر الأكل ولما حج أخي سيدي أفضل الدين رحمه الله تعالى قال لي أنا في غاية الحياء من تلك الأرض المشرفة فإنه لا بد لي من البول والغائط هناك وان حصل غفران الذنوب أيضا خرت الخطايا هناك فأقذرها ظاهر أو باطنا فالذي استقذنا من غسل الذنوب وتطهرنا منها خسرناه من جهة تقديرنا وتخبيسنا حرم الله وحضرته الخاصة فلما رجع من الحج قال لطفا لله بي ما احتجت إلى قضاء الحاجة هناك مدة الإقامة كلها إلا مرة واحدة فلإنى قللت الأكل جملة واحدة رضى الله عنه وحكى عن أبي العباس الخزاز رضى الله عنه أنه أخذ مرة

حجرا ليستجمر به فقال له الحجر سألتك بالله لا تنجسنى فتركه ثم أخذ غيره فقال له مثل ذلك فتركه ثم أخذ غيره فقال له مثل ذلك فتركه ثم أخذ ثالثا فقال له مثل ذلك فلم يتركه ثم قال للحجران الله عز وجل أمرني أن أتطهر بك وهو خير لك فسكت الحجر ، فينبغي للفقير أن يقول ذلك للحجر إذا قوى حياءه منه ويقدم شرع الله على رضى الحجر والله تعالى اعلم .

**240 - أخذ علينا العهود ان لا نمشى بين الناس بالغرض ولا نعادى أحدا من أجل أحد إلا إن كره أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أولاده الشرفاء فمن عادى أحدا يحب الله ورسوله لأجل صاحبه أو صديقه فقد أساء الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث لم يغنى بغض ذلك الأحد في صديقه أو صاحبه في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم .**

وقد وقع للشيخ محيي الدين بن العربي أنه بغض شخصا كان يحط على شيخه فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعرض عنه مرات فقال له ما ذنبي فقال تكره فلانا لأجل شيخك وهو يحبني لم لا أفنيت بغضه في شيخك في محبته لي قال الشيخ فمن ذلك اليوم ما كرهت أحدا من المسلمين .
واعلم يا أخي أن الفقير أو الأمير إذا اشتهر صار كالبحر يرده البر والفاجر ووجب عليه الاقبال على كل جليس من دنى وشريف وطايع وعاصى لكونه ميزان عدالة بين الناس في التأليف بينهم والاصلاح لهم إذا مشى بالغرض صار عدوا لكل من أغرض عليه وخرج من يد طاعته فتعطل نفعه ضرورة ولو كان أبقى له مع كل واحد ودا ومحبة لدام النفع به ولم ينفر منه أحد إلا خصام في طلبه منه الصلح والله تعالى اعلم.

**241 - أخذ علينا العهود ان نجيب دعوة كل من دعانا إلى داره من الأكابر والفقراء وإذا دعانا غنى وفقير قدمنا الغنى على الفقير لأن كسر خاطر الغنى أعظم من كسر خاطر الفقير**

لا سيما إن كان الداعي لنا من المعلمين أو المقدمين الذين يؤثر فيهم مخالفة أغراضهم وايضاح ذلك ان الغنى قليل من يخالفه من الناس فيعسر عليه ذلك أشد العسر لا سيما ان علم أحد من أقرانه بذلك وبار طبيخه وأما الفقير فلا يتأثر في الغالب ممن يخالفه لأنه ألف كثرة مخالفة الناس له وعدم انقيادهم لقوله في كل أمر يرومه بخلاف الأمير مثلا ومراعاة المراتب على العدل لا يعرفها إلا العارفون والسلام .

**242 - أخذ علينا العهود أن لا نجيب من دعانا للمحافل ومجالسة الأكابر من العلماء والأغنياء والمباشرين والمعلمين إلا إن كنا نعلم من نفوسنا السلامة من الرياء والنفاق وإظهار الحشمة لأجلهم**

ومتى خفنا ذلك فالأدب عدم الحضور ومن أشد ما يكون على الفقير حضور الختوم التي حدثت في جامع الأزهر وغيره فإنها مشتملة على أحوال تخالف هدى السلف الصالحين من إظهار العلم ومحبة صرف وجوه الناس إليهم بذلك وما يقع في ذلك المجلس من المجادلة وخروج الأخلاق الردية في الملاء العام وتحريك الحسد في بواطن الحاضرين إذا راوه فاقهم في العلم فيمسك عليه الغلطة واللحنة ويشيعونها عنه في البلد ثم لا يضيعون ذلك العلم الذي بدره عليهم البتة إنما يقولون ما هو الأجمع من كلام الناس فلا يجعلون له مقاما ولا رتبة وذلك لأن أكثرهم انما يحضر منتقدا لا مستفيدا أو إما مفاسد من جمع الناس لذلك المجلس فإنه يطفئ نور إخوانه في ذلك المجلس بذكر ما

جمعه وتعب فيه من الاستدراكات والنكت والفوايد والأعاريب فيطفئ نور إخوانه بذلك ويقوى نور نفسه فيهلك وإن قال إنما جمعت العلوم لا ستفيد من علومهم قلنا ما هكذا يطلب العلم يجلس الطالب في الصدر وفوق الفرش والأشياخ بين يديه من غير فرش ثم لا يقوم إلا وقلبه مظلم كقعر الدست لأن النور الذي كان فيه قدمه إلى خارج فافهم ثم إذا قدر علينا الحضور جلسنا على الفرش الخاصة بنا دون ما وضع للمترفهين في الدنيا كما مر تقريره في عهد حضور الولايم والله تعالى اعلم .

**243 - أخذ علينا العهود إذا حضرنا في وليمة أن لا نبداء بالذكر وهناك من هو أكبر منا سنا ولو صبي المصمت**

لأن من شرط الفقير أن يرى نفسه أحقر الناس والمدار على قول لا إله الا الله مرة واحدة فإن كانت بداة من ذكر لا تناسب البناء عليها بدأنا على طريق المصطلح بين الفقراء وإذا كان الطعام فيه شبهة كطعام القضاة والمكاسين أخرنا الذكر حتى نأكل وذلك لأن الذكر يحرق ذلك الطعام من الحسد فيستريح منه وإن كان الطعام حلالا كمال المتدينين من التجار بدأنا بالذكر قبل الطعام ليمكث ذلك الطعام الحلال في بواطننا وفي ذلك مصلحة أخرى وهو عدم احتياجنا إلى طعام أخر إذا أخرنا الذكر .
وقد حضرت أنا وسيدي أفضل الدين في وليمة عند شخص من الصنايعية فجاء شخص من الفقراء بعد العشاءوة افتتح الذكر بالناس فقال له سيدي أفضل الدين الله يلقيك ما فعلت أحوجت الناس إلى عشاء ثاني فاعلم ذلك .

**244 - أخذ علينا العهود ان لا نمكن أحدا من الناس من تقبيل في المحافل**
ولا

عقب الفراغ من مجالس الذكر وغيرها ولا حرج علينا إذ زجرنا من يفعل معنا ذلك القول أو الفعل فإنا معذورون في ذلك **لأنه يريد أن يدخلنا في مزاحمة الحق تعالى في التعظيم فإن تقبيل اليد تسمى السجدة الصغرى .**

وكان سيدي على الخواص رحمه الله من أشد الناس كراهة لتقبيل يده وتقول لما يقبل أحد يدي على غفلة اذوب حياء من الله عز وجل .
وكان سيدي أفضل الدين رحمه الله يقول والله إني لا أرى الجميلة للناس في تمكينى من الجلوس معهم وفي ردهم جوابي إذا كلمتهم لذلى وحقارتى .

وقال لي مرة والله انى لأستحى أن أدخل بيتا من بيوت الله عز وجل فقلت لماذا فقال مثلي لا يستحق أن يؤذن له في دخول المساجد لكثرة تلطخى بالمعاصي والأثام وكثيرا ما أذهب إلى الجامع فلا اتجرأ أن أدخل وحدى فأقف حتى يجئ أحد فأدخل تبعا له وأنا في غاية الخجل وذلك لأنه بلغني أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود قل لبنى إسرائيل لا تدخلوا بيتا من بيوتي إلا بقلوب صافية وأبدان طائعة غير عاصية وفروج طاهرة فمن دخل منهم بعضو مستضمخ بمعصية لعنته من فوق عرشي .

وجاء مرة فقير إلى سيدي الشيخ عبد الحليم بن مصلح المنزلاوى رحمه الله تعالى ، فقال يا سيدي أدبنى فقال يا اخى النجاسة هي تظهر غيرها والله يا أخي إني انجس كل من صحبته ولذلك لا أحب أن يصحبنى أحد أبدا .
ولما أراد سيدي أفضل الدين رضى الله عنه أن يتزوج قال لي لم أجد أحدا في مصر يشاكلنى في دناءة الأخلاق وغلاسة الحال حتى حتى أتزوجه وقبيح

على مثلي أن يطلب التزوج بالناس الملاح ثم قال والله ما وجدت من يقرب من دناءة الأخلاق إلا عرب الهيثم الذين يطوفون على الأبواب ويأكلون الطعام المرمى على المزابل رضى الله عنه فما رأت عيني فقيرا قط أذل نفسا منه .

وقد سمعت الهاتف مرة يقول لي ما صحبت مثل أفضل الدين ولا تصحب فلما حكيت له ذلك بكى وصار يفحص على الأرض مثل الطير المذبوح رضى الله عنه فكن يا أخي ذليل النفس بين يدي ربك وبين يدي عبيده اقتداء بالأنبياء والمرسلين وأكابر العلماء والعارفين وإياك والرضا بما أحدثه فقراء العجم ومن تبعهم من الناموس وتقرير فقرائهم وتلامذتهم على الخضوع لهم كالركوع وعلى تقبيل الركب وقعور الأقدام والوقوف بين أيديهم مطرقين كالوقوف في الصلاة فإن ذلك هلاك لأمثالك وما طلب الأكابر من التلامذة إلا الانقياد لهم في الشرع لا غير .

وفي الحديث لا تقوموا على روس أئمتكم وهم جلوس كما يفعل الأعاجم مع ملوكهم . وكان صلى الله عليه وسلم يقول لا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح وتقدم أن الصحابة كانوا لا يقومون لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر عليهم لما يعلموا من كراهته لذلك فالصادق يرد الناس عنه بالقلب والسلام .

**245 - أخذ علينا العهود ان لا نتكدر ممن نادانا باسمنا المجرد من غير لفظ سيادة أو ولادة أو مشيخة أو غير ذلك من ألفاظ المفخمة**

بل لا يمنبغى لنا التكدر ممن سمانا فسقة أو نصابين أو كذابين على الله ونحو ذلك بل لا ينبغي لنا أن نرى نفوسنا خرجت عن فساق هذه الأمة في ساعة من ليل أو

نهار ويجب علينا أن نتهم نفوسنا في كل صفة تبرأت منها من النقائص والفسق وإيضاح ذلك أن الفسق في اللغة الخروج يقال فسقت النواة إذا خرجت وكل من خرج عن السنة المحمدية قيد شبر في مأكله أو ملبسة أو نومه أو شربه أو نكاحه أو أدبه مع الله تعالى أو مع خلقه في ساعة من ليل أو نهار أو خطر على باله أن يفعل معصية في مستقبل الزمان فقد انسحب عليه اسم الفسق بالنسبة لمن لم يخطر ذلك على باله من المحفوظين فأي عبد يدعى عدم خروجه عن السنة فيما ذكرنا أو غيره والإنسان على نفسه بصيرة .
وقد كان الصحابة رضى الله عنهم ينادون بعضهم بالأسماء المجردة على طريقة العرب في جميع أراضي الحجاز وهم على ذلك إلى الآن وطريق العرب هي مرجع الناس كلهم وهي طريق صدق لا زور فيها ولا نفاق بخلاف نحو قطب الدين أو شمس الدين أو بدر الدين ونحو ذلك فإنه لا يكاد الشخص يصدق فيها إلا بتأويل بعيد والله تعالى اعلم .

**246 - أخذ علينا العهود أن نفر من الوقوع في المعاصي حياء من الله تعالى لا خوفا من تنقيص الناس لنا**

كما يقع فيه كثير من الناس فيفرون من نحو بيع القهوة أو ان يكون أحدهم محبظا أو شود بالمغانى ونحو ذلك ولا ينفرون من وقوعهم في الغيبة والنميمة وأكل الرشا والمكوس والحكم بين الناس بالباطل مع أن هذه الأمور أشد تحريما لأنها محرمة بالإجماع بخلاف نحو بيع القهوة والتحبيظ فلو كانت نفرتهم حياء من الله وقوة إيمان لكانت نفرتهم فيما أجمع عليه أشد مما اختلف فيه وتأمل القاضي الذي يأكل الرشا

لو أقيم في بيع الحشيش يوما واحد لضاق صدره أشد الضيق وبادر إلى الخروج من ذلك ولو بالبر طيل خوفا على زوال منصبه لا حياء ولا خوفا من الله عز وجل فنفرته من بيع الحشيش نفرة طبع لا نفرة إيمان ودين والله اعلم .

**247 - أخذ علينا العهود أن لا نلبس لباس الصالحين ونفعل فعل الجبارين**
فنكون كالذي يشتبه بما لم ينل وذلك كالذي يلبس له جبة من صوف ويرخى لعمامته عذبه ويأخذ بيده سبحة ويحضر أوراد الفقراء وموالدهم ويهيم في الذكر ثم يشتكى جاره ومن له عليه من المعسرين برسل الظالمين ويحبسه على مال هو في غنية عنه ذلك اليوم وكالذي يعامل الناس بالمعاملات الفاسدة التي كلها غش ويبيعها بالحوف وغير ذلك فمثل هؤلاء لا ينبغي لهم لباس الصالحين .

وقد كان سيدي أحمد بن الرفاعي رضى الله عنه إذا رأى على أحد من أصحابه جبه صوف يقول له يا اخى انظر بزى من تزييت انما لبست لباس الأنبياء والأصفياء فإن لم تسلك طريقهم وإلا فأنزع لباسهم انتهى .

ومن هنا منع الصوفية المريد من لبس الصوف وارخاء العذبة إلا بإذنهم له في ذلك ولا ينبغي لشيخ أن يلبس ذلك المريد إلا إن صح له قدم الاتباع ليكون ذلك من باب التحدث بالنعم .
وقد البست باستئذان من شيخى جماعة من الإخوان المجاورين وغيرهم الجبة وارحيت لهم العذبة حين تابوا إلى عز وجل فتحا لباب التوبيخ عليهم وجعلت ذلك كالمذكر لهم سوء صنيعهم وخبث طويتهم فكل من اذوه أو

شتموه أو اشتكوه من حاكم أو سعوا على وظيفته أو خلود كأنه أو غير ذلك من القبايح يقول لهم في سبيل الله عذبتك وجبتك وهو قصد صحيح إن شاء الله تعالى واعلم يا أخي أن العذبة ولبس الصوف سنة من أصلها كبقية السنن فلا يحتاج فعلها إلى أذن أخر من غير الشارع ولكن لما كان من السنن ماله شعار خاص توقف العارفون في فعل ذلك لمن لا يستحق لكونه يوقعه في إثم وزورو إذا ترتب على فعل السنة قبيح النيات كان تركها أولى لأنه ليس الحامل لفاعلها على فعلها امتثال أمر الشارع وإنما هو حب التميز والظهور .

وقد أفتى الحافظ ابن حجر بأن من أرخى العذبة على قصد التمشيخ عصى ومن هنا ترك الأكابر من الملامتية الإكثار من فعل السنن خوفا أن يخطر ببالهم أنهم زادوا على ما كلفوا وخرجوا عن إقامة الحجة عليهم كما سيأتي من هذا الذي قررناه من عدم إخلاص النية في العمل ترك بعض الناس السنن وطال الزمان حتى صارت عندهم كالبدعة لكونهم لم يروا أباءهم وأجدادهم من قبلهم يفعلونها وفي الحديث لا تقوم الساعة حتى تكون السنة بدعة رواه الطبراني .

وقد أرخيت لشخص من إخواني المباشرين عذبة فلما اقبل على أصحابه نفروا منه وسخروا وقالوا والله لو رأيناك تشرب الخمر كان أهون علينا من روية هذه العذبة وقد تقدم أنه ما من سنة من السنن إلا وقد جعل الله في مقابلة فعلها درجة في الجنة لا ينالها العبد إلا بفعلها فإياك أن تقول هذا القول لأحدا وتحرج على أحد في فعل سنة فإن العلماء قالوا من استهان بالسنة كفر نسأل الله اللطف.

**248 - أخذ علينا العهود أن لا نكذف أحدا من عباد الله في أخباره لنا بما تخيله العقول عن نفسه أو غيره**

فإن غاية أمره أنه أخبرنا عن القدرة الإلهية أنها فعلت ممكنا لا غير والله على كل شئ قدير لكن ذلك في المواجيد التي لا تتعلق بأحكام الشرائع ولا تعارضها فافهم .
وقد سمعت سيدي الشيخ على المرصفي يقول قرأت في يوم وليلة ثلاثمائة ألف ختم في كل درجة ألف ختم فقيل له بالحروف والألفاظ قال نعم فقيل له ما الحكمة في وقوع ذلك لأولياء هذه الأمة فقال أراد الحق تعالى لهم ذلك لقصر أعمارهم فيزحح الولي من هذه الأمة في الأعمال على من عاش من عباد الأمم السالفة الألف سنة وأكثر كل ذلك شرفا لمحمد صلى الله عليه وسلم .
وكذلك بلغنا عن سيدي الشيخ مدين شيخ المغرب أن ورده كل يوم كان ثمانين ألف ختم فإياك مكابرة فقير في شئ يدعيه من ممكناة القدرة فينزع الله منك نور الايمان بطريق القوم والله غفور رحيم .

**249 - أخذ علينا العهود أن نعطى كل حق علينا قبل أن يطالبنا به صاحبه**

ومتى أحوجناه إلى حاكم أو سياق أحد علينا فقد خنا عهد الفقراء بل ينبغي لكل صاحب أدب مع الله تعالى أن يعطى لعبيده تعالى كلما ادعوه عليه بمجرد دعواهم .
وقد ادعى شخص على رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا في مرض موسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا لا نكذب أحدا ولا نستحلفه ما سببه فقال مر بك سائل فقلت اعطة عنى ثلاثة دراهم وكان سفيان الثوري يقول إذا كان لك

على أحد دين فأحوجك إلى شكواه إلى الحاكم فأترك ذلك الدين خير لك من ذهاب دينك ثم لا يخفى أن شرط إعطاء العبد الحقوق للمدعين بمجرد دعواهم محله ما إذا كان له قدرة على ذلك فيجعلهم من قسم السائلين له من الفقراء والمساكين حياء من الله عز وجل أن يكذب أحدا من عبيده وهو تعالى يرى ذلك ويسمع فإن التكذيب بحضرة الأكابر سوء أدب ويقولون لمن كذب شخصا بحضرة السلطان استحى بما رأينا قط وليا صاحب قدم واقفا عند حاكم يدعى عليه بحق زوجه أو جارا بدا لأنهم يعطون كل من ادعى سواء كان محقا أو مبطلا .
وحكى ان سيدي أحمد لما عمر زاويته وداره بناحية أم عبيدة ببلاد العجم امتحنه الفقراء وارسلوا له شخصا ادعى أن تلك التي عمرها له ولأولاد عمه فلما سمع الشيخ ذلك خرج بعياله وأولاده وأمتعة بيته ، فقال له المدعى :
يا سيدي إنما اختبرتك بذلك لأعرف هل ملت إلى الدنيا أم لا وليس لي حق فيها فقال الشيخ الحمد لله ثم قال له يا سيدي تخرج من الدار بمجرد قولي ولا تقف معي على حاكم فقال يا اخى الدنيا أهون علينا من أن نقف على حاكم لأجلها رضى الله عنه .

**250 - أخذ علينا العهود إذا كان أحدنا يعظ الناس في مسجد أو يخطب أو يؤم أو يقرى أطفالا وجاء من يطلب أن يكون هو الفاعل لذلك وهو أهل له أكثر منا أو مساويا تركنا ذلك له بانشراح صدر**
والمواضع المحتاج أهلها إلى مثل ذلك كثيرة ومتى نازعنا ذلك الرجل فقد خنا عهد الفقراء وكنا طالبين للرياسة وللدنيا إذ همة كل داع إلى الله تعالى ان يكون شمل العالم منتظما في دينه

ودنياه على يداى عبد شاء الله تعالى لا خصوصية لنا بذلك هكذا درج السلف الصالح رضى الله عنهم أجمعين .
وفي الحديث لا يعظ الناس إلا أمير أو مأمور أو مرائ فاعلم ذلك

**251 - أخذ علينا العهود ان لا نزكى قط نفوسنا عند أحد من الخلق إلا لغرض صحيح شرعي كان تظهر نعم الله علينا**
حبا في الله تعالى لا رياسة على الخلق أو بنين مرتبتنا في العلم والمعروفة حتى يأخذ عنا ذلك الطلبة والتلامذة بعزم وهمة وكثيرا ما يقول الأشياخ لطلبتهم خذوا منا هذا العلم الذي لا تجدونه الآن عند أحد في هذه البلدة حين يرون عدم اهتمامهم بما يسمعونه من العلوم والمعارف فما أحوج الشيخ إلى تزكية نفسه إلا القاصرون من التلامذة ولو كانوا أصحاب بصيرة ما احتاجوا في الكلام الذي يسمعونه من الشيخ إلى تزكية وقد زكت الأكابر أنفسها لأغراض صحيحة كما قال عيسى عليه السلام : إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ( 30 ) وَجَعَلَنِي مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ الآية اظهار النعم لله عليه .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وأول من تنشق عنه الأرض ولا فخر وآدم فمن دونه تحت لوائ قال ذلك إعلاما لخواص أمته ليأتونه للشفاعة أو لا ولا يذهبون إلى بنى بعد نبي كما يفعل العامة منهم فقصد صلى الله عليه وسلم تخفيف الكرب والتعب على الأكابر الذين فهموا من هذا القول هذه الفائدة ولولا هذا القصد لكتم صلى الله عليه وسلم سيادته كما كتم غيرها مما سيظهر به فخامته وعظمته يوم القيامة فإن كل مقرب يميل بالطبع إلى هضم نفسه وكذلك قال صلى الله عليه وسلم ولا فخر أي ليس فخرى بما ذكرته لكم

من السيادة وانما الفخر لي بالعبودية التي هي الذل والمسكنة بقرينة قوله تعالى :قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ثم فرق رتبة الشرف بقوله يُوحى إِلَيَّ .
واعلم يا أخي أن بتزكيه الناس له لان من زكى نفسه يخبر عن ذوق والناس لا يخبرون إلا عن علم لا ذوق وبين العلم والذوق فرق عظيم فما فوق الذوق إلا تزكية الحق تبارك وتعالى ولذلك قالوا سلام الله على يحيى في قوله سلام عليه يوم ولدا على من قول عيسى عليه السلاموَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّافافهم .

**252 - أخذ علينا العهود ان نطرد كل من أردنا طرده عنا بالقلب دون اللسان**

فإن فحش الكلام ليس من شأن القوم ولا ينسب إلى ساكت قول واعلم يا أخي أن الطرد بمثابة النفي ولم يزل في الخلق من يستحق التقريب ومن يستحق الطرد لأهل الله تعالى علامات يعرفون بها من يستحق الاحتمال ومن يستحق البعد
ولا يطردون شخصا فيفلح ابدا لأنهم لا يطردونه وفيه رائحة خير
ومن أقوى علامات شقاوة ذلك المطرود واستحكام المقت فيه أنه يصير يحط في شيخه وفي جماعته بعد أن كان يمدحهم ويؤلف الناس لصحبتهم ومجالستهم
وإن قيل له أيش هذا الحال من ذلك الحال يقول ما كل ما يعلم يقال وكان إبليس راكبنى .

وكان سيدي علي الخواص يقول الخلق كنبات الأرض
ففيهم من هو كالتفاح وفيهم من هو كالجميز وفيهم من هو كالاثل وفيهم من هو كالشوك وفيهم من هو غير ذلك .
وكان رضى الله عنه يعيب على بعض المتصوفة في علاجة المريد بالخلوة

والجوع ويقول كل ميسر لما خلق له ورأى مرة شيخنا يجاهد في إنسان منهم فقال ولو جاهدت فيه لا يصح أن تقلب عينه أبدا والشوك لا يصير بالعلاج تفاحا ولو كنت من أكبر الأولياء .

**253 - أخذ علينا العهود ان لا نغير منكرات الملوك والامراء مقدمين بيت الوالي وجميع من له شركة إلا بالقلب دون الفعل واللسان لعجزنا وضعفنا عن محاربتهم كم هو مشاهد فتوجه بقلوبنا إلى الله تعالى في إزالة ذلك المنكر**
**فإن إزالة كان والا لزمنا الأدب مع الله تعالى من غير اعتراض عليه**
**فإن الله تعالى في ذلك حكما وأسرارا تدق على أمثالنا**
**وفي تفسيرنا المنكر بالقلب ستره للأكابر وعدم هتك أسرارهم وسلامتنا من العطب والله تعالى ستير ويحب من عباده الستيرين .**

واعلم يا أخي أن هتكك لأستار العصاة غير المتجاهرين أعظم من معصيتهم فوقعت أنت بذلك في أشد مما وقعوا فيه .
وكان سيدي على الخواص يقول في شرح حديث من رأى منكم منكرا فليغيره بيده الحديث تغيير المنكر باليد للولاة والحكام الذين لا يقدر العصاة على مقابلتهم بالأذى إذا كسروا خمرهم مثلا وتغييره باللسان للعلماء العاملين ويغيره بالقلب للفقراء الصادقين وهو أعلى مراتب التغيير وقوله في الحديث وذلك أضعف الإيمان معناه أن صاحب القلب من الفقراء لا يصل إلى صحة توجهه قلبه إلى الله تعالى حتى يرق حجابه الذي هو كناية عن الإيمان فيلتحق برتبة أهل الاحسان فهو مدح بهذا الاعتبار لأن قوله وإن لم يستطع ينفى الذم فإن الذم لا يكون إلا لمن استطاع فعل الشئ وتركه.

قلت :وهذا من باب الإشارة لا من باب حصر التغيير فيه مع إنه حصل به من التغيير ما هو أعلى من الإنكار بالقلب فقط فتأمل واللوم لا يكون إلا على من يقول لا يحتمل الحديث غير قولي هذا وهم لم يقولوه فافهم .

وقد وقع لسيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه :
أنه دخل بستانا فوجد فيه جماعة من الأجناد يشربون الخمر فأراد بعض الفقراء أن يكسر الجرار فمنعه الشيخ وقال يا ولدى إن كان لك قلب فغير بقلبك فتوجه ذلك الفقير بقلبه فانفلقت الجرار وساح الخمر وقاموا فضربوا بعضهم بعضا حتى أكلوا أعظم من حد الخمر فقال الشيخ هكذا فغيروا دائما والله عليم حكيم .

**254 - أخذ علينا العهود أن نقضي حوائج الناس في هذا الزمان بالقلب من حيث لا يشعر صاحب الحاجة ولا خصمه**

فإذا جاءنا شخص يريد منا أن نكلم له قاضيا أو مكاسا أو محتسبا أو أسيرا قلنا له ترضى أن نسال الله تعالى لك في قضاء حاجتك
وإلا اذهب إلى حال سبيلك وبرطل الحواشى جهدك وذلك لأن بيوت الحكام صار أهلها في غاية القساوة بحكم الوعد السابق من الشارع ولا يقبلون بشفاعة سفلة الخلق أمثالنا وإذا اغلظنا عليهم القول
يقول لنا ان كنت شيخنا انفخنا فما نستطيع ولو توجهنا فيهم شهرا كما هو مشاهد ومنا طائفة دخلت في محبة الدنيا وصارت تتردد إليهم وتأخذ من أموالهم وتشحت منهما الرزق والصدقات فما بقي لأحد من الفقراء عند الحكام الأن قيمة ليقضى الله أمرا كان مفعولا بل صاروا يقعون في أعظم من هذا كله وهو أنك تقول لهم ساعدونى في حاجتي لأجل الله تعالى أو لأجل

محمد صلى الله عليه وسلم فلا يلتفتون إلى قولك وإذا قدر أن أحدا من أعوان الظلمة دخل فسألهم في ذلك أجابوه .

وكان سيدي على الخواص رحمه الله يقول كان في الناس بقية رغبة في إدخار الأجر والثواب في الآخرة فزالت في سنة إحدى وأربعين وتسعمائة ، وصار مشهود غالب الحكام وأعوانهم ثواب الدنيا لا غير فانصح كل من جاءك يطلب قضاء حاجة وقل له أعط أعوانهم شيئا من حطام الدنيا وهم يقضون حاجتك كما تقدم بسط ذلك في عهد الشفاعة وكان سيدي أفضل الدين رحمه الله يقضى حوائج الإخوان بالقلب ثم يرسل صاحب الحاجة إلى بعض الفقراء الظاهرين في البلد

ويقول له أسأله في قضاء حاجتك وإن شاء الله تعالى تقضى على يديه

فلما أطلعت منه على ذلك سألته عنه فقال أحب أن اعمم اخوانى الظاهرين وأقوى نورهم وأكبر بهم جهدي وأكره أن أحدا منهم يجد في شئ والله اعلم .

**255 - أخذ علينا العهود ان نشهد بنور الإيمان وسر الإيقان جميع ما في الوجود من محمود ومذموم فعل الله وحده**

ثم بعد ذلك نضيف المحمود إلى الله إيجادا وإلى الخلق مجازا أو نضيف المذموم إلى النفس والشيطان إسناد لا إيجاد أو نحكم بمقتضى الإضافة
قال تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله
يعنى إسنادا وإيجاد أو ما أصابك من سيئة فمن نفسك
يعنى إسنادا لا إيجادا وتأمل قوله تعالى وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللَّهَ رَمى تعرف تحقيق ذلك
فإياك يا أخي أن تحب إضافة المحمود إليك دون المذموم فيكون إبليس أكثر أدبا منك.

وكان بعض العارفين يقول اجتمعت بإبليس لعنه الله فذاكرته فقال كيف تلعنونى وما ثبت أحد من الأمم في مقام نسبة الذم إليه من غير تقلق وفدى جانب الحق تعالى بنفسه مثلي أبدا وذلك أنني أغار على الحق تعالى أن يضاف إليه شئ المذمومات التي تكرهها الطباع وأحب إضافتها إلى نفسي

قال وقد رأيته مرة فقال لي أوصيك إذا سببت أحدا لوقوعه في نقيصة من النقائص فسبنى بد له لأنى أنا صاحب المرتبة في إضافة جميع المذمومات إلى وكل الناس بحكم التبعية لي في ذلك فنسبتك الأمر المذموم إلى أصدق من نسبته إلى الناس وأسهل عليك من حيث مؤاخذتهم لك يوم القيامة
فإن غالب الناس لا يكاد يسامح من اغتابه ونقصه في المجالس ابدا بل رأيت منهم من يقول لا برئ ذمة فلان لا في الدنيا ولا في الآخرة وأنا قد سامحت جميع العباد في لعنهم لي ليلا ونهارا ولا أطالب أحد بحق منهم في الدارين
قال ذلك لعارف فقلت له وهل لك حق علينا إذا لعناك فإننا انما نلعنك بلعنة الله عز وجل فقال صحيح ولكن لم يتعبدكم الله تعالى بالإكثار منها ليلا ونهارا مع أن غالب الناس لا يعرف ما يقول إنما يلعننى من عند نفسه فسكت وقلت في نفسي كيف أحوالنا ونحن نطلب التخلق بشئ من ادآب إبليس مع الله تعالى لا نقدر على أن نشم منه رائحة فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

قال وقد رأيته مرة أخرى فسمعته يقول ما رأيت أجهل من هؤلاء الخلق في إضافتهم الأشياء المذمومة إلى ببادىء الرأي دون الحق فجعلوني شريكا لله تعالى وهم لا يشعرون ومن أنا حتى يكون بيدي حل أو ربط في الوجود

ولو علموا العلم لشهدوا الفعل لله ثم مسحوا في أوساخ النسب بعد ذلك فأنا برئ ممن لم يضف إلى الحق أولا كل مقدر في الوجود ببادئ الرأي كما انى برئ من كل من لم يضف إلى كل قبيح في الوجود انتهى . فتأمل ذلك فإنه نفيس والله أعلم .

**256 - أخذ علينا العهود أن نخترع الأجوبة الحسنة عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في نحو فلا تكن من الجاهلين لئن أشركت ليحبطن عملك**

ونحو ذلك ما ورد في الكتاب والسنة هذا حكم جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأما حكم غيرهم من الأمة فالقاعدة فيهم أنهم لا ينهون عن شئ إلا إذا كان من شأنهم الوقوع فيه ولا يؤمرون بشئ إلا إذا كان من شأنهم الإخلال به ولولا ذلك ما أحتاجوا إلى أمر ولا نهى والله تعالى أعلم .

**257 - أخذ علينا العهود أن لا نأمن على أنفسنا في شئ ندعيه من مراتب الكمال أو النقص**

لشهودها إنها دون كل جليس على وجه الأرض وكشهودها إنها من جملة الفاسقين أو إنها عصت الله أكثر من غيرها ونحو ذلك من أخلاق الرجال الكاملين فإنها لولا علمت أن ذلك التواضع أعلى عند الناس أو في درجات القرب عند الله ما فعلته ، ذلك علة لأنها شهدت أن صفاتها أحسن فأين دعواها أنها دون كل جليس على وجه الأرض وإذا ادعت أنها لا تشهد أن صفة التواضع أعلى من صفة الكبر فنفس دعواها انها لم تشهد ذلك علة واحسان ظن فافهم ذلك فإنه دقيق .

**258 - أخذ علينا العهود أن لا نأمن مكر الله ولا استدراجه لنا طرفة عين**

وليس ذلك من سوء الظن لله عز وجل إنما علمنا بان الحق تعالى لا تقييد عليه

وله الإطلاق من الحضرة التي يفعل منها ما يشاء فالخوف أولى بنا بكل مقرب فضلا عن أمثالنا وسواء وقع منا ما يوجب الخوف أم لا فإن الغالب على حضرات الملوك القبض والهيبة وإن وقع في تلك الحضرات مباسطة فهو بحكم العرض .

وكان سيدي عبد القادر الجيلى يقول أعطاني الحق تبارك وتعالى أربعين عهد وميثاقا فإنه لا يمكر بي فقال له بعض العارفين فما تجد قلبك بعد ذلك قال غير آمن .

وقد سمعت في حال كتابتي لهذا الموضع هاتفا من جو السماء يقول إن أردت ان لا يمكر الحق تعالى بك في ساعة من ليل أو نهار فقل ثلاث مرات بعد المغرب وثلاث مرات بعد الصبح اللهم إني أعوذ بك من المكر والاستدراج من حيث لا أشعر يا أرحم الراحمين فمن قالها ذلك لا يمكر به الحق قط ولا يستدرجة انتهى فاعلم ذلك والله تعالى أعلم .

**259 - أخذ علينا العهود ان لا نجعل لنا مع الله تعالى اختيارا ولا تدبيرا ولا محبة أحوال نكون معه عليها دون غيرها**

وذلك لعلمنا بأن الحق تعالى ربما أعطانا ذلك الحال ثم سلبه منا لمكان إختيارنا وتدبير فالخير فيما أختارة الله تعالى وقد بسطنا الكلام على ذلك في العهود الكبرى والله سميع عليم .

**260 - أخذ علينا العهود ان نشكر الله تعالى على المنع كما نشكره على العطاء على حد سوى**

وصرح بذلك سفيان الثوري رحمه الله تعالى وذلك لأن الله تعالى أعلم بمصالحنا منا وقد امناه على أنفسنا وهو تعالى أكرم من أن يضل عبد استأمنه على أمر من الأمور فوض أمره إليه فمن عامل الله هذه المعاملة

لم ير منه تعالى سوءا قط وسلم قيادة إليه ولم يصر عنده ترجيح لأمر على أمر لا من حيث التشريع وتأمل يا أخي ولدك لما يظهر لك كمال رشده وأنه أعرف بأحوال الدنيا منك كيف تعطيه مفاتيح حواصلك وأنت منشرح لذلك ولما لم يظهر لك رشده كيف لا تركن إليه ولا تمكنه من مفتاح ما لك قط وظن هذا في الجناب الإلهى كفر صريح نسأل الله العافية .

واعلم يا أخي أنه تعالى كلما منعك ما طلبته كلما رسخت في مقام العبودية الذي لا أكمل منه في الدرجات وكلما أعطاك النعم كلما تزحزحت إلى مزاحمة صفات الربوبية وذلك لأنك لا تشكر على النعم ولا تفرح بها إلا أن شهدتها لك وكفى بذلك جهلا فمنعه لك إياها حتى لا تشهد هذا المشهد أرجح من شهود أنها لك ولو تصدقت بها كلها على الفقراء والله تعالى اعلم .

**261 - أخذ علينا العهود أن لا نتمنى قط ما فضل الله به بعضنا على بعض من صلاح أو حال أو تصريف**

بل نرضى بما أعطاه تعالى لنا حتى يكون هو البادى لنا بالعطاء إن شاء عملا بقوله تعالى :وَلا تَتَمَنَّوْا ما فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍالآية وربما أعطى ذلك لنا ثم سلبه منا شفقة علينا فنتأثر أكثر من عدم العطاء من أصله وهذا بخلاف ما يعطيه الحق تعالى لنا ابتداء من غير سوال فإنه لا يسلبه .

**262 - أخذ علينا العهود ان ننظر إلى كل شئ في الوجود بعين التعظيم والاعتبار فإن كل شئ في الوجود من شعائر الله**

وقد قال تعالى :وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللَّهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ فنسبة الناموس إلى حضرة **اسم الله**

الخالق كنسبة العرش العظيم إليه على حد سوى فإياك وازدراء أحد من خلق الله فإن الله تعالى صانعه وخالقه وكيف يجوز أن يغيب على الحق تعالى صنعه فإن كان ولا بد لك من التفاضل فليكن ذلك تبعا للشرع لا للطبع والله عليم حكيم .

**263 - أخذ علينا العهود أن لا نغتر بملاطفات الحق تعالى لنا وتكبيرنا بين عباده وإعطائه تعالى لنا كلما سألناه فيه**

لعلمنا بأنه تبارك وتعالى لا يدخل تحت التحجير وله ان تغير ويبدل ما شاء كيف شاء وكثيرا ما يقرب عبد إلى أعلى ما يكون ثم في لمح البصر بقيرة إلى حضرة الشياطين .

وكان سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله عنه يقول

إذا أراد تعالى ان يلاطف عبده فتح قبالة قلبه باب الرحمة والمنة والأنعام فيرى بقلبه إذ ذاك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلبه من مطالعة الغيوب والتقريب والكلام اللطيف والوعد الجميل والإجابة لكل ما سأل وتصديق الوعد والوفاء به وكلمات حكمة ترمى إلى قلبه وغير ذلك من النعم الجسام

ثم في أقل من لمح البصر يوقعه في الاغترار فإذا اغتر فتح عليه أنواع البلايا والمحن في النفس والمال والولد والإخوان ويزيل عنه جميع ما كان فيه من النعم فيصير العبد متحيرا منكسرا إن نظر إلى ظاهره يرى ما يسوءه

وإن نظر إلى باطنه رأى ما يحزنه وإن سأل الله تعالى أن يكشف ما به من الضر لم يرج إجابة وإن طلب الإقالة لم يقل وإن طلب أن يسمع في حقه كلمة طيبة من الناس لم يسمعها

وانما يسمع منهم اللعنة وإن رام الرضا عن الله عز وجل أو التنعيم بما به من البلاء لم يعط فإذا ذابت نفسه وفنيت أوصاف

بشريته سمع النداء من قلبه اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ورد الحق تعالى
عليه جميع الخلع التي كانت سلبت منه وأزيد وأن امتحن الله العبد ولم يثبته هلك مع
الهالكين انتهى فما لذلك الطلوع إلا النزول فالعارف من لا يركن قط إلى شئ من
أحواله والسلام .

**264 - أخذ علينا العهود ان لا نظهر لنا خلقا محمودا إلى علي وجه الشكر لله تعالى أو ليقتدى بنا في ذلك**

فإن لم يكن ذلك مشهدنا أخفينا جميع أخلاقنا المحمودة ونوينا بذلك وجه الله وسترتنا مع
عباد الله الذين كنسوا بأرواحهم المزابل ولم يتصدروا قط في المحافل كل ذلك غيرة
عل صفات الحق تعالى المحمودة ان يتصف بها أحد من عباده إلا بإذن منه وهذا
المشهد اعلا من قولهم الكابل لا يتقيد بإخفاء ولا إظهار فافهم ومن كلام سيدي أبى
الحسن الشاذلي رضى الله عنه إذا أراد الله بعبد خيرا ستر عنه صفاته المحمودة وجعله
عبدا مملوكا لا يقدر على شئ وماذا يضر العبد إذا رضيه الحق تعالى عبدا ولا علم
ولا عمل ولا معارف ولا كشوفات ولا حال ولا قال انتهى والله تعالى اعلم .

**265 - أخذ علينا العهود ان لا نتكلم قط بما كشف لنا وقوعه في هذا الوجود من تولية الولاة أو عزلهم وطلوع النيل وحصول الغلاء والغناء ونحو ذلك إلا أن كان مطمح بصرنا اللوح المحفوظ**

فإن كان مشهدنا ألواح المحو والاثبات أم منام رأيناه فالأدب كتمنا ذلك حتى يظهر في
الكون للخاص والعام
فإن الحق تعالى كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ
في تغيير وتبديل يحول بين المرء وقلبه فربما غير تعالى ما أخبرنا به الناس وحجبنا
عن شهود ما وقع

بعده فيسيء الناس ظنهم بأمثالنا ونخجل عند من كنا أخبرناه بذلك الأمر
فالواجب على كل من لم يكن يكون مشهده اللوح المحفوظ أن يحفظ ما كشف له عن الإذاعة ولا يتكلم به مع أحد فإن كان الثبات والبقاء حمد الله وشكره على الستر بين الناس حتى وقع ما اخبر به وان كان غير ذلك كان فيه زيادة معرفة وتيقظ وتأديب

وكان مطمح نظر سيدي على الخواص رحمه الله اللوح المحفوظ فكان إذا أخبر بوقوع شئ على صفة فلا بد من وقوعه على تلك الصفة والهيئة التي أخبر بها ولو طال الزمان وكان مطمح نظر سيدي أبى الحمائل وغيره ألواح المحو والإثبات الثلاث مائة وستين لوحا
فما كان يقع مما يخبر الناس بوقوعه إلا نادر فكان بعض الناس ينكر عليه ويعتقدون أنه يخبر عن زور والحال أنه كان يخبرهم عما يشاهد ذلك الوقت في ألواح المحو والاثبات فيتغير الحكم بعد ذلك ثم لا يسأله أحد عن تغيير الحكم ولو أنهم سألوه عنه لأخبرهم بتغيره فهو صادق في الحالين لكنهم لم يسألوه فامسكوا عليه القول الأول فقط .
واخبرني بعض الفقراء ان مطمح نظره هلال الشهر فينظر في الهلال فيعرفه الله تعالى جميع ما يحدثه الله تعالى فيه من الحوادث .
وكان مطمح نظر سيدي إسماعيل الانبابى رضى الله عنه اللوح المحفوظ فكان يخبر الناس بما يراه فيه فبلغ ذلك بعض علماء المالكية فأفتى بتعزيره
فقال الشيخ ومما رأيته في اللوح أن هذا الذي أفتى بتعزيرى يغرق في بحر الفرات
فما مضى إلا يسيرا حتى بعث ملك الإفرنج يسأل السلطان محمد بن قلاون في أن يرسل له عالما من علماء الإسلام يجادل قسيسا عندهم
ووعد بالإسلام إن قطعه

بالحجة ففتشوا في مصر فلم يجدوا فيها أكثر جد الا واحتجاجا من هذا المالكي فأرسلوه فغرق في بحر الفرات كما قال الشيخ
ولعل صنع بعض العارفين أن أحدا لا يصح له النظر في اللوح المحفوظ إنما هو سد الباب معارضة الوحي المحمدي لأن الكذابين كثير والعصمة مفقودة
وإلا فالقدرة صالحة لأكثر من ذلك وكان من استنار قلبه وانجلا صار وكالمراة الكرة إذا قوبلت بالوجود العلوي والسفلى انطبع ذلك فيها وصاحب هذا القلب يقرأ من قلبه جميع ما هو مكتوب في اللوح المحفوظ
إذ هو من جملة الوجود وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتاب الجواهر والدرر في مواضع ثم اعلم يا أخي أن الحق تعالى ربما مشى للعبد ما يخبر به عن غير علم صيانة لجنابه ان يخذل من استند إليه من العبيد لأن من شأنه له الكرم والستر والله تعالى اعلم .

**266 - أخذ علينا العهود أن لا نمكن إخواننا قط من مطالعة كتب الشيخ محيي الدين بن العربي في التوحيد المطلق ولا في كتب غيره من المتوغلين في التوحيد**

فإن ذلك مما يوقف إخواننا عن الترقي ويعوقهم عن معرفة ما خلقوا لأجله من الادآب الشرعية وربما فهموا منه أمورا تخالف ظاهر الشريعة ولا يقدرون على التصريح بها فيعتقدوا ذلك فيخسروا في الدارين
وقد رأيت بخط الشيخ محيي الدين رضي الله عنه ما نصه نحن قوم يحرم النظر في كتبنا لمن يبلغ مبلغنا
وانشد :
**تركنا البحار الزاخرات وراءنا * فمن أين يدرى الناس أين توجهنا**

فافهم فالأدب من كل متصوف في هذا الزمان ان لا يمكن أحد من اخوانه من مطالعة غير الكتاب والسنة الواردة صريحا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فإن ذلك هو السيف القاطع بحده كل ضلال وصاحبه على شرع معصوم وهذا كان السبب الداعي لي على تأليف كتابي المسمى بكشف الغمة عن جميع الأمة
وهو كتاب نفيس مرتب على أبواب الفقه لخصت فيه أحاديث الكتب الستة وغيرها من سائر الأسانيد التي تيسرت لي في بلاد مصر المحروسة فعليك يا أخي بمطالعة مثله فإنه وحى من الله عز وجل إن نظرت فيه اثابك الله بخلاف كتب الصوفية .

وقد اجتمعت بشخص من صوفية العجم فذاكرته فقال إن العبد يبلغ بالتصغية والرياضة إلى أن يلتحق بدرجة النبي ويساويه في الرتبة فرجرته عن ذلك فلم يرجع فقال أنت محجوب .

واجتمعت بشخص يطالع كتب الشيخ محيي الدين على التقليد
فقال إذا كمل الرجل تخلق بجميع أخلاق الله تعالى وأسمائه حتى اسمه المضل فله ان يضل من شاء من الأمة فقلت حاش لله أن يقع كامل في غش أحد من الأمة ولو وقع ذلك لتسلسل الأمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه أكمل الرجال
فقال نعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضل من شاء بحكم النيابة عن الحق تعالى لأنه خليفته فزجرته وهجرته
فانظر أفة مطالعة كتب غلاة الصوفية لا سيما إن كان من يطالعها عار عن معرفة الشريعة فإنه ربما يقع فيما به يكفر واعلم يا أخي أن المطعن إنما هو على هؤلاء العوام لا على الأشياخ الذين رمزوا تلك الرموز والله تعالى اعلم.

**267 - أخذ علينا العهود أن لا نقرأ أحدا من الفقراء على إنكاره على أحد من الفقهاء لان الإنكار فرع من النفاق وينقض به علم العبد ضرورة لأن أحدا ليس له من العلم إلا ما سلم فيه دون ما أنكر**

واعلم أن أصل الإنكار من الجهل فكما أن الفقهاء القاصرين ينكرون على الفقرا لجهلهم بطريقهم

فكذلك القاصر من الفقراء ولو اتسع علم هؤلاء الفريقين لراوا طريق الفقراء جزءا من الشريعة إذ الشريعة هي أساس طريق القوم التي يبنون منها طريقهم

فما أنكر إلا القاصر من الفريقين والسلام وقد بسطنا الكلام في العهود الكبرى والله اعلم .

**268 - أخذ علينا العهود ان لا يمضى علينا يوم وليلة حتى نذكر الله تعالى بتكرير الجلالة أربعا وعشرين الف مرة**

على عدد الأنفاس التي تكون في اليوم والليلة نوما ويقظة ونذكرها في مجلس أو مجالس على نية أن الله تعالى يبسطها لنا على جميع الأنفاس التي تمر في النوم واليقظة والغفلة والنسيان

وإنما ذكرناها كذلك ولم نفرقها على كل نفس لأن ملاحظة ذلك يعسر على أمثالنا في هذا الزمان المبارك وإذا ذكرنا كذلك فنرجوا من الله تعالى أن يلحقنا بمن لم يغفل عنه نفسا واحدا في ليل أو نهار فإنا قد أهدينا هاله من خزائنه جملة أو جملا

ويقع لي أنى اذكر اسم الجلالة أربعا وعشرين ألف مرة نحو خمسة وأربعين درجة بأنفاس متوالية من غير خلل نفس أخرا وسكوت

فمن شاء فليعدها على سبحة أو حصى ومن شاء فليقلب المنكاب ويشتغل بقول الله الله حتى يمضى خمسة وأربعون درجة

واعلم يا أخي أنه لا يحسب لك من العمر إلا ما حضرت فيه مع ربك أو مع أسمائه

وصفاته وما عدا ذلك فهو والموت سواء فإن لم تيسر لك مراعاة ساعاتك كلها فأجعل لك ساعة أو ساعات للذكر تحيى بها ما مات من قلبك بالغفلة والسهو أو بالمعاصي والشهوات
وأقل مراتب من يحب ان يتسمى بالرجل أن يراعى أو فاته كما يراعى الديك أوام فويق أو الناموسية أو الصرصار
وكيف يليق بصاحب البيت أن يكون نائما كالجيفة وأم فويق أو الناموسة مستيقظة فمن نزل عن درجة هؤلاء الحيوانات فلا يسمى رجلا الا باللحية فقط والله غنى حميد .

**269 - أخذ علينا العهود ان نكف بصرنا وبصيرتنا عن النظر إلى عورة أحد من خلق الله سواء كانت العورة ظاهرة أم باطنة طريقها الكشف**
ويسمى هذا عند أهل الطريق الكشف الشيطاني فإن حضرة كشف السؤات حضرة الشياطين ولا يقع في كشفها أحد إلا وهو متلبس بأخلاق الشياطين فافهم
فإني سمعت كثيرا من الفقراء الذين لم يذوقوا طريق العارفين يمدحون الشيخ الذي يطلع على زلات المريدين وغيرهم وهو قصور
فإن أقبح ما على الأكابر وقوع بصرهم على عورة أحد من خلق الله تعالى بل بلغني عن أحدهم أنه وضع يده على فرج المرأة التي يريد مريده أن يزنى بها وذلك من سوء الأدب مع الله تعالى ومع ذلك المريد
وقد قال السيد أبو بكر الصديق رضى الله عنه
لو رأيت رجلا على حد من حدود الله لم أكن أدعو أحدا من خلق الله تعالى ليشهد معي انتهى
ولو كان هذا الشيخ من أهل الكشف التام لعرف الزنا إن كان مكتوبا على مريده أو غير مكتوب فلا يحتاج إلى وضع كفه ولا إلى هتك ستر مريده.

**وكان سيدي على الخواص يقول:**
لا يكمل الفقير حتى يصير لا يرى في أحد عورة قط وما دام يرى في الناس عورة فهو محتاج إلى جلاء مرآت قلبه على يد شيخ كامل فيرقيه من مراتب الجلاء حتى يدخله حضرات الأنبياء والملائكة والأولياء ويصير لا يرى عورة أحد قط من خلق الله ولا يخطر السوء ولا الفحشاء على قلبه

فإذا انجلت مرآت قلبه وتطهر من سائر النقائص فحينئذ يحكم للناس بعدم العيب لأن ذلك صورة باطنة حينئذ وكان عيسى عليه الصلاة والسلام إذا رأى من أحد شيئا وقال يا روح الله ما أنا بالذي رأيته يكذب عينه ويصدقه فراحة الباطن من أقوى أسباب علامات الفتح على المريد

وقد وقع لسيدي مدين رضي الله عنه :
أن فقيرا خرج من الزاوية فرأى جمرة خمر فكسرها فبلغ ذلك الشيخ فأخرجه من الزاوية وهجره سنة كاملة فقال له بعض الناس كيف تهجره يا سيدي على ازالته منكرا فقال الشيخ ما هجرته الا لدخوله حضرة الشياطين بإطماح بصره زيادة على موقع أقدامه حتى رأى المنكر ولو أنه كان ينظر إلى موضع وقع أقدامه فقط لم ير منكرا

وقد مكث الإمام مالك رحمه الله خمسة وعشرين سنة لا يخرج لجمعة ولا غيرها فقيل له في ذلك فقال أخاف أن أرى منكرا فلا أغيره وبالجملة فمن لم يدخل إلى حضرة الملائكة لم يبلغ مبلغ الفقراء لأنه إذا دخل في حضرة الملائكة لم ير منكرا هناك يزيله ويصير يحمل الناس على أحسن الأحوال وتأمل من عنده قوة شهوة وسبق جماع النساء إذا رأى رجلا خارجا من عند امرأة أجنبية لا محرم لها هناك كيف ينكر ذلك أشد الإنكار ويخطر في باله أنه ربما زنا بها قياسا على نفسه هو لو دخل عليها في خلوة وتأمل من خلق عنينا ولم يذق

قط لذة الجماع إذا رأى رجلا خارجا من عند أجنبية لا يخطر في باله قط أنه زنا بها ولا ينكر عليه إلا الخلوة بها فقط لعدم الميل إلى الجماع في باطنه فما في باطنه شئ يقيس عليه إلا كون ذلك الرجل لم يزن بها ومن هنا انكر بعض الفقهاء على الفقراء في عدم تغيير منكرات الأكابر مثلا إذا دخلوا عليهم في بيوتهم لظنهم فيهم أنهم رأوا ذلك المنكر وسكتوا عليه والحال أنهم لم ينظروه أو نظروه وأحسنوا الظن وظنوا بالخمر شرابا حلالا وبالمرأة أنها زوجة الواطئ ومن كان هذا مشهده لم يتوجه عليه إزالة منكر لأنه لم يشهد منكرا والله اعلم .

**270 - أخذ علينا العهود أن لا نكثر من مجالسة الأكابر من العلماء والأمراء ولا نأكل معهم على سماط إلا أن كان السماط عاما**
وذلك لأن كثرة مجالسة الأكابر يرفع الحياء والتعظيم المطلوب منا لهم

وكان سيدي على الخواص رحمه الله يقول إياكم وصحبة العلماء العاملين بعلمهم الذين يشهدون كمالهم وورعهم وعملهم بعلمهم فإنكم لا تطيقون القيام بحقوقهم التي يطلبونها منكم من خدمة وقيام وتقبيل الأيدي
فقلت لهم كيف صح وصفهم عاملين بعلمهم وهم يشهدون كمالهم وورعهم
فقال ولذلك قيدنا عملهم بالعلم يشهودهم الكمال إشارة إلى أنهم ما هم عاملين بعلمهم إلا بالدعوى فقط ولو كانوا صادقين لشهدوا نفوسهم أنهم قد استحقوا الخسف بهم لولا عفو الله
وكان سيدي إبراهيم المتبولي رضى الله عنه يقول :
إياكم وصحبة الأمراء فإنهم يمقتون في أوقات على أقل من القليل وعطبهم أكثر من سلامتهم لأن قلوبهم غير مملوكة لمن يخدمهم ويصاحبهم فالعبد عنهم أولى والسلام.

**271 - أخذ علينا العهود ان لا نقر تلامذتنا على اعتقادهم فينا أننا أعرف بالطريق من سائر فقراء زماننا**

كما عليه طائفة من مشايخ العجم فإن ذلك من سوء الأدب منا في حق إخواننا وفي حق أكابرنا من الأولياء الذي لا يجئ الواحد منا تحت إبط واحد منهم مع وقوع تلامذتنا في الزور والبهتان ومن أين يعرفون أننا أعرف أهل زماننا بالطريق وهم دوننا في المعرفة بالمقامات ويكفى إخواننا طريق انقيادهم لنا أن يعتقدوا فينا أننا اعلم وأعرف منهم بطريق أهل الله عز وجل في سائر ما يترقون إليه من الأدآب وهذا القدر يكفى في الأدب مع الشيخ

وفي العظام عن شهوة الاجتماع بغيره من المشايخ وفي قصة موسى والخضر كفاية لكل معتبر فإنها تشير إلى إنه قد يكون من عباد الله من لم يشتهر بالعلم وهو اعلم ممن اشتهر وكثيرا ما يجد العالم عند بعض العوام علوما ليست عنده .

وقد وقع للشيخ محيي الدين بن العربي رضى الله عنه

أنه ركب البحر فهاجت الريح فقال اسكن يا بحر فإن عليك بحرا من العلم فسكن البحر بمجرد قوله ثم إنه طلعت هائشة

وقالت له يا محيي الدين أسألك عن مسألة فإن أجبت عنها فأنت بحر علم كما قلت وان لم تجب عنها فأنت جاهل لا ينبغي لك منك دعوى العلم

فقال لها ما هي فقالت إذا مسخ الله زوج امرأة هل تعتد عدة الاحياء أو عدة الأموات

فما درى الشيخ محيي الدين ما يقول

فقال له الهائشة تعلمني شيخة لك وأنا أقول لك عليها

فقال نعم

فقالت إن مسخ حيوانا اعتدت عدة الاحياء وإن مسخ جارا اعتدت عدة الأموات فمن ذلك اليوم ما أسمع من الشيخ محيي الدين دعوى حتى مات.

ووقع للحسن البصري أنه قال لأهل مجلسه يوما وكان فيه خمسمائة محبرة تكتب عنه لا تسألوني في هذا المجلس عن علم نزل من السماء إلا أخبرتكم به
فقام له شاب نحيف البدن يتوكاء على عصاة حتى وقف عند كتفه
وقال يا سيدي الناموسة لها مصران ولأ كرش فما درى الحسن ما يقول
فحمل مغشيا عليه ومات بعد ثلاثة أيام والله سبحانه وتعالى اعلم .

**272 - أخذ علينا العهود أن نلح بالاستغاثة عند حلول البلاء ونسآل الله الإقالة ولا نتجلد ولا نتصبر كما يفعل بعضهم**

فإن ذلك مقاومة للقهر الإلهي وربما زاد المرض والألم علينا حتى يفنى تصبرنا وتجلدنا فنسأله الإقالة فإن فرار أمثالنا إلى محل الفجر وإظهار التألم من قرصة البرغوث أولى ولو كنا أقوى من ذلك فإنه تعالى يحب من عباده إظهار الضعف وكثرة سؤال العفو والعافية
وكان سفيان الثوري يقول ما أدرى والله ما يقع لو ابتليت ولعلى أكفر من السخط وتقول الملائكة للعبد إذا صبر ولم يضجر أنت فرعون وكذلك أعوان الوالي يقولون لمن يضرب في جريمة من الجرايم ولا يصبح ولا يستغيث ما لك عيط يطلقوك فاعلم ذاك .

**273 - أخذ علينا العهود أن لا نستعمل قط اسما السهروردي ولا اسما البونى ولا غيرهما بقصد شئ يحصل لنا من أمر الدنيا والآخرة**

فإن أسماء الله معظمة عن استعمالها في مثل ذلك ولا يقابلها من الجزاء الإلهى فمن أراد قرأتها فليجرد نيته عن حظوظ النفس في الدارين ليقرأها متسبحا لله وإظهار المجد والعزة لا غير وربنا يعطيه أفضل مما طلب وكيف ينبغي لعاقل ان يحبس نفسه جيعان عطشان لطلب أغراض خسيسة لو اعطيها العبد بلا سؤال

كان من الأدب عدم قبولها فكيف بمن يستخرجها بمعصار التوجه ليلا ونهارا واصل الاشتغال بذلك على نية الدنيا عدم السلوك على يد شيخ فلو أن أصحاب الحروف والأسماء سلكوا على يد كامل لعلمهم طريق الأدب مع أسماء الله تعالى ولكن لما فاتهم الجاه لعجزهم عن سلوك طريق الله وسوس لهم إبليس بما فيه هلاكهم وقال إن فعلتم ذلك انقادن لكم ملوك الدنيا نسأل الله العافية .
وكان سيدي إبراهيم المتبولى رحمه الله يقول وعزة ربى إن المشغولين بهذه الاسما والرياضات بقصد الدنيا أقبح من العصاة وهم من الذين يعبدون الله على حرف حتى لو صح وصولهم إلى مقام الصالحين بالاشتغال بأسماء الله فحكمهم كالرطب المعمول مع الجير والله عليم حكيم .

**274 - أخذ علينا العهود ان لا نغفل عنا يدخل باطننا من الحرام والشبهات**
وأن نضيق على أنفسنا ما أمكن رجاء أن يوسع الله علينا في ذواتنا وصفاتنا .
ويعطل صفاتنا المذمومة عن الاستعمال ويحرك المحمودة فإن أكل الحرام يسكن استعمال الصفات المحمودة ويحرك المذمومة والعارف من يأت البيوت من أبوابها الشرعية ولا يأكل مهما لقيه كالبهائم ويقول وخلق لكم .
وكان سفيان الثوري يقول لو أن شخصا عبد الله حتى صار كهذه السارية ثم لم يدر ما يدخل جوفه ما تقبل الله منه عملا .
واعلم يا أخي أن من أكل الحرام والشبهات وطلب وقوع أعمال الصالحين على يديه وبسط جوارحه للطاعات فقد أخطاء الطريق فإذا كان

الملك لا يؤمر قط أن يدخل قلبا وفيه صفة مذمومة من صفات الشياطين فكيف برب الأرباب ؟
يا داود طهر لي بيتا الحديث وقول بعضهم الفقير لا يرد محله في الحلال البين اما الشبهات فعليه ردها النص الشارع احتياطا وقد كان بشر الحافي يرد ومعروف لا يرد فقال الأشياخ مقام بشر أكمل لأن المعرفة لا تطفئ نور الورع ولعل ما نقل عن معروف كان في بداية امره .

واعلم يا أخي أن للمال الحرام والشبهات علامة في أوله وعلامة عند صرفه وعلامة عند أكله فالعلامة الأولى أن يكون للشرع على ذلك اعتراف كالمكتسب بالحيلة والغش والحوف ونحو ذلك والعلامة الوسطى أن يصرف فيما ينبغي من أكل ولبس وعمارة ونحوها والعلامة الأخيرة أن يقوم الأكل من النوم كالذي يتخبطه الشيطان من المس فيمكث ساعة حتى يصحى وأكل الحلال على الضد من ذلك فلا يكون للشرع في طريق تحصيله اعتراض وإن ينفق في وجوه الخير ويقوم الآكل من النوم وقلبه يقظان كأنه ما كان نائما والله تعالى اعلم .

## 275 - أخذ علينا العهود ان لا ندعو قط على من ظلمنا بسبب ظلمه لنا

ولا نقول قط : اللهم من كادنا فكده ، ومن بغى علينا فخذه ، ونحو ذلك
فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا على قريش بالهلاك أنزل الله عليه وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
فاستحيي من الله عز وجل وترك الدعاء عليهم **وصار يدعو لهم بالهداية**
**وقد تقدم في هذه العهود أن من شرط كل عارف بالله عز وجل أن يرى نفسه قد استحقت الخسف به لولا عفو الله** وأن جميع ما يقع به من البلايا والمحن يراه دون ما يستحق من العقوبة ويقول من استحق

النار فصولح بالرماد لا ينبغي له الغيظ فيجب علينا الصبر على جور الحكام وظلمهم ونرى انهم ما ظلمونا وسلطوا علينا الأجزاء لعمل سابق منا وليس بيدهم حل ولا ربط ولا جور ولا ظلم فحكمهم حكم زبانية جهنم سواء لكن الزبانية تحت الأمر إلا لهى صريحا والظلمة تحت الإرادة دون الأمر .

فافهم هكذا يشهد ذلك كل عارف بالله تعالى يقينا لا ظنا ولذلك قل تكدير العارفين من الظلمة إذا ظلموهم .

وكان الجنيد رضى الله عنه يقول لو جلس شخص عن يميني من أحب الناس إلى يكلمني بأطيب الكلام يشممنى الندى والعنبر وجلس شخص عن شمالي من أبغض الناس إلى يقرض جلدي بمقاريض من نار ما زاد هذا عندي ولا نقص هذا عندي وذلك لأن حكم الخلق حكم السوط الذي يضرب به الناس ومن اغتاظ من السوط فهو خفيف العقل والله اعلم .

**275 - أخذ علينا العهود أن نرفق بالمسيئين من هذه الأمة المحمدية**

وأن نكون أرحم بهم من أنفسهم بحكم الإرث في ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا العلماء ورثة الأنبياء صلى الله عليه وسلم لا سيما إن كانوا منكسرين الخاطر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ومن رحمة العصاة إقامة الحدود عليهم في الدنيا وكثرة الإنكار عليهم فالعارف من يقيم العذر للعصاة باطنا قبل إنكاره عليهم عملا بقوله تعالى :ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا فإن الحق تعالى ما دام يخلق لهم المعاصي لا يمكنهم الرجوع عن الوقوع فيها فإذا رجع الحق تعالى عن خلق المعصية لهم تابوا

لا محالة بل لو قدر أنهم أرادوا المعصية ما وجدوا ما يعصون به فافهم واعتبر والله غفور رحيم .

**277 - أخذ علينا العهود أن لا نتكل قط على غير الله تعالى من عمل أو علم أو صلاح**

فإن من كان عزه بسوى الله فعزه مهدوم ولو كان من أكابر الأولياء فالعارف من يكثر من الأعمال الصالحة عبودية لله من غير اتكال عليها قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة أحد بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته وقد ذكرنا في كتاب الدرر والجواهر أن أكابر الملا ميتة إنما لم يكثروا من نوافل الطاعات خوفا أن يخطر على بالهم أن مثلهم لا يعذبه الله أو أنهم زادوا على ما كلفوا به في ذلك رائحة المنة على الله تعالى بالعمل والاعتماد على الأعمال فلذلك اقتصروا على أداء الواجبات لكونهم فيها عبيد اضطراء لا رائحة للمنة عندهم فيها رضى الله عنهم أجمعين .

فإياك يا أخي والإنكار على بعض الفقرا إذا رايته قليل النوافل من سهر الليالي وصوم الأيام وغير ذلك فقد يكون مشهده ما قلنا والله عليم حكيم .

**278 - أخذ علينا العهود أن نداوى نفوسنا ونحسن إليها في بعض الأوقات بأكل المطاعم اللذيذة والثياب النفيسة**

ولسان حال النفس يقول لصاحبه كن معي في بعض اغراضى وإلا صرعتك واعلم يا أخي أن كل فقير خرج عن نفسه صارت لله عز وجل كما هو الأمر عليه في نفسه فليس له من نفسه شئ والواجب عليه حينئذ اكرامها وخدمتها والإحسان عليها تعظيما لمن هي منسوبة إليه ومن إكرامها إطعامها اللذيذ وإلباسها الناعم وسقيها الماء البارد

والحلو وعدم تقديم ضد ذلك بين يديها لا سيما بعد طول مجاهدتها وصبرها على الجوع والعطش والعرى أيام سلوكها قال تعالى :هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلَّا الْإِحْسانُوتقدم في هذه العهود أن سيدي الشيخ أبا الحسن الشاذلي رضى الله عنه كان يأمر أصحابه بأكل اللذيذ ولبس الناعم

<u>ويقول إن العبد إذا فعل ذلك وقال الحمد لله</u> يستجيب كل عضو فيه للشكر وإذا فعل الضد لا يستجيب كل أعضائه بل يقول وعنده أشمئزاز وكراهية أكل اللذيذ مع استجابة الأعضاء للشكر أحسن من أكل الخشن مع الإخلال بالشكر ولعل هذا مشهد الأكابر الذين تنعموا وتبسطوا في الدنيا بالمأكل والملابس كسيدى عبد القادر الجيلى وسيدي علي بن وفاء وسيدي مدين وأضرابهم ومشهدي أنا الآن
وأعوذ بالله من قول أنافى أكل اللذيذ ولبس كل ما وجدته إني أقدمه على الخسيس قياما بواجب حقه وإعطاء لمرتبة حقها فإن الله تعالى قد رفعه بين الناس كلهم من الملوك والامراء والتجار وغيرهم فأنا استحى من النفيس أن أقدم عليه شيئا دونه وإن وقع منى ذلك في وقت حصل لي منه خجل كما إذا اخليت بواجب حق ملك أو أمير أو كبير على حسب تفاوت ذلك الطعام أو الشراب أو الثياب أو الفراش ولكن إن كثر خبر الحاضرين لاستعمال النفيس بحيث مال كلهم إلى الحلو مثلا وتركوا البسلة أكلنا نحن منها حتى نعرف أنها رضيت كما نصالح من كان متشوشا منا حتى يرضى .
فإياك يا أخي أن تتبعنا في العمل بهذا العهد تقليدا من غير ذوق فتخسر والله تعالى اعلم .

**279 - أخذ علينا العهود ان لا نقع قط في نذر لأن في ذلك من سوء الأدب مع**

**الله تعالى ما لا يخفى على عارف** أقل ما فيه إلزامنا نفوسنا بهوانا فعل أمر ليس في يدنا ولا نعلم هل يقدرنا الحق تعالى على الوفاء به أم لا مع أن الحق تعالى قد وسع علينا ولم يضيق علينا قبل نذرنا بوجوب إخراج ما نذرناه فلما نذرناه أوجب علينا إخراجه وحكم بعصياننا لو لم نخرجه عقوبة لنا لمزاحمتنا له في التشريع ولا لزامنا نفوسنا بفعل شئ كان قد أباح لنا تركه وفي الحديث ان النذر لا يقدم أجلا ولا يؤخره وإنما يستخرج منه من البخيل فما حمله على النذر الا عظمة ذلك المنذور عنده فما هان عليه إخراجه للناس الا بعسر شديد فكان كطعام البخيل سواء فلا ينبغي لأحد أكله فإنه داء في الجسد نسأل الله العافية .

**280 - أخذ علينا العهود أن لا نعاهد ربنا قط على فعل شئ أو تركه في المستقبل كان نقيد على أنفسنا بورد معين في وقت معين لقصد معين**

لأنه ربما كان في علم الله عز وجل عدم قسمة ذلك فنقع في نقض العهد ويصير علينا معصيتان معصية عين الفعل ومعصية النفس ولولا تقدم العهد لكانت معصية واحدة ولهذا المعنى الذي قررناه أمر الحق تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار لمن بايعه من المؤمنين والمؤمنات في قوله :إِذا جاءَكَ الْمُؤْمِناتُ يُبايِعْنَكَ عَلى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً الآية وإنما أمره صلى الله عليه وسلم بالاستغفار لهن في المبايعة على ما ذكر من رائحة سوء الأدب فإن الأمور المستقبلة ليست في يد أحد من الخلق فافهم فعلم أنه ليس على العبد إلا أن يزن كل شئ برز على يديه بميزان الشريعة ويعطيه حقه فما كان من طاعة قال الحمد لله وما كان من معصية قال استغفر الله فإن الأعمال قبل بروزها من الجوارح لا حكم لها

ويكفينا في الأدب مع الله تعالى العزم على أن لا نعود لننظر تلك المعصية من غير معاهدة لربنا فننوى ان لا نعصيه قط لو قدر أن الأمر بيدنا والله غفوور رحيم .

**281 - أخذ علينا العهود ان لا نؤدب أحد من أولادنا وخدامنا وإخواننا وغيرهم بقطع رزقه بالأوهام**

وإلا فرزق العبد لا يصح لأحد قطعه عنه كل ذلك عملا بقوله تعالى ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا إلا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم نزلت الآية في أبى بكر الصديق رضى الله عنه كان ينفق على مسطح .
وجماعة من الفقراء فلما وقعوا في الإفك قطع بره عنهم فلما نزلت الآية قال بل أحب أن يغفر الله لي ورد عليهم نفقاتهم .

وأنشد بعضهم لأبيه حين أدبه بتضيق المعيشة فقال :

**لا تقطعن عادة بر ولا * تجعل عقاب المرء في رزقه**
**واعف عن الذنب فإن الذي * نرجوه عفوا لله عن خلقه**
**فإن قدر الذنب من مسطح * يحط قدر النجم من أفقه**
**وقد بدا منه الذي قد بدا * وعوتب الصديق في حقه**

وعلم من قولنا ولا يقطع رزقه بالأوهام أن حصول الإثم بالقصد فقط دون قطع الرزق نفسه لأنه لا يصح فافهم وعلم أن المعاقبة للعبد بتضيق المعيشة من خصائص الحق تبارك وتعالى لأنه أرحم بالعبد من والدته بخلاف العبيد ليس لأحد منهم ذلك بل الواجب عليهم أن يعودوا نفوسهم الإحسان إلى كل بر وفاجر ومن أحسن إليهم ومن أساء وأن يبدو بالقرب ولو كتم ويؤخروا البعيد ولو نشر ولا يعطوه إلا ما فضل عن القريب وهذا الحال يقع فيه كثير من الناس فيرون قرابتهم في غاية الضيق ويتعبدون بهداياهم وافتقاداهم من العادة يكتم ويكفر ولا يرى لقريبه منه عليه إذا أحسن إليه والله اعلم .

**282 - أخذ علينا العهود أن نبدأ في رفع حوائجنا كلها إلى الله تعالى أولا بتوجه الباطن**

فإن لم تقضى رفعناها للوسائط من خلقه فإن لم تقضى تربصنا لها وقتا اخر ثم إذا قضيت على يد أحد من الخلق شكرنا الله تعالى أولا ثم من قضاها من خلقه ثانيا وإن لم تقضى على يدهم شكرنا الله تعالى وسكتنا ولم ننسب إلى الخلق شيئا ولو عاونوا على عدم قضاها .

واعلم يا أخي أن من أسرع الناس إجابة عند الله تعالى كما جربناه أصحاب الباطن الصافي الذي لا غل عندهم ولا مكر ولا خداع ثم أكابر الدولة ثم أكابر العلماء العاملين والتجار والمعلمين

فإن الله تعالى يستحى أن يرد مثل هؤلاء ولما طلعت إلى الباشاه في قلعة مصر المحروسة في قضية سألته الدعاء فاستغرب ذلك منى فتوقف وقال منكم الدعاء فقلت له لا بد فدعا لي بإصلاح الحال فوجدت أثر إجابته قبل نزولى من قصره لطف الله به

وبنا وذلك لأن قليلا من الفقراء من يلحظ هذا الملحظ من الولاة إنما ينظرونهم بعين الازدراء الله غفور رحيم والله تعالى اعلم .

**283 - أخذ علينا العهود ان لا نكتم علما عن مستحقه**
فإن الأمور قد بلغت حدها في الكتمان وهذا العهد لا يحتاج إليه إلا من ترك الرياسة ومالت نفسه إلى الخمول كما كان عليه السلف الصالح من التابعين ومن بعدهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في حق هؤلاء من كتم علما الجم بلجام من نار يوم القيامة تشجيعا لهم على اظهار العلم ونشره وأما الناس اليوم فقد مالوا إلى حب الظهور فلو توعدوا على إخفاء علمهم ما أخفوه والله غفور رحيم والله سبحانه وتعالى اعلم .

**284 - أخذ علينا العهود أن لا نجتمع بكل واعظ برز في زماننا ونحضره ونسمع منه فإن الله تعالى ما أظهره سدى**
ومن قال نحن بحمد الله لا نحتاج الأن إلى واعظ دعوى وحظ نفس
ومن قال لا نمضى إليه خوفا أن نسمع منه شيئا لا نستطيع العمل به فذلك من تلبيسات الشيطان ولو فتح هذا الباب لأدى إلى كراهة سماع القرآن والحديث لعجزنا بيقين على العمل بالكتاب والسنة كاملا ولو قابل بذلك فلا يستغنى عن سماع الواعظ
ثم إذا رأينا الواعظ زاهدا في الدنيا ما يلأ إلى ستر عورات الناس يرى الناس أحسن حالا منه محبا لكل واعظ برز في زمانه ومكانه صاحبناه وترددنا إليه لامكان صدقه وإذا رأيناه بالضد من ذلك فارقناه بجميل وسألنا الله له إصلاح الحال والله عليم حكيم .

**285 - أخذ علينا العهود أن لا نؤثر أحدا على أنفسنا إلا عند قوة شحها ونجلها**

فنعاقبها حينئذ بالإيثار حتى تسكن فإذا سكنت وذهب شحها اتضح لها جميع ما نؤثر به غيرنا ليس من رزقنا إنما هو كان أمانة عندنا له وقدمنا حينئذ نفسنا على غيرنا وتركنا الإيثار وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم ابدا بنفسك

كما يحمل مدح الحق تعالى للموثرين على أنفسهم على ماذا قوى شح نفوسهم فإنه لولا ذلك المدح ما نجوا من تلك الورطة ولا خرجوا من البخل فافهم فلكل رجال مقال .

فعلم أن السخاء والكرم والجود على خروجه لا حقيقة له في الأشياء الثبوتية لأن الجيد لم يعط أحد من رزق نفسه شيئا إنما هو خازن للناس ارزاقهم حتى لو قدر أن الكريم منع أحد من رزقه وبخل عنه به لوصل إليه على رغم انفه ولو
بالغضب والسرقة والنهب فليحذر الكريم من أن يرى له منة على من يحسن إليهم فيكب على وجهه فإن الله تعالى ما مدحه إلا فضلا منه وتنشطا للعطاء لما سبق في علمه من عزم الكريم عن الانفاق لكل ما دخل في يده ولولا ذلك ما احتاج إلى سياقه المكرم بالمدح بل كان بأمر الحق تعالى بالتكرم من غير مدح .

وأما البخيل فإن الله تعالى لم يجعل لاحد عنده رزقا وذمه عدلا منه لما علم منه خبث السريرة وإلا فإذا لم يجعل الحق تعالى لأحد عند البخيل رزقا فكيف يمكنه أن يعطى أحدا شيئا فتأمل ففي طي الكرم والبخل ضرب من المكر والبخل والاستدراج والله تعالى اعلم .

**286 - أخذ علينا العهود إذا تلونا القرآن أن نلقى بالنا لشهود صاحب حب الكلام لا لمخارج الحروف والأحكام**
وهذا شأننا ما دمنا قاصرين عن درجة

الرجال فإن من الله علينا بالكمال جمعنا في قلبنا بين شهود ذلك كله والا فشهود صاحب ذلك الكلام وهو المقصود كما أن صاحب الدار مثلا هو المقصود بالزيارة دون الدار فافهم وعلة ذلك أن شهود مخارج الحروف والأحكام تفرق عن الحق تعالى لا عينة فاية تذهب بنا إلى الجنة وما أعد الله لعباده فيها فنشهد ذلك بقلوبنا ونشخصه فيها فنحجب بذلك عن ربنا واية تذهب بنا إلى النار
وآية تذهب بنا إلى الطلاق وآية تذهب بنا إلى معرفة المواريث
وآية تذهب بنا إلى قصة آدم وما جرى له مع إبليس
وآية تذهب بنا إلى نوح وما جرى له مع قومه
وآية تذهب بنا إلى إبراهيم وما جرى له مع النمرود
وآية تذهب بنا إلى قصة فرعون وما جرى لموسى معه وهكذا ومقصود الأكابر بتلاوة القرآن إنما هو الاجتماع بقلوبهم على الحق تعالى لا بأحكامه وآثارها عكس ما عليه غيرهم فيليهما من الدرجات ما بين مقصديهما .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول
المراد بتدبر القرآن أن يجمع القارئ على الله عز وجل لا على معرفة أحكامه فقط فهذا هو التدبير الكامل انتهى وإيضاح ذلك أن الكلام من صفات الله عز وجل والصفة لا تفارق موصوفها بخلاف الأحكام فتأمل .

واعلم يا أخي أنك لا تصل إلى شهود صاحب الكلام بقلبك إلا بعد إلقاء بالك إلى معاني الكلام وألفاظه بمواعظة فهذا هو سلم الوصول إلى هذه الدرجة فروض نفسك يا أخي بالقاء بالك على معاني كلام ربك فكلما مررت على شئ أمر الله به فقل بقلبك سمعا وطاعة وكلما مررت على شئ نهاك عنه فقل لا حول ولا قوة

إلا بالله أي في الترك إلى ذلك المنهى عنه وتدبر ذلك في سورة واحدة ينفتح لك الباب
فإذا قرأت سورة البقرة مثلا
فانظر أول ما نصحك الحق تعالى به تجده لا تفسدوا في الأرض أمنوا
كما أمن الناس اعبدوا ربكم لا تجعلوا لله أندادا اتقوا النار أوفوا بعهدي اذكرونى أمنوا
بما أنزلت ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بأياتى ثمنا قليلا وإياي فاتقون
ولا تلبسوا الحق بالباطل واستعينوا بالصبر والصلاة
واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا وهكذا فقف عند كل خطاب ولا تنتقل لما بعده
حتى تتدبر حكمة ما جاء له فمن عمل على التقدير انفتح له أبواب من الأدآب الإلهية
والأسرار الربانية وزهد في الدنيا .

وقد حكى أن شابا كان يقرأ القرآن كاملا في تهجده كل ليلة فبلغ ذلك شيخه ، فقال : يا
ولدى بلغني أنك تقوم بالقرآن كله في ليلة فقال نعم فقال يا ولدى إذا كان الليلة الأتية
فمثل كأنك تقرأه على ولا تغب عن شهود ذلك
ثم أخبرني بما يقع فقام تلك الليلة ممثلا كأنه يقرأه على شيخه فطلع الفجر عليه وهو
يقرأ في سورة مريم فأخبره
فقال يا ولدى مثل هذه الليلة كأنك تقرأه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلع
الفجر عليه وهو يقرأ في سورة المائدة
فلما أخبره بذلك قال له :
يا ولدى هكذا يكون تلاوة القرآن العظيم ، ولكن يا ولدى أدلك على أمر فوق ذلك إذا
كان هذه الليلة فتطهر باطنا وظاهرا واستشعر عظمة الحق تعالى في قلبك ومثله كأنك
تقرأ على الله عز وجل كلامه ونستفهم منه معانيه ولا تغب عن مشاهدته فطلع الفجر
عليه وهو يكرر إياك نعبد لا يستطيع أن يتعداها وأصبح مريضا أصفر اللون يعاد كأنه
له شهر

مريضا ، فانتظره الشيخ فلم يأت ، فخرج إليه الشيخ وأخبره بما وقع ، فقال :
يا ولدى هكذا تكون تلاوة العارفين ثم مات الشاب يوم الثالث رضى الله عنه .

**287 - أخذ علينا العهود أن لا نمكن أحدا من إخواننا الذين يقرون الأطفال من مزاحمة الصغار في خبزهم ولا في تقسيط خبزهم عليهم كسرة بعد كسرة**

فإن ذلك فتح لباب أخذه في ذلك التهاون ونعلمهم أن من كان رتبة الفقيه وشامته أن يزهد في خبز الصغار وخميسهم وإذا فضل شئ هو مستغن عنه يرسله إلى من يستحقه ولا يذوق منه لقمة وقد حدث في هذا الزمان أقوام يأخذون خبز الصغار والخوانق والصدقات يبيعونه بفلوس ويدخرونها وشرط قارئ كتاب الله ان لا يكون له رغبة في الدنيا .

وقد مات فقيه بناحية جامع طولون بالقاهرة كان يقرأ القرآن بالأربعة عشر رواية فوجدوا عنده مالا له صورة في خزانته حصلة من خبز الصغار وخميسهم وطعامهم فقل الناس عنه الرحمة رحمة الله تعالى وقد عمل الفقيه زحلق صرافة فحصل له فيها عشرة آلاف دينار ففرقها كلها في المجلس وقبره بقرافة مصر مشهور وكانت صرافة ابن كاتم السر رضى الله عنه .

**288 - أخذ علينا العهود إذا أمرنا على من عجزنا عن مصالحته من الإخوان أن نظهر له الذل والمسكنة ما أمكن**

فلا نلبس ثيابا مبخرة ولا نتطيب بالمسك والرند والعنبر ولا نضحك ولو رأينا ما يضحك كل ذلك رحمة باخينا في الإسلام فإن هذه الأمور تكمد المبغض وتدخل عليه الغم حتى أنه يكاد يتميز من الغيظ فمن فعل شيئا من هذه الأمور بقصد إدخال الغم على أخيه ربما قيض الله تعالى بحكم العدل من يكمده ويدخل عليه من الغم نظير ما فعل

بذلك المبغض ويقرب ما ذكرنا التظاهر لمن يكرهنا بالطاعات العظيمة والصدقات الكثيرة والغد ومات للناس بقصد اكماده لا بقصد القربة إلى الله لا سيما إن كان من يكرهنا لا يقدر على فعل ذلك والله غفور رحيم .

## 289 - أخذ علينا العهود أن نكرم الناس على حسب منازلهم ونفعهم في الكون

كالطبيب والمسلك والعالم والطباخ والجزار والخباز والنوتي والتراس وعرب الشعارة ومقدم الوالي والأمير والمباشر وزبال الحمام وأضرابهم
فإن هؤلاء حمالون أعباء المملكة على كواهلهم وحكم غيرهم كالزوائد إذا علمت ذلك فمن الأدب أن تزيد لهؤلاء في البشاشة وطلاقة الوجه ما أمكن زيادة على ما نفعله مع غيرهم فلو لا الطبيب لسقمت أبدان الناس ولولا المسلك لسقمت أرواحهم ولولا العالم لذاب نظام دينهم ، ولولا الطباخ ما أطمان الناس في حرقهم ولكان شملهم يتشتت من الجوع ،
ولولا الجزار لتقذرت ثياب العلماء والأكابر من مخالطة النجاسات ،
ولولا الخباز لأحتاج كل إنسان أن يباشر الزبل والدخان وحصل له غاية المشقة ،
ولولا النوتي لبقى صاحب الحاجة في هذا البر ينظر إليها لا يستطيع الوصول إليها ولما استطاع الناس حمل أمتعتهم الثقيلة من البلاد البعيدة لا سيما أيام النيل
وكذلك التراس ، ولولا عرب الشعارة ومقدموا أمير الحاج لمات غالب الناس في طريق الحجاز ولم يجدوا من يحملهم إلى بلادهم لا سيما وغالبهم لا فلوس معهم فيقولون للرجل الذي عيى من المشي وخرس من الجوع والعطش ما اسم بلدك فبمجرد ما يخبرهم ببلده يحملونه وهذه فضيلة لا يعاد لها عبادة ،
وكذلك لولا مقدم الوالي والحيلية ما انزجرت العياق من

النزول إلى حريم الناس من الضعفاء والمساكين لعجز الضعفاء عن دفع العياق عن أنفسهم وأموالهم وحريمهم .

ولولا الأمير ما انتظم شمل المأمور لولا المباشر ما انضبطت أموال الفلاحين لأستاذهم ولا أموال المكس لأهلها وإلا كان الأستاذ والمكاس ينكران أخذ ما أخذ ويطلب غرامتهم ثانيا لغلبة قلة الدين عليه .

ولولا الزبال للحمام والوقاد لا خرج غالب الناس صلاة الصبح وغيرها عن وقتها لعجز غالب الناس عن تسخين ما يغتسل به والماء البارد يورث استعماله الانحدارات واضرار البول وغير ذلك فالحمد لله رب العالمين .

**290 - أخذ علينا العهود أن لا نتعشق قط لوارد من الواردات ولو ولد عندنا غلام أو صفا للنفس أو خشوعا في القلب أو سعة في السراء وخوفا من الله ونحو ذلك**

فإن هذه كلها غير الله تعالى وإن وقع منا التفات إلى ورد فليكن ذلك على سبيل اعطائه حقه من الأدب مع الحق تعالى وأنا اعملك ميزانا تعرف بها وأراد الحق من غيره وهو أنه إذا دام الوارد عليك من حين ورد إلى موتك فهو من الحق تعالى وإن زال بعد وروده بمدة فهو لمحة من ولى أو ملك وإن عارضك أحيانا وغاب عنك أحيانا فهو من إصلاح الطعمة لا غير وعلى قدر حيات الأرض يفلح الزرع .

وسألت شيخنا رضي الله عنه ما علامة تعشق الوارد فقال علامته أن يعسر عليك فراقه فمتى عسر عليك فراقه فهو من حظ النفس ففراقه أحسن والله سبحانه وتعالى اعلم .

**291 - أخذ علينا العهود ان نتسلسل في الاشتغال بمخالفة النفس في كل خاطر**

فإنه اشتغال بغير الله تعالى وليست هذه طريق العارفين إنما هو طريق العباد الذين سلكوا بغير شيخ وهي طريق مبنية على التدبير والاختيار ومعلوم عند كل عارف أن النفس لا تدبر وتختار لنفسها إلا ما فيه بقاوها وجميع الأكابر ما سلكوا إلا على عدم الاختيار والتدبير وعدم الركون إلى حال دون أخرى

وفي المثل السائر من رمى سلاحه حرم قتاله وليس سلاح العبد إلا كل شئ أختاره دون الله تعالى من الأعمال والأحوال
فمن أراد أن تفنى خواطره المذمومة فليشتغل بالله عز وجل على يد شيخ مرشد حتى يرقيه إلى درجة الكمال ويدخله حضرة الملائكة الذين لا يخطر السوى على قلوبهم

وقد بسطنا الكلام على الخواطر الشيطانية وغيرها في كتاب الجواهر والدرر والله اعلم .

**292 - أخذ علينا العهود إذا بلغنا أربعين سنة من العمر ان نطوى فراش النوم ونقبل على ربنا**
ولا نغفل عن كوننا مسافرين ليلا ونهارا حتى لا يكون لنا قرار نرى الذرة الواحدة من عمرنا بعد الأربعين مقومة بمائة عام قبل ذلك لضيق العمر حينئذ وعدم مناسبة الغفلة والسهر واللهو واللعب على من أشرف على شفير القبر

وكذلك لا يكون بعد الأربعين مزاحمة على وظيفة ولا راحة سر ولا متاع ولا زينة ولا فرح بشئ من الدنيا ولو علما وكشفا ونحو ذلك لأنه كله اشتغال بغير الله عز وجل

وما أمرنا الحق تعالى بالاشتغال بشئ إلا إن كان يجمعنا عليه فإن كان يشتتنا عن الحق تعالى تركناه وزهدنا فيه فإن كل من استند لغير الله خانه ذلك الشئ فكان ذلك المستند إلى غير الله ما حصل على شئ طول عمره.

وكان الإمام أبو حنيفة ينشد :
**كفى حزنا أن لا حياة هنيئة * وعملا يرضى به الله صالح**
ودخلوا على الشبلي وهو محتضر فوجدوه يقول يجوز يجوز ويكررها فقالوا له ما هذا القول في هذا الموضع فقال تخاصمت عندي روحي وبدني فقالا ما تقول في شريكين دخلا في الشركة على أن يتجرا ويربحا فمضى عمرهما كله ولم يربحا شيئا فهل يجوز أن يفترقا فقلت يجوز فكررا على القول قلت يجوز يجوز والله اعلم

**293 - أخذ علينا العهود أن لا نرى أنفسنا قط على أحد من تلامذتنا**
فإن الله تعالى ما أمرنا إلا بأن ننصحهم ونعلمهم لا أن نراهم دوننا في الرتبة فافهم فإن ذلك يقع فيه كثير ممن لم يبلغ من الرجال من المتمشيخين بمنام أو غيره .

وقد سمعت مرة شيخا يقول لتلامذته لا تقنطوا فإنا كنا أسوء حالا منكم وانظروا ما حصل لنا من المقامات والتشريف على أقراننا .

وسمعت أخي أفضل الدين رحمه الله يقول لا يكمل الفقير حتى يستتر عن تلامذته وأقرانه بحيث لا يصير له قط عليهم تمييز ولا رتبة ويرونه كأحدهم فلا يقومون له إذا ورد ولا يقبلون له رجلا ولا جسدا لكونه يعلمهم ويرشدهم بخضوع وسياسة بحيث لا يشعرون ان ذلك الترقي على يديه .

وكان سيدي أحمد الزاهد يقول أواخر عمره ما عرفني أحد من أصحابي إلى الأن فقيل له ولا مدين فقال ولا مدين إذ لا يعرف الرجل إلا من شرب

من مسقاته والسلام فعلم مما قررناه ان من ربى المريدين وأرشدهم من حيث لا يشعرون خرج من الدنيا ولم ينقص له رأس مال وذلك لأنه أظهر لهم فضله عليهم ربما قابلوه بالخدمة والتعظيم فتكون تلك بتلك .

وكان السلف الصالحون ينصحون ويرشدون بعضهم بعضا من غير تمييز ولا جلوس على سجادة ولا وقوف الناس بين يديه غاضين أبصارهم ولا غير ذلك
فإن هذه الأمور لا تليق إلا بالملوك وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين لهم وإن كان للأشياخ مستند في تعظيم الشيخ من حيث نسبته إلى الله فالوجود كله منسوب إلى الله نسب حق لا نسب مجانسة فافهم فثم فاضل وأفضل وكامل وأكمل والحمد لله رب العالمين .

**294 - أخذ علينا العهود أن لا نمشى قط في دهاليز المساجد ولا صحونها فضلا عن إيوانها بتاسومة ولا حلفاية**
فإن ذلك معدود من سوء الأدب عند العارفين إلا لشدة حر وبرد وأما المشي بالتاسومة على حصر المسجد وبسطه فذلك من فعل الخارجين من حضرة الأدب فإن المسجد من أخص حضرات الحق تبارك وتعالى لأنه محل مناجاته وموضع جباه الملائكة والمقربين وصالحي المؤمنين
وأكثر من يقع في حياته هذا العهد من تشبه بأهل العلم من أولاد الفلاحين وكيف يناسب من أصله فلاح يرعى الجاموس والبقر أن يمشى ينعل يفرقع به بين الساجدين في مثل الجامع الأزهر وغيره
وينسى دخوله ذلك المسجد حافيا محزق الثياب على رأسه قحف منحوت لا يساوى درهما بل كنت مرة أصلى قريبا من منبر الجامع الأزهر فوجدت إنسانا يفرقع بتاسومة وهو قاصد جهة المحراب والناس يتركعون في سنة العصر وهو

يمشى بها قريبا من وجوههم وهم ساجدون فنظرت إليه فإذا في يده وشم كالنساء من نسائه .

فقلت له يا أخي ما هكذا الأدب من أمثالنا من أولاد الفلاحين فقال تنهاني عن الاحتياط في ديني فقلت له شاكل بعضك بعضا
فجاء سيدي هارون بن أمير المؤمنين وليس في رجله حلفاية فقلت له انظر يا أخي إلى ابن الخليفة أمير المؤمنين الذي تولى نفس السلطنة المملكة كيف جاء حافيا
فقال أنا أفضل منه بالعلم فسكت عنه واعلم يا أخي أنه ما رأت عيناي أحدا من الفقراء أكثر تعظيما للمساجد من سيدي على الخواص كان يقول لا ينبغي لأمثالنا أن يدخل المساجد إلا في عمار الناس بعد سماع قول المؤذن حي على الصلاة لا قبله فيدخل أحدنا وهو خائف كخوف المجرم إذا دخل بيت الوالي بل أشد لأن مثلنا لا يقدر على أدآب الجلوس في المساجد

فقلت له مال هؤلاء القاطنين في المساجد فقال مثل هؤلاء أمرهم محمول لكونهم كالبهائم بقرينة اخراجهم الريح في المسجد وضحكهم وغيبتهم للناس فيه وعدم سماع ما يتلى فيه من القران وغير ذلك .

واعلم أنه لم يبلغنا عن أحد من أئمة المذاهب أنه كان يفعل مثل ذلك في المساجد مع شدة ورعهم وكثرة خوفهم من الله تعالى فهل أنت يا أخي أكثر احتياطا لدينك منهم فإن رأيت ذلك فأنت مجنون .

وقد رأيت مرة في ثوب أخي أفضل الدين رحمه الله أثر دنس فقلت له ألا تغسله فقال لي نفس ذاتي متنجسة بصفات نجسه حتى صار كل قميص وضع على ذاتي متنجسا فكيف حال من ينجس كل شئ خالطه ثم قال والله

العظيم إني لا لبس القميص الطاهر وأنا منه في غاية الحياء والخجل حين أنجسه بلبسى .

ولقد لبست يوما قميصا فنطق لي وقال لي يحل لك من الله أن تضعني على ذاتك هذه النجسة الأخلاق التي لم ينظر الله إليها فغشى على من كلام القميص انتهى .

واعلم يا أخي أن أصل الوسواس من المكث في حضرة الشياطين وأصل دخول حضرة الشياطين من ظلمة الباطن وأصل ظلمة الباطن من أكل الحرام والشبهات فمن أراد ذهاب الوسواس عنه والخروج من حضرة الشيطان وتلبيساته

فليتورع في اللقمة ولا يأكل إلا ما حل بإجماع أهل الظاهر والباطن فمن تورع باللقمة كما ذكر ضمنت له زوال الوسواس بالكلية لأن أكل الحلال ينور الباطن وإذا نار الباطن دخل حضرة الملائكة والأنبياء والأولياء وليس في حضرة هؤلاء شئ من الوسواس والتلبيسات كما هي حضرة الشياطين أبدا
وأما إذا أكل الوسوس طعام أهل الرشا والمكوس والبلص والرياس القضاة والمكاسين والرسل والبزدارية والمرائيين والاكلين بدينهم وصلاحهم من طائفة الفقراء اليوم فلا يليق به الوسواس في غسل الأعضاء الظاهرة إذ اللحم النابت من أكل الحرام لا يكفى في طهارته الماء ولو غسله ألف مرة وإنما تكون طهارته بالنار كأجساد الكفار فافهم فإن في اللحديث كل لحم بيت من حرام فالنار أولى به .

وكان عمر بن عبد العزيز يقول إن الذين يأكلون الحرام إنما هم أموات ولو كانوا أحياء لوجدوا ألم النار في بطونهم واعلم أن حكم من يأكل من

هذه الخبائث حكم من غطس في خرارة مذبح في فرث ودم وقيح حتى ملأ بدنه وثيابه فلما خرج للصلاة رش عليه ما ورد فقال شخص يا أخي اغسل عنك هذا القذر ثم رش الماء ورد ليشاكل بعضك بعضا فلم يفعل

وقال تمنعني من فعل السنة والاحتياط فهذا شان الموسوسين في هذا الزمان فأكل الحلال هو قطب دائرة الصفات المحمودة الخارجة عن بيت التلبيس ورأيت مرة موسوسا أخذ دينارا من مكاس فشكر فضل ذلك المكاس ثم صار يغسله الماء ليطهره فقلت إذا كانت الذات نجسة كالكلب كيف تطهر فقال تمنعني من الاحتياط في ديني ورأيت موسوسا أخر يغسل عمامته بالماء والطين بعد غسلها بالماء والصابون حتى أسود شاشه .

فقلت له لم تفعل ذا فقال يحتمل أن زيت الصابون أو بدن السقاء متنجسا .
ورأيت موسوسا أخر يغسل قبقابه الذي يدخل به الخلاء في الفسقية التي يتوضأ الناس منها ويغسلون منها وجوههم نسأل الله العافية .

ورأيت موسوسا آخر يأخذ عمامته بعد أن تغسلها الجارية وتتعب فيها إلى أواخر النهار فيغسطها في المغطس أو الميضاه فيطهرها فقلت له لؤمن بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم

فقلت له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر أن خطايا بني آدم تخر في الماء أو مع اخر قطرة من العضو ومعلوم أن الخطايا من أقذر القذر لا سيما خطايا الزنا واللواط وشرب الخمر والغضب والسرقة والربا والمرافعات في الناس ونحو ذلك فكيف يليق بمتورع أن يغطس عمامته في غسالة أوزارهم وذنوبهم ثم يضعها على رأسه في الصلاة بين يدي الله عز

وجل والحضرة الإلهية لا يمكن دخولها إلا للمتطهرين من كل رجس ظاهر وباطن وصلاة العبد خارج الحضرة الخاصة كلا صلاة وطهارته بغسالة ذنوب الناس كلا طهارة فإنه لو كشف للموسوس لرأى ماء المغطس أو الميضاه كالماء الذي رمى فيه جيف وخنازير وحمير وجمال وقطط وغيرها على قدر مراتب تلك الخطايا التي خرت فأبداننا إذا اتطهرنا بالماء الذي يتطهر منه الناس تزداد قذرا زيادة على تلطيخ أبداننا بخطايات أنفسنا اللاصقة بالبدن الذي لم تخر فأي ذنب لغسل العمامة دون غيرها .

وكان الإمام أبو حنيفة رضى الله عنه يرى ببصره قذر الماء من الخطايا كالقذر الظاهر سواء وكذلك شدد في الطهارة بالماء الذي لم يستعمل من حيث أنه أنعش للأبدان الضعيفة بارتكاب المعاصي من الماء المستعمل الذي خلق وضعفت روحانيته بالاستعمال وله رضى الله عنه في المستعمل ثلاثة روايات .
أحدها : أنه يسمى نجاسة مغلظة .
الثاني : قد نجس بنجاسة متوسطة كبول كلما أكل لحمه من الحيوانات .
الثالث : أنه طاهر في نفسه غير مطهر لغيره .

قال شيخنا رضى الله عنه ووجه الرواية الأولى أن أثر الخطايا أقبح من أثر الأكل لأن الأكل مباح من أصله بخلاف الخطايا فإنها حرام فإن كان ما أكله حرام كالمكس

والرشوة كان المنفصل عنه كالماء الذي خرج من كبائر الخطايا ووجه الرواية الثانية أن أكثر الخطايا صغائر أو مكروهات والكبائر قليل فكانت نجاسة الماء متوسطة كالذنوب المتوسطة ووجه الرواية الثالثة أن بقاء الخطايات عليهم إلى وقت الاستعمال مظنون لا محقق فقد يغفر بالتوبة أو

يقول استغفر الله فكان ظاهر إلا طهورا فلم يلحق بالنجس ولا خلص إلى الطهور فالله تعالى يرضى عن هذا الإمام ما كان أدق نظره وما كان أكثر ورعه

وهذا الكشف الذي ذكرناه عن هذا الإمام رضى الله عنه وهذا باق لكل من كان له قدم من الفقراء إلى يوم القيامة
وقد دخلت مرة مع سيدي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى إلى ميضاه فأخبرني بجميع الخطايا التي خرت فيها ذلك اليوم
وقال ينبغي من يفعل الخطايا أن لا يغتسل في مطاهر المسلمين ولا يغمس يديه في مطاهرهم فإنما يفترق إناء أو يأمر غيره يصب الماء عليه وأخبرني مرة بخطيئة عبد زنا بجارية فأخبرت العبد بذلك فاعترف أنه زنا ذلك النهار بالجارية فاعلم
وإن لم ينكشف لك يا أخي عن تقذير الماء ببصرك فقلد الشارع في تقذير الماء بخطايا ليصح إيمانك بالحديث ولا تستعمل بطهارتك إلا ما لم يستعمل في حدث .

واعلم يا اخى ان الموسوس إذا شك في أفعاله المحسوسة التي يشاهدها ببصره فكيف تصديقه بالأمور المغيبة التي أمره الحق بالتصديق بها كمنكر ونكير وعذاب القبر والحشر والنشر وغير ذلك

فربما لا يهتدى أن يقول لمنكر ونكير ربى الله أو ديني الإسلام أو محمد نبيى لكثرة الشك الذي في باطنه بل هذه الأمور أقرب إلى الشك من الأمور المحسوسة لأن بصيرة الموسوس مطموسة وبصره لا يصدقه حتى أنه يغسل العضو عشر مرات وأكثر ولا يصدق نفسه أنه غسل ولا مرة واحدة

وقد حكى لي بعض الإخوان أنه رأى في بركة موسوما يغسل ثيابه به من أول النهار إلى أخره فلما جفت ثيابه أخر النهار رجع إلى البلد شك في أنه راح إلى البركة فسأل من جماعة

صيادين في الطريق هل رأيتموني مررت عليكم بكرة النهار قالوا لا قال فإذن أنا ما رحت البركة شيئا فقال له من راه من الناس في البركة إنك من بكرة النهار هناك فلم يرجع إلى قولهم وأصبح زاهبا إلى البركة ليطهر ثيابه ثانيا .

وحكى إلى سيدي الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمرى بالقاهرة رحمه الله أنه رأى موسوسا في جامع الأزهر تسلسل الوساوس به إلى أن ترك الوضوء والصلاة وقال ما يعجبني وضوئى ولا صلاتي فكانوا إذا ضيقوا عليه صلى غضبا وإذا تركوه باختياره لا يصلى شيئا

قلت ورأيت بعيني شخصا نزل الميضاة عندنا ليتوضأ للصبح فمكث يتوضأ إلى الزوال وكان ذلك يوم جمعة ففرغ وجاء والخطيب على المنبر فوقف وتفكر في نفسه ورجع إلى الميضاة إلى أن سلم الإمام من صلاة الجمعة وهو جالس يغطس يده إلى مرفقيه في الماء ثم يخرجها فينظر إليها ثم يغطسها نسأل الله العافية فإياك يا أخي أن تعاشر موسوسا أو تعايره فتبتلى بالوسواس والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين .

**295 - أخذ علينا العهود ان لا نجلس قط في المحراب ولا نضع باطن أقدامنا على أرضه إلا لضرورة شديدة أدبا مع الله تعالى**
فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله في قبلة أحدكم فلا يبصق تجاه وجهه وقاس العارفون على البصاق الجلوس والوطىء بالأقدام

وكيف يليق بعارف أن يجلس في مكان أمر المصلى تخيل خطاب الحق فيه وتخيل قربة منه حتى أنه يقرأ كلامه عليه تبارك وتعالى وما جوف أهل الأدب من السلف الصالح المحراب في الحائط حتى صارت كالسهوة إلا حتى يحجزوا الناس المغفلين عن المرور

بين يدي المصلى فهو كالستره للإمام ومن هنا كره بعضهم في الوقوف في طاقة المحراب وأمروا الإمام أن يقف خارجها لهذه النكتة بحيث لا يماس أرض المحراب إلا بجبهته ووجهه والله سبحانه وتعالى أعلم . انتهى .

**296 - أخذ علينا العهود ان لا نترك أحدا من إخواننا يحتج بالإرادة الإلهية إذا وقع في محذور**

لأن ذلك يجرئه على وقوعه في المخالفات ولو نفعت هذه الحجة أحدا لنفعت إبليس فاعلم ذلك والله يتولى هداك .

**297 - أخذ علينا العهود أن لا نسأل الله قط في حصول أمر من الأمور إلا مع التفويض إليه**

وذلك ليكون عاقبة ذلك الأمر محمودة علينا إن شاء الله تعالى فإننا جاهلون بما يصلحنا وبما فيه نجاتنا والحق تعالى لا يضل من فوض إليه أمره أبدا حاشا احكم الحاكمين .

وسمعت سيدي على الخواص يقول من أقبح ما يكون من العبد أن يسأل ربه شيئا ويلح عليه فيه ثم إنه إذا أعطاه له تقلق منه ومن تعبه فيه وصار يسأل الحق في زواله وكان أفة ذلك من عدم التفويض ولو أنه كان فوض إلا موالى الله تعالى لأعانه على القيام بحقوقه .

قلت : وقد سألت الله تعالى أن يسلك لي سبيل عباده الصالحين فقيل فإن سبيل الصالحين تحمل البلاء من غير تقلق وأنت لا تستطيع ذلك إلا بتقلق فرجعت واستغفرت وسألت الإقالة من البلاء .

وقد شهدت أقواما من الفقراء كان وقتهم صافيا فطلبوا الشهرة وزاحموا أهل الدنيا في دنياهم وسألوا من أركان الدولة الرزق والأموال فأنفتحت عليهم أبواب من الكدر لا يخلصون منها إلا إن شاء الله تعالى وصاروا

يقولون يا فرح الفقير الذي لا يعرف ولا له اسم بين الناس ثم أقل النكد كثرة الحاسدين له من أقرانه وغيرهم لا سيما إن طلبوا منه شيئا من سحت الدنيا فادخره عنهم

وقد قال لي منهم واحدة مرة عهدنا بالكلب إذا فتح الله تعالى عليه بعظمة يمر مشها يمكن أخاه يمر مش من الجانب الأخر يعنى بذلك أن الدنيا أتسعت على حتى صار عندي منها الذهب والفضة وغيرها وما صدق والله في إتساعها على من حيث أنى أدخرها عن مستحقها .

وقد تقدم في هذه العهود أن العهود أخذت على أن لا أبيت على دينار ولا درهم ولكن حمدت الله عز وجل الذي وقانى ما يقع فيه غيرى من ادخارها فالحمد لله رب العالمين

فلو أن العبد يقول في كل شئ سأله اللهم أعطني كذا إن كان لي فيه خير لم يحصل له من ذلك نكد أبدا فإن الحق تعالى أولى من وفى بالعهود واشفق على العبد من والديه والله سبحانه وتعالى اعلم

**298 - أخذ علينا العهود أن لا نزدرى من رفعه الله علينا من الأكابر في دين ودينا أدبا مع الله تعالى وبما رفعهم علينا إلا لحكمة بالغة**

ثم أي فائدة لازدرائنا لهم وحطنا عليهم مع أن أحدا لم يسمع لنا ذلك وهذا العهد يقع في خيانته كثير من الناس فيقولون عن المحتسب والوزير ونحوهما من أين لهؤلاء السفلة الضخامة نحن نعرف أباؤهم وفلان كان أبوه نوتيا وفلان كان أبوه فلاحا وفلان كان أبوه فرانا ونحو ذلك من الهذيانات

فمن أقام هذا الميزان على أهل زمانهم من العلماء والفقراء حرم بركتهم والسلام فاعلم ذلك والله أعلم.

**299 - أخذ علينا العهود أن ننظر إلى جميع النعم والمحن بوجهين ولا نقف مع ظاهر نقمة ولا ظاهر نعمة**

فربما أتت النعم في المحن وربما أتت المحن في النعم فإذا نظرنا إلى باطن النعم وجدناها مشتملة على جملة من البلايا وأقل ما هناك أن الحق تعالى يطالب صاحب النعمة بالقيام بحقها ودوام الشكر عليها بالأعمال دون اللسان
كم قال اعملوا آل داود شكرا
ألم يقل تعالى قولوا آل داود شكرا
ونحن أولى بذلك من أمة داود عليه ومما يطالب به أيضا صرفها في المواطن التي ندب الحق تعالى العبد أن يصرفها فيها ومن كان مشهوده في النعمة هكذا فمتى يتفرغ للالتذاذ بها ؟
وكيف يعدها نعمة ؟
وإذا نظرنا إلى باطن النقم والرزايا وجدناها من أعظم النعم علينا
وذلك لأنها تورث عندنا الندم والذل وخفض الجناح فتردنا إلى حضرة ربنا بعد أن كنا شردنا عنها بالزهو والإعجاب بطاعاتنا ورؤية علو منا ومعارفنا واستقامتنا في الأعمال وسلامة أعراضنا وغير ذلك
والله تعالى ما وضع لنا الطاعات والعلوم والمعارف إلا ليردنا بها إليه عبيد أذلا وفي المثل الساير من لا يجئ بشراب الليمون جاء بحطبه .
وقد كان في جوارنا فقيه كثير الوسوسة والتورع والاشتغال بالعلم ليلا ونهارا ولكن كان يزدرى الناس ويحتقرهم وإذا أمر أحدا منهم بمعروف يأمر باحتقار وازدراء .

وكان سيدي أفضل الدين حاضر أمره فقال هذا يحتاج إلى شئ ينكس رأسه ويكون له أحسن من جميع ما هو فيه فما مضى نحو ثلاثة أيام إلا ومسكوه بجارية وهو يفعل فيها القبيح فأخذوه وسبحنوه في بيت الوالي

وأرادوا يجرسوه بها هي على كتفه فحصل له شفاعة وذهب أهل جارية كلهم إلى بيت الوالي يتفرجون عليه فمن ذلك اليوم ما عدنا نسمع منه قط أمرا بمعروف ولا نهيا عن منكر فقلت له في ذلك فقال نحن أكثر ذنوبا من الناس ولو يجبني بغير ذلك فأردت أن أرقيه إلى حال أعلى مما هو فيه وأقول له احتقارك نفسك لا يسقط عنك وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرأيت الإقامة في هضمة النفسأولى له حتى يتمكن ويقوى .

ومن كلام سيدي أبى الحسن الشاذلي رضى الله عنه معصية أو رثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أو رثت عزا واستكبارا .

والله سبحانه وتعالى اعلم .

**300 - أخذ علينا العهود أن لا نفسد مريدا على شيخه بإقبال أو بشاشة أو ترحيب بل تغضب في وجه**

حتى لا يقع له ميل إلينا فنقع في الخيانة بين الفقراء وقد جرب أن كل من أفسد مريدا على شيخه فلا بد أن يقيض الله له من يفسد عليه إخوانه كذلك ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم وبروا أباءكم تبركم أبناؤكم والإنسان على نفسه بصيرة ثم لا يخفى أن هذا الحكم في مريد دخل على شيخه بعهدا وتلقين ذكر ونحو ذلك وكنا نخاف أن يتغير على شيخه لضعفه فإن كان ثابت القدم مع شيخه فلنا الإقبال عليه والترحيب به كم نفعل بالفقراء الذين لم يدخلوا مع أحد بعهد وانما يزورون هذا وهذا وينوون البركة بهم كلهم فإنه لا بأس بالإقبال عليهم والبشاشة والترحيب والله تعالى اعلم .

**301 - أخذ علينا العهود أن لا نظهر التخلق قط بأسماء العظمة والكبرياء والعز**

**ونحوها خوفا من أن الله عز وجل يقصمنا**
كما ورد في الحديث القدسي العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما قصمته إذا علمت ذلك فلا تتخلق يا أخي إلا بالأسماء المأذون لنا في التخلق بها كالرحمن وبالرحيم والرؤوف والكريم والعفو والغفور والجواد والصبور ونحوها فثم اسما حرم وغير حرم فافهم .

وسمعت سيدي عليّا الخواص رحمه الله يقول إياك وإقامة الميزان على أحد فإن لله تعالى أربابا في صورة عبيد وعبيدا في صورة أرباب وكثيرا ما يخلع الحق على عبد خلعه العبودية فيبرز فيها عبدا في نفسه سيدا في عيون الحاضرين

ولما خلعت العبودية على أبى يزيد البسطامي رضى الله عنه صار الناس يقومون له ويتبركون بأثوابه فقال له بعض الفقراء كيف تمكنهم من ذلك فقال أبو يزيد ليس تبركهم بي وإنما تبركهم بحلية ربى التي حلانى بها وأما أنا فإني عبد ذليل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا رزقا فكيف أرى بيدي حلا أو ربطا لغيرى ولا أقدر أجر ذلك لنفسي انتهى .

فاعلم ذلك وإياك والحط على فقير رأيته يلبس نفيسا أو يأكل نفيسا وتقول هذا تكبر والله يتولى هداك .

**302 - أخذ علينا العهود إذا اجتمعنا بأحد من الأمراء أو الكبراء كالدفتر وقاضى العسكر وشيخ العرب ونحوهم أن نكبر بإخواننا من الفقراء والفقهاء**

ونذكر لهم فضائلهم ومناقبهم دون شئ من نقائصهم وذلك ليعاملنا الله بنظير ما عاملنا به إخواننا ولنخرج أيضا من صحبة ذلك الكبير مستورين فإن من هتك ستر أحد هتك الله ستره عند خلقه وربما قيض الله لنا من يجرحنا عند ذلك

الأمير بذلاتنا السابقة واللاحقة التي نفعلها الأن فنصير عند ذلك الأمير كخرقة الحيض وإن أجبنا عن أنفسنا وزكيناها كذبتنا أفعالنا ومن خالف فليجرب .

ومن وصية سيدي على الخواص إياك أن تتظاهر بكشف إذا صحبت أحدا من أركان الدولة فإنهم يقتلونك بالإقبال عليهم لا سيما إن ضبطوا ذلك عليك وصح معهم مرات فإن أردت يا أخي السلامة منهم فتستر بالغلط في الكشف فإنهم ينفرون عنك ضرورة وينفرون إخوانهم كذلك

ويقولون فلان نصاب ضبطنا عليه كذا كذا مرة وهو يخطئ وهذا واجب على كل من كان عنده بقية نفس كامثالنا فإن من الله علينا بالقوة كشفنا عن الأمور وتخلصنا من ورطات الكشف .
والله غفور رحيم .

**303 - أخذ علينا العهود أن لا نمكن أحدا من إخواننا يقيمون ميزان عقلهم ونقلهم على أرباب الأحوال من الاوليا المجاذيب وغيرهم ولو رأوهم قد أخرجوا .**

الصلاة عن وقتها أو تركوها جملة واحدة وذلك لسرعة العطب فربما مقترا من اعترض عليهم ولو بالقلب ومشى الله لهم ذلك المقت فخسر الدنيا والآخرة ولا فرق يا أسخى بين الاحياء من أرباب الأحوال وبين الأموات منهم فإياك أن تعترض على موالد الأولياء الذي يجتمع فيها الخلايق ويقع فيها ما لا ينبغي من اللعب واللهو

والمزمار ونحو ذلك ما لم تجمع العلماء على تحريمه فإنها ما فعلت بالأصالة إلا لتلاوة القرآن والذكر ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زاد على ذلك أمر عارض وإن كان ولا بذلك من إنكار على

الطبل والمزمار مثلا فاستأذن بقلبك في ذلك صاحب المولد فإن ظهر لك الاذن منه بانشراح صدر فأنكروا لا فلا بد من السكوت فإن مثال ذلك مثال جعيدى حضر بين ملك من الملوك
ورأى بعض منكرات بين يدي الملك وهو يراها ولا يغيرها فيخاف على ذلك الجعيدى من الإنكار على الملك أن يقتله أهل حاشيته ولا تطبخ فيها شاتان فافهم لا سيما إن لزم الإنكار إبطال المولد ونهب أمتعة الناس وبضائعهم .

وقد وقع لبعض إخواننا أنه خرق الدفوف في مولد سيدي أحمد البدوي وكان من أعيان المجاورين بمقامه فضرب وأخرج ولاح عليه المقت والطرد عن مقامه فلم يزره ولا تيسر له ذلك حتى مات ونفرت منه جميع إخوانه .

واعلم أن من الأولياء الأكابر من يعطيه الله التصريف في قبره والقدرة على ارشاد الخلق ونصحهم كالأحياء سواء .

وقد اخبرني شيخى العارف بالله تعالى سيدي محمد الشناوي رحمه الله تعالى أن الله تعالى أعطى سيدي أحمد البدوي أن كل عاص دخل مقامه تاب وكل شارب خمر سكر في مولده تاب ثم قال لي وان شككت فأمتحن من رأيته يفعل ذلك فإن لم تجده تاب بعد مدة مد يدة ما أنا محمد فقلت :
يا سيدي أنا مؤمن بأعظم من ذلك فقال الحمد لله رب العالمين .

وكان سيدي عبد القادر الدشطوطى رضى الله عنه لا يراه أحد يصلى قط مع صحة عقله المعاشى وحذقه في أمور الدنيا فكان عندي من ذلك شئ لجهلى بأحوال الأولياء فدخلت عليه يوما فبدأني بالكلام فقال والله ما أظن أنني تركت الصلاة ولا أخرجتها عن وقتها يوما واحدا ولكن للفقراء أماكن

يصلون فيها فبلغ ذلك سيدي الشيخ محمد بن عنان رحمه الله تعالى فقال صدق الشيخ عبد القادر له أماكن يصلى فيها وقد أخبرني الشيخ يوسف الكردي أخص أصحاب سيدي إبراهيم المتبولى رضى الله عنه أن شخصا أعترض على سيدي إبراهيم في عدم صلاة الظهر مع الجماعة على الدوام

**304 -** فقال له يا ولدى نحن أخذ علينا العهود **أن لا نصلى الظهر دائما إلا مع الأولياء في جامع رملة لد .**
قال الشيخ يوسف وحضرت مع سيدي إبراهيم مرة وكان هناك نحو أربعمائة ولى . انتهى .

**وكذلك كنت أرى سيدي عليا الخواص رحمه الله** يفقد في صلاة الظهر دائما فلا أدرى هل كان يصلى في الجامع الأبيض برملة لدتبعا لشيخه سيدي إبراهيم المتبولى أم كان يصلى في غيره .
وكذلك أخبرني بعض الإخوان عن الحاج عبد الله بباب زويله في مصر كان إذا سمع أذان الظهر غلق باب دكانه وغاب ساعة ثم يحضر .

ودخلت مرة على سيدي عبد القادر الدشطوطى فلما أذن الظهر تمدد كالخشبة وقال غطونى فغطوه بملاة فغاب نحو العشر درج ثم تحرك وقام وجهه يضئ كأنه كوكب .

وكان الشيخ إسماعيل خادم الشيخ محمد الخضري المدفون بناحية نسهنا بالغربية أنه كان يؤاخذ الناس بالخواطر وكان يترك الصلاة في أوقات وكان ينام حتى يسمع غطيطه ثم يقوم فيصلى الجمعة وغيرها من غير تجديد وضوء فخطر في بال شخص من الناس المصلين خلفه في صلاة الجمعة أن

الشيخ صلى بلا وضوء فلما سلم تصفح وجوه الناس حتى أتى إلى ذلك الشخص وصار يبصق على وجهه ويصكه ويقول أنت بواب دبرى ويكررها وخطب مرة فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر كلاما ظاهره كفر فصاح الناس به كفر كفر فنزل وأشهر السيف فهربوا كلهم من الجامع وجلس بجانب المنبر إلى العصر والناس ينظرونه

فجاء الخبر من عشر بلاد أنهم صلوا خلفه الجمعة في ذلك النهار وخطب بهم في العشر بلاد فسألت سيدي عليا الخواص في ذلك القول فقال هؤلاء القوم لا يربطون كلاما قط بأخر فكل كلام على حدة لا تعلق له بما قبله ولا بما بعده كما إذا قال فلان كلب فلان كلام وحده وكلب كلام اخر مستقل .

وحكى لي الشيخ محمد إمام جامع سمنود أن شخصا كان يدخل الجامع فينام دائما في المحراب حتى سميناه عجل المحراب وكانت ثيابه دنسة كأنها ياب قصاب فجئت يوم إلى المحراب في صلاة العصر فحركته ليقوم فلم ينتبه فوكزته برجلي في جنبه فأستيقظ مرعوبا وعيناه كالدم

فقام ومسكنى من طوقى ودفعني في حائط المحراب فانشقت الحائط وخرجت إلى أرض قفراء وعرة لا حس فيها ولا أنيس فمشيت حتى ورمت رجلاى وخر الدم منهما فقطعت من عمامتي ولقيت منها على رجلي

ولم أزل أقطع وألف حتى ذابت عمامتي كلها فرأيت شجرة على البعد فقصدتها فوجدت عندها عين ماء ووجدت ثياب غريمى معلقة في تلك الشجرة فعرفتها ورأيت اثرا قدام فتبعتها حتى انتهيت إلى ذروة جبل فرأيت جماعة عليهم جبب بيض وعمائم بيض والصلاح لائح على وجوههم من كثرة الخشوع والحياء وإذا

بذلك المجذوب جالس في المحراب فلما أقيمت صلاة العصر صلى بالناس إما فلما سلم التفت إلى الناس

وقال أيكم رأنى يوما من الدهر عجلا فقالوا كلهم كيف ذلك فقال هذا سماني عجل المحراب ووكزنى برجله في جنبي فأنا إلى الأن أجد وجعها

فقالوا خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وهذا جاهل بغير شك فقال الشيخ بشرط أن لا يعود يتعرض لفقير بالإنكار فقلت نعم فأخذ على العهد بذلك ثم قال لي تدرى أنت في أي أرض ؟

فقلت لا فقال في أرض الرجراج بينك وبين مصر سفر سنة وأشهر قم يا فلان فأدفعه إلى بلاده فقام شخص وقال غمض عينيك ودفعني فخرجت من حائط المحراب وعمامتي مقطعة ورجلاى يجرى منهما الدم فحكيت للناس الحكاية ووجدتهم ينتظرون العصر فصليت بهم وانقطع الشيخ من ذلك اليوم عن دخول الجامع رضى الله عنه

وحكى عن قضيب البان بالشام أن شخصا من القضاة كان ينكر عليه في تركه الصلاة والتلطخ بالبول في شهود العين فدعاه الشيخ يوما إلى مكانه وتصور له في صورة جندي ثم فلاح ثم قاض ثم ثور ثم عجل ثم سبع ثم في صورته المعتادة

ثم قال له تحكم يا قاضى على أي صورة من هؤلاء بترك الصلاة ؟
فتاب القاضي وأوصى أن يدفن تحت رجلي الشيخ .

وذكر سيدي محمد بن عنان في رسالته أن من أغرب الأمور انك ترى المجذوب عريانا وهو يكسى ونائما وهو يصلى ونحو ذلك

فقال له الشيخ شهاب الدين المسيرى رحمه الله تعالى يا سيدي هذا لا يسلم لك فقال له فاضرب على هذا الكلام فضرب عليه والظن بسيدى محمد الصدق فيما كان

ذكر وبلغنا عن قضيب البان أيضا أن إمام جامع أمية أعترض عليه يوما وهو جالس عند المنبر يوم الجمعة .

وقال لم تصل الجمعة فقال لا أعرف الوضوء فعلمه الوضوء والصلاة فلما أحرم الإمام أحرم معه فصلى ركعة ثم جلس يضحك على الامام فلما سلم الإمام نظر اليه شذرا وقال بطلت صلاتك
فقال الشيخ ما بطلت إلا صلاتك أنت أنا ما شئ حاف وأنت راكب بغلة فو الله ما وصلت إلى العقبة في الرجوع حتى تخليت عن نفسي وتذكر الإمام أنه كان عزم على سفر الحج ثم ركب بغلته فسافر إلى مكة
ثم زار رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع إلى الشام ففارقه الشيخ عند العقبة فتاب عن الإنكار

وقال له الشيخ صلاتك هذه لا تصح وإنما صليت خلفك لأجل غرضك لأن من خطر في باله غير الله في صلاته لا تصح له صلاة

ثم قال له إذا لم تطق الحضور مع ربك في أكثر أوقاتك فلا أقل من الصلاة تحضر فيها بين يدي ربك يا مسكين وحكى عن سيدي محمد بن هارون الذي أخبر بسيدى إبراهيم الدسوقي وهو في ظهر أبيه أنه خرج يوما من الجامع والناس خلفه يشيعونه إلى داره على عادتهم فمر على صبي دنس الثياب ماد رجليه وهو يغلى ثوبه تحت جدار فخطر في باله هذا الصبى قليل الأدب مثل محمد بن هارون يمر عليه ولم يضم رجليه فسلب لوقته وساعته والفقير يؤخذ ويسلب في حال رؤيته نفسه ولو كان من أكبر الأولياء
فقلب الشيخ بصره فلم يجد الصبى فطلبه في البلد فلم يجده فقيل له أنه صبي القراد فسافر إلى ناحية سكندرية فلعلك تجده فسافر فلم يجده فدل عليه في المحلة الكبرى بالغربية فسافر اليه فلم يجده

فدل عليه في مصر فسافر فوجده في الرميلة تحت القلعة مع معلمه القراد فلما وقف الشيخ على الحلقة قال المعلم للصبي ها هو غريمك واقف بين الناس فلما انفضت الحلقة
قال المعلم للشيخ محمد مثلك يا شيخ ينبغي أن يخطر في باله أن له قدرا بين الفقراء أو بين الفاسقين فضلا عن الفقراء تقول لهذا الصبى أنه قليل الأدب وعزة الربوبية أنك لم تشم من أدبه مع ربه رائحة

فقال الشيخ تبت إلى الله تعالى فقال المعلم للصبي حيث تاب رد عليه حاله وعلمه فقال الصبى اسم الله ولكن علمه وضعته في قلب السحلية التي كانت واقفة على شقها حين مر على تحت الجدار الفلاني فاذهب بالشيخ إليها

وقل لها بامارة ما كان قريمزان جالسا على باب حجرك يوم الجمعة ردى على علمي وحالي فسافر إلى السحلية فردت ذلك عليه
فانظر يا أخي كيف سلب هذا الشيخ الكبير على يد صبي القراد لما رأى نفسه

وحكى لي شيخى الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمرى بمصر رحمه الله أن شيخه شيخ الاسلام صالح البلقيني اخبره عن والده الشيخ سراج الدين رحمه الله أنه مر يوما على شخص من الفقراء يصحن الحشيش بباب اللوق وكان ذلك الفقير من الأولياء
المستورين جلس يتوب الناس عن بلع الحشيش وهم لا يشعرون فما يأخذها أحد من يده إلا ويتوب إلى الله تعالى في ذلك اليوم

فلما رأى شيخ الاسلام الشيخ سراج الدين الناس يتبركون بذلك الحشاش وقع في قلبه الإنكار وقال أهل مصر هؤلاء لو خرج لهم الدجال لصدقوه مثل هذا الحرفوش يعتقد وهو في المعاصي غارق فما استتم الخاطر إلا وقد سلب من حيث لا يشعر ولم يبق معه شئ من القرآن ولا شئ من العلم وصار

الناس يقدمون له الأسئلة فلم يجد عنده ما يفتى به الناس فضاق صدره ولم يعرف من أين أتى عليه ذلك فقال له شخص من الناصحين هذه صدمة من ولى

فأنظر هل أنكرت على أحد فلم يتذكر لكونه يعتقد أن مثل الحشاش لا يقدر على ذلك فمكث ثلاثة أيام وهو يتفكر فذكر لخازن داره قصة الحشاش فقال له لعل ذلك منه فأذن لي في المضي اليه فأذن له

فلما اقبل عليه من بعيد نفض يديه من الحشيش وقال نعم صدمة من الحشاش وهو أنا ولكن أنا ما صدمته ابتداء ولو أنه كان جعل حالي فوق معلوماته لخرج من العهدة
ثم قال ويسميني حرفوشا ازدراء بي وهو لم يشم رائحة العلم فضلا عن تسميته شيخ الإسلام
ثم قال له اكتب له عنى هذه الأبيات مواليا :
**نحن الحرافيش لا نسكن علالى الدور * ولا نرائى ولا نشهد شهادة زور**
**نقنع بخرقة ولقمة في مسيد مهجور * من كان ذا الحال ذنبه مغفور**

فذكر الخازن دار له قصة سلب الشيخ فقال وعزة الربوبية لولا إنه منسوب إلى حمل شريعة محمد صلى الله عليه وسلم لسلبناه الايمان مع العلم
ثم قال إن كان يريدان علمه يرد عليه فليشوخر وفين سمينين
ويأتي بهما ومعه مائتا رغيف فكل من اشترى منى حشيشة يزن له رطل شوى ورغيفان حلاوة توبتهم فأنا أحليهم في بواطنهم بالتوبة وهو يحيلهم في ظاهر هم بالرطل الشوى فلما رجع الخازن دار إلى الشيخ سراج الدين واخبره بذلك فرح غاية الفرح وعمل أربعة من الخرفان شوا وأراد أن يركب معهم فقال له بعض

الطلبة عيب تجالس الحشاش فصغى لقوله وارسل الشوى فلم يقبله الشيخ وقال لا يرد إليه علمه إلا إن جاء وجلس عندي هنا وتكلم مع الحشاشين وانبسط معهم حتى كأنه أحدهم فرد عليه الخبر فركب وجاء بأكابر طلبته وهو مشغول لأجل مجالسته لبياع الحشيش
فلما عرف الشيخ ما في نفسه قال له يا عمر قدر على نفيستك ودعها في خرارة مذبح حتى تصير مثل نفوس إخواننا هؤلاء إذا كان هذه صفة نفسك وأنت مسلوب من جميع الخير قاعا صفصفا فكيف وأنت جالس تدرس وتفتى في جامع الأزهر والناس يسمونك شيخ الإسلام قل لي أي إسلام الذي أنت شيخه وحقيقة الإسلام الذل والانقياد والخضوع لعباد الله تعالى فضلا عن الله عز وجل حتى يصير العبد يرى نفسه أحقر عباد الله فقل لي أين ذلك وخضوعك وأنت تزدرينى ولا ترضى بمجالستى ساعة واحدة خوفا على ناموسك ورياستك التي نازعت بها ربك في صفة الكبرياء والعظمة ولو أنك شممت من العبودية رائحة لحكمت على نفسك بالكفر

وأنها إلى الآن لم تسلم فقال الشيخ سراج الدين اشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمدا رسول الله وهذا أول دخولي دين الإسلام على يديكم
فقال له قد استحقيت الآن أن يرد إليك علمك ولكن فرق هذا اللحم حتى يفرغ فسمع بذلك الحشاشون فجاء ذلك اليوم نحو الخمسمائة حشاش
فقال توبة هؤلاء اليوم كلهم في صحيفتك يا عمر رددنا إليك عملك وجازيناك على خرفانك بخرفان من الجنة أذهب إلى الديك الذي عندك فوق سطوح مدرستك فأذبحه وكل قلبه يرد إليك علمك فإنا وضعناه لك فيه
ثم قال له الحشاش بالله يا عمر كيف يسوغ لك الإنكار وادعا العلم بعلم

يحويه قلب ديك فقال له قد تقدم أنني تشهدت وأسلمت فقال له الحشاش قد جاء أمرك إلى سلامة في هذه المرة فاحفظ نفسك فما كل مرة تسلم الجرة .
قال الشيخ صالح فمن ذلك اليوم ما سمعت والدي ينكر على أحد إلى أن مات وكان قبل ذلك ينكر على علي بن وفا وعلى سيدي أحمد الزاهد وغيرهما وهو الذي انشد فيه سيدي على قصيدته التي أولها :

**يا أيها المربوط * إنا نريد حلك**
**وأنت تريد تربط * رجلي حذاء رجلك**

إلى أخرها قال ودخل مع والدي مرة مسجد الجنينة في صلاة العصر فقدم نعال الحشاشين وادارها لهم وقال نحن تحت نعال هؤلاء .
والحكايات في شأن أرباب الأحوال مع الفقهاء في كل عصر مشهورة والفقهاء معذورون من وجه غير معذورين من وجه أما عذرهم في الإنكار فلأن ظاهر حال هؤلاء القوم يخالف الشريعة وأما كونهم غير معذورين فلأنهم لم يروا التعلم إلى الله تعالى ولم يقولوا فوق علمنا علوم ومن أراد الله هدايته أعطاه نورا يفرق به بين الحق والباطل وقد أوضحنا أحوال أهل الطريق مع علما الشريعة في كل زمان في كتابنا لواقح الأنوار ومعارج الأخيار فراجعه ترى العجب .
وسمعت سيدي عبد القادر الدشطوطى يقول ما للفقهاء وهؤلاء الرجال

الذين خرجوا من دائرة العقل مع أن أحدا من الناس لا يتبعهم في الخوض في بحرهم والإنكار ولا يسوغ إلا على من يتبع على افعاله كالعلماء ومشايخ الصوفية .

وسمعته أيضا يقول الفقهاء ينكرون على الفقراء ترك الصلاة وغاب عنهم من الأولياء من يستحكم فيه هيبة الله تعالى فتمنعه على أن يقف بين يديه فيرحمه الله بالغفلة والنسيان لكونه متى استحضرائه بين يدي الله عز وجل ذاب لحمه وعظمه ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ومثل هذا عذر شرعي في ترك الصلاة عندنا مع أنهم يقضونها إذا سرى عليهم الحال .

وقد وقع لبعضهم أن الفقهاء سجنوه للصلاة معهم يوم الجمعة غصبا فلما أحرم بالإمام قام ليحرم فتصاغر حتى ذاب وهم ينظرون فلم يبق له عظم ولا لحم غير نطفة في الأرض تشبه المنى قلت وقد وقع لي ذلك في صلاة جنازة وما كنت إلا ذبت فتركت الصلاة وتلاهيت عنها فردت إلى روحي ومكثت على ذلك يوما وليلة
.
وسمعت أخي أفضل الدين رحمه الله يقول لا حرج على أرباب الأحوال من المجاذيب فيما يفعلون ولا فيما يتركون لأن حكمهم مع الحق كحكمهم قبل خلق الخلق ووجود التكاليف والله غفور رحيم .

**305 - أخذ علينا العهود أن لا نميل إلى حب الظهور في هذه الدار**
فإن ذلك من أقوى أسباب هدم ديننا وكيف يليق بنا طلب الظهور وإبليس نفسه لم يرض لنفسه بذلك .
فمن أراد تقوية أساس دينه فليلازم على أسباب الخفا ويترك الظهور

جملة واحدة فإذا تمكن وقوى وشاد البنيان كان مع الحق تعالى على حسب ما يكون .
ومن كلام عطاء الله السكندرى في الحكم ما معناه كل حبة لا تدفن في الأرض قبل الظهور لا يتم نتاجها .

وكان سيدي إبراهيم المتبولى رحمه الله يقول كثيرا الفقير في هذه الدار كالجالس في بيت الخلا فإن رد الباب عليه قضى حاجته مستورا وان فتح الباب كشف عورته وهتكت سريرته ولعنه كل من يراه .

وحكى لي الشيخ امين الدين إمام جامع الغمرى رحمه الله أن سيدي أبى العباس الغمرى سافر مرة إلى بلاد الشرقية مع سيدي محمد بن عنان فعطش سيدي أبو العباس فلم يجدوا معهم ماء
فقال سيدي محمد ائتوني بإناء فأعطوه طاسة فغرف من الأرض ماء باردا فنظر اليه سيدي أبو العباس وقال يا شيخ محمد الظهور يقطع الظهور فقال الشيخ محمد لولا .

خوف الظهور لتركتها بركة ماء ينتفع الناس بها إلى يوم القيامة ثم إن سيدي أبو العباس لم يشرب من ذلك الماء وصبر حتى دخلوا بلدا فشرب رضى الله عنهما .

واعلم يا أخي أنه لا يقع لولى قط كوامة إلا بعد تقدم ميل إليها ولو في أيام بدايته ولولا تقدم ميل الخاطر إليها ما وقعت فإياك وميل الخاطر في ذلك فإن إبليس لم يرض بالظهور في هذه الدار كما مر ونحن أولى بسلوك ذلك والله عليم حكيم .

**306 - أخذ علينا العهود إن نأتى رخص الشريعة في بعض الأحيان إظهار**

**الضعف وتحصيلا لمقام محبة الله عز وجل لأعمالنا**
قال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب أن تؤتى رخصه كمن يحب أن تؤتى عزائمه لكن مع مراعاة شرط الرخصة وهو حصول المشقة فلا نتكلف لما لا نقدر عليه ولا تنزل إلى الرخص مع القدرة على فعل الاعلى بسهولة في العادة ومن فعل ما ذكرنا تسارعت إليه الرحمة والله غنى حميد .

**307 - أخذ علينا العهود إن لا نمكن أحدا من إخواننا الذين هم تحت العهد والتربية أن يتصدر لوعظ الناس في المحافل والمساجد ولا أن يكون خطيبا**
لأن تمكيننا المريد من ذلك من أعلى طبقات الغش له
وكل شيخ غش أحدا من الناس فقد تعرض ببراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم منه في قوله من غشنا فليس منا
فليعلم المريد إذا مكنه شيخه من وعظ الناس ان شيخه لم يشم فيه رائحة الصدق في طلب الطريق
فعلم أنه لا يليق الوعظ إلا بالمشايخ الكمل الذين فرغوا من تصفية نفوسهم وماتت أخلاقهم الردية كسيدى عبد القادر الجيلى وسيدي أحمد بن الرفاعي واضرابهما من المحفوظين ممن دسايس النفوس ومحك وصول الفقير إلى موت النفس وتهذيب أخلاقها حتى يصلح منه الوعظ أن يكون بحيث لو جلس بين العاصين لا يتكدر ولا يحصل له خجل من الناس الذين يمرون عليه
وإذا دخل محفلا ولم يفسحوا له لم يتغير وإن جمعوا له فضلة أيدي الناس والشحاتين وقدموها له أكلها بإنشراح صدر فإذا حك المريد نفسه بهذا المحك فهناك يجوز له التصدر لوعظ الناس
وأما إذا رأى نفسه خرجت نحاسا فالواجب عليه العمل على نجات نفسه أو لا وإلا كان في وعظه يشبه الدجاجلة نسأل الله اللطف.

**308 - أخذ علينا العهود أن لا نمكن أحدا من إخواننا ينكر شيئا مما ابتدعه المسلمون على وجه القربة إلى الله تعالى وراوه حسنا**

فإن كل ما أبتدع على هذا الوجه من توابع الشريعة وليس هو من قسم البدعة المذمومة في الشريعة المشار إليها بقوله صلى الله عليه وسلم كل بدعة ضلالة فأفهم ودليلنا قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة

فأباح لعلماء أمته أن يبتدعوا كلما راوه حسنا ومعروفا وجعل لهم الأجر بإبتداعهم وأثاب من عمل بذلك كما حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لحكيم بن حزام بالخير حين سأله عن فعل أمور كان يتبرر بها في الجاهلية من صدقة وعتق وصلة رحم وكرم
فقال له أسلمت على ما أسلفت من خير فسمى صلى الله عليه وسلم ذلك الفعل الذي كان ابتدعه حكيم في الجاهلية خيرا أو أخبره أن الله تعالى جازاه به خيرا

فقد علمت يا أخي أن كل من كان على مكارم الأخلاق فهو على شرع من ربه وإن لم يعلم هو ذلك وإن لم ينص عليه الشارع بخصوصه فللأمة ان يسنوا ما شاؤوا من القربات ولكن فيما لا يخالف شرعا مشروعا هذا حظهم من التشريع فإن لم تفهم الشريعة هكذا فما فهمت إذا علمت ذلك فمما أحدثه الناس واستحسنوه قولهم أمام الجنازة لا إله إلا الله محمد رسول الله أو قراة القرآن أمامها

أو قول سبحان الحي الذي لا يموت أو نحو ذلك من تنزيه الله عز وجل
فإن ذلك لم يكن في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن هو في غاية الملاحة لتعلقه بالله عز وجل وبرسوله صلى الله عليه وسلم
فمن انكر ذلك فهو قاصر فإنه ما كل شئ ابتدعه المسلمون يكون مذموما ولو فتح هذا الباب لردت أقوال المجتهدين في جميع ما استنبطوه من الشريعة واستحبوه لكونه لم

تصرح به الشريعة ولا قائل بذلك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أباح لامته ان يسنوا ما راؤه حسنا بقوله من سن سنة حسنة كما تقدم ومعلوم أن كلمة لا إله إلا الله من أكبر الحسنات فكيف ينبغي لمسلم أن يقول للذاكرين اسكتوا عن هذا وأكثر أهل الجنازة الغالب عليهم الآن ذكر الدنيا وحكايات أهلها في تجاراتهم وشطارتهم في البيع والشراء وفي امر المحتسب والقاضي والباشا وزيد وعمرو بل رأيت منهم من يضحك وهو في الجنازة وقلبه غافل عن الموت وعن جميع ما وقع لذلك الميت وما هو قادم عليه وإذا تعارضت مفسدتان ارتكبنا الأخف بينهما على تقدير كون الذكر أو القراءة في الجنازة مفسدة بل نقول أن الكلام اللغو في الجنازة أولى من الصمت مع كثرة الخواطر المذمومة وإنما كان الصحابة صامتون في الجنازة لإشتغال قلوبهم بما إليه مصيرهم حتى أن ألسنتهم خرست عن كل كلام وتأمل من مات له ولد عزيزا وزوجة عزيزة لا يمكنه ان يقرأ ولا أن يذكر برفع صوت ولو طلب الشارع منه ذلك لكثرة اهتمامه بشأن الموت وكان الصحابة كلهم من شدة توددهم ومحبتهم لبعضهم بعضا كان ذلك لولد كل منهم حتى كانوا لا يعرفون أهل الميت من غيرهم لتساويهم في الحزن فهذا كانت سبب صمتهم في الجنازة فهاتوا لنا جماعة بهذه الصفة ونحن لا نامرهم بقراءة ولا ذكر .

واعلم أنه لم يبلغنا ولا في حديث واحد النهى عن قراءة القرآن ولا عن الذكر أمام الجنائز ولو نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم لبلغنا كما بلغنا النهى عن قراءة القرآن في الركوع وشئ سكت عنه الشارع أوائل الإسلام وضبطه لا يمنع منه في آواخر الزمان وتفرق الدين وقد قال لي مرة شخص من الفقراء أود أن

لو ترك الناس قولهم عقب الصلوات يا لطيف يا كافى يا حفيظ ياشا في لانى لم أرها في الحديث فقلت له الامر سهل فقال كيف والله أنا في غاية الغم بسبب ذلك فإياك أن تسلك نحو ذلك وبالجملة فلا يتجرا قط أحد في قلبه نور وخوف من الله ان يتعرض لذاكره أو المصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم أو قارئ الأوراد التي أحدثها الصوفية أبدا والله على كل شئ شهيد .

**309 - أخذ علينا العهود ان لا نخوض قط في أحوال أهل البرزخ وعذابهم ونعيمهم و إلا نذكر إلا ما ورد في السنة فقط**

إذ ليس للعقل في ذلك مجال والكشف لا ينبغي ذكره عند العارفين

بل الواجب عليهم كتمه لحديث لولا ان تدافنوا لدعوت الله عز وجل ان يسمعكم عذاب القرفشىء رجح الشارع كتمه الأدب ستره .

وكان سيدي على الخواص رحمه الله يقول

لكل من سأله عن شئ من أحوال أهل البرزخ كل شئ يتضح يوم القيامة

وقد رأى أخي أفضل الدين رحمه الله من طريق كشفه أن شخصا كان مشهورا بالولاية ختم له بسوء ومات على غير كمال

فأخبر سيدي عليا الخواص بذلك فنهاه وقال إن الله تعالى ستير ويحب من عباده الستيرين وقد يكون كشفك غير صحيح وقد يتطاول الحق تعالى على ذلك الشخص يوم القيامة فيغفر له كل ذنب فيقع اخبارك عنه بأنه ختم له بسوء على غير الواقع فتوصف بالكذب .

والله غفور رحيم .

**310 - أخذ علينا العهود أن لا نخوض قط في ذكر ما قص علينا من معاصي الأنبياء وخطيئاتهم إلا على وجه الجواب عنهم وحملهم على أكمل الأحوال**

**يكون ذلك عبادة واعتبارا فإن مقام الأنبياء لا يذوقه أكمل الأولياء لأن غاية درجة الولاية بداية درجات النبوة**
وكيف يليق بمن هو غارق في شهوة بطنه وفرجه أن يتجرا على الكلام على مقام النبوة والحال أنه في حضرة الشياطين لم يدخل حضرة النبوة قط وملخص القول أن الأنبياء لم يتعقل غيرهم من أحوالهم شيئا الا بالاسم فقط دون الذوق .
وكان سيدي أبو مدين يقول في آدم عليه السلام لو كنت مكانه لأكلت الشجرة كلها لما حصل له في أكلها من الخير والبركة وفتح باب الوجود والأحكام والله غفور رحيم .

**311 - أخذ علينا العهود أن لا نمكن إخواننا من قراءة كتب العقائد على مذهب غلاة الصوفية**
وذلك لكثرة تشيعها عليهم وانما نأمرهم بجلاء مرآة قلوبهم فقط ليتضح لهم كل مشكل في الشريعة من أحكام .
وعقائد فمن انجلت مرآة قلبه صار قلبه مرآة للوجود بخير عما مضى وعما هو آت ونعينه عن مطالعة كتب مقالات الناس وقد كان سيدي أبو الحسن الشاذلي يقول نحن لا ننظر في كلام أحد لنستفيد منه ما لم يكن عندنا وإنما ننظر فيه لتعرف ما من الله عز وجل به علينا .
وكان سيدي أبو السعود بن أبي العشائر يقول لا يكمل الفقير حتى يصبر كتابه قلبه وما دام يستفيد من مطالعة كلام غيره فهو لم يكمل وهو محتاج إلى صقل المرآة والله غنى حميد .

**312 - أخذ علينا العهود أن لا نمكن أحدا من إخواننا يجر قافية من ظلمة بالسوء إلا أن كنا قادرين على تخليصه منه أو كنا أتم نظرا من ذلك الاحد**

فهناك يجوز لنا الإصغاء إلى كلام لتخلصه منه بخلاف ما إذا كنا عاجزين عن تخليصه أو كان ذلك الظالم في زعم المظلوم أتم نظرا منا كاكابر العلماء فالأدب منا أن نمنعه ان يشكو منه لأن ذلك معدود من غيبته والله غفور رحيم .

**313 - أخذ علينا العهود أن نحذر ممن يحسن إلينا أكثر ممن يسئ لأن من أحسن إلينا قد أدخلنا في رقه ومن لم يحسن فقد سعى في حصول تمام عبوديتنا وعدم جرحها ولو لم يقصد ذلك هو .**

وقد كان أبو يزيد البسطامي رضى الله عنه لا يقيم إلا في مواضع الإنكار عليه فسئل عن ذلك فقال إنما أفعل ذلك لتتم لي عبوديتى فإن اعتقاد الناس بعد في العبد الكمالات شروع في صورة منازعة الحق تعالى في رتب الكمال والله غفور رحيم .

**314 - أخذ علينا العهود ان نسكت عن مدح الناس لنا في المحافل وغيرها ولا نقول عند ذلك نحن من أقل الناس أو نحن تراب نعالهم ونحو ذلك .**

فإنه معدود من تلبيسات النفوس وكأن النفس تريد بذلك القول إن تتبرأ مما ظنه الناس فيها من الفرح بالمدح حين السكوت ولو سكتت عن ذلك وأوهمت الناس أنها تحت المدح لكان ذلك أقوى في رياضتها
فإن نجاتها أولى من طلب خلاص الناس من سوء الظن بها مع أن من أساء الظن غير معذور في الشرع
فإن الواجب عليه حمل الناس على المحامل الحسنة وهو امر واجب فعله ما دمنا تحت سلطان أنفسنا فإن من الله علينا وصارت نفسنا تحت حكمنا كالحمارة تحت راكبها فنحن بالخيار بين الجواب والسكوت وقد

حكى ان شخصا كان يسب الإمام عليا رضى الله عنه ويقع في عرضه فمدح الإمام يوما بحضرة الملاء من الناس على خلاف عادته فقال على رضى الله عنه أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك والله اعلم .

**315 - أخذ علينا العهود إذا خرجنا لمكان بعيد لا يرجع منه في العادة إلا في نحو خمسة درج فأكثر أن تقول قبل خروجنا اللهم إن كان في علمك أن أحدا من إخواننا أو غيرهم يأتينا في هذه الغيبة لحاجة أو سلام فعوقه حتى نرجع وإن كان خرج إلينا في الطريق ففوقنا له حتى يأتي**

.والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه فاعلم ذلك .

**316 - أخذ علينا العهود ما دمنا فقراء لا مال لنا ان لا نعمل قط مولدا حافلا ولا طهورا ولا أسبوعا ولا وليمة لغير عرس ولا عزومة ولا غير ذلك**

لئلا نجون إخواننا في المساعدة لنا رياء وسمعة أو غضبا في عمل الطعام وفي التفوط وغير ذلك ويقولون ما بقي الاسدنا لهذه المسألة فإياك يا أخي وفعل ذلك .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يخفى حاجته ونوائبه عن أصحابه ويشد الحجر على بطنه تحت الثياب وما كانوا يعرفون جوعه صلى الله عليه وسلم الا باصفرار وجهه

وأكثر اخوان الفقرا اليوم على علالة معهم وربما يقولون فيما بينهم بلغنا أن سيدي الشيخ ناوي يعمل مولدا أو طهورا أو عرسا لولده أو ابنته وما نعرف والله نساعده بايش وايش قام على الفقير يعمل مولدا وغيره ويكلف الناس

فإذا قال بعضهم ما حاجة نساعده ولا نخضره فيقول له بعضهم فضيح ويبقى علينا العتب من الناس ومن الشيخ فيحضر أحدهم بغير نية صافية إظهارا للتجوه

كالمكره ثم إذا اخرج النقوط يخرجه في الملا وربما يحوش العتا منه والقشاقش تكثيرا للتشالش ومصداق ما قلنا إنه يثقل عليه ان يعطى ما يعطيه سرا بحيث لا يدرى أحد بذلك لا الشيخ ولا أعوانه
ثم ليحدر الشيخ أن يمكن أصحابه بأن يدعوا أحدا من الأكابر للحضور كالأمير والخليفة ومقدم الوالي وأمير الحاج أو قاضى العسكر أو الخواجا ونحوهم

فإن ذلك سوء أدب من الشيخ ومن أين لأمثالنا ان يستحق ان يدعو إلى بيته أحدا من الأكابر لأجل لقمة من طعام يأنف من أكلها خدامهم فضلا عنهم فالعاقل من عرف درجته والسلام .

**317 - أخذ علينا العهود ان لا نمنع تلامذتنا ان يزور واحدا من أقراننا ومشايخ عصرنا إلا أن علمنا من طريق الكشف التام الذي لا يدخله محو ان فتحهم لا يكون الا على يدنا**
فحينئذ لنا أن نمنعهم من زيارة غيرنا من الأشياخ تقريبا للطريق وأما إذا لم نعلم أن فتحهم على يدنا فلا ينبغي لنا منعهم هذا ما عليه أئمة الطريق رضى الله عنهم وأما سيدي أبو الحسن الشاذلي رضى الله عنه فكان يقول لأصحابه انا ما امركم بالتقيد على صحبتي وانما أقول لكم ان وجدتم منهلا أعذب من منهلنا فدونكم .
قلت ولعل هذا في حق الحذاق من المريدين أما الغلف منهم فلنا منعهم لأنهم كالبهائم وعليه يحمل حال من منع تلامذته من الاجتماع بغيره والله اعلم .
وقد حكى أن سهل بن عبد الله التستري رضى الله عنه منع تلميذا له عن الاجتماع بواحد من اقرانه فقال له بعض الاخوان لم صنعته دع الفقراء يلقح

بعضهم بعضا وكل شيخ كان أقوى صنارة فالمريد له فقال له سهل انما منعته لان كشفى أعطاني ان فتحه لا يكون على يد أحد غيرى فقربت عليه الطريق فقيل له أو تعرف ذلك يا أستاذ فقال نعم اعرف تلامذتى من يوم الست بربكم واعرف من كان هناك عن يميني ومن كان عن شمالي ولم أزل اربيهم في الأصلاب وأنا في أصلاب ابائى حتى وصلوا إلى انتهى .
وحكى عن سيدي حاتم خادم سيدي الشيخ أبى السعود بن أبي العشاير أنه قال خدمت سيدي أبا السعود عشر سنين وأنا اسأله ان يأخذ على العهد

فيقول سيدي أبو السعودي :
يا اخى مالك على يدي نصيب ، فقلت له يوما يا أستاذ فتصيبى على يد من
فقال على يد اخى أبى العباس البصير ببلاد المغرب
فقلت يا سيدي أسافر اليه
فقال لا هو يأتي إليك في مصر
قال فلما وصل سيدي أبو العباس إلى ساحل بحر النيل بمصر ارسلني له فلما وقع بصره على
فقال جزا الله أخي أبا السعود عنى خيرا رضى الله عنه

<u>وكذلك بلغنا عن سيدي تاج العارفين أبي الوفا</u>
أنه أراد يوما أن يأخذ العهد على فقير من غير أن يكشف له أن ذلك الفقير من أولاده فقال له الفقير أقرأ يا سيدي ما على جبهتي قبل ان تأخذ على العهد فنظر سيدي تاج العارفين إلى جبهة الفقير وقال وجدت على جبهته داغ أحمد بن الرفاعي فقيل له وما أحمد بن الرفاعي فقال رجل من العجم سيظهر عن قريب وتحير الناس في امره فمات سيدي تاج العارفين وعاش ذلك الفقير إلى أن ظهر أمر سيدي احمد فسافر اليه وأخذ عنه وحكى له القصة
فقال رحم الله أخي تاج العارفين ما كان أتم اطلاعه
وكذلك بلغنا ان سيدي أبا العباس المرسى عمل أيام الصيف بناحية

إسكندرية عصيدة فقال له قائل ما هذه العصيدة وإنما تعمل العصيدة أيام الشتاء فقال هذه عصيدة أخيكم يا قوت ولد هذه الليلة بأرض الحبشة وسيعلوا شأنه ويشتهر بالعرشى رضى الله عنه .
وكذلك بلغنا أن سيدي الشيخ عبد الرحيم القناوى أراد يوما أخذ العهد على مريد من أولاد سيدي أبى العباس البصيرى بعد موت سيدي أبى العباس
وكان سيدي عبد الرحيم جالسا في محراب زاويته فخرجت يد سيدي أبى العباس من الحائط فقبضت على يده ومنعته الأخذ
فقال سيدي عبد الرحيم رحم الله أخي أبا العباس البصير يغار على أولاده حيا وميتا
وكذلك بلغنا عن سيدي محمد بن هارون أنه كان يقوم لوالد سيدي إبراهيم الدسوقي .
وكان والد سيدي إبراهيم مصامديا يحرس الجرون في بلاد الريق
فقالوا له لم تخص هذا الرجل بالقيام وليس هو مشهور بفضيلة
فقال إنما أقوم للرجل الذي في صلبه وسيظهر شأنه ويشتهر بأبى العينين فلما انتقلت النطفة إلى بطن أمه كان يقوم لها وترك القيام لوالده رضى الله عنه .
واخبرني سيدي على الخواص رحمه الله أن سيدي إبراهيم المتبولى كان يقول وعزة ربى ليقتسمن وظيفتى سبعون رجلا بعد موتى ثم لا يطيقون فقال لرجل يا سيدي وظيفة خدامة الحجرة النبوية بعدكم لمن فقال لمحمد بن عنان فقيل من اى البلاد هو فقال من بلاد الشرقية سيظهر عن قريب رضى الله عنه هذا يا اخى ما درج عليه الصادقون من أهل الطريق فبهداهم اقتده .
والله يتولى هداك .

**318 - أخذ علينا العهود أن تخالط المساكين وأصحاب الضرورات والفاقات**

**وذلك ليذكرون بأحوالهم صفة الافتقار إلى الله تعالى وصفة الشكر على ما من الله به علينا من النعم الجسام**

وهذا العهد قل من يتنبه له من اخواننا فإن الفقير من حين يصير له معلوم من رزقه أو جوالى أو هدايا ونحوها ينسى صفة الأفتقار إلى الله تعالى ويغفل عن الله عز وجل حتى يصير أكثر غفلة من أبناء الدنيا وقد وقع هذا كثيرا لإخواننا ورجعوا من حيث جاؤوا ولو أنهم بقوا على حكم التجريد لا افلحوا ولم يحجبوا ومن هنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل رزق ال محمد قوتا .

وكان يقول لعائشة رضى الله عنها إياك ومجالسة الأغنياء ولا تستخلقى ثوبا حتى ترقعيه .

وحكى ان بعضهم دخل على الجنيد فقال لم جمعت عندك هؤلاء الفقراء فقال لينبهونى بصفة فقرهم إلى في التربية على إفتقارى إلى ربى وقد قال تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين فمن لم يكن صفة الفقر تصحبه على الدوام على حكم الشهود حرم صدقات الحق تعالى التي لا تنقطع عن عباده في ليل أو نهار والله غنى حميد .

**319 - أخذ علينا العهود أن لا نرى نفوسنا قط على قدم أحد من أشياخنا فضلا عن أكابر أهل السلسلة الماضيين**

وذلك لأن في دعوى أمثالنا ذلك اذدراى بمقام الأشياخ .

وقد قيل مرة لأبى حنيفة رضى الله عنه أيما أفضل الأسود أم علقمة

فقال والله ما نحن بأهل ان تذكرهم فكيف نفاضل بينهم انتهى

ويقولون في المثل إن ردت أن تعرف مقام إنسان فأنظر حال أصحابه فإنهم يدلون عليه فلا ينبغي لأمثالنا

قط أن يدعى أنه من أصحاب أحد من الأشياخ إلا إن كانت دعواه تلك يحصل بها التشريف لذلك الشيخ لما هو عليه من سعة الأخلاق والكمالات وانما اللايق بنا دعوى أننا من معارف ذلك الشيخ فقط لأن من لم يشرب مسقاة من شيخه لا يصح له قدم الصحبة وهذه الدعوى يقع فيها كثير من القاصرين من إخواننا فيدعون أنهم خليفة لشيخهم وهم لم يشموا شيئا من مقامه الذي انتهى إليه ومعلوم أن الخليفة إن لم يكن على صورة مستخلفه لا يصح له خلافة .

وقد كان الشبلي يقول لبعض تلامذته يا ولدى إن خطر على بالك غير الله تعالى من الجمعة إلى الجمعة فلا تعد إلينا فإنه لا يجئ شئ من مقام الإرادة فقس يا أخي أحوال هذه المريد أيام إرادته على حالك أنت أيام كمالك تعرف تخلفك عن درجة الرجال .

وكان الجنيد يقول قد طوى بساط علم التصوف من سنين وإنما الناس يتكلمون اليوم في طرف حواشيه فما بقي لأمثالنا الا دعوى التشبه بالمتشبهين بالمتشبهين بالمتشبهين بالمتشبهين بالمنشبهين إلى عاشر قدم وأكثر .

وكان أخي أفضل الدين رحمه الله يقول والله لو شم أحدنا رائحة فسقة القرون الماضية ما ادعى أحدنا الولاية .

وكان الحسن البصري يقول والله لقد أدركنا أقواما كنا في جنبهم لصوصا ولو راونا الان لقالوا إن هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب .

فاعلم ذاك .

والله يتولى هداك.

**320 - أخذ علينا العهود أن ننصح كل فقير رأينا عنده دعوى توقفه عن الترقي ولو تكدر هو من ذلك**

لكوننا أولى به من نفسه واشفق عليه منها وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول انى آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تغلبون من يدي وتقعون فيها وكل كامل بعده له هذا القدم بحكم الإرث المحمدي .

وقد حكى أن شخصا قد اشتهر بالصلاح على زمن سيدي الشيخ عبد القادر وكان الشيخ عبد القادر لا يحتفل بأمره فلما بلغه ذلك عن الشيخ عبد القادر اتى اليه بنحو خمسمائة تلميذ فلما دخل عليه قال له يا أخي أنى لم أشم فيك شيئا من رائحة القوم فأثر ذلك الكلام فيه وأخذ في الاقبال على الله عز وجل

ومر التلامذة بالتفرق عنه وقال كل واحد منكم يذهب إلى بلاده وبرع الشيخ بعد ذلك حتى صار من أكابر الرجال

ثم إنه جاء إلى الشيخ عبد القادر وقال جزاك الله عنى خيرا وكان هذا دآب سيدي محمد بن عراق رحمه الله تعالى مع أصحابه الذين صحبوا شيخه

فكان يراسلهم دائما بالحط عليهم تنشطا لهم ومن أكثرهم له مراسلة سيدي على الكازوانى فكان كلما ارسل له سيدي محمد بن عراق يحط عليه يفرح

ويقول لنفسه جميع الناس لم يعرفوك وإنما يعرفك الأخ محمد فاستغنمى نصيحته قبل الموت فلما مات سيدي محمد قال سيدي على مات من كان ينصحنا وينبهنا على عيوبنا وما تكدر من سيدي محمد قط

وكان إذا وصل الكتاب اليه بالحط فيه يقراه في الملا على جميع المعتقدين لا يخفى عنهم شيئا منه .

قلت : وقد اجتمعت بسيدى على الكازوانى بمكة سنة سبع وأربعين وتسعمائة ورأيت له حالا عظيما فهكذا يا أخي تكون الفقراء الصادقون رضى الله عنهم أجمعين.

وحكى لي سيدي على الخواص أن شخصا من جماعة سيدي إبراهيم وكان سيدي إبراهيم لا يحتفل به وكان الناس يعتقدونه فذكروا أمره للشيخ فقال أتوني به فلما وقف بين يديه فقال يا ولدى إني أراك كثير الأعمال ناقص الدرجات فما سبب ذلك فقال يا سيدي لا أعلم فتش يا ولدى نفسك فلعل عندك دعوى لشئ من أحوال القوم ففتش نفسه فقال نعم فاستغفر ربه ورجع اليه فترقى من ذلك اليوم .
فالحمد لله رب العالمين .

**321 - أخذ علينا العهود أن لا نجلس قط للوعظ إلا بعد قولنا دستور يا أصحاب النوبة دستور يا رسول الله في النيابة عنك في نصح أمتك**
وذلك ليمدنا أصحاب النوبة من الأولياء ولا يقع منا تلجلج ولا ارتجاج في الكلام وتبعين ذلك على الخطيب لغلبة الدهشة عليه حين يرى جميع الحاضرين من الأكابر وغيرهم ناظرين اليه لخبر للداخل دهشة فتلقوه بالترحيب .
وأما أخذ الدستور من رسول الله صلى الله عليه وسلم ففائدته التأييد وعدم الزيغ عن السنة في التعليم والإرشاد لأن مدد جميع الخلايق إنما هو من مدد رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة ثم يجب علينا ان نرى نفوسنا دون من يسمع وعظنا من السوقة والعوام .
وقد كان الحسن البصري يقول الواعظ ينتظر المقت والسامع ينتظر الرحمة ويجب علينا ان لا نكشف لأحد من الحاضرين عورة بذكر الصفات التي يتبادر إلى الأذهان إلحاقها بشخص معين من الحاضرين .
وإنما الواجب أن نذكر الكلام عاما للمتكلم والسامع والله عليم حكيم.

**322 - أخذ علينا العهود أن نهرب من طريق الناموس جهدنا وكذلك نهرب من التكلم بما يقع لأركان الدولة من تولية أو عزل**

لأن ذلك كله من اهوية النفوس وربما جر ذلك إلى القتل أو النفي من تلك البلاد كما وقع للشيخ أويس بالشام وللشيخ على الكازوانى بمدينة حماه تجاه السلطان سليمان بن عثمان إلى رودس فمكث فيها سنتين حتى شفع فيه الأمير حاتم الحمزاوي دفتدار مصر فرد إلى الحجاز بشرط ان لا يعقد له ناموسا ولا يمكن الناس من الوقوف بين يديه ولا يعارض الولاة في شئ والقانون العثماني جواز قتل كل من تظاهر بصفات الملوك من الفقراء وكثر أتباعه لأنه ربما نازع السلطان في المملكة وركب معه العوام لقتال السلطان .

وقد وقع ذلك للشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخ الاسلام بمصر المحروسة وأرادوا نفيه أيام السلطان الملك الصالح فخرج الشيخ مغضبا وحمل أمتعة داره على حمارته وركبت زوجته عليها فقيل للملك الصالح ان خرج الشيخ من مملكتك ذهب ملكك فإن الناس لا يخرجون عن طاعته فإذا امرهم بأمر في السلطان بادروا اليه فخرج السلطان إلى ناحية بلبيس وصالحه ورده مكرما .

فرحم الله تلك الأرواح الطاهرة فإياك يا أخي وطريق الناس في هذا الزمان والله يتولى هداك .

**323 - أخذ علينا العهود إذا الفنا كتابا ان لا نبالغ في تحريره بحيث لا يجد الشارح له بعدنا مطعنا أو إيراد بل نتنزل في العبارة أسوة أضعف المصنفين**

إيثارا لجناب الله عز وجل قال تعالىوَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ

اخْتِلافاً كَثِيراًومفهومه من العلم إذا كان من الله عز وجل لم يجد أحد فيه اختلافا كثيرا فأفهم .
وكذلك نتنازل عند التذاكر في المحافل في معنى آية وحديث بحيث يعلونا جميع الحاضرين ونصير في أعينهم كأضعف الطلبة في الفهم فإذا انقضى ذلك المحفل وتفرق الناس ذكرنا لإخواننا ما من الله به علينا من الحقائق والإشارات التي ليس عندهم منها علم فتنفعهم بذلك ولا يحصل لهم تنقيص في ذلك المحفل كل ذلك سد الباب الشهرة والكبر على الإخوان والأعمال بالنيات والسلام .

**324 - أخذ علينا العهود أن لا نمكن أحدا من المريدين يحاكى بنا في تقريرنا للأحكام لأن ذلك من أكبر القواطع له عن درجات القوم**
لأن المريد إنما ينقل كلامنا من غير تحقيق يمنعه وربما أدعى مقالات الأشياخ في تلك المقامات فيعدم النفع بشيخه
ومن الواجب أمتحان المريدين شفقة عليهم ومتى ترك الشيخ امتحان المريد شفقة فقد غشه وخان عهد الفقراء والله لا يحب الخائنين .

وأعلمك أيها المريد ميزانا تشرف بها على أدنى درجات الكمال فإن من لم يفرغ من علاج نفسه لا يصلح لعلاج غيره ولا يهتدى لطريق ارشاده .
فإن وجدت يا أخي تلك الصفات فيك فتصدر لنصبح غيرك وإلا فارجع إلى نفسك فانفذها من الغرق فإذا نجوت فخذ بيد غيرك والصفات المذكورة هي ترك الدنيا بأسرها وعدم الفرار من سائر البلايا والمحن بحيث يتساوى ملء داره ذهبا وملئها زبلا على حد سوى رضى منه بتقدير ربه عز وجل.

وكان سيدي إبراهيم المتبولى رضى الله عنه يقول لما خلق الله الخلايق تسارعوا للوقوف في حضرته الخاصة فقال لهم تعالى : من أنتم ؟ وهو أعلم بهم ،
فقالوا عبيدك ومحبوك فقال تعالى انظروا ما تقولون فإن المحب لا يصرفه صارف ولا ترده السيوف والمتالف
فقالوا يا ربنا امتحنا بما شئت فخلق لهم الدنيا ففر إليها منهم تسعة اعشارهم وبقي العشر
فقال تعالى للعشر من أنتم وهو أعلم بهم فقالوا عبيدك وأحباؤك فقال انظروا ما تقولون فإن المحب لا يصرفه صارف ولا ترده السيوف والمتالف وقد نظرتم أصحابكم كيف ذهبوا إلى الدنيا فقالوا يا رب امتحنا بما شئت فخلق لهم الجنة فزينها في أعينهم فذهب إليها تسعة أعشار العشر ثم نظر تعالى إلى عشر العشر فقال من أنتم وهو اعلم بهم فقالوا أحباؤك فقال انظروا ما تقولون فإن المحب لا يصرفه صارف ولا ترده السيوف والمتالف فقالوا امتحنا بما شئت فضربهم بأنواع من البلايا فقطع أطرافهم فثبتوا لذلك وهو الذي ثبتهم فقال أنتم عبيدي حقا لا إلى الدنيا ملتم ولا إلى الجنة ذهبتم ولا من البلاء فررتم أنتم أهل حضرتي رضيتم عنى ورضيت عنكم رضى الله عنهم .

**325 - أخذ علينا العهود إذا دخلنا على ولى الله حي وميت ان لا نزيد في الاطراق والخشوع على الحالة التي كنا عليها قبل الدخول فإن ذلك معدود من النفاق .**
بل الأدب أن ندوم على الحالة التي كنا عليها فإن ذلك أقوى في الاستعداد .
وقد كان الفضيل بن عياض رضى الله عنه يقول والله لو قيل لي أن أمير المؤمنين

يدخل عليك الان فسويت لحيتي بيدي لأجل دخوله لخفت أن أكتب في جريدة المنافقين .
قلت : ولعل هذا في حق من يراعى مراتب الخلق لغير الله أما من يراعيهم تعظيما لله وإكراما لهم من حيث كونهم عبيد فذلك محمود والله اعلم

**326 - أخذ علينا العهود ان لا ننهمك في محبة أحد من المعتقدين فينا والمحسنين لنا فإن ذلك سوء أدب منا في حق الله وفي حقهم**
إذ من شرط الفقير أن يغار لله عز وجل ويكره أن يرى محبته في وسط قلب تلميذ أو يرى محبة تلميذه في وسط قلبه وهو وفي الحديث أن الله عز وجل يحب ان لا يرى في قلب عبده المؤمن غيره .
وقد مر إيضاح هذا العهد مرارا والله غنى حميد .

**327 - أخذ علينا العهود إذا أعطانا الحق تعالى مددا وفاض ان نمد به كل مسلم ولا تحجره على أصحابنا الخاصين**
فإن دين الإسلام واحد فإذا جاء شخص يريد التوبة والأدب وهو في صحبة شخص غيرنا وجب علينا نصحه وتأدبه ولا نترك النصح أدبا مع ذلك الشيخ وما كان عطاء ربك محظورا والكمل على الاخلاق الإلهية لا يحجرون رضى الله عنهم لكن لا باس بإستئذان أحدنا بالقلب شيخ ذلك المريد ونقول دستور في النيابة عنك في نصح مريدك والله غنى حميد :

**328 - أخذ علينا العهود ان نبسط لكل من تعرف بنا من ابنا الدنيا بساط التشويق إلى طريق الفقراء ومحبة ذكر الله عز وجل صباحا ومساء ليلا ونهارا**

فإن أحب ذلك ووقفنا عليه قربناه وعددناه من جملة الأصحاب وان لم يجب إلى ذلك واستثقل جلوسه معنا في مجالس ذكر الله وغيرها وتعلل بالنوم مثلا فهو من معارفنا لا من أصحابنا لان من شرط الصاحب أن يشرب من مسقات صاحبه من ماء واحد وان يرتفع الحاجز بين قلبه وقلب صاحبه كما يرفع الحاجز بين حوضي الماء فيصيرا لماء واحد فافهم قال الله تعالى فإن تابوا وأقاموا الصلاة واتوا الزكاة فإخوانكم في الدين وقال تعالى ولذكر الله أكبر اى أكبر ما في الصلاة فشرط تعالى في الإخوان في الدين الموافقة في الاعمال ولم يكتف بالاسم والدعوى فاعلم ذلك .

**329 - أخذ علينا العهود أن نعلم كل من رأيناه في بلاء من أهل القرى والأمصار طريق الخلاص منه وأعظم طريق إلى رفع البلا عن الناس الإحسان إلى بعضهم بعضا**

لان ذلك مما يؤلف بين قلوب المنافقين وفي الحديث جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وإذا حصل الائتلاف والود ارتفع البلاء عن تلك البلد كالبرق الخاطف
ثم إذا قدر نزوله ثانيا لا ينزل بل يقف بين السماء والأرض ولو مائة عام حتى يجد تنافرا بين الناس فينزل وقد علمت ذلك لبعض أهل القرى فخفف البلاء عنهم سنين بعد ان كان مترادفا عليهم بالقتل والنهب والخروج من الأوطان وغير ذلك فلا ينزل بلاء قط على قوم وهم على قلب رجل واحد ابدا .
فعلم أن سبب اغلال القلوب بعضهم من بعض عدم تعاطى أسباب أرتباطها من البر والهدايا والصدقات والخيرات وغير ذلك والأمر في زيادة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وانظر يا أخي كيف صار جارك

وصاحبك لا تنظر منه قط لقمة ولا حزقة ولا مرقة ولا حسنة من حسنات الدنيا إلى أن تموت وإن وقع ذلك من صاحب أو جار فهو من غلطات الزمان وقد صار الأمر روايات وأخبارا كأنه لم يقع في الوجود .
وقد كان سيدي خضر الذي كفلنى يتيما يقول لي والله يا ولدى ما أتذكر قط أن اشترى لي شاشا ولا جوخة ولا قميصا ولا نعلا ولا زيتا ولا صابونا ولا قمحا ولا شعيرا ولا سكرا ولا عسلا ولا أضحية ولا حلاوة ولا شيئا من أمتعة أهل البيت انما يأتينا كل ذلك من هدايا الأصحاب وقد أخبرني رحمه الله عن بنى الجيعان وناظر الخاص وأركان الدولة في مصر بأمور كالكذب عند الناس الآن ثم لا يخفى عليك أيها الأخ ارتباط الوجود بعضه ببعض من حيث المقابلات من الحضرات الإلهية إلى السلطان إلى نوابه على اختلافهم في الطبقات إلى جندي القرية إلى غفير الحارة إلى صبيان المكس وما بقي للناس الآن إلا تجرع مرارات الصبر وكل انسان في ظهره دقماق يدق فإذا قلنا للذي يدق في ظهرنا لا تدق يقول لنا حتى يترك الذي خلفي دق ظهري فأنا أدق في ظهرك ما دام الذي خلفي يدق في ظهري فأفهم وأعتبر .
وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول قد صار الخلق الأن كالسمك الذي كان في بركة ماء فنشف عنه الماء فالحدادى والكلاب يفسخه بالنهار والذئاب والثعالب تفسخه بالليل وما بقي يرجى عود الماء الذي هو كناية عن الرحمة لينغمروا فيه انتهى فتدبر ذلك واعرف زمانك .
والله يتولى هداك .

**330 - أخذ علينا العهود إذا حصل لنا جاه عند الحكام أن لا نتخلف عن نصرة مظلوم**

وذلك لعلمنا أن الله عز وجل إنما يعطى بعض عبيده الجاه لأجل كرب المكروبين لا غير وإلا فمن أين لأمثالنا أن يقبل الأمر أو الأكابر يده فأفهم .

واعلم يا أخي أن السوقة الآن والمتسببين والمتعيشين والفلاحين وسائر الرعية قد صاروا عزبا لا ناصر لهم من الناس عند الحكام ولا يجدون لهم واسطة خير ولا ولى حميم ولو بذلوا لهم جميع الأموال بل يأخذون من صاحب الحاجة فلوسه بدخلة منه لا يلتفتون إليه وإذا قال لهم بعد ذلك اقضوا حاجتي وإلا ردوا فلوسى ينصرون خصمه عليه حتى يهلكوه فهو لا يتنغس إلا بالزفير والشهيق كأهل النار فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد مر تقرير هذا العهد في مواضع والله اعلم .

**331 - أخذ علينا العهود ان لا نسرع بالغضب على أحد من إخواننا ما دامت قابليته ثابتة بل محتمله**

إذا أكثر المخالفة لنا ثم نسارقه قليلا حتى يطيع فإن لم تكن قابليته ثابتة تركناه تحت قضاء الله وقدره لان ذلك علامة على شقائه

ومن هنا قالوا إن لم يكن الداعي إلى الله على بصيرة فلا ينبغي له الدعا لأنه ربما يدعو أهل قبضة الشقاء إلى قبضة السعادة فلا يكون لدعائه ثمرة إلا إقامة الحجة على ذلك المدعو لا غير

والمقصد الأعظم إنما هو رجوع العاصي إلى الطاعة لإقامة الحاجة عليه فأعلم ذلك لكن لا يخفى ان احتمالنا لمن خالفنا إنما هو في الأمور المستنبطة بالفهم من الكتاب والسنة إماما جاء صريحا فيهما فلا نحتمله منه إذا خالف بل تجاهده كما نجاهد الكفار لان ما جاء صريحا هو الذي كلف الله به عباده.

وكان شيخنا رضى الله عنه يقول لو اقتصر العلماء على العمل بما جاء صريحا في السنة لكان أكمل لأنهم في الصريح تابعون للشارع وفي غيره لم يكونوا تابعين له حقيقة إنما ذلك مجازا وليقدر أحدهم نفسه لو كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فليفعل ذلك الآن والله اعلم .

**332 - أخذ علينا العهود إذا علمنا العلم الخليفة أو أمير أو كبير ان لا نطمع في شئ من ماله ونظهر له الزهد في الدنيا لينقاد لقولنا**

فإنه إذا ظهر له منا الرغبة في ماله صرنا معدودين عنده من جملة العيال والخدم وازدرانا ضرورة وكذلك لا نعلمه في ملاء ولا نذكره في خلا ولا نبدأه بالعلم بل نصير حتى يبتدى هو بالسؤال وإذا بلغنا في الجواب حد الاستحقاق لا نرد عليه إلا أن يستدعى هو ذلك منا وذلك لأن وقته ضيق لاشتغاله بجميع نظام المملكة والإمارة واستخراج الأموال التي تصرف على ذلك فما هو معد لتعلم العلم فقط كالعلماء فافهم .
وإذا رأيناه قد انعوج عن الحق قومناه بضرب الأمثلة ما استطعنا من غير تقرير له على خطاء ولا اضجار به بكثرة التردد بقصد التعليم لأن ذلك يزيل هيبة العلم والمعلم .
ثم اعلم يا أخي أنك ولو كنت أعلم من الأسير فهو أعقل منك ولذلك كنت معدودا من ورعيته فافهم والله عليم حكيم .

**333 - أخذ علينا العهود إذا قضينا لمكروب حاجة أو حملنا عنه بلية ان لا نقبل منه في نظير ذلك هدية**

فإن ذلك حرام وهذا يقع فيه كثير من مشايخ عصرنا هذا فإياك ثم إياك.

وقد كان ابن عباس رضى الله عنهما يقول من شفع شفاعة فاهدى له هدية على ذلك فقبلها فقد أتى بابا من الكباير .
قلت : وهذا لا ينافي في قول عائشة رضى الله عنها مفتاح الحاجة الهدية بين يديها لان معناه ان القلوب لا تحتفل بأمر إلا أن أردت له جزاء عاجلا أو آجلا كالقاضي إذا أخذ الرشوة فإنه يبادر إلى قضاء الحاجة بكليته مع تحريم ذلك المال عليه ثم إن كان ولا بد لنا من الترخص في قبول الهدية فنقبلها على اسم الفقراء والمساكين لا على اسم أحد من أولادنا وذلك لأن الصدقة تدفع البلايا عن صاحبها وأما من يحمل الحملة فأجره على الله عز وجل فاعلم ذلك .

**334 - أخذ علينا العهود ان نجيب العباد إلى ربهم ونجيب ربهم إليهم ما أمكن وذلك بأن نذكر لهم كثرة نعم ربهم عليهم ليلا ونهارا مع كثرة تقصيرهم في خدمة الله وقلة شكرهم له**
فإذا عرفوا نعمة عليهم ما لو إلى محبة ربهم ضرورة ورضوا عنه وأحبهم واحبوه وهذا من السياسة الإلهية للعالم وتأمل الحق تعالى مع وسعة كيف ساق بعض عباده إلى حضرته بقوله اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وساق بعضهم إلى خدمته وعدهم على ذلك بالجنة ونعيمها وساق بعضهم إلى حضرته بالسيف في الدنيا ودخول جهنم في العقبى فمن لم يجئ بشراب الليمون جاء بحطبه فافهم واعتبر .

**335 - أخذ علينا العهود أن لا نأمر أحدا من العوام يعيد صلاة صحت على مذهب من المذاهب المعتبرة دون الباقي إلا على وجه الاستحباب خروجا من الخلاف**
لأن مثل التراسين والنواتية والفلاحين وصبيان المصامت

ونحوهم لا ينضبطون على مذهب فإن وقع أن أحدا منهم تقيد بمذهب امرناه بالإعادة لتلك الصلاة التي حصل فيها الخلل على قاعدة مذهبه كل ذلك هروبا من حديث من شق على أمتي فاشقق اللهم عليه وكذلك لا نأمرهم بإعادة صلاة لم يحصل لهم فيها خشوع وحضور فإن ذلك لو كان من مرتبتهم ما اخلوا به ثم إنهم لا يعيدونها إلا على صورة أقبح من الأولى إما لقلة الخشوع فيها أو لاستحسانها والاعجاب بها فحسب العبد الصلاة مع الاستغفار والله سبحانه وتعالى اعلم

**336 - أخذ علينا العهود ان نعامل جميع الوجود بالأدب اللايق بكل مرض منه فنعامل الحق تعالى بالاعتراف له بالنعم وكثرة الذكر له وعدم الغفلة عن ملاحظة نظره الينا وكثرة المراقبة لبابه فإن حاجتنا في الدنيا والآخرة لا تخرج الا من بابه**

ونعامل الآيات التي في الوجود بالتفكر فيها والاعتبار بها ونعامل الرسل وكمل ورثتهم من العلما والصالحين بالاقتداء بهم بمكارم الأخلاق وأجتناب سفاسفها
ونعامل الملائكة بدوام الطهارة الظاهرة والباطنة وعدم الروايح الكريهة الحادثة من الاكل والشرب أو الحادثة من الأقوال والأفعال كما ورد أن الملائكة تتاذى من الكلمة القبيحة
وكما أنهم لا يؤذوننا فذلك ينبغي لنا أن لا نؤذيهم ولا نملى عليهم الاخيرا فإن لم يتيسر لنا ذلك أكثرنا من الاستغفار وذكر الله عز وجل ونعامل السفهاء بالحلم لا بالمقابلة والسفه فإن ذلك مما يقوى دخيرة الأذى لنا ولهم .

ثم إن ذلك يجر إلى اننا نصير سفهاء مثلهم من حيث المقابلة ونعامل الجهلاء بالسياسة ولين القول ونعامل شرار الناس ببشاشة الوجه ولو كان

قلبنا يلعنهم ونكثر من البر والإحسان إليهم ما استطعنا فلعلنا نكفى شرهم إن شاء الله تعالى .

ثم يحصل لنا ثواب منعهم عن الاثم الحاصل من وقوعهم في اعراضنا ومنع السامعين لهم عن سماع غيبتنا وتنقيص عرضنا وكشف عوراتنا فإن أحب عباد الله إلى الله اشفقهم على عباده وأخوفهم عليهم أن يقعوا في شئ ينقص دينهم ونعامل الأولياء بالتسليم والتصديق في كل ما يخبرونا به في حق الوجود
لأنه تعالى ما أعطاهم الكشف حتى احكموا مقام الصدق ولولا صدقهم ما سموا صادقين فافهم ونعامل إخواننا من المريدين بالتفتيش عن أحوالهم الناقصة والاخذ عليهم في جميع حركاتهم المذمومة نصحا لهم لكوننا مسؤولين عنهم ونعامل أولادنا بالإحسان إليهم وزوجاتنا بحسن الخلق والتنزل لعقلهن جهدنا كما كان يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم .

ونعامل المال بالإنفاق في سبيل الله حتى يفارقنا وهو شاهد لنا لا علينا ولا يتم لنا ذلك إلا بأن ننفقه بإنشراح صدر فإن المتكره للإنفاق ناقص الإيمان والثواب بل هو إلى الاثم أقرب .

ونعامل الناصح لنا من سائر الناس بالقبول والإصفاء وإن كان من أراذل الناس أو نصحنا بأمر قد ترقينا عن شهوده أو الوقوع فيه فيقول له جزاك الله خيرا لأنه نصح بما وصل إليه علمه ولا نقول نحن ترقينا عن شهوده أو الوقوع فيه ونعامل الأسماء الإلهية كلها بالتخلق بها فعلا وتركا فالفعل كالرحيم والقدوس والسلام والمؤمن ونحو ذلك والترك كالمتكبر والمتعال والعظيم ونحو ذلك والله اعلم.

**337 - أخذ علينا العهود أن ننبه كل من عمل شيخ سوق من إخواننا على أدب المشيخة**

لأنه على صورة مشيخة أهل الطريق في السياسة والنصح إذا علمت ذلك فنقول وبالله التوفيق من أدب شيخ السوق أو شيخ الدلالين أو شيخ علم الأدب أو سلطان الحرافيش أن لا يظهر التعصب مع أحد على أحد بغير حق كائنا من كان فإن ذلك مما يسقط حرمته ويخرب ما بينه وما بين الله عز وجل ويسرع بعزله عن تلك المشيخة ويوجب عدم تنفيذ قوله .

وتأمل البهلوان كيف يمشى على الحبل من رأس جبل إلى راس جبل بالميزان ولولا هي لسقط وتكسر ومال إلى جانب دون جانب .

وليحذران يجب الحكم في رعيته ويولع بالمخالفة لمن هو أعلى من سوقه من الفقهاء وأهل الخير والمعروف والصدقات الذين لا يحسدون أحدا من جيرانهم إذا أقبل الناس عليه بالفوائد والربح ولا يؤذون أحدا من خلق الله تعالى
فإن هؤلاء وإن كانوا تحت حكم شيخ السوق ظاهرا فما هم داخلون تحت حكمه باطنا ثم إنه إذا كان كبراء السوق عليه بقلوبهم لا يستقيم له مشيخة في السوق وما ارتفع الناس على بعضهم إلا بالصبر على الأذى وعدم الحسد وكثرة المعروف .

والصدقات وعدم مقابلة السيء بإسائته قال تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وليحذر من البحث عن عيوب أهل سوقه وليعلم أنه إذا ستر عورتهم ستر الله عورته وإذا كشفها كشف الله عورته وإذا كشف عورته ذهبت رياسته وحرمته واستحق العزل .

وليحذر أيضا من أن يصدق أحدا منهم في حق أحد من غير تثبت وذلك

لغلبة الحقد والحسد على غالب الناس وكثرة محبتهم للتميز على أقرانهم وليحذران
يحرج أحدا بزلة سبقت له أيام الشباب لينكس رأسه بين الناس ويقيم الحجة على أن
غضبه عليه بحق فإن ذلك حرام ولو أن كان على سبيل التعريض
كقوله ما أنا مثل غيرى كبسوه بجارية فلان مثلا فإن الحاضرين يفهمون أنه هو
المقصود بالتجريح كما يفهمون من التصريح لأن التصريح سواء بل قال بعضهم ان
التعريض أشد في الأذى من التصريح ربما يقام على صاحبه الشرع أو السياسة فيؤدب
على ذلك ويحصل للمجروح بتبريد الخاطر ولا هكذا التعريض فإن الحاكم لا يقدر
على تحريره وتحقيقه .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يضرب من قذف شخصا تعريضا فإذا قال لم
اقصده يقول له وركه على من شئت وليحذر من أن يكثر من الاستدلال على كل واقعة
وقعت له في السوق كما يقع فيه كثير من المتفقهين
فإن ذلك مما يورث الاستخفاف برتبته بغلبة عسرات اللسان حال الغضب في المحافل
وكذلك لا ينبغي له الإكثار من السبب لمن وقع من أهل السوقة في خيانة من دلال أو
تاجر لأن ذلك مما يذهب بهاء مشيخته وليحذر أن يتشبه في حكمه على أهل سوقه
بأهل المراتب العالية كالوالى والقاضي والمحتسب فيطرح الشخص على الأرض ويمد
ويضربه فإن رتبة شيخ السوق دون ذلك
وانما عمدته الصلح بين الناس بالمعروف ومساعدته الضعيف على القوى إذا نقص
القوى من حق الضعيف شيئا مثلا ويحذران يبلص أحدا من التجار أو الدلالين في شئ
ولو على سبيل الهدية فإن ذلك حرام وليحذر ان يفعل في السوق شيئا من الأمور
العظام من غير مشاورة لكبراء السوق من الفقهاء

ولمن طعن في السن وجرب حوادث الدهر فإن مشورة هؤلاء مما يطيب نفوسهم ويؤيده في تنفيذ الكلمة قال تعالى وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ .

أي قوتكم وإذا تكرر من أحد من التجار أو الدلالين الأذى لجيرانه ورفقته ولم ينزجر بكلام شيخ السوق فليرفعه إلى بيت حاكم أقوى منه لكن بعد مشاورة عصبة ذلك المرفوع فإن ذلك أبلغ في زجره

وإذا وصل شيخ السوق إلى بيت الحاكم فاليحك الواقعة للحاكم بصدق ورحمة وعدم تعصب لان الشيخ إذا ذكر كلاما في حق أحد بغير تحقيق أخذت كلمته وفسد نظامه وصار من الباغين والباغي لا يفلح ابدا وليحذران يقيد على أحد بأن لا يقف للدلالة مثلا الأبضا من مع تقدير الضمان في هذا الزمان الذي شرره متطاير على جميع الخلق فمن قطع بر انسان قطع الله بره

بل الواجب على شيخ السوق أن يترك الناس يسترزقون وإذا خرج المبيع بعد ذلك حراما مثلا يفعل مع الدلال الشرع أو العرف أو القانون على حسب ما يغلب استعماله في ذلك الزمان فإن الحكم

وقد سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسعر للناس حين غلا السعر فأبى وقال دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض وليحذر ان يفتح على أهل سوقه بابا يأكل منه الحكام رجاء أن ينصروه على أهل سوقه إذا احتاج إلى ذلك
فإن ذلك يسرع بعزله باذن الله عز وجل مع حصول الإثم عليه من كل من تبعه من مشايخ الأسواق وليحذر ان يسهر النداء بالمنع لأحد من أهل سوقه من التجار والدلالين بأن لا يبيع في ذلك السوق لا سيما ان كان يألفه ويجئ اليه فيه الزبونات دون غيره من الأسواق فله منعه بشرط ان يكون أهل السوق كلهم سائلين في ذلك وليحذر ان يسرع

في الحكم بين اثنين من غير تأمل وانشراح صدر ولو قامت البينة فيتمهل ولا يحكم بها إلا أن يشهد قلبه بصدق النية لأن شهادة أهل الحرف على بعضهم بعضا لا ينبغي المبادرة إلى قبولها لغلبة الضغاين والحسد على قلوبهم لا سيما من له زبونات كثيرة وذلك لأنه ما تم قط حال مشترك بين اثنين فيه رياسة أو جلب أو جلب دنيا الا وكان الغالب بينهم التنافر أمر قهريا شاؤوا امر أبوا بخلاف الحال المشترك الذي لا يطلب صاحبه فيه رياسة ولا جلب دنيا فافهم .
وليحذر ان يصغى إلى شكوى شخص ثم يحكم بأنه مظلوم بل يتأمل في السبب الذي أحوج ذلك الشخص إلى هذه المقابلة الشديدة يجده قد اذاه قبل ذلك فإنه لولا الدخيرة ما أوقدت النار ولا هاجت فكلما أكثر شخص تلك الشكوى من انسان فكأنه يشهد على نفسه بأنه ظالم على خصمه وهذا ميزان تطيش على الذر وإذا حصلت رمية أو مظلمة فيها غرامة على أهل سوقه فليجتمع بأكابر سوقه وليشاورهم في فعل ما يكون اصلح لأهل السوق كلهم فإذا اجتمع رأيهم كلهم على فعل شئ فليوافقهم عليه .
وليحذر من مخالفتهم فإنه إن خالفهم خذل وعدم وقال أهل التجارب افسد برأي غيرك ولا تصلح برأيك وليكن جانب أهل سوقه أرجح عنده من جانب الظلمة فيكون مع الظلمة بلسانه دون قلبه ثم يجتمع بفقراء أهل سوقه ويخبرهم بما اتفق عليه رأى أكابر السوق فإن لم يوافقوه فليحذرهم ويخبرهم انه يرفع يده هو وأكابر السوق ويدع الظلمة فيحكمون فيهم من غير شفقة ولا رحمة فإن فعل ذلك كان اسرع لانقيادهم إلى فعل ما وقع الاتفاق

عليه ويسلم هو من الورطة وإضافة الظلم إليه وحده ثم إذا وزنوا الغرامة فليكن أول الناس وزنا ولا يحمى ماله بما لهم وينبغي له وزن غرمات الفقراء من جيرانه ولو لم يشكوا ذلك ولم يسألوه فيه فإن المعاملة مع الله عز وجل وما سلك أحد هذا المسلم الا وكان الله عز وجل نصيره وكافيه .

وليحذر ان يقول له إبليس لا تعطى عنهم شيئا يظنوا بك إنك تعطى خوفا منهم ويرد وسوسته في وجهه فإن الله أصدق القائلين وقد جعل النصر والتأييد مع من يحسن إلى أعدائه .

وليحذر أن يقيم الحجة على عدوه حتى ينكس رأسه بين الناس ويظهر لهم كلهم ان عدوه هو الظالم فإن ذلك يقوى العداوة وكأنه جنى عليه جناية جديدة بل الواجب عليه إذا علم من عدوه البغض أن يغالطه ويقول أنا قلبي يشهد بأنك تحبني وأنا ما أرجع الا لقلبى لا لقولك أنت انك تبغضني وكذلك يفعل مع أصحاب عدوه واحدا بعد واحد حتى يكونوا كلهم من عصبته ان شاء الله تعالى وأما إذا عادى من راه يضحك مع عدوه أو يشاوره فإن اعداه تكثر ،

ومن كلام أهل التجارب :

**وأحسن العشرة مع بعضهم * يعينك البعض على كلهم**

ومن أعوان الأمور لزوال العداوة وتحميد نار الفتنة وإبطال كلام الناقلين ذهاب الخصم إلى مكان عدوه ومجالسته فإن الناس إذا رأوهم مجتمعين يتكلمان ويضحكون خمدوا أجمعين فالحمد لله رب العالمين.

**338 - أخذ علينا العهود إذا عملنا مشايخ على مجاورين أو خرقة من خرق الفقراء كالاحمدية والرفاعية والقادرية والبرهانية ونحوهم أن لا نخصص نفوسنا عنهم بشئ**
سواء كانوا على ما يفتح الله عز وجل به أو لهم وقف يأكلون من ريعه وإذا اتاهم شئ من أكابر الدولة مثلا على نية ان يتحملوا حملتهم ويفرجوا كربهم فلا ينبغي للشيخ ولا للفقراء الاكل من ذلك حتى تقضى الحاجة فمن أكل من ذلك شيئا قبل قضائها .

فقد مرض بدنه للحكة والجرب والحب الفرنجى وظلمة القلب وإذا أظلم القلب نقص الإيمان حتى يذهب منه في الأودية وتجرع غصصها أضعاف ما كان اكل واما إذا اتى الفقراء شئ على أمم الهدية
فإن كان من الفواكه والأشياء التي تفرق في العادة فللشيخ أن يفرق على الفقراء أو يشرك أهل بيته معهم وإن كان يدخر في العادة فله ادخاره على اسم الفقراء والمساكين وان كانت القراين تعطى ان ذلك الشئ إنما جاء به صاحبه على اسم الشيخ وحده كالصوف والعمامة والتعل
فللشيخ ان يتخصص به ويخص به من شاء من الفقراء ويجب على الشيخ ان يعظ إخوانه ويزهدهم في الدنيا وزينتها ويقرر لهم انه ما أحب عبد الدنيا إلا سقط من عين رعاية الله عز وجل وصار مهينا في ملكوت السماوات والأرض
فإذا أجابوا الطرح الدنيا والخروج عن امساكها لغير حاجة ضرورية فليكن الشيخ أو لهم وليحذر ان يأمرهم بترك الدنيا ويرغب هو فيها كما عليه جماعة من الوعاظ ومسلكى الزمان
فإن الفقراء إذا رأوا شيخهم يزاحم على الدنيا ويخاصم على معلوم وظيفة أو مشيخة أو نظر أو يسافر إلى البلاد البعيدة وفي طلب رزقه أو جو إلى أو مسموح كيف يجيبونه إلى تركها هذا من عكس الموضوع وما هكذا

كان الأشياخ بل ولا أحد من المريدين لأن أول المراتب الإرادة الزهد في الدنيا
ويجب على الشيخ أن يعلم الفقرا من المجاورين وغيرهم ان كل لقمة نزلت في جوفهم من أوقاف الناس وأوساخ صدقاتهم تسترقهم لأصحابهم
وإذا استرقوا لأصحاب تلك اللقمة صارت خدمتهم لأصحاب تلك اللقيمات واجبة قياسا على عبيد الرق سواء وذلك من أكبر قواطع الطريق إلى الله تعالى لان المريد في مرتبة الضعف لا يحتمل قلبه غير التوجه لحق الله وحده دون خلقه
ولو أمكن المريدون القيام بحقوق الخلق مع السير إلى ما أوجب الشارع الزهد في الدنيا والتقلل منها فافهم ثم إذا لم يخدموهم ولم يلتزموا طاعتهم صاروا كالابقين ولا يرفع للأبق عمل ما دام خارجا عن طاعة سيده فافهم .
<u>وكان سيدي على الخواص رحمه الله يقول أنا ما أحب للفقير</u>
أن يتعبد إلا أن كان له حرفة تغنيه عن صدقات الناس فإن لم يعمل حرفة وجلس في زاوية كان أجر عبادته لأصحاب تلك اللقم التي يأكلها فإن كل عبادة نشأت من طعمة فأجرها لصاحب تلك الطعمة لتقويه بها على العبادة
ولولا هي ما قدر على التعبد فيجب على الشيخ أن يعلم الفقرا ان الواجب عليهم ان يبنوا أمورهم في الدنيا كلها على التحقيق
وأن لا يمسكوا من المأكول إلا ما لا بد منه في قيام بينهم وستر عورتهم كالخبز الخشن بيسيرا دام ولو ملحا وكالجبب والبشوت
ويأمرهم بلبس السوه في ثيابهم وعمائهم حتى لا يحتاجوا في غسلها إلى صابون ونحوه
ويأمرهم باجتناب لبس الجوخ والمضربات والأصواف الرفيعة
ويقول لهم ان الفقراء إذا لبسوا ملابس أهل الدنيا وأكثروا

من العلائق احتاجوا ضرورة إلى الحرف والتجارات أو ذهاب غالب الليل والنهار في حضور الوظايف في المساجد وغيرها كما عليه طائفة من الفقهاء
وإذا احترفوا كما ذكر ليحصلوا ما يشروا تلك الملابس والأمتعة
فكأنهم ما خرجوا من حب الدنيا بل هم أسوء حالا ممن لم يدخل في صحبة الفقراء
لأنهم قالوا حكم الفقير قبل صحبته للفقراء حكم الجديد النقرة وبعد مفارقة طريقهم حكم النصف الزعل
وبالجملة فكل فقير جلس في زاويته بالاشتغال بالقرآن والذكر وكان له في خلوته أو بيته من متاع الدنيا أكثر مما يحمله المسافر الماشي إلى البلاد البعيدة فهو خارج عن طريق القوم كما أشار إليه
قوله صلى الله عليه وسلم لمن أوصاه ليكفك من الدنيا كزاد الراكب
فتأمل ويجب على شيخ الزاوية والحرفة أن ينفق هو وجميع الفقراء الذين تحت حكمه وتربيته على أنهم يردوا كل شئ جاءهم من زكاة الناس وصدقاتهم ويظهروا التقطيب في وجه كل من أتاهم بمال ليفرقه عليهم ويقولون له بحق وصدق إخراجك الزكاة على مثلنا لا يسقط عنك الواجب
وذلك لئلا يعود إليهم ثانيا بصدقة ويريح الشيخ من تفرقة أوساخ ذنوب الناس فإن من يقول للشيخ خذ زكاتى فرقها على الفقراء كمن يقول له خذ غائطى وبولي ودمى ومخاطى وصنانى وبصاقى فكل منه وأطعم عيالك وجماعتك ولطخ بذلك يديك وجسمك وثيابك وقلبك
أو كمن يقول له اجلس يا سيدي الشيخ أبول وأمخط وأبصق عليك
وقد أشار إلى كل هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله إن الصدقة أوساخ الناس وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد
<u>ولما سأله الفضل بن العباس أنه يستعمله على الصدقات</u>
قال له صلى الله عليه وسلم معاذ الله ان

استعملك على غسالة ذنوب الناس
وقد قال بعض أئمة اللغة ان الوسخ يشمل الغائط فما دونه
ولكنه صلى الله عليه وسلم كان يكنى عن القبيح ما أمكن
ثم اعلم يا اخى ان الوسخ يزيد في القبح وينقص بحسب كسب المتصدق فإن كان
يرابى ويغش في المعاملة ويأخذ المكس من التجار ويأكل الرشوة فحكمه كالخرا والقبح
وإن كان ينصح في المعاملة ولكنه يبيع على من يفعل ذلك من الظلمة والقضاة فحكمه
كالبول والدم وقس على ذلك
وأقل المراتب أن يكون كالبصاق وقد رأيت مرة شخصا جاء إلى سيدي على الخواص
بمال والشيخ رمد وهو جالس يضفر الخوص فقال له يا سيدي خذ هذه الدراهم فاستعن
بها على نفقة البيت واترك الضفر حتى تبرأ فرده
وقال والله انى كما تراني اضفر في هذا الرمد ولا يطيب لي ان اكل من كسبى هذا
فكيف أكل من كسبك أنت فقال يا سيدي إن مثلك لا يغش في صنعته فكيف لا تطيب
نفسك أن تأكل من صنعتك فقال صحيح
ما تم إن شاء الله تعالى غش ولكن أبيع على من وجميع الفقهاء والتجار والزياتين
وغيرهم إذا اتاه مكاس أو قاض يشترى منه شيئا لا يرده قط بل يفرح بفلوسه غاية
الفرح وإذا أخذنا فلوس الظلمة والمكاسين فنحن سواء لإتحاد العين المتداولة بأيديهم
فقال يا سيدي هذا شئ ما كان لي على بال وتركه وانصرف وهو يقول لله يا أولياء الله

واعلم يا اخى انه يفتح على من يعمل شيخ مشايخ على الفقراء أن يأخذ من معلوم
الفقرا شيئا ليتوسع به في نفقة بيته لأنه ما اصطاد ذلك إلا بهم وعلى اسمهم ولا ينبغي
له ولا لأحد من أعوانه أن يعمل له من شئ من ذلك مضربة ولا صوفا ولا شاشا ولا
جوخة ولا بساطا ولا كساء ولا يبنى به بيتا

ولا يبيض به خلوة ولا يكسو به أولاده ولا يشترى له به حمارا ولا بغلا ولا فرسا ولا يزرع به شيئا على اسمه واسم أولاده فإن ذلك كله ممحوق البركة في رزق الزاوية ولو صار لها كل يوم مائة دينار
فالشيخ وجميع أعوانه مكشوفون الحال ضيقون الرزق غالب أكلهم من السوق وكذلك يقبح على من عمل شيخا أن يقبل مسموح السلطان أو مرتبه على البساط فإن المال الذي يصرف على البساط لا يكون إلا من جهات الوزر والخمور وغيرها من المحرمات ومن شك في ذلك
فليسأل أرباب الديوان هذا لو عرض عليه بدخلة من أعوان السلطان فكيف من يسافر لأجله إلى بلاد الروم والعجم
وكيف يليق بمن يقول أنا شيخ مشايخ أن يزاحم أرباب الوزر على جيف الدنيا وسحتها ويقول لهم اتركوا ذلك لآخذه أنا لأنى شيخ من الصالحين وكان الأولى أن يقول من الصالحين ثم إنه لا بد للشيخ من النصب على أعوان السلطان باظهار الصلاح والاتفاق على العميان والمساكين والمحاويج .

وينهى ذلك في قصته كما مر أوائل هذه العهود فإذا حصل المسموح مثلا انفق منه مدة على الفقراء ثم اتاه أبو مرة فأمره بتغيير ذلك وأن يخص نفسه وعياله وأولاده به ويحرم الفقراء فهو ولو قدر ان يكون حلالا فهو حرام من حيث النصب
لأن أعوان السلطان لا يسمحون لانسان قط بأربعين نصفا كل يوم وهو يخص بها نفسه بدا لأنها جامكية أمير كبير يسافر بالتجاريد في مصالح المسلمين فبالله يا سيدي الشيخ أيش نفعك أنت في الوجود ثم ليعلم سيدي الشيخ ان محبته لحلال الدنيا يستحق بها العزل من المشيخة

على طائفة الفقراء فكيف بمحبته لحرامها وهذا الأمر قد حدث في المتشبهين بالفقراء في هذا الزمان كما مر ويجب على الشيخ إذا كان تاجرا على وقف الفقراء ان يحميه من الظلمة وطريق حمايته أن لا يتخصص بشئ منه وأن يصرفه في مصارفه المعينة في كتاب الوقف وأن يأمر الفقراء القاطنين عنده في الزاوية بالاشتغال بالله عز وجل وكثرة الذكر وتلاوة القرآن لتقع الحماية لهم ويستحقوا تسخير الحق تعالى لهم رزقهم ومتى احتاج الشيخ والفقراء إلى حماية وقفهم من أعوان الظلمة إلى خروج مرسوم يحميهم منه فهم كاذبون في دعوى الفقير والتجريد محتاجون إلى زيادة الاشتغال بالله تعالى زيادة على ما هم عليه فإن الله تعالى ما ضمن تسخير الأرزاق إلا لمن هو مقبل على عبادة ربه ليلا ونهارا واما البطال الكسلان فلم يضمن له ذلك وإنما أمره بالتكسب وعمل الحرف على طريق أبناء الدنيا

وكذلك يجب على الشيخ أن يعلمهم بأنهم إذا قصروا في خدمة ربهم صاروا كلا على إخوانهم المجتهدين في الخدمة فينقص رأس مالهم ولا يرجى لهم نفع

وفي الحديث من جعل الآخرة همه جمع الله شمله واتته الدنيا وهي راغمة ومن جعل الدنيا همه شتت الله شمله

وفي بعض الكتب المنزلة يا دنيا من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فأستخدميه فعلم أن من خص نفسه بمال الوقف أو زوج به أولاده أو بناته أو حلى به نساءه أو ركب منه الخيول المسومة أو نكح به النساء الجميلات أو أنفقه على موالح الرقية من الفقراء البطالين الكسلانين

فطريق الحماية لذلك الوقف بعيدة ولو كان معه مرتعات السلاطين ويا طول ما يبرطل الظلمة والحكام كما هو مشاهد ويجب على شيخ الفقراء المجاورين

إذا رأى نفسه قد صار قليل الصيد لهم أن يعلمهم بالسبب ويقول ارجعوا إلى ربكم بالخدمة له حتى اصطاد لكم والا فلا تلوموا إلا أنفسكم واعلم يا أخي أن الله عز وجل قد تكفل لطالب العلم برزقه
فكيف بطالب الله عز وجل وإنما يتوقف عليه رزقه ويتعسر من عدم إخلاص نيته منه وقد كثر عدم الإخلاص الأن في طلبه العلم وصار شيخهم لا يقدر يصطاد لهم رغيفا الا بالنصب والحيل والكذب وأقل مراتب الإخلاص أن يصير طالب العلم يحب رفعة جميع أقرانه عليه في العلم والعمل ويفرح بنسبتهم له إلى الجهل وعدم الفهم
وإذا حضر في محفل وهو يعلم ما لم يعلموه لم يتكلم به في ذلك المحفل خوفا أن يعلوهم ولا يعد نفسه أنه من أهل العلم قط في ساعة من ليل أو نهار هذا من أقل درجات المخلصين في العلم ويجب على شيخ المحاورين أن يشتغل بالعلم وتفسير القرآن ومعرفة طريق القوم حتى يكون اعلم من جميع من هم تحت تربيته ولا يحوجهم إلى الخروج إلى غيره من العلماء يستعلموا منه العلم فإن ذلك قصور عن مشيخته عليهم وسبب لإتلاف أحوالهم لاختلاف المشارب عليهم فإن اختلاف المشارب في الفهم يضر كما يضر اختلاف الأطعمة فافهم .
ومن هنا عمل سيدي يوسف العجمي في زاويته بالقرافة منبرا وأقام الجمعة لهم فيه خوفا من تفرقة جماعته إذا خرجوا الأمكنة الجمعة البعيدة
ولو كانت أكثر جماعة من الزاوية وليعلم سيدي الشيخ أنه إذا كان جاهلا بالكتاب والسنة فكلمته على الفقراء قاصرة لكثرة تخريجهم عليه لا سيما إن كان المجاورون أعرف منه بالسنة وأكثرهم منه حفظا للقران والأحاديث النبوية

فإن كلمته لا تسمع بالكلية ولو كان صالحا في نفس الأمر فصلاحه غير مشهور لتعلقه بالباطن فلا تكمل مشيخة شيخ على غيره إلا أن كان اعرف منه بطريق القال وبطريق الحال .

ويجب على الشيخ إذا وقع على يده قسمة دنيا بين الفقراء أن لا يخص أحدا منهم بشئ زائد على غيره إلا أن تكون حاجته ظاهرة للفقراء كلهم بحيث يحثوا عليه ويرقوا حاله .

وليحذران يأخذ مع الفقراء نصيبا له أو لولده فيكون كأحدهم في دناة المروءة وتذهب رياسته عليهم بل يجب عليه أن يفرق كلما دخل على المساكين والأرامل وغيرهم ولا يلحس منهم لحسة ولا يأخذ منه فليسا ولا يدخله بيته ابدا ثم يخرجه للفقرا بعد ذلك فإنهم يتهمونه في الأخذ منه قياسا على نفوسهم لو خلوا به فمن فعل ما ذكر مع الفقرا عظم في أعينهم وهذه شروط خاصة بالفقراء الصادقين أما غيرهم فلا كلام لنا معهم لأنهم قوم ينصب بعضهم لبعض باتفاق منهم ويجب على الشيخ إذا رأى من المجاورين مزاحمة على الدنيا ولو بقلوبهم أن يحكى لهم حكايات الصالحين والزهاد الذين يدعون أنهم منتسبون لطريقهم ويذكر لهم ما كانوا عليه من رفض الدنيا وشهواتها اختيار الاضطرار أو يعلمهم ان الفقراء ما تميزوا عن أبناء الدنيا الا بزهدهم فيها اختيار أو الا فإذا تركوها اضطرار فهم وابناء الدنيا على حد سوى .

ثم إذا طلب الشيخ تخصيص أحد من الإخوان بقميص أو درهم أو غيرها فليكن ذلك سرا بحيث لا يدرى به فإن طبع البشر كامن فيه الحسد

وكراهة التميز ولو لم يظهر ذلك على الفقراء وإذا كان بعض الصحابة يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله ان هذه قسمة ما أريد بها وجه الله حتى تمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف بأمثالنا اليوم نسأل الله اللطف وسمعت شيخنا رضى الله عنه يقول لابد لكل داع إلى الله تعالى أن تنقسم جماعته على أقسام قسم يقولون سمعنا وأطعنا وقسم يقولون سمعنا وعصينا وقسم يقولون سمعنا وأطعنا نفاقا كما انقسم الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء .

فليوطن الشيخ نفسه على هذا التقسيم فإنه لابد له منه في جماعته شاؤوا أم أأبوا ولو قدر أن قسم المنافقين تاب من نفاقه تولد النفاق في قوم آخرين من أصحابه وليس في الصحبة أشد من صحبة المنافقين لكثرة روغانهم وعدم اعترافهم بنفاقهم فليعذر الشيخ الفقراء في تنكر قلوبهم من بعضهم بعضا إذا دخلت عليهم الدنيا

فإن ذلك امر قهري على أمثالهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دخلت الدنيا بين قوم إلا القى الله بينهم العداوة والبغضاء يعنى شاؤاام أبوا لكن لا يخفى أن المراد بهؤلاء القوم الذين أشار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هم أبناء الدنيا الذين اقتصروا على شهود ظاهرها وما لو إلى زخرفها وإلا فالأنبياء والأولياء لا يقع بينهم عداوة بدخولها عليهم كما هو مشاهد فافهم

لأنها عندهم كالتراب وما رأينا أحدا قط عادى أخاه على أردب تراب أو قتله لأجله وإنما أخرجنا الأنبياء والأولياء من ذلك لان الدنيا ما خوذة من الدناءة والدنو والقرب من مقام الطينية ومعلوم أن جميع الأنبياء وكمل ورثتهم من الأولياء قد خرجوا إلى مقام الروحية والأرواح لا ميل عندها للشهوات لعدم ذوقها لها كالملائكة ويؤيد ما أولناه قوله صلى الله عليه وسلم لو أن

لابن ادم وأديان من ذهب لأبتغى ثالثا ولو أن له ثالثا لأبتغى رابعا ولا يملأ عين ابن آدم الا التراب لأن المراد بابن آدم من اقتصر على ظاهر الدنيا ووقف عنده إذا لادم هو ظاهر الجلد فكأنه صلى الله عليه وسلم جعل الحكم مقصورا على محب الدنيا والا فالأولياء فضلا عن الأنبياء لا يبتغون أن يكون عند هم منها دينارا واحدا قافهم .
ويجب على الشيخ ان لا يغفل عن مراعاة الفقراء القاطنين في الزاوية وغيرها فإنهم غنمه ولا يغفل عن ردهم عن مواضع الهلكة ليلا ونهارا وينبغي له أن يضرب من لم يرتد منهم عن ما يؤذيه إلا بالضرب ويهش على من يكتفى بالهش ويجب على الشيخ إذا أراد ان يغرق عليهم فتوحا أن يقدم لهم مقدمة لكي ينتهوا لكذبهم في دعواهم أنهم تركوا محبة الدنيا فيقول لهم ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر العطاء لقوم ويقول لهم الذي امنع أحب إلى من الذي اعطى وإنما اعطى العطاء الكثير لقوم يتألفهم على الايمان واقلل العطا لقوم لما علم من قوة ايمانهم وقوة جزمهم فأيكم أيها الفقراء الأقوى إيمانا حتى اقلل له العطاء أو أعطى حصته لأخيه فإذا سكنوا فليقل لهم أيكم ضعف يقينا بالله وأقل إيمانا به وأقل دينا حتى أعطيه أكثر فكل من شهد على نفسه بشئ فليعامله بما يليق به ولعله يفتضح في ذلك المجلس كذا وكذا واحدا وكان ينبغي لهم كلهم ان يحموا الخرقة ويقول كل واحد نصيبي لاخى فإن أحد إلا يأخذ إلا نصيبه الذي قدره عز وجل له ولكن غلبة الأوهام توهم الإنسان أنه متى لم يزاحم على نصيبه أخذه غيره وقد فرقت مرة مالا على الفقراء وأحرمت منه شخصا كان يدعى أنه من خواص

أصحابي فتغير وزهد في صحبتي فقلت له إنما احرمتك من هذا المال لمحبتي لك فلم يقبل وصار يقول للناس الشيخ ما يعطى إلا بالغرض ويستدل على بكلام بعض المغفلين بقولهم من أحبك أطعمك ومن بغضك احرمك ثم ترك اصحبتى إلى أن مات ويجب على الشيخ إذا قسم بين الفقراء الدنيا ان يصبر على سماع الكلام الجافي منهم كما يجب عليه إذا قسم بين كلاب الدنيا جيفتها أن يوطن نفسه على هبتهم عليه وعضهم له للجناية وظنهم فيه أنه لا بد ان يكون خباء عنهم منها شيئا فإنهم لا يقيسونه الا على أنفسهم وهم لو كانوا هم القاسمين لسرقوا منها من وراء إخوانهم وليعلم الشيخ أن الكلاب لا تزدحم قط إلا على من بين يديه جيفه وإلا فلا يقفون قط عليه ولو كان بين يديه قنطار من المسك والعنبر فإن الشيخ الذي لا بر من جهته ولا يأتي على يديه شئ من الصدقات لا يزدحم عليه كلب ولا يكثر من مجالسته أحد فإن أردت أيها الشيخ محبة الفقراء لك أشد المحبة فأكثر لهم من صيد الدنيا ولو بالنصب والحيل وذل النفس على الأبواب والسفر إلى القرى والبلاد فإنك إذا فعلت ذلك أحبوك أكثر من محبتهم لك إذا أوصلتهم إلى حضرة الأولياء .

وقد تناظر كلب السوق مع كلب الصيد فقال أنا كلب وأنت كلب فلما ذا يقربوك ويجلسونك على فراشهم وانا كلما راؤنى طردونى واخرجوني إلى المزابل فقال كلب الصيد الفرق بيني وبينك واضح لأنى اصطاد لهم وأنت تصطاد لنفسك انتهى فافهم واعتبر ويجب على الشيخ أن يمنع من المجاورة عنده كل من لا يحضر مع الفقراء في أوراد هم وأذكارهم وصلاة جماعتهم

لأن إقامة مثل هؤلاء في الزاوية مما يفسد أحوال أهلها لكثرة تشبه الفقراء الضعاف بأهل الكسل والخمول حتى يصيروا عن قريب مثلهم وليكن الشيخ أول حاضر المجلس وصلاة الجماعة تقوية لعزم الفقراء وإن لم يكن الحضور لازما للشيخ فهو من سنة الأشياخ السابقين في اورادهم وما جعل الأشياخ هذه المجالس الا لتقوى بعض الفقراء ببعض فإن منهم من يصبح كسلانا ومنهم من يصبح نشطا ولو انفرد وربما كسل النشط ذلك اليوم .

وقد حكى أن فقيرا جاء إلى سيدي مدين رضى الله عنه ليجاور عنده فحضر مع الفقراء في مجالس الذكر أياما ثم أنقطع فقتل له في ذلك فقال انا ما احتاج إلى من ينشطنى فلا حاجة لي بالاجتماع بأحد

فبلغ ذلك سيدي مدين فأخرجه من الزاوية وقال مثل هذا يتلف الفقراء فيصير كل واحد يدعى أن قلبه حي وبدنه نشيط فينفرد ويترك شعار الزاوية ويجب على الشيخ الناظر على زاوية الفقراء أيضا ان يمنع كل من يريد الاشتغال بغير العلوم الشرعية وهي القرآن وتفسيره والفقه والحديث من الإقامة عنده لأن أوقات الفقراء ضيقة لا تسع الاشتغال بغير ذلك

وهكذا كان سيدي أحمد الزاهد وبعده سيدي مدين وسيدي محمد الغمرى يفعلون

وذلك لأن المريد لا يقدر على الجمع بين الاشتغال بطريق الظاهر والباطن معا ولو أن المريد قدر على الجمع بينهما لم يمنعوه من الاشتغال بعوضه علوم الشريعة

فلذلك كانوا يأمرون التلامذة بأن لا يزيد أحدهم في التعليم على معرفة الفرائض وما لا بد منه من السنن فقط ثم يشغلونه بالذكر كما أوضحنا ذلك في رسالة أداب المريدين

وقد عمل سيدي أحمد الزاهد لهم ستين مسألة لأجل ذلك ويجب على الشيخ أن

يخرج من الزاوية كل من غير وبدل عهود الفقراء التي دخل الزاوية على نيتها كما إذا دخل في العهود مع الشيخ أن يرضى باللقمة والخلقة ثم طلب زيادة على ذلك وقال هكذا ما يكفيني لأن جلوس مثل هذا في الزاوية ضرر بلا نفع وقد صارت الزوايا الان مصيدة للدنيا لا غير بعد بان كانت مصيدة لأعمال الآخرة .

وتأمل يا أخي رهبان النصارى لا يدخل أحدهم في الرهبانية حتى يترك جميع ملاذ الدنيا كلها ويرضى بالخشن من الاكل واللباس ومتى طلب زيادة على ذلك أخرجوه من الكنيسة والرهبانية فما جعلت المساجد والزوايا الا للمنقطعين إلى الله فمن لا ينفطع فلا حق له في صدقات الفقراء والله عزيز حكيم

وينبغي للشيخ أن لا يتكدر من الفقراء القاطنين عنده إذا رأى منهم قلة اعتراف له بالفضل والرتبة فإن هذا الزمان ما بقي أهله يحتملون إقامة الميزان عليهم فليعامل الشيخ ربه فيهم إذ الأمور كلها قد صارت على وجه الختام والناس في دهليز القيامة ولا تقوم الساعة حتى تستوفى هذه الأمة جميع الذنوب التي هلكت بها الأمم السالفة كان ذلك على ربك وعدا مفعولا وليتامل الشيخ في جماعة الأشياخ الذين هم في عصره يلقن أحدهم الألف مريد والعشرة آلاف مريد وأكثر ولا يفتح على شخص منهم بسوء شقشقة اللسان ويقول اخذت عن سيدي الشيخ فلان وبعده عن فلان وبعده عن فلان لا غير كل ذلك لعدم انقيادهم للشيخ وعدم الصدق في الطلب والامر إلى وراء لا إلى قدام وقد صار الشيخ يطعم جماعته ويكسوهم من حين كانوا أطفالا ويتامى إلى أن يصيروا رجالا ويزوجهم ويقريهم العلم ويسمعهم أدآب

القوم فلا يحفظ أحدا منهم له حرمة ولا يتذكر له جميلا وإذا مات الشيخ وترك أطفالا صغار إلا معلوم لهم فلا يفتقدهم أحدا منهم بحسنة من حسنات الدنيا التي أسسها الشيخ لهم وتسبب في وقفها عليهم فلا حول ولا قول الا بالله العلي العظيم .

**339 - أخذ علينا العهود ان نحسن ظننا في الله عز وجل ولا نسىء به الظن ولو فعلنا جميع المحرمات الإسلامية**

وبهذا العهد يكون ختام العهود إن شاء الله تعالى .

اعلم يا اخى ان حسن الظن بالله عز وجل هو محط رحال الأولين والآخرين وقد حث الحق تعالى على حسن الظن به

فقال في الحديث القدسي أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا انتهى وفي ذلك بشرى من الله عز وجل عظيمة لأن في الظن نوع ترجيح إلى جانب العلم الشامل ذلك الظن للخير والشر ولكن الحق تعالى ما وقف هنا

لان من رحمته سبقت غضبه بل قال معلما لعباده فليظن بي خيرا بصيغة الامر فكل من لم يظن بالله خيرا فقد عصى امر الله عز وجل وجهل ما يقتضيه الكرم الإلهى يوم القيامة حين يبسط الحق تعالى بساط الكرم فيدخل ذنوب الأولين والآخرين من المسلمين في حواشيه ويقول الملائكة ما بقي لغضب ربنا موضع

لكن هناد دقيقة وهو ان المدار على حصول حسن الظن حال طلوع الروح لأن الحكم له وهو أمر مغيب لا يعرف العبد هل يوفى به أم لا وما قبل طلوع الروح لا مدار عليه وان كان محمودا ومن هنا خاف الأكابر من سوء الخاتمة وهي أن يموت وهو يظن بالله سوء نسأل الله العافية قالوا جب على الإنسان دوام

حسن الظن ليلا ونهارا فإنه عنوان السعادة فإن قيل العلماء يقولون أن ترجيح جانب الرجاء وحسن الظن لا يؤمر به العبد إلا إذا كان مختصرا
والا فترجيح جانب الخوف أولى قلنا والوفاة حاضرة عند العبد في كل نفس من أنفاسه وليس هو على يقين من الحياة نفسا واحدا فلا يجوز له سوء الظن بالله ابدا في نفس من الأنفاس لاحتمال أن يكون ذلك النفس هو اخر العمر فتخرج روحه على تلك الحالة فيلقى الله تعالى وهو ظان به السوء
فيجنى ثمرة ذلك من أنواع العقوبات والخزي في البرزخ ويوم القيامة فما عاد على العبد الا سوء ظنه بربه لا غير
فإن ظننت يا اخى بربك خيرا فإنك تشاهد من كرم الله تعالى ما لم يخطر لك على بال
فإن ظننت به انه لا يضيعك في الدنيا ولا يكلك إلى نفسك طرفة عين فعل
وإن ظننت به أنه يوفى عنك ما عليك من حقوق العباد في الأموال والاعراض ولا يؤاخذك بحقوقه تعالى فعل
وان ظننت به انه يميتك على التوحيد وكمال الايمان والأحوال فعل
وان ظننت به انه لا يفتنك في قبرك ويلقنك حجتك فعل
وان ظننت به انه لا يشهد أهوال يوم القيامة بل تقوم من قبرك فتركب براق اعمالك إلى الجنة فعل .
وإن ظننت به أنه لا يحاسبك عن شئ ولا يسألك عن تقصير فعل
وإن ظننت به انه يثبت قدميك على الصراط ولا يوقعك في نار جهنم فعل
وإن ظننت به أنه يدخلك الجنة ويعطيك فيها ما لا عين رأت وإلا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فعل والحمد لله رب العالمين .
ولنشرع بعون الله في الخاتمة الجامعة لعهود كل الأولياء فنقول وبالله التوفيق.

الخاتمة :في ذكر جملة من العهود الخاصة بأهل دائرة الولاية الخاصة على مصطلح القوم أعلم يا أخي أن عهود الأولياء لا يحضرها ديوان
ولكن نذكر لك منها جملة صالحة من أخلاقهم لتستدل بذلك على علو مقامهم وغزارة علمهم رضى الله عنهم أجمعين فنقول وبالله التوفيق .

**340 - أخذ علينا العهود إذا دخلنا في دائرة الولاية إن شاء الله أن يكون أحدنا مسلوب الحقيقة والاسم**

بأن يفنى مراده في مراد الله فارغا مما ليس له بوصف ملأنا بما قسم له وقدر عليه ان تكلم فكلام لا يفهم منه الا العجز وإن سكت فلا يجد في باطنه ما يتفكر فيه يتوجه لقضاء حوائجه بجميع قوى حسه لا يجرح ولا يرجح إلا لمصلحة شرعية .

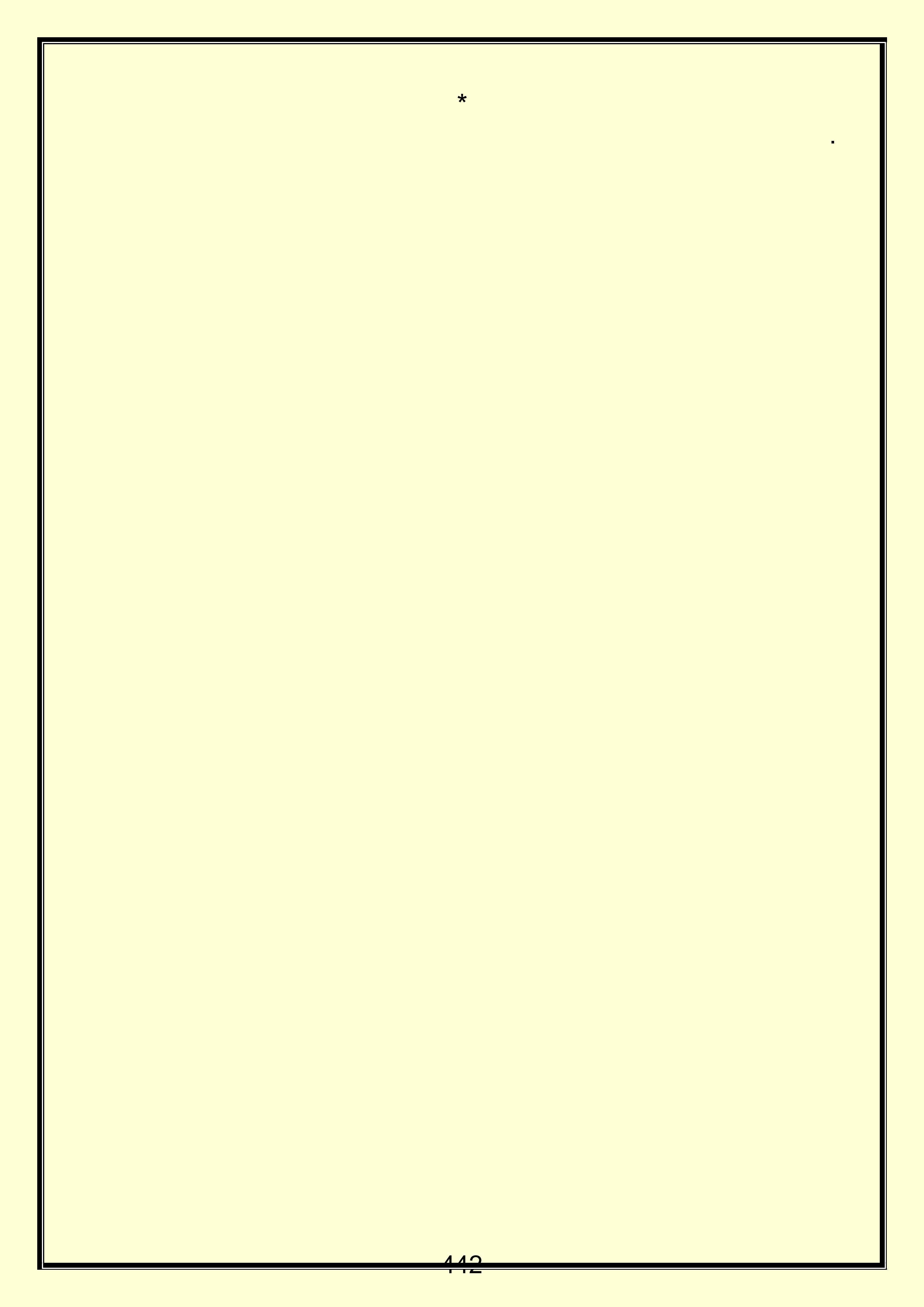
ولا يكثر وصف أحد بحق ولا بغيرة يتكلم مع الوقت والحال لا بهما ولا لهما يكثر الدعاء لنفسه ولجميع خلق الله مع كثرة التفرغ والأدب متقلبا في علم الله تعالى لا يطابق قوله وفعله زمانين ماض وات على الكشف والشهود .

ليس عنده من العلم بالحق تعالى إلا الكون فقط يتعاطى لنفسه ولغيره ما يحتاج إليه مما يكره طبعا واصطلاحا بقصد صحيح يتغير مع الكون إذ هو نازل تحت حكمه كنزول القلب في باطن تجويف الجسد الذي هو محل الاستحالة والتغير وفساد الأمزجة فرحه للكون فرحه لنفسه حقيقة يضع الأشياء في محلها الشرعي الا بطريق التحجير على الأشياء بمحلات مخصوصة يتحللها من عند نفسه يقيم الميزان بغير صنج توجب تعديلا أو ترجيحا بل تكون ميزانه كميزان الحق تعالى تطيش على الذر ولا يظهر فيها

حكم زيادة ولا نقص يتكلم مع العامة والخاصة بكلام يسع عقولهم لا يتميز ولا يمل ولا يراعى في الكلام مصلحة أحد بعينه يأمر فيما طريقه الاجتهاد في حين بما ينهى عنه في حين اخر للسبب المخصص لا يحكم برتبة لاحد دون أن يظهر أثر الرتبة في الكون لا يحكم بحال وله عليه إلا بحكم سببه أو ظهوره لا يأتي من العبادات النفلية ما يشق إلا في حين يشكر لإخوانه بقدر طاقته لا بقدر مرتبة للشكور ويكره جوارحه إذا نقلت له عيب أحد من إخوانه يتأدب مع الخلق لا لهم ولا لأجلهم بل لإعطاء الوجود والموجود حقه من الأدب لا يصلى نفلا قط إلا مقيدا في شكر يعود عليه أو على الكون أثره يقدم مصلحة معيشته على سائر الطاعات لا يبالي بما فات من نوافل العبادات في طلب ذلك يراشى الظلمة إذا قصدوه بأذى ولا يتصرف فيهم بعزل ولا نكال إذا جاروا عليه فإن جاروا على غيره من الرعية فله ذلك لا يبدأ بالإحسان من لا يبدؤه إلا أن يكون المبدؤ فقيرا وذلك لئلا يتكلف المبدؤ بالمكافأة يحب العلماء والصلحاء وإن كانوا على غير قدم كامل لا يداهن أحدا من أخواته ولو كبيرا أحب اخوانه إليه من يرشده إلى عيوبه لا ينفر من شئ ولا يرغب في شئ ولا يزهد في شئ الا تبعا للشارع يكره كل من ينقل اليه عيوب ويهجره ولو كان صديقه يصحب الناس على قدر أخلاقهم ولا يصحبه هو أحد لا يسبق قوله فعله ولا يزور أحدا من الفقراء إلا بغالب ما يقتات به لا يشغل نفسه بالرد على أحد من أهل الإسلام لأن الإسلام يعمهم كلهم لا يكذب بما تحيله العقول فإن الله على كل شئ قدير لا يخوض قط فيما لا يعلم يحب التكبير إلى سببه الذي أقامه الله فيه ويكره

البطالة يكره العزلة عن الناس وإن كانت في طاعة لأنها فرع من شهود نفسه خيرا منهم ولو شهدهم خيرا منه لاستغنهم مجالستهم كالصالحين لا يخرج لصلاة غير الجمعة إلا بعد سماع حي على الصلاة وذلك حتى لا يأتي إلا بأذن يرى جميع الاعمال تحت المشيئة قبولا وردا يدور مع الحق حيث دار لا يعتب على أحد جفاه ولا يقول لاحد لم لا تتردد الينا احتقار النفسه لا يوبخ قط أحد على ذلة ولا يكتم عن أحد ما أعطاه له من العلوم والمعارف اظهارا للشكور يتكلم من تحت العوائد بالله والله يحب سماع القليل من القران دون الكثير خوفا من حصول الملل لا يرى مفتاح الغيب إلا من عالم الغيب والشهادة عنده من الخوف ما يشغله عن الرجاء يشهد جميع ما في الوجود بعين واحدة يتبع الجميع يخرج عند نزول البلاء فإن كان معروفا تعظيما لأمر الله عز وجل لا يتحجب عنه أوصاف عبوديته طرفة عين لا يكون له عائق عن حضرة الله صلى الله عليه وسلم في ساعة من ليل أو نهار ومن هنا قلل الأكابر الأكل والشرب لئلا يحتاجون إلى البول والغائط ولا يشهد غير الله عند استيلاء ذكره يخشع بحيث يذكر الله تعالى عند رؤيته دائما مع الله بلا وصل وبلا فضل لا يأخذ أعماله إلا عن الله ولا يرجع فيها إلا إلى الله لا يفارقه شهود الافتقار إلى الله تعالى طرفة عين لئلا يحرم مدد الله المتنزل قال تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين الآية لا يأسف قط على شئ فإن من امر الدنيا والآخرة لأنه لو كان له ما فات يطاءه البر والفاجر كالأرض لا يتكدر ممن حضره فوق ما يقول قلبه حاضر مع الله تعالى في سائر الأحوال فيفتح له في حال جماعة ما يفتح له في حال صلاته له وقت لا يسعه فيه غير

ربه لا يتعمل ولا يجتلب يسع الأشياء ولا تسعه هي يصادف في احكامه الشريعة من غير قصد لحفظه من الزيغ يكرم كل وارد ويتأدب مع كل شاهد يرى رجوعه عن حضرة الحق سلوكا وحجابه عنه شهودا وسره لا يعلمه زرة يوحد الله تعالى بالكثرة يعلم ما وراء الحجب من غير رفع حجاب ومريد لكل ما يراد منه ولا يقول قط بالايجاد لأنه سوء أدب يغار على اسرار الحق أن تذاع بين المؤمنين لا العارفين وطرفاه مستويان نازل مثل أبده سواء تدور عليه حميع المقامات
ولا يدور هو عليها لا يعرف له مقام فيوصف به ولا يفارق العوايد فيمير على غيره مخمول الذكر بين الأولياء والاخوان لا يعدوه منهم لما هو عليه من الخفاء عام الشفقة على جميع الخلق لكنه يفرق بين الرحمة بين من أمره الحق تعالى برحمته
وبين من لم يأمره ليجعل لذلك الشخص خصوصا لأجل الأمر يعلم مكارم الأخلاق من سفسافها فينزل لها منازلها تنزيل حكيم يتبراء ممن يتبراء منه ويحسن اليه انتهى.



*

.

صورة إجازة علماء مصر على أصل المؤلف الأولى

<u>إجازة الشيخ شهاب الدين الفتوحي الحنبلي :</u>

الحمد لله الوفي بما وعده المنعم من يشاء بالعيش الرغد الملئ بتوفيه المواثيق والعهود المتفضل على كل موجود باللطف والكرم والجود الذي خص من شاء من العباد بأسرار المعاني ونور بصائرهم فبلغوا مقاصدهم بما اتوابه من حسن المباني وكشف عنهم الحجب والستور فقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ، وحين اقبلوا على حضرته مخلصين قال لهم أدخلوها بسلام أمنين والصلاة والسلام على من هو قطب دائرة الأوائل والأواخر المبعوث من اشرف القبائل وأطيب العناصر وعلى أله وأصحابه الذين انتصروا للدين فكانوا خير ناصر صلاة وسلاما دائمين ما تشرفت بذكره وبذكرهم المنابر ،

وبعد فقد اطلعت على هذا البحر العجاج المتلاطم بالأمواج فسبحت فيه وابتهجت بنفايس درره غاية الابتهاج ، وغصته وظفرت بجواهر فوائده التي انالها محتاج ووردته ورد ظمأن اتى اليه من بعد فجاج وتاملته المرة بعد المرة فإن تحت ذرة منه درة وروايته قد اشتمل من الفوائد على أدناها وأقصاها فلا يغادر صغير ولا كبيرة الا أحصاها كيف لا وهو بحر من بحور عشرة يدرك ذلك من تأمله وتدبره وبالجملة فهو مؤلف فريد في فنه وصنفه لا يأتيه باطل لا من بين يديه ولا من خلفه لا يقدح في معانيه إلا جاهل معاند أو مائل عن طريق الحق لأجل غرضه الفاسد فسبحان من ذلل لمؤلفه كل صعب شرود والأن لمؤلفه الألفاظ الرشيقة كما ألين

الحديد لداود مع كونها مطابقة لمقتضى الحال مشتملة من البلاغة على من هو كالسحر الحلال وصدق فيه المثل الساير كما ترك الأول للآخر فجزاه الله خيرا فيما صنع واثابه الثواب الجزيل على ما وضع واقامه للعلوم يبديها ويظهرها وللفوائد يخرجها وينشرها أمتع الله الوجود بوجوده وأفاض عليه سحائب كرمه وجوده وغمره في فضله ورحمته ونفعني والمسلمين ببركته وختم لي وله بالحسنى وبؤنى وإياه المحل الأسمى إنه غفور رحيم جواد كريم وكنيته فقير رحمة ربه العلى أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحى الحنبلي الشهير بابن النجار اجاره الله من عذاب النار وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

إجازة الشيخ ناصر الدين اللقانى المالكي :

الحمد لله الذي أفاض على قلوب أصفيائه عوارف المعارف وفجر من قلوبهم عيون الحكم واللطائف ورصع بنفائس جواهرها صفائح الصحائف وكشف عن بصائرهم حجب الأستار فتجلت لهم حقائق الاسرار ونطقت ألسنتهم بما لم تحله العقول وحير الأفكار والصلاة والسلام على سيدنا محمد مظهر المعارف الربانية والحقائق اللدنية قطب دائرة الوجود وممد كل ممد وممدود وعلى اله وأصحابه والتابعين صلاة وسلاما إلى يوم الدين وبعد فقد وقفت على هذا المصنف الشريف والأسلوب اللطيف المشتمل على حقائق ورقائق ونكت لطيفة ودقائق حقيقة بأن تكتب بماء الذهب بل بسواد العيون وأن تشترى بنفائس الأرواح لا بنقد العيون لما فيها من الحكم وآداب السلوك وخلاصة الإخلاص المذهب للأوهام والشكوك وكفى هذا المصنف

شرفا أن لسان الناظر حاله وبيانه ناطق بعلو قدره وشأنه بحيث ان الناظر في تلك العهود يمزق مألوف نفسه المعهود وما هي إلا منح ربائيه ومواهب قدسية وخص بها الكريم الوهاب عبده الأواب حشرنى الله في زمرته ونفعني في الدارين ببركته وأفاض علينا من مدده وعمر قلوبنا بوده .
وصلى الله على نبيه وعبده واله وصحبه وجنده قال ذلك وكتبه الفقير الحقير ناصر بن حسن اللقانى المالكي غفر الله له ولوالديه والحمد لله رب العالمين .

إجازة شهاب الدين بن الشلبي الحنفي :
الحمد لله الذي أودع قلوب الأولياء طريق الحكم وانارها بأنوار معرفته وأزاح عنها كثائف أستار الظلم وغيبهم في البحر المورود للحقائق فنطقوا بما يشهد له العقول من الرقائق **وأخذ عليهم المواثيق والعهود** فلم ينقضوها قدام لهم بذلك الشهود وألبسهم من ملابس المعارف وقارا ورفع لهم من حجب جلال عظمته أستارا واجلسهم على بساط أنسه وتجلى لهم في حضرات قدسه فخلفوا فيه عذرا وهاموا في حبه فتراهم مطلقين وهم أسارى وتاهوا في تيه ملكوتيته فهم في تحقيق معرفته حيارى أديرت عليهم زجاجات المناجاة فتراهم سكارى وما هم بسكارى وهبت عليهم عند الوصول نسمات القبول اسحارا فإذا كانت علومهم عن فيض الوهاب لا عن كشف كتب وتعب الاكتساب فسبحان المتفضل المنان الواهب لمن شاء ما شاء في سائر الأزمان أحمده على ما وهب من أفضاله وأشكره على جزيل نواله واشهد أن لا إله إلا الله إله واحد عمر جوده الكائنات وعم بسره العارفين فأفاضوا على

المريدين نفائس الكرامات واشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله بحر المعارف ومنبع الشرائع والعلوم واللطائف صلاة أبدية تليق بقدس كماله إلا قدس وتصلح لكبير مقام جلاله إلا نفس ورضى الله عن اله وأصحابه سيوف الحق وعيون الحقائق ، وعقود سلك الطرق ونحوم سلوك الطرائق وعلى التابعين لهم بإحسان وعلى العلماء والصالحين في كل زمان ،
اما بعد فقد وقفت على هذا الكتاب الذي هو تحفة المريد وروضة الأحباب فإنه البحر يعب عبابه والشرع الذي يحلو لأهل الطريق شرابه فوردت ما فضله الصافي وترديت برداء محاسنه الصافي ، فالله تعالى يبقى مؤلفه إماما تصطف خلفه المريدون فيؤمهم بنوافل فضائله وبره ولا برح جيد الزمان حاليا بوجوده والناس ناطقين بحمده وشكره قال ذلك وكتبه الفقير الحقير المحب له على الحقيقة سائلا من فضل الله ان يكون في الآخرة رفيقه أحمد بن يونس الحنفي الشهير بابن الشلبى أعطاه الله تعالى سؤله وبلغه في الدارين ما موله وما ذلك على الله بعزيز وغفر له ولوالديه ولمشايخه وإخوانه والمسلمين حامدا مصليا ومسلما على أشرف خلقه سيدنا محمد وعلى أله وصحبه والتابعين .

إجازة الشيخ شهاب الدين الرملي الشافعي
الحمد لله الذي تعزز في اذليته بعز كبريائه وتوحد في أحديته بدوام قلوب أوليائه وطيب اسرار القاصدين إليه من طيب ثنائه وسكن خوف الخائفين بحسن رجاءه ونعم أرواح المحبين في رياض معاني أسمائه واسبغ على الكافة جزيل إعطائه ظهرت شواهد وجوده فدليل على توحيد في ضيائه

فالعلوى والسفلى والجنى والانسي على دائرة الافتقار إلى تدبيره وابقائه له الجلال
والجمال وبالكمال والثناء الذي قصرت جميع الألباب من الأولين والآخرين عن
احصائه فالصامت ناطق من حيث الدلالة والناطق صامت وان بالغ في المقالة فإن
للعقل حدا يقف عند انتهائه فرط المعطل فما اهتدى وأول المشبه واعتدى فهلكا في
قفار الجهل ببيدائه والعارف اشرف قلبه بمعرفة الله وأطرق سره لهيبة الله فتسر بل
بحيائه فسبحان من تقرب برافته ورحمته إلى قلوب أوليائه وأحبائه وتعرف إلى أحبابه
بمحاسن صفاته فانبسطوا لذكره ودعائه أحمده حمد معترف بالعجز عن عدد آلائه
منتظر زوائد بره ونعمائه مستجير به من بعده واقصائه واشهد أن لا إله الا الله وحده
لا شريك له شهادة تضمن بالحسنى لقائلها يوم لقائه ووعده بزيارة النظر إليه
وهو أحق بوفائه واشهد ان سيدنا ونبينا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله خاتم
أنبيائه وسيد أصفيائه المخصوص بالمقام المحمود في اليوم المشهود
فجميع الأنبياء تحت لوائه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وخلفائه وعلى من
اقتفى أثرهم إلى يوم الدين ففاز باقتفائه صلاة وسلاما دائمين متلازمين إلى يوم لقائه
وبعد فقد وقفت على هذا المؤلف العجيب والفرد الغريب والبديع الشريف والمجموع
الحسن الظريف المشتمل على الألفاظ الرائقة والمعاني المتناسقة فجزا الله مؤلفه خيرا
وأجزل له مثوبة واجرا فلقد بذل في نصح سالك طريق القوم الغاية
وفي إرشاده إلى إماته نفسه وترقيه إلى نهاية فالله يكثر النفع بوجوده ويعاملنى وإياه في
الدارين بفضله وجوده وكتبه العبد الفقير المفتقر بالعجز والتقصير الراجي عفو ربه
القدير أحمد بن أحمد بن حمزة الرملي